

مركز الدراسات في الدكتوراه  
"الأداب والعلوم الإنسانية"  
تكوين: الحوار الديني والثقافي في  
الحضارة الإسلامية



جامعة السلطان مولاي سليمان  
كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
بني ملال

ملخص أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بعنوان:

## إنسانية الإنسان في القرآن الكريم

الأسس المرجعية والأبعاد الحضارية

إشراف الأستاذين:  
الدكتور عبد الرحمان العضاوي  
الدكتور محمد الناصري

إعداد الطالب الباحث:  
محمد عالي الجماني  
رقم التسجيل: 02/2016

السنة الجامعية:

1441-1442هـ

2020-2021م

# إهداء

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أما بعد :

الحمد لله الذي وفقنا إلى هذا وما كنا له بموفقين لولا أن وفقنا الله

الحمد لله الذي وفقنا في مسيرتنا الدراسية بالأطروحة هذه ثمرة الجهد بفضلته تعالى مهداة

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله تعالى

لكل العائلة الكريمة التي ساندتني ولا تزال من إخوة وأخوات

إلى أساتذتي الأفاضل في تكوين الدكتوراه " الحوار الديني والثقافي في الحضارة الإسلامية"،

بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال عرفانا وإكبارا

إلى أصدقائي وزملائي في وحدة " الحوار الديني والحضاري " في سلك الماستر والدكتوراه

إلى كل من كان لي عوناً وسنداً، أهدي ثمرة هذا العمل

## شكر وتقدير

بعد الحمد والشكر لله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات

أتوجه بالشكر الجزيل إلى أساتذتي الأفاضل الدكتور عبد الرحمان العضاوي والدكتور محمد الناصري على تفضلهم بقبول الإشراف العلمي على هذا العمل، ومتابعتهم له بجميل خلقهم، وسديد نصائحهم وتوجيهاتهم فجزاهم الله عني كل خير

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى أساتذتي في وحدة "الحوار الديني والحضاري" بالماستر والدكتوراه، كل باسمه، لما بذلوه من أجلنا وما يقدمونه للباحثين والبحث العلمي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال، وأخص بالذكر فضيلة الدكتور سعيد شبار، والدكتور عبد الرحمان العضاوي، والدكتور بنسالم الساهل، فلهم مني جزيل الشكر

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى كل من أسهم في هذا العمل، بالتكوين والتقويم والتسديد والتوجيه والمتابعة، والشكر كذلك لإدارة كلية الآداب والعلوم الإنسانية لما تقدمه للطلبة الباحثين، والشكر موصول لكل من قدم لي يد العون

## مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد :

الإنسان هو المحور الأساسي في البيان القرآني يدور عليه القول في سائر الأغراض، وتعود إليه المعاني في سائر الآيات القرآنية، ليس في مجال الخطاب التكليفي فحسب، بل القرآن الكريم خطاب من الله تعالى للإنسان، في كل مجالات البيان للخلق الإلهي، وللعناية بالكون وما فيه، وفي كل مقامات الشرح الوجودي في مختلف الأغراض.

إن جميع الأديان والشرائع السماوية جاءت لغرض واحد هو تحقيق الصلاح والاستقامة للإنسان، فما احتوته من تعاليم هي المرجع في إدراك الصلاح وبلوغه، وقد تدرجت الأديان في الارتقاء بالإنسان نحو صلاحه حتى بلغت به الكمال مع مجيء الإسلام، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾<sup>1</sup>، أساس رسالة الأنبياء والمرسلين هو تحقيق إنسانية الإنسان في أصدق صورة لها، بالتحديد الصحيح للعلاقة بين الإنسان وربّه والموجودات، فالرسل كُفوا بالبلاغ عن الله تعالى وبأن يكونوا مبشّرين ومنذرين، رسالتهم هي تعريف البشر بالرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء .

لقد جاءت الرسالات وحيا من الله تعالى بجملة من التعاليم التي تهدي حياة الإنسان في تصويره للوجود، وفي تصريف سلوكه الفردي والجماعي، فبينت له حقيقة ما هو كائن في

<sup>1</sup> سورة آل عمران، الآية: 19 .

عالم الغيب، كما بينت ما ينبغي أن يكون من سيرة له في عالم الشهادة، وذلك هو دين التوحيد الذي جاءت به الرسالات السماوية، حتى انتهت بالرسالة الخاتمة، فالإسلام هو الدين الجامع، وهو آخر أدوار الرسالة الإلهية، وهو الجامع بينها، وهو آخر الخطوات في كمال الدين السماوي، ولذلك قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>2</sup>.

إن الإسلام دين الفضائل العليا والقيم الرشيدة، التي جاءت من أجل تكوين النفس وبناء الفرد وتشكيل المجتمع، على نحو يتناسب ومنهج الحياة المتكامل الذي جاءنا به الحق عز وجل، إن اختيار الله تعالى ديناً خاتماً عالمياً يرجع إلى غايته السامية في تحقيق صلاح البشرية، في كنف العبودية لله رب العالمين والاستقامة على منهاجه لبلوغ سعادة الدارين، إن الإسلام الدين المنزل من عند الله سبحانه، والذي بعث الله به رسوله، وأنزل به كتابه، لهو الدين الذي تميّز بخصائص وسمات لا توجد في غيره من النحل والطوائف التي اتخذها الناس لأنفسهم في هذه الحياة، فالإسلام جاء من عند الله سبحانه المتصف بصفات الكمال، إن أصول الدين الإسلامي تسوق إلى غاية جليلة وهي كونه خاتم الأديان موجهاً للناس كافة، وتلك الأصول المصطبغة بالصبغة العالمية ترسي دعائم مجتمع صالح تتوثق فيه العلاقة بين المسلم وخالقه وبينه وبين أخيه الإنسان، كما تصان فيه الكرامة الإنسانية.

<sup>2</sup> سورة المائدة، الآية: 03 .

إذا كانت جميع الأديان والشرائع السماوية من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الرسل عليهم الصلاة والسلام، جاءت لغرض واحد وهو تحقيق صلاح أحوال الإنسان، فإن هذا الصلاح يشمل الأحوال الفردية والاجتماعية والعالمية، ذلك أن العالم مكون من أمم، والأمة مكونة من مجتمعات، والمجتمع من أفراد، ولا يتحقق صلاح الكل إلا بصلاح الجزء، ومن ثم فلا صلاح للعالم إلا بصلاح المجتمع، ولا صلاح للمجتمع إلا بصلاح الأفراد؛ فإصلاح الفرد لازم لإصلاح المجتمع، وإصلاح المجتمع لازم لإصلاح العالم .

لقد أنزل الله كتابه العظيم، فيه أسرار بيانية عميقة ذات قدرة عالية على مخاطبة الإنسان في أحواله المختلفة، من خلال الاعتناء بجوهر إنسانيته بكل أبعادها الاجتماعية والنفسية السامية، والتي تجعل الإنسان إنساناً، وتجعله أكثر ارتقاءً وسمواً، والله عز وجل خلق هذا الإنسان في أحسن تقويم وأكمل هيئة، والأهم من هذا كله، هو أنه سبحانه نفخ فيه من روحه، وهذه الميزة في الحقيقة تمثل نوعاً من التشريف والتكريم لا يكاد يدركه عقل أو يستوعبه فكر، ولذلك جاء في الآية ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾<sup>3</sup> .

إن المنهج الديني في تصوّره للوجود وشرح الحياة غرضه إنقاذ الناس وإصلاح أمرهم، وهذا المسعى يتخذ من حقائق الدين وسيلة الإنقاذ والإصلاح، وعليه فأى قيمة تستلَب إنسانية الإنسان باستعباده واستذلاله، أو لا تجسد إنسانيته، بل لا تجسد كمال الإنسانية فيه يمنعها

<sup>3</sup> سورة الإسراء، الآية: 85 .

الإسلام، وكل المنافع التي من شأنها أن ترتقي بإنسانية الإنسان، أو على الأقل تحفظها جاء بها الدين الإسلامي .

على ضوء ما سبق؛ فالقرآن الكريم هو الوحي الإلهي الذي يمثل المصدر المنشئ للتصورات الكلية للإسلام، التي تحكم رؤية المسلم للخالق والمخلوقات وللحياة الدنيا وما بعدها من حياة أخرى، ورؤيته لطبيعة الإنسان وغاية وجوده ولعالم الغيب وعالم الشهادة، باعتبار القرآن الكريم هو المصدر المنشئ للأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات، ولقواعد التفكير الإنساني التي تنظم طرق فهم الإنسان والمعاملات والأخلاق، فالقرآن الكريم فيه هذه القابلية لأن يفسر الحياة والأحياء للناس، وأن يظهر لهم السنن والحقائق، فلا شيء يضاهي القرآن الكريم العظيم وضوحاً وشمولية في تصويره حول الله والكون والإنسان والحياة، وليس هناك قانون على الأرض يضبط علاقات الإنسان على اختلافها كما يضبطها القرآن الكريم سواء العلاقة بالله، أو العلاقة بالكون أو بالحياة .

القرآن الكريم هو الخلاصة النهائية الخاتمة لمسيرة الوحي الإلهي، ومن ثم فهو مركز المنظومة المعرفية الكلية الخاصة بالوحي الإلهي، وبالتالي فهو مصدر أساس من مصادر المعرفة البشرية الضرورية، التي لا غنى للحياة البشرية عنها .

القرآن الكريم رسالة الله إلى البشر، وفي آياته نظام شامل وتشريع كامل ومنهج واقعي يراعي إنسانية الإنسان<sup>4</sup> بما تحققه تعاليمه من توازن بين متطلبات الروح والجسد، وبين مصالح الفرد والمجتمع، منهج أمثل يقود الإنسان إلى الخير ويسعى بها إلى الفلاح ويضمن له السعادة في الدنيا والآخرة، إن القرآن الكريم منهج متكامل في كل مجال من مجالات المجتمع، وفي كل جانب من جوانب الحياة، مكانة الإنسان في القرآن الكريم هي أشرف مكانة له، فهو الكائن المكلف الذي يفكر ويبصر ويتدبر، بما تهيأ له من وسائل وقدرات العقل في التبصر والتمييز بين الخير والشر، وذلك هو جوهر إنسانيته.

إن تناول الطبيعة الإنسانية من خلال القرآن الكريم، تتأسس مرجعيتها من المصدر الإلهي الذي أنزله الله رب العالمين الذي خلق الإنسان، وهو الذي يعلم من أسرار ما لا يعلمه الإنسان عن نفسه، قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>5</sup>. باعتبار القرآن الكريم لا يقبل التحريف أو التبدل كونه محفوظاً بحفظ الله؛ وهو المصدر الأساسي لكل ما يحتاجه الإنسان.

إن الإنسان خلقه الله سبحانه من قبضة من طين، ونفخ فيه من روحه، فهو جسم، وهو روح يحتاج إلى تناول مقومات جسمه، من طعام وشراب وغيرها، وهو روح يحتاج إلى تعاطي ما يغذي روحه، من عبادة الله المشتملة على الصلاة والصيام وغيرها، وينبغي أن

<sup>4</sup> نقصد بإنسانية الإنسان ماهيته التي بما كان إنساناً ولم يكن شيئاً آخر، فمعنى الإنسانية يحمل بعداً جماعياً يتجاوز الإنسان الفرد إلى الإنسان النوع، إنسانية الإنسان متأتية من التركيب الإنساني المادي والمعنوي، ليست حاصلة في أي مخلوق من المخلوقات الكونية الأخرى، وهي بذلك تشكل أحد العناصر الأساس المكونة لمعنى الإنسانية في الإنسان، أنّ المعنى الكلي للإنسانية يتعلّق بحقيقة الحياة الإنسانية للإنسان .

<sup>5</sup> سورة الملك، الآية: 14 .



يعتدل في ذلك، فلا يأخذه الإفراط في تغذية الروح حتى يقتل الجسم أو يضعفه، ولا يأخذه التقريط في ذلك فيهتم بتغذية الجسد حتى تضر الروح، فمعرفة الإنسان بنفسه ثمرة من ثمرات معرفته بخالقه سبحانه وتعالى، المعرفة التي ترتقي به وبإنسانيته إلى الكمال الإنساني المقدر له.

إن الخطاب القرآني الموجه إلى الإنسان خطاب شامل، يبدأ من خلقه وينتهي بمماته، ويدله على سعادته في الدنيا والآخرة، ويحدثه عن طبيعته السلبية وسبل تجاوزها ليصل إلى الكمال الممكن ليكون بذلك نموذجا متميزا عن غيره، فالقرآن الكريم يبين بكل وضوح أن الإنسان هو المحور الأساسي للوحي الإلهي، وكل ما جاء في القرآن الكريم إما حديث إلى الإنسان، أو حديث عن الإنسان، أو عن شيء يتعلق بالإنسان بشكل أو بآخر.

يقرر القرآن الكريم أن الإنسان أشرف الموجدات، فهو خليفة الله في الأرض، الذي حملة الأمانة دون غيره من الكائنات، وهو تكريم وتشريف سجله القرآن الكريم في آياته البينات حيث يقول سبحانه تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>6</sup>، وبعد بيان مكانة الإنسان في الأرض يكلفه بأن يكون خليفته في الأرض، وهذا أسمى وأعظم مكانة ووظيفة كلف الله بها الإنسان، وهذا ما يميز قضايا الإنسان في القرآن الكريم حيث تتسم بالاتساع والتنوع، إذ أنه

<sup>6</sup> سورة الإسراء، الآية: 70 .

من المصطلحات الكبيرة والمحورية التي ترتبط بها عدة قضايا تحقق إنسانية الإنسان، والتي هي من أهم الحكم والغايات التي أنزل من أجلها القرآن الكريم .

القرآن الكريم حدّد الطبيعة التي خُلق عليها الإنسان، والمهمّة التي خلق من أجلها، كما حدّد أيضا قيمة الحياة الإنسانية تحديدا معياريا يتبيّن به كيف يمكن أن ترتفع حياة الإنسان لتكون حياة إنسانية حقا، مقام الإنسان في القرآن الكريم يختلف عن مقام الموجودات الأخرى جميعا، فهو تحمّل المسؤولية دون باقي المخلوقات، الشيء الذي جعله يتمتّع بخصائص نذكر منها: التكريم، والتكليف، والاستخلاف...إلخ.

لقد بلغت العناية الإلهية بالإنسان إلى الحد الذي جعله خليفة الله تعالى في الأرض بكل ما اقتضته هذه الخلافة من تكريم وتعظيم وتفضيل وتعليم، حيث قال تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾<sup>7</sup>، إن ما يقوم به الإنسان اليوم يقوم به من منطلق أنه إنسان مستخلف في الأرض من قبل الله تعالى، ومخاطب من قبله لصناعة الحياة وفقاً لإرادته، وفي ضوء القوانين والسنن والأنظمة الحاكمة، التي لا يستطيع الإنسان أن يتجاوزها في سعيه المستمر لاكتشاف ما يحيط به في عالمه الكوني.

إن القرآن الكريم جاء برؤية مقاصدية متكاملة في تحقيق إنسانية الإنسان؛ تقوم على الوسطية والاعتدال والتوازن في تحقيق نزعاته الروحية والمادية، الفردية والجماعية على حدّ سواء، فالإنسان فرد يعيش في محيط اجتماعي وعالمي، وخصوصية المرجعية القرآنية أنها

<sup>7</sup> سورة الرحمن، الآية: 3\_4 .

تتناول كل مجالات النشاط الإنساني سواء ما يتصل منها بفكر الإنسان، أو ما يظهر من أنماط التصرفات والسلوكيات في المجتمع، كما يتناول أغوار النفس الإنسانية بالكشف والتحليل عنها وهي أساس توجيهاته الأخلاقية.

لقد حدّد الله سبحانه وتعالى للإنسان الغاية من وجوده، وجعل تلك الغائية عنصراً من عناصر إنسانيته، حيث شرع له من الدين ما يحفظ مقصد الخلق من وجوده، وأن يكون تحقيقها هدفاً في سلوكه، وشرع له منع كلّ ما يطل تلك الغائية بتغييبها أو نقص فاعليتها، حيث تُعدّ عنصراً من عناصر إنسانية الإنسان، إذ هي من خواصّه باعتباره إنساناً يفارق بها سائر الكائنات التي لا تعيش إلا للحظتها؛ ولذلك فإنّه إذا ما انعدمت تلك الغائية في النفس البشرية، فقد بذلك الإنسان معنى إنسانيته .

إن الحاجة ملحة لضرورة الرجوع للقرآن الكريم لفهم الإنسان، لأن رسالة الإسلام هي الصورة الحقيقية المشخصة من خالق هذا الإنسان، الرسالة الوحيدة التي جاء خطابها للإنسانية والعالمين، على صفة الشمول هي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك كونها الرسالة الخاتمة التي ختمت النبوات، واشتملت على محاورها من نبعها الأصيل، وأكملت المسيرة التي يحتاجها الإنسان كمنهج حياة في الدنيا، وطريق سعادة في الدارين الدنيا والآخرة .

على ضوء ذلك فإن إنسانية الإنسان لها معانٍ سامية في القرآن الكريم، تتأسس على تقويم السلوك الإنساني وضبط الدوافع الذاتية في النفس البشرية، من خلال بيان الصفات

الإيجابية للسلوك الإنساني، وقد جاءت آيات الذكر الحكيم تبين المعالم الأساسية لمنهج الحياة، والتي من شأنها أن تحافظ على إنسانية الإنسان، وتحوطها بكل ما يلزم لصيانتها من التفكك أو الانهيار، كما بينت آيات القرآن الكريم وسائل وقدرات العقل في التبصر والتمييز بين الخير والشر، وذلك من أجل تحقيق إنسانية الإنسان، هذه هي وظيفة القرآن الكريم الأساسية ومقاصده الكلية في الحياة، أن يؤسس وعي الإنسان بمعالم إنسانيته.

إن مقاصد القرآن الكريم هي الكاشفة لحقائق إنسانية الإنسان، وهي المرشد إلى معانيه وقيمه، وهي الهادية إلى أسراره وغاياته، والتعريف العام لإنسانية الإنسان؛ إنما يعتمد ابتداء على التصور الصحيح لمقاصد القرآن الكريم نفسه، إدراك غاياته ومعانيه، ومعرفة أهدافه ومراميها، وهذا يعني أنه إذا كانت المعرفة بمقاصد القرآن الكريم صحيحة وسليمة كانت معرفة إنسانية الإنسان صحيحة وسليمة، وإذا كانت المعرفة بمقاصد القرآن ضعيفة كانت هذه المعرفة نفسها ضعيفة كذلك.

القرآن الكريم اهتم بعملية الضبط الذاتي للدوافع الإنسانية، حيث حرم إشباعها عن طريق الخبائث أو المحرمات، وحدد السبيل السوي في إشباع الدوافع الإنسانية بطريقة منظمة تكفل للفرد والمجتمع نظاما متكاملًا يقوم على الخير للفرد والمجتمع في الحياة الدنيا والآخرة.

إنَّ من أهم العناصر المكونة لإنسانية الإنسان حرية الإرادة، فكل الموجودات الكونية خلقت مسوقةً إلى مصائرهما على سبيل الحتم، إلا الإنسان فقد خلق بإرادة حرة يختار بها

مصيره، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾<sup>8</sup>، فهذه الأمانة التي حملها الإنسان دون كل الموجودات، إنما حملها بناء على إرادته الحرة التي كان بها إنساناً، فهي إذن عنصرٌ أساسي من إنسانيته .

قد بينت آيات القرآن الكريم حفظ إنسانية الإنسان من حيث كونها ذاتاً إنسانية، إلى آفاق بعيدة، إذ هي تجاوزت حدود العداوة والصداقة، وأحوال الحرب والسلم، واختلاف الشعوب والأمم، لتنتهي إلى حدود الذات الإنسانية مجردة من كل الاعتبارات، هدفها تمسك الإنسان بالفضائل والقيم الحميدة، والبعد عن كل ما يتنافى مع كرامته، فارتفعت الإنسانية بذلك إلى أرقى صورة وأعظم وظيفة، في سلم الرقي الإنساني.

إن القرآن الكريم يتناول إنسانية الإنسان بتفصيل دقيق وعميق يسبر أغوار النفس والشعور بالوجود المتميز، والذي يتفاعل من خلاله العقل والروح مع الكيان العضوي في دائرة الذات، من خلال آفاق إدراكها العقلي النابع من النفحة الروحية الربانية، يقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾<sup>9</sup>، وبهذا المعنى فقد جاءت كثير من التوجيهات الدينية والأحكام الشرعية، تجعل من حفظ الإنسان مقصداً لها، وتلتقي كلها على اختلافها بين أحكام عقديّة وأحكام شرعيةٍ عمليةٍ على تحقيق هذا المقصد الشرعي من خلال تلك الأحكام، وذلك حفظاً لمعنى إنسانية الإنسان.

<sup>8</sup> سورة الأحزاب، الآية: 72 .

<sup>9</sup> سورة الحجر، الآية: 29 .

السلوك الإنساني له معانٍ سامية راقية في القرآن الكريم، وغاية الدين الإسلامي تقويم السلوك الإنساني وضبط الدوافع الذاتية في النفس البشرية، والصفات الإيجابية للسلوك الإنساني أوردتها القرآن الكريم في أحوال متعددة منها الاعتدال وحسن الخلق، والجود، والكرم، والتواضع، والأمانة، والحلم، والرفق، والشكر لله الخالق المنعم على الإنسان بالجود، أما الصفات السلبية في النفس البشرية فأشار إليها القرآن الكريم بالضعف، والعجلة، والبخل والكفر، والهلع ... إلخ .

النفس البشرية مكنون عميق ليس من السهل استجلاء كل بواطن الخفاء والتعقيد في جوانبها المحيرة والمدهشة، ومنهج الله دائماً يكشف ما خفي من حقائق الإنسان في تكوينه النفسي وخصوصاً ما كان خافياً في مكنوناته وأسرار انفعالاته، وما زال الإنسان يجهل الكثير عن تركيب هذه النفس البشرية بأبعدها المختلفة، مما يبين ضرورة مرجعية الوحي ووظيفته في الهداية البشرية.

إن ما نعيشه اليوم في مجتمعاتنا المعاصرة من أزمت وتحديات ليس في كل الأحوال مرده إلى المعطى الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ... إلخ، وإنما الأزمة تتعدى هذه المعطيات لتصبح أزمة إنسانية، لأن الإنسان الذي هو محور دراسة العلوم ليس عدداً أو شكلاً مما تدرسه علوم الرياضيات، كما أنه ليس آلة من مواد العلوم الاقتصادية، فالإنسان مخلوق ثنائي التركيب روحاً وجسداً، ومن ثم فإنه يحتاج إلى فهم شمولي وليس جزئي.

إن الحضارة المعاصرة تعاني من عدم استبصار معالم وسمات الإنسان السوي، والمجتمع السوي، وبسبب غياب هذا الوعي عرف التاريخ البشري أضراباً من التخبطات الفهمية والإدراكية، أصابت بُنى المجتمعات وهياكل العلاقات تربوياً واجتماعياً وإنسانياً وعمرانياً... إلخ .

إن الحضارة الغربية المعاصرة، ورغم ما توصلت إليه وحققته من إنجازات مادية هائلة في جميع الميادين، وعلى كل الأصعدة؛ حيث هيأت للإنسان من أسباب الرفاهية ومظاهر التنعم ما لم يتهيأ له في الأزمان السابقة على مر التاريخ، إلا أنها أغفلت الجانب الإنساني في الإنسان ولم تُعز له اهتماماً، أو لم تجعله في سلم أولوياتها في أحسن الأحوال؛ فعظمت كل ما هو مادي، وهونت من شأن كل ما هو إنساني، مما أفقد الإنسان إنسانيته.

ما آل إليه الوضع الإنساني اليوم من اعتداء سافر على إنسانية الإنسان، على مستوى جميع المجالات، فمن الفلسفة العدمية والعبثية التي تهدر الغاية من الوجود الإنساني في أصله، إلى الوجودية التي تهدر معنى الثبات في الماهية الإنسانية وتدعي إمكان التغيير المستمر فيها، إلى التشريعات التي تلغي الفروق بين الجنسين... إلخ، وبذلك يصبح من الواجب بيان معالم إنسانية الإنسان التي تتوقف عليها الحياة الإنسانية، بمعانيها وقيمها والغاية من وجودها، إن الفلسفات البشرية ومصادر المعرفة الإنسانية ما زالت تتخبط في مواقفها من معظم القضايا الأساسية؛ مثل حقيقة الإنسان ومكانته ودوره في الوجود، وعلاقته بالطبيعة، وحقيقة الحياة، وحقيقة الموت، وكل ما يحقق إنسانيته.

إن سبيل الخلاص الوحيد من هذه الأزمة الإنسانية يكمن في هذه العودة الصادقة المخلصة التامة إلى القرآن الكريم، الذي يعبر عن المرجعية الحاكمة لكل معاني إنسانية الإنسان؛ ثم تبدأ مسيرة الإنسان في تكاملها وشمولها لكل جوانب النفس وكل جوانب الحياة، تتفرد وحدها بالشمول والعمق والاتزان.

إن الإشكال المركزي الذي يشغل الأطروحة هو محاولة التأسيس للنموذج المعرفي الإسلامي، انطلاقاً من مركزية القرآن الكريم، في سبيل استيعاب الإشكالات الإنسانية المعاصرة، وعليه فالعالم الإنساني اليوم في أمس الحاجة إلى احياء روح الإيمان، واستبدال المقاصد الدنيوية والمصالح العاجلة، بمقاصد إيمانية تحمل القيم الربانية والإنسانية، تربط بين السماء والأرض، وتصل بين عالم الشهادة وعالم الغيب، وتجمع بين المادة والروح.

إنَّ الحاجة أصبحت ماسة إلى بناء تصور قرآني لإنسانية الإنسان، مستنده مرجعية القرآن الكريم، المُبَيَّن لحقيقة الإنسان ووظيفته وغاية وجوده، وهذا الإطار هو الذي يضمن السداد في تحقيق إنسانية الإنسان، والمؤدي للارتقاء بالإنسان والمحافظة على خصوصيته التي تجعل منه كائناً متبصراً يملك القدرة على التفكير وفق استخدام قوانين المنطق والابتعاد عن التحجر والتعصب الذاتي الضيق، أي توسيع آفاق الفكر المتعالي الخالي من التناقض والمبني على الوسطية والاعتدال.

من هذا المنظور حاولنا بلورة هذه الإشكالية في صيغة السؤال المركزي على النحو الآتي: ما هي الأسس المعرفية لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم؟ وما هي أبعادها



الحضارية؟ للإجابة عن هذا السؤال حاولنا اشتقاق الأسئلة الفرعية الآتية من خلالها القيام بتفكيك بنية السؤال المركزي إلى أسئلة فرعية من قبيل: إلى أي مدى ساهم القرآن الكريم في الكشف عن إنسانية الإنسان؟ ما هي تجليات إنسانية الإنسان في الرؤية القرآنية؟ ما هي أسس الخلل الفكري والمنهجي الذي وقعت فيه الرؤية الوضعية في منظورها لإنسانية للإنسان؟ وما هي مآلاتها الخطيرة على الإنسانية أفراداً وجماعات؟

هذه الأسئلة تحتاج بلا شك إلى البحث والتمحيص والتحليل والتقويم الموضوعي من أجل فهم واستيعاب إنسانية الإنسان في القرآن الكريم، مما لا شك فيه أن القرآن الكريم كتاب نور وهداية للبشرية جمعاء، الإنسان كائن استخلفه الله في كونه، وقضى أن يكون محفوظ العرض مصون الكرامة، ومنحه لوازم الوفاء بمسؤولياته القيادية في الأرض كلها، وكان حفظ الإنسان أحد الأعمدة التي تقوم عليها إنسانيته، إن القرآن المجيد يدفعنا إلى بناء الرؤية الكلية للإنسان باعتباره إنساناً، في إطار هذه الرؤية تضمن القرآن الكريم الأسس المرجعية والأبعاد الحضارية عامة التي تحقق إنسانية الإنسان، ومن هنا يهدف هذا البحث إلى بيان هذه الأسس المرجعية والأبعاد الحضارية.

## 1 . أهمية الموضوع وأهدافه :

يروم البحث تحقيق الأهداف الآتية :

❖ إبراز أهمية الأسس المرجعية والأبعاد الحضارية لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم،

مع بيان أهميتها في توجيه وحسن ترشيد الحضارة الإنسانية المعاصرة .

❖ إعادة بناء فكر إسلامي عالمي فاعل ومنتج، يتأسس من المرجعية القرآنية، من خلال إبراز الأهمية الكبيرة لهذه المرجعية في علاج كثير من مشكلات الحضارة الإنسانية المعاصرة .

❖ أهمية أن تكون للأمة رؤية واضحة جلية عن إنسانية الإنسان لا يشوبها غموض أو تناقض أو اختزال في جزء معين، مع توضيح معالم تشوه هذه الرؤية في الفكر الغربي، وضرورة الحاجة إلى التعرف الواضح على الرؤية القرآنية لإنسانية الإنسان، مع إبراز أهميتها في أبعادها الفردية والاجتماعية والعالمية .

❖ تأسيس اجتهادات فكرية، ومقاربات علمية لمفهوم إنسانية الإنسان في القرآن الكريم، تستمد عقلانيتها ومنطقها العلمي والمنهجي من المرجعية القرآنية .

## 2 . نماذج من الدراسات السابقة :

بالنسبة للدراسات السابقة في هذا الموضوع يمكن الإشارة إلى بعض الكتابات التي تطرقت للموضوع وإن تعددت واختلفت جوانب مقاربتها ودراستها، أضف إلى ذلك أنه إلى حد كتابة هذه السطور لم أقف على دراسة شاملة للموضوع الذي سأشتغل عليه، ويمكن الإشارة إلى أهم الكتابات القريبة من موضوع بحثنا وهي كالاتي:

❖ كتاب: "خلافة الإنسان بين الوحي والعقل: بحث في جدلية النص والعقل والواقع"، عبد المجيد النجار؛ حاول من خلاله المؤلف بيان دور الوحي والعقل في الكشف عن حقيقة الوجود، والكشف عما ينبغي أن يكون وما ينبغي أن لا يكون في حياة

الإنسان، كما حاول المؤلف بيان دور العقل الإنساني فيما جاء من الوحي قصد توجيه حياة الإنسان، وذلك على مستويين: مستوى الفهم لتمثل حقيقة الوحي في جدلية النص والزمن، ومستوى التنزيل لجعل حقيقة النص واقعاً متمثلاً في السلوك الإنساني، من خلال جدلية النص وواقع الإنسان عبر الزمان والمكان، احتكاماً في ذلك إلى مصلحة الإنسان التي هي المقصد الأعلى للوحي .

❖ كتاب: "الإنسان بين شريعتين رؤية قرآنية في معرفة الذات ومعرفة الآخر"، عبد الحميد أبو سليمان؛ يستمد هذا الكتاب أهميته في محاولة استلهام الرؤية القرآنية والغاية من وجود الإنسان، ومنهج الشريعة التي تهدي حياته بالحق والعدل والخير، والرؤية القرآنية هي القاعدة الأساس لفكر الإنسان المسلم ورؤيته الحياتية، حتى يستطيع أن يحدد غاية وجوده، لأن الرؤية القرآنية هي البداية الصحيحة لتجديد الطاقة الفكرية، وإنجاح جهود التجديد والإصلاح الفعال، وتحقيق القدرة على التأثير والتعامل الحضاري الإنساني مع الآخر .

❖ كتاب: " الإنسان في القرآن دراسة فلسفية مقارنة "، أحمد بوعود؛ واعتمد المؤلف في كتابه على المقاربة التأويلية، والفلسفة المقارنة في دراسة الإنسان في القرآن الكريم باعتباره مصدراً للمعرفة، وفحصه لآراء المفسرين وتأويلاتهم، وينفرد الكتاب بمحاولة البحث عن مطلق الإنسان في القرآن الكريم بغض النظر عن عقيدته ودينه .

❖ كتاب: " الوحي والإنسان: نحو استئناف التعامل المنهجي مع الوحي"، أحمد عبادي؛ حيث ركز الباحث في دراسته، على أن الحضور والشهود الحضاريين عند أي أمة من الأمم ينطلق من قدرتها على فهم واستيعاب ما يحيط بها من أحداث ووقائع، لأن من مقتضيات التعامل مع كتاب الختم، الوقوف على المنهج القرآني المكنون النابض المتجدد الذي يقود الإنسان نحو آفاق الإفادة من قابلية القرآن المجيد للهداية التي هي أقوم، ولن يتيسر ذلك إلا عن طريق الاستتطاق والاسترشاد، بين يدي كلام الله تعالى .

❖ كتاب: " الإنسان ذو البعد الواحد"، هريرت ماركيز؛ يمثل هذا الكتاب أهمية خاصة في نقد المجتمع الصناعي الحديث، من خلال بيان معالم سيطرته على حياة الشعوب الفكرية ومحاولة إقصاء الإنسان، لأن المجتمع الصناعي عمد إلى تقسيم الأعمال وإلغاء الفردية، ويناقش الكتاب كذلك فكرة رغبات الفرد وحصرها في إطار واحد، ورغم أن هذا الخيار المفروض في حقيقته يلبس قناع الحرية والتعددية، إلا أنه يحقق مصلحة طبقة معينة حولت مصالحها بالسياسة و أوهمت الشعوب أنها مصالح عامة وحرية وخيارات متعددة، يبدأ الكتاب فكرته من منتجات الإنسان الصناعية والتكنولوجية الحديثة، حيث يبرز خطورتها في توجيه طاقاته ونشاطاته لتلك الوجهة الوحيدة، وهي من وجهة نظره النقدية وسائل تدميرية للإنسان .

❖ مقال: " الإنسان والتاريخ في الرؤية القرآنية"، عبد الرحمان العضاوي؛ يمثل هذا المقال أهمية كبيرة في بيان الرؤية القرآنية التي تقدم تصوراً للإنسان والحياة والكون، كما تقدّم لنا هذه الرؤية المعرفية تفسيراً مطابقاً لهذا الوجود بما فيه من الحياة الإنسانية والتاريخ الإنساني .

❖ مقال: "حول إشكالية مصطلح النزعة الإنسانية"، عبد الرزاق الدواي؛ تناول النزعة الإنسانية باعتبارها فلسفة تضع الإنسان والقيم الإنسانية فوق كل شيء، إشكالية النزعة الإنسانية لا تتخذ شكلاً واحداً ولكنها تقع في أشكال متعددة ضمن إطار واحد وهو الإنسان، حيث تنسب هذه الأفعال له، وهذا يقودنا إلى فهم العلاقة التكوينية بين الإنسان والوجود .

الأهمية الكبرى التي تكتسيها الدراسات السابقة هي المساعدة على التحكم في موضوع البحث، وتكوين خلفية نظرية عن الموضوع من خلال الباحثين الذين تناولوا بعض جوانب هذا الموضوع وبذلوا فيه جهدهم، ورجّحوا فيه رأيهم وتحصلوا منه على نتائج، علماً أن موضوع البحث الذي اخترته يسعى إلى تأسيس مفهوم إنسانية الإنسان في القرآن الكريم من خلال رؤية شمولية تتأسس من المرجعية القرآنية، وتتطرق إلى أهم القضايا المتعلقة بموضوع إنسانية الإنسان في القرآن الكريم من خلال أبعادها الإنسانية والحضارية.

### 3 . منهجية البحث :

تشكل المناهج المدخل الأساسي لكل دراسة ومن هذا المنطلق سأحاول مقارنة الموضوع وفق المناهج الآتية :

المنهج الإستقرائي التحليلي : وسأحاول توظيفه في استقراء الآيات القرآنية الدالة على إنسانية الإنسان في القرآن الكريم، ثم العمل على تحليل مفاهيمها قدر المستطاع في محاولة مني لتحديد أبعادها الإنسانية والحضارية والكونية في القرآن الكريم .

المنهج التاريخي : "وهو يعتمد على التوثيق والتفسير للحقائق التاريخية"<sup>10</sup>، وسأوظفه من خلال البحث التاريخي في الأسس الفلسفية للعقلية العلمية للرؤية الوضعية لإنسانية الإنسان ومدى انعكاسها على واقع الحضارة المعاصرة .

المنهج النقدي التفاعلي : وذلك بالدرس النقدي لمبادئ وأسس الفلسفة الغربية والمتمثلة في النزعة العقلانية والنزعة الواقعية قصد بيان إغفالها التام للوحي وما يتصل به من المعارف، فكان بذلك المنهج النقدي هو الكفيل بإدراك مكامن الخلل في تلك النزعات المفرطة، بينما كان منهج التفاعل مع الوحي باعتباره أساسا للمعارف الإسلامية المؤسسة للتفاعل بين الوحي والواقع وبينهما العقل الذي يكشف عنهما، وهو أساس في إبراز أهمية هذا المنهج الكفيل بفتح طرق علمية جديدة في التعامل مع الوحي ومعارفه .

<sup>10</sup> فريد الأنصاري، أجدديات البحث في العلوم الشرعية، منشورات الفرقان، سلسلة الحوار، رقم 12، الدار البيضاء، 1417هـ، 1997م، ص: 66.

#### 4 . صعوبات البحث :

لا يخلو بحث أكاديمي من صعوبات، وذلك جزء من علميته وأهميته، حيث إن تحقيق الأهداف التي وضعتها للبحث وفق المنهج الذي حددته تعترضه صعوبات مرتبطة بالحقل المعرفي للدراسة، وتظهر أهم تحديات البحث التي نختصرها في نقطتين أساسيتين :

❖ طبيعة الموضوع الذي يكتسي صعوبة كبيرة من خلال أوجه متعددة لعل أبرزها؛ خصوصية النص المدروس وما يتفرد به من قدسية، تقتضي من الباحث تبني منهجية دقيقة، والانتباه إلى مجموعة من الصعوبات التي تعترضه، وتوخي أقصى درجات الحذر في البحث بما يتميز به النص القرآني من قدسية، أسأل الله العظيم التوفيق والسادد .

❖ ندرة المصادر والمراجع التي تناولت موضوع إنسانية الإنسان في القرآن الكريم، فرغم وجود كتابات في الموضوع مما ذكرته في الدراسات السابقة، إلا أنها بقيت دون طموح هذه الدراسة، مما تطلب مني جهدا مضاعفا للتقيب عنها في بطون المصادر والمراجع، ثم تأسيس موقف معرفي ومنهجي بُغية تقديم رؤية معرفية جديدة في الموضوع .

## 5 . خطة البحث :

يشمل موضوع الأطروحة " إنسانية الإنسان في القرآن الكريم: الأسس المرجعية والأبعاد الحضارية "، مقدمة وبايين وخاتمة .

أما المقدمة فقد تطرقت فيها إلى الإطار العام للموضوع، والقضايا التي يسعى البحث مقاربتها، والأسئلة الكلية التي يحاول البحث الإجابة عنها، والدراسات السابقة التي تناولت موضوع البحث من زوايا نظر مختلفة، وبينت فيها أهمية الموضوع وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث والصعوبات التي اعترضته.

أما الباب الأول فيحمل عنوان " إنسانية الإنسان في القرآن الكريم: الأسس المرجعية والمعرفية"، تناولت خلاله الأسس المرجعية والمعرفية، لأنها وحي من عند الله معصوم من الزيادة والنقصان، التي تحكم رؤية المسلم للخالق والمخلوقات وللحياة الدنيا وما بعدها من حياة أخرى، وتحكم رؤيته لطبيعة إنسانية الإنسان، في حين إن الأسس المرجعية لإنسان الإنسان غير المستندة إلى الوحي الإلهي تعتبر رؤية وضعية قاصرة على أن تحيط بإنسانية الإنسان إحاطة شاملة، وقد جاء الفصل الأول بعنوان: " مفهوم إنسانية الإنسان بين الرؤية القرآنية والوضعية"، حيث تناولت موضوعه ببيان الرؤية القرآنية لإنسانية الإنسان باعتبارها رؤية موجهة للإنسان، تبدأ من خلقه وتنتهي بمماته، هذه الرؤية تناولت كل مجالات إنسانية الإنسان، كما تناولت أغوار النفس الإنسانية بالكشف والتحليل، أما إنسانية الإنسان في



الرؤية الوضعية فليست مرتكزة بالأساس على الوحي الإلهي بل تستند إلى الفكر الإنساني النسبي، مما أفقدها المنظور المطلق والشمولي لإنسانية الإنسان.

ينتظم الفصل الأول في ثلاثة مباحث؛ الأول مخصص لتحديد مفهوم الرؤية القرآنية، ويعتبر هذا المبحث مدخلا مهما في إدراك بيان خصائص ومقاصد الرؤية القرآنية، باعتبارها رؤية هداية أنزلها الله سبحانه وتعالى على النبي صلى الله عليه وسلم للناس كافة، أما المبحث الثاني فهو بعنوان؛ مفهوم إنسانية الإنسان في الرؤية القرآنية، وقد تناولت في هذا المبحث طبيعة إنسانية الإنسان باعتبارها المحور الأساسي في البيان القرآني، الذي حدد طبيعة إنسانية الإنسان من خلال هذا التحديد الذي تتبين به الحياة الإنسانية حقاً، المبحث الثالث الموسوم بـ " مفهوم إنسانية الإنسان في الرؤية الوضعية "، حيث تناولت موضوعه ببيان مفهوم إنسانية الإنسان في الرؤية الوضعية بشكل عام، مع بيان أهميتها وجوانب قصورها باعتبارها فكراً إنسانياً نسبياً قاصراً على أن يحيط بظاهرة الإنسانية إحاطة كاملة وشاملة، مع ذكر بعض نماذج توضح ذلك .

أما الفصل الثاني المعنون بـ " الأسس المرجعية والمعرفية لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم"، فهو ينطلق من مقارنة تحديد الأسس المرجعية والمعرفية؛ باعتبار مرجعية القرآن الكريم شاملة لمفهوم إنسانية الإنسان، يحتوي هذا الفصل على مبحثين، الأول عنوانه: " الأسس المرجعية ومقومتها"، بحثت فيه انعكاس هذه المرجعية ومقوماتها من خلال البحث

حول إنسانية الإنسان في القرآن الكريم، وقد اختصرت هذه الأسس المرجعية ومقوماتها في المقوم العقدي والمقوم التزكوي.

أما المبحث الأخير من هذا الفصل فقد خصصته لدراسة الأسس المعرفية لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم، فأبرزت ضمن هذا المبحث أهمية المعرفة التي تستمد من كتاب الله عز وجل، ففي هذه المعرفة وحدها أسساً للأجوبة الشافية الوافية لأسئلة كثيرة تحقق للإنسان إنسانيته، وفيها وحدها الحلول لتفسير الوجود الإنساني وما يحقق إنسانيته .

الباب الثاني حيث تناولت موضوعه ببيان الأبعاد الحضارية لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم، حيث أبرزت فيه أن القرآن الكريم هو الخلاصة النهائية الخاتمة لمسيرة الوحي الإلهي للإنسان من خلال الأبعاد الإنسانية والحضارية، ومن ثم فإنه الركيزة الأساسية في أي بناء حضاري، ويشتمل هذا الباب على فصلين.

تناولت في الفصل الأول من هذا الباب البعد الاستخلافي لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم، حيث إن البعد الاستخلافي يتحقق وفق رؤية كلية صحيحة لإنسانية الإنسان، في ضوء نصوص الوحي ومقاصده، فأبرزت ضمن المبحث الأول الأبعاد التعقلية والتكريمية والتعميرية، كل هذه الأبعاد ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية، قيمة إنسانية الإنسان متعلقة بهذه الأبعاد، بذلك تكون هذه الأبعاد في المنظور القرآني منهج تستقيم به النفس الإنسانية، وبذلك تستقيم الحياة، خصصت المبحث الثاني لتحليل البعد الاستخلافي وعلاقته

بالقيم الإنسانية في القرآن الكريم، آيات القرآن الكريم تبين القيم الإنسانية وأبعادها الاستخلافية، من أجل تنظيم حياة الإنسانية في جميع مجالاتها .

الفصل الثاني هو بعنوان: " الأبعاد المقاصدية لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم"، وقد تناولت فيه موضوع الإنسانية الصالحة لأنها الغرض من مقاصد القرآن الكريم، وهي إنسانية الإنسان التي تتأسس على هدى ليكون القرآن الكريم هاديا لها في إصلاح الإنسان، ويضم هذا الفصل مبحثين؛ الأول جعلت له عنوان: "مقصد حفظ إنسانية الإنسان في منظومة المقاصد الكلية"، خصصته لدراسة الضروريات الخمس من حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، الذي اختصرنا حديثنا فيه على بيان حفظ الدين والنفس والعقل، مما يوضح بعض معالم إنسانية الإنسان في القرآن الكريم؛ أما المبحث الأخير في هذا الباب جاء بعنوان: إنسانية الإنسان والمشارك الإنساني في القرآن الكريم، تناولت موضوعه بأهمية المشترك الإنساني باعتباره مبدأ وقاعدة من القواعد المؤصلة من القرآن الكريم مع بيان أبعادها الإنسانية والحضارية والكونية.

وختاماً أنهيت البحث بخلاصات تركيبية جامعة لمجمل ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات، فما كان في هذا البحث من تسديد وصواب فبتوفيق من الله عز وجل، وما كان فيه من نقص فمرده إلى نفسي، والله ولي التوفيق.

## **الباب الأول :**

**إنسانية الإنسان في القرآن الكريم الأسس المرجعية والمعرفية**

قبل البدء بدراسة إنسانية الإنسان في القرآن الكريم، يجب الحديث أولاً عن الأسس المرجعية والمعرفية لها، لأن مفهوم المرجعية المعرفية مفهوم مُعبّر عن خصوصية إنسانية الإنسان في القرآن الكريم، المرجعية رؤية كلية جامعة للتصور القرآني لإنسانية الإنسان المفسرة لوجوده، والتي تمثل الإطار الكلي الذي يمارس فيه العقل عملية الاكتساب المعرفي.

إن المرجعية في التصور القرآني لإنسانية الإنسان مختلفة عن غيرها في باقي المرجعيات، ولذلك يجب التمييز بين الأسس المرجعية والمعرفية لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم، والأسس المرجعية التي تقوم عليها غيرها من الأسس المرجعية والمعرفية .

تبرز الحاجة الملحة للأسس المرجعية والمعرفية لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم، من خلال الحاجة إلى المرجعية الوحي، التي تحكم رؤية المسلم للخالق والمخلوقات وللحياة الدنيا وما بعدها من حياة أخرى، ورؤيته لطبيعة الإنسان ووجوده ولعالم الغيب وعالم الشهادة، في حين إن الأسس المرجعية لإنسان الإنسان غير المستند على الوحي الإلهي تعتبر رؤية وضعية قاصرة بالرغم من أهميتها إلا أنها تعتبر عاجزة عن الإحاطة بالظواهر الإنسانية إحاطة كاملة شاملة.

## **الفصل الأول:**

**مفهوم إنسانية الإنسان بين الرؤية القرآنية والوضعية**

تتسم قضايا إنسانية الإنسان في الرؤية القرآنية بالانتساع والتنوع، باعتبارها رؤية موجهة للإنسان، تبدأ من خلقه وتنتهي بمماته، هذه الرؤية تناولت كل مجالات النشاط الإنساني سواء ما يتصل بفكر الإنسان، أو ما يظهر من أنماط التصرفات والسلوكيات في المجتمع، كما تناولت أغوار النفس الإنسانية بالكشف والتحليل وما يبني عليها من توجيهات أخلاقية، أما إنسانية الإنسان في الرؤية الوضعية فهي ليست مرتكزة بالأساس على الوحي الإلهي بل تستند إلى الفكر الإنساني النسبي، مما أفقدها المنظور المطلق والشمولي لإنسانية الإنسان.

انطلاقاً من هذا التقديم يمكن القول إن الفصل المعنون بمفهوم إنسانية الإنسان بين

الرؤية القرآنية والوضعية، سأتناول موضوعه وفق ثلاثة مداخل :

المبحث الأول: مفهوم الرؤية القرآنية الخصائص والمقاصد.

المبحث الثاني: مفهوم إنسانية الإنسان في الرؤية القرآنية.

المبحث الثالث: مفهوم إنسانية الإنسان في الرؤية الوضعية.

## المبحث الأول: مفهوم الرؤية القرآنية الخصائص والمقاصد

يعتبر هذا المبحث مدخلاً مهماً في إدراك بيان خصائص ومقاصد الرؤية القرآنية، وهي رؤية توضح الصورة الشاملة للإنسان والحياة والكون، وبذلك يتحقق للإنسان كل معاني المصالح في العاجل والأجل، إن الرؤية القرآنية هداية أنزلها الله سبحانه وتعالى على النبي صلى الله عليه وسلم للناس كافة.

الرؤية القرآنية تخاطب عقل الإنسان ووجدانه، وتعلمه عقيدة التوحيد، وتركيزه بالعبادات، وتهديه إلى ما فيه خيره وصلاحه في حياته الفردية والاجتماعية، وترشده إلى الطريق الأمثل لتحقيق إنسانيته، وهي إنسانية ترتقي به مدارج الكمال الإنساني حتى يستطيع تحقيق السعادة لنفسه في الدنيا والآخرة.

## المطلب الأول: خصائص الرؤية القرآنية

إن الإسلام الدين المنزل من عند الله سبحانه، الذي بعث الله به رسوله، وأنزل عليه كتابه، فهو الدين الذي تميّز بخصائص وسمات لا توجد في غيره من الأديان التي اتخذها الناس لأنفسهم في هذه الحياة، "فالإسلام جاء من عند الله سبحانه المتصف بصفات الكمال، المنزه عن كل نقصان، والذي أحاط بما كان وبما هو كائنٌ، ولذا جاءت صفة الكمال في هذا الدين لا ترى فيه عيباً ولا نقصاً ولا خللاً"<sup>11</sup>، " فلما ختم الله رسالاته برسالة الإسلام، ورسله وأنبياءه بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حكم الحق سبحانه أن تكون رسالة

<sup>11</sup> عبد الوهاب بن لطف الدليمي، منهج الكتاب والسنة في الدعوة إلى إقامة العدل، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 14، 1430هـ، 2009م، ص: 06.



الإسلام رسالة البشرية جمعاء، فجاءت في صورة الخلاصة التصحيحية النهائية لجميع الشرائع السابقة، لذلك قضى أحكم الحاكمين بصورة حاسمة<sup>12</sup>: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾<sup>13</sup>.

القرآن الكريم هو معجزة النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، "لما كانت رسالته هي الخاتمة للرسالات السماوية فقد جعل الله فيها مميزات وخصائص تميزها عن غيرها، ولعل من أهمها الخلود، والخلود يتحقق بقدرة هذه الرسالة على تجاوز الأزمنة والأمكنة، وهذا التجاوز من أهم أسسه الاجتهاد والتجديد في فهم الرسالة لتستجيب لتطلعات الإنسان في كل وقت وفي كل مكان"<sup>14</sup>.

القرآن الكريم هو الوحي الإلهي الذي يمثل المصدر المنشئ للتصورات الكلية، التي تحكم رؤية المسلم للخالق والمخلوقات وللحياة الدنيا وما بعدها من حياة أخرى، ورؤيته لطبيعة الإنسان وغاية وجوده ولعالم الغيب وعالم الشهادة، "والقرآن الكريم هو المصدر المنشئ للأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات والأخلاق، ولقواعد التفكير الإنساني التي تنظم طرق فهم الإنسان للأشياء والأفكار والأحداث وتحكم سلوكه إزاءها"<sup>15</sup>.

<sup>12</sup> محمد بن محمد رفيع، المنهج القرآني في المشترك الإنساني، مجلة إسلامية المعرفة، السنة السابعة عشرة، العدد 66، خريف 1432هـ، 2011، ص:

128

<sup>13</sup> سورة آل عمران، الآية: 19 .

<sup>14</sup> محمد شهيد، من مقاصد القرآن الكريم في بناء الأمة الشاهدة على البشرية، ص: 76 .

<sup>15</sup> فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فريجينيا، ط 02، 1437هـ،

2016م، ص: 209.

إن من خصائص القرآن الكريم التي ميزته "عن الكتب المقدسة الأخرى، إلهية مصدره، وكونه آخر وحي من السماء، وبه اكتملت الرسالات السماوية، فهو خطاب للناس جميعاً"<sup>16</sup>.

الرؤية القرآنية تصور كوني لقضايا الإنسان، المحددة بمفاهيم عدة؛ "كالاستخلاف، والهداية، والتسخير، والتدافع، والأمانة، والتكريم، والتقويم، والإصلاح، والتغيير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"<sup>17</sup>، يتجلى ذلك في خصائص ميزته عن غيره من الكتب السماوية، "وهي خصائص كثيرة متعددة تناولها العلماء قديماً وحديثاً، فميزوا بين الخصائص البلاغية والأدبية واللغوية والصرفية والبيانية والنظمية، وخصائص الأسلوب وغيرها من الخصائص التي جعلت من هذا القرآن الكريم أعظم آية آتاه الله تبارك وتعالى، وأنزلها على خاتم أنبيائه ورسله الذين شاء الله تعالى أن يجعله صلى الله عليه وسلم خاتمهم وآخرهم، كما جعل في القرآن الكريم كفاية الإنسانية من نور الهداية الإلهية"<sup>18</sup>: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>19</sup>.

هذه الخصائص تتنوع وتتعدد بتعدد وتنوع زوايا النظر، وتنوع المتدبرين وهي غير قابلة للحصر؛ لأن القرآن الكريم مطلق، والإنسان نسبي، وليس من شأن النسبي أن يحيط بالمطلق، أو يحصر صفاته وخصائصه المطلقة، ولكل متدبر لآيات هذا الكتاب الكريم

<sup>16</sup> محمد الناصري، الجمع بين القراءتين والمنهج التوحيدي للمعرفة قراءة في المثين الفكري لطف جابر العلواني، سلسلة ندوات علمية 09، الوحي والعالم جدلية مرجع الوجهة ومرجع الحركة في عالم متغير، أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء يومي 10 و 11 شعبان، الموافق ل 17 و 18 ماي 2016م، الرباط المملكة المغربية، ص: 259.

<sup>17</sup> عبد الرحمن العضاوي، عالمية الإسلام وعالمية حقوق الإنسان، مجلة الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء المغرب، الرباط، العددان، 41\_42، السنة: 1435هـ، 2014م، ص: 214.

<sup>18</sup> محمد المنتار، خصائص القرآن في القرآن، مجلة الترتيل، الرابطة المحمدية للعلماء المغرب، الرباط، العدد 02، السنة: 1435هـ/2014م، ص: 103.

<sup>19</sup> سورة العنكبوت، الآية 51.

نصيب، فكل متدبر يأخذ حظه من هذه الخصائص حسب جهده ووسعه؛ "ذلك أن القرآن الكريم كتاب يحمل في بنائيته ضمن وحدته العضوية وحيا كاملا يستجيب للطرفية والاستمرارية، مكشفا عن مكنونه، كريما بعبائه، مجيدا لا يبلى مع متغيرات الزمان والمكان، للوجود والحركة الكونية كيفما احتوت السبع سماوات والسبع أرضين"<sup>20</sup>. فهي ذات خصائص: الربانية، الأخلاقية، الواقعية، الإنسانية، التناسق الشمول، العالمية، التسامح، الوسطية"<sup>21</sup>... إلخ، ولست هنا بصدد عد هذه الخصائص العظيمة أو حصرها، وإنما سأقتصر على ذكر بعضها، وما تحمله من دلالات منهجية مسعفة في بيان رسالة الكتاب الخاتم وخصائصه.

### أولا: التصديق والهيمنة

اقتضت حكمة الله عز وجل أن ترفع النبوة من الأرض بوفاة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والتحاقه بالرفيق الأعلى، وأن يدع فيها كتابه الكريم معصوما غير ذي عوج قادرا على هداية البشرية وقيادتها من خلال خصائصه"<sup>22</sup>.

فهو الكتاب المهيم والمصدق على ما سبقه من كتب وصحف؛ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾<sup>23</sup>. ومن خواص القرآن الكريم التي سما بها

<sup>20</sup> محمد المنتار، خصائص القرآن في القرآن، ص: 103.

<sup>21</sup> سعيد شبار، المصطلحات والمفاهيم في الثقافة الإسلامية: بين البناء الشرعي والتداول التاريخي، مركز دراسات المعرفة والحضارة، فاس، ط 03،

1428هـ، 2017م، ص: 75 .

<sup>22</sup> المرجع السابق، ص: 104.

<sup>23</sup> سورة المائدة، الآية: 50.

عن سائر الكتب السماوية وغير السماوية، أنه الوحيد المعصوم من بين جميع هذه الكتب، ربط الله رب العالمين ذو القوة المتين سعادة الدارين بإرشاده وتوجيهه.

والناظر في آي الذكر الحكيم؛ "يجد للتصديق والهيمنة وجهين: الأولى: إزاء الكتب السالفة؛ فهناك تصديق لما صح من هذه الكتب، ثم هيمنة عليها في تكامل تام معها، والأخرى: إزاء ما يمور ويعتلج في حياة الناس وارتفاقاتهم من ممارسات، وما هو مستقر فيها من أعراف، والتصديق في هذه الوجهة عبارة عن إقرار الصالح من كل ذلك بالسكوت عنه أو الثناء عليه، وتغيير الطالح بالحديث عنه وكشف مساوئه"<sup>24</sup>.

وتتم الهيمنة في القرآن الكريم في اتجاهات متعددة، "كلها اتجاهات تجاوزية: تتجلى من خلال التوسعة مع الاحتفاظ على كل القوة التي تستنبطها الحقائق الموسعة، ويجري ذلك بطريقة متنامية، إذ بعد كل مرحلة من مراحل الهيمنة، يبني على الحقائق الجديدة لكي تتم الهيمنة بها بدورها على مفاهيم وحقائق مستقرة أخرى، وتتم توسعتها لكي تشمل أبعاداً أخرى لم تكن تشملها في مرحلة الخصوصية؛ لأن الوحي في المراحل السابقة عن نزول القرآن المجيد كانت له خصوصيته، إذ كان يبعث الله الرسل والأنبياء من أجل هداية الخلق وإرشادهم إلى الصواب ضمن السياقات التي يوجد فيها"<sup>25</sup>.

جاء القرآن الكريم مهيمناً على ما سبقه من كتب، فقد جاء كذلك مصدقاً عليها، اشتمل القرآن الكريم على كثير من الآيات التي تفيد أنه مصدق لما تقدمه من كتب الله، ومن هذه

<sup>24</sup> أحمد عبادي، الوحي والإنسان: نحو استئناف التعامل المنهجي مع الوحي، ص: 49-50.

<sup>25</sup> المرجع السابق، ص: 154.

الآيات، قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ  
وَالْإِنْجِيلَ ﴾<sup>26</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ  
وَتَقْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>27</sup>، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي  
وصف فيها القرآن الكريم بأنه مصدق لما بين يديه من كتب الله<sup>28</sup>، أي مبينا صدق ما  
تقدمه من الكتب المنزلة على رسل الله عليهم السلام، حيث جمع الله فيه ما توزع في هذه  
الكتب من فضائل، وصاغها في قوالب جديدة، فأنقذ بذلك أصول من سبقه من كتب الله  
وحفظه وصدقته، ومع كونه مهيمنا على الكتب السابقة فهو يصدقها ويكملها، ويفصل ما جاء  
فيها.

هذه الأقوال في معنى الهيمنة، متقاربة المعنى، فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله،  
فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله تعالى هذا الكتاب العظيم الذي أنزله  
آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأكملها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاد من  
المكملات ما ليس في غيره، وهو الكتاب الذي لا ينسخ ولا يتغير، ولهذا جعله الله تعالى  
شاهدا وأمينا وحاكما على ما سبقه من الكتب، وتكفل سبحانه بحفظه، وإذا كان بهذه المثابة،  
كانت شهادته على التوراة والإنجيل والزيور وسائر الكتب المنزلة: حقا وصدقا.

<sup>26</sup> سورة آل عمران، الآية: 03 .

<sup>27</sup> سورة يونس، الآية: 37 .

<sup>28</sup> أحمد عبادي، الوحي والإنسان: نحو استئناف التعامل المنهاجي مع الوحي، ص: 106.

ومن الذين تنبهوا إلى هذه الهيمنة القرآنية ونصوا على ضرورة اعتبارها والأخذ بها الإمام الشاطبي، يقول رحمه الله: "الشريعة -يعني بذلك القرآن الكريم- هي الحاكمة على الإطلاق وعلى العموم، أي على الرسول عليه السلام وعلى جميع المكلفين، والكتاب هو الهادي والوحي المنزل عليه مرشد ومبين لذلك الهدى، ولما استتار قلبه أي الرسول عليه الصلاة والسلام وجوارحه وباطنه وظاهره بنور الحق علما وعملا، صار هو الهادي الأول لهذه الأمة والمرشد الأعظم، حيث خصه الله دون الخلق بإنزال ذلك النور، المبين عليه، واصطفاه بالوحي الذي استتار به قلبه وجوارحه فصار خلقه القرآن، وإنما ذلك لأنه حكم الوحي على نفسه حتى صار خلقه وعمله على وفقه، أي على وفق الوحي، وفق القرآن، فكان الوحي حاكما، والرسول عليه الصلاة والسلام مذعنا ملبيا نداء، واقفا عند الحكمة، وإذا كان كذلك أي أن الشريعة حاكمة للرسول أو أن القرآن حاكم له، فسائر الخلق حريون أن تكون الشريعة حجة عليهم"<sup>29</sup>.

كما أن هيمنة القرآن على الكتب السابقة تعني من ضمن ما تعني أن القرآن الكريم يملك خاصية المراجعة والرقابة لما أصاب الكتب " السابقة من التحريف والتبديل، فهو بذلك يصوب التاريخ ويقوم الحاضر ويوجه المستقبل، ومفهوم الهيمنة بهذا المعنى يتضمن، الاستيعاب والتجاوز، وهو محدد لا يقل أهمية عن غيره من المحددات، فالاستيعاب فيه معنى الضم والاحتواء والانفتاح على الأنساق الأخرى، وفيه معنى القدرة على نقد وتحليل

<sup>29</sup> إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، الاعتصام، تحقيق: سليم بن عبد الهلالي، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، ج2، ط1، 1412هـ، 1992م، ص: 258 .

وتفكيك كل ما تأتي به الأنساق الأخرى، وتنقيتها وفقا للرؤية الكلية للقرآن الكريم، وعليه "يشكل الوحي عالما من المعاني اللامتناهية، تقترن فيه الموجودات الفكرية والمادية بعلاقات تحليلية تنفي عنها العبثية والعدمية نفيا قاطعا، يثبت أن الموجود الكوني محكوم بسنن وقوانين موضوعية للنظر والتأمل من الإنسان"<sup>30</sup>.

ونكاد نلمس الاستيعاب للأنساق والثقافات الحضارية في كل آيات القرآن الكريم وسوره، وقصص الأنبياء، وفي كل ما ذكره القرآن عن الأمم الأخرى، بحيث يؤكد القرآن من خلال ذلك قدرته غير المحدودة على نقد أي نسق سابق أو لاحق، وتحليل عناصره وتقييمه.

ومن خلال الاستيعاب، يمنح القرآن الكريم العناصر الحضارية والثقافية التي يعمد إلى استيعابها بالرؤية الكلية اللازمة، والامتداد الضروري لما قد يكون دخل طريقا محدودا كما هو الشأن بالنسبة للفكر الإنساني اليوم، بل الحتمية العلمية وما أحدثه من آثار على مستوى النسق الحضاري، "في الاستيعاب القرآني قدرة هائلة على تخليص أي نسق من أي قواعد قد أدت دورها، واستنفذت مسوغ وجودها، ففيه آيات تمكن من الاستيعاب والتجاوز، منها: الصفة الكونية للقرآن، اشتماله على المطلق والنسبي والثابت والمتغير في كثير من الاتجاهات التشريعية"<sup>31</sup>.

<sup>30</sup> عبد الرحمن العضاوي، النسق التأويلي والمقاصدي في نظرية الاستنطاق القرآني، سلسلة ندوات علمية، مناهج الاستمداد من الوحي، أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، ط01، أيام 27\_28 صفر 1429هـ، الموافق 5\_6 مارس 2008م، ص: 392.

<sup>31</sup> أحمد عبادي، الوحي والإنسان: نحو استئناف التعامل المنهجي مع الوحي، ص: 110.

وفي ضوء ما تقدم، نستطيع أن نقرر أن مفهوم الهيمنة أشمل وأعم من مفهوم التصديق، ذلك أن الهيمنة لا تقتصر على وجود الشهادة لهذه الكتب بصحة إنزال أصولها، وتقرير أصول شرائعها، بل تتعدى ذلك فتبين ما اعترأها من نسخ أو تحريف وما عرض لها من زيف وفساد، فالقرآن بذلك مهيم على المعاني الصحيحة التي كانت في تلك الكتب وشاهد بكونها من عند الله، وبذلك تتلاقى الهيمنة مع التصديق، ولكنه كذلك يشهد على هذه الكتب بما أصابها من تحريف، وتسرب إليها من باطل، وبه تنفرد الهيمنة عن التصديق .

لكن الراجح أن مفهوم الهيمنة أتم وأشمل من مفهوم والتصديق لأن تفسير الهيمنة بالتصديق وإن كان مسلماً لغة، إلا أن قصر الهيمنة على مجرد التصديق تحكم محض، إذ هي ليست تصديقا فقط، ولا شهادة لها بصحة إنزال أصولها، وعليها بالتعريف والتبديل، وبذلك يكون العطف للتأسيس لا للتأكيد، "كما نجد أن الهيمنة في القرآن المجيد تتجلى من خلال فتح المفهوم، وفتح المعتقد بطريقة تجعلهما مستمرين شاملين مستوعبين لكل عصر ولكل مصر: فنلتقي الهيمنة، بهذا المعنى، مع خصية الشمول والعالمية في القرآن الكريم"<sup>32</sup>.

وبترتب على ما تقدم من هيمنة القرآن على ما بين يديه من كتب الله، أننا لا نقبل من هذه الكتب التي وصلت إلينا إلا ما جاء القرآن مصدقا له، فكل رواية صدقها القرآن فهي مقبولة ويجب تصديقها يقينا، وكل رواية كذبها القرآن فهي مردودة يقينا ويجب علينا تكذيبها كذلك، وما سكت القرآن عن تصديقه أو تكذيبه، لا نصدق ولا نكذب، بل نسكت عنه، لأن

<sup>32</sup> محمد المتار، خصائص القرآن في القرآن، ص: 112 .



القرآن الكريم - كما أسلفنا - هو الحكم والمهيمن على كل الكتب السابقة، وكفى به شاهدا ودليلا.

ونخلص إلى كون صفة التصديق والهيمنة التي يتصف بها القرآن الكريم تجعل منه كتابا شاملا لما سبق عند الأمم السابقة في الكتب السماوية من صحف وزبور وتوراة وإنجيل، فالقرآن الكريم جامع وشامل، ولذلك كان رسالة للعالمين.

التصديق والهيمنة: مفهومات مؤطران وضابطان للتعددية المرجعية للعقائد والأفكار، والنظريات والتصورات والرؤى، ذلك أنه عندما تختلف المرجعيات وتتعدد، لا بد أن تكون هناك مرجعية حاكمة يحتكم إليها الجميع فتصدق ما وافقها وتهمين على ما خالفها، "فالاختلاف سنة كونية لن يجد الإنسان لها تحويلا ولا تبديلا، لكنه مؤطر في إطار الوحدة المرجعية التي هي الله عز وجل، فهو سبحانه الذي خلق الناس مختلفين وإليه يرجعون فينبئهم بما كانوا فيه يختلفون، وهذا الإطار يطلق قدرات الإنسان سعدا نحو التنافس والتسابق في الخيرات، فالتصديق والهيمنة إطار مفاهيمي يوحد الناس دينيا رغم اختلاف شرائعهم ومناهجهم، كما يوحدهم عمرانيا وحضاريا رغم اختلاف أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم، وشعوبهم وقبائلهم، فنتوحد بذلك البشرية وتتعاون فيما بينهما على عمارة

الأرض<sup>33</sup>، وعليه "فالنص الشرعي يؤسس مفهوما معرفيا للتأويل، منتج للمعرفة وملائم للانهاية عطائية، كلماته ودوام تأثيرها والمقتضية للتدبر الأبدي لنظامها ونسقيتها"<sup>34</sup>.

## ثانيا: العالمية والكونية

أحكم الله سبحانه رسالته الخاتمة وخصها بصفات وميزات جعلتها متناسبة مع كل مرحلة حضارية، وجعل أسسها ومنطقاتها تتوافق مع الأبعاد والغايات التي من أجلها ختم باب رسالته، وجعل تلك المبادئ والأسس تؤلف نظرية متكاملة ومنهجيا عمليا للحياة.

وختم النبوة يعني أن القرآن الكريم هو آخر رسالة للناس، فلا كتاب بعده، ونتيجة لذلك يلزم أن تكون رسالته خالدة مجردة عن حدود الزمان والمكان، أي صالحة لكل زمان ومكان، ميسرة للقراءة والفهم والعمل وأحكامها قائمة على التيسير لا التعسير، قال تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>35</sup>، حيث لا حرج ولا مشقة ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾<sup>36</sup>.

كما جاءت هذه الرسالة لترفع الإصر والأغلال التي كانت على من سبقنا ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي

<sup>33</sup> أحمد أيت لمقدم، المشترك الإنساني في الرؤية القرآنية، أعمال ندوة العلمية الدولية بعنوان: القرآن الكريم ورؤية العالم مسارات التفكير والتدبر، يومي 03 و

04 يونيو 2014م، رابطة المحمدية للعلماء المغرب، ط01، 2015م، ص: 399.

<sup>34</sup> عبد الرحمن العضراوي، النص الشرعي وبناء مفهوم التأويل، التأويل سؤال المرجعية ومقتضيات السياق، أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها

الرابطة المحمدية للعلماء، يومي 17 و 18 شعبان 1434هـ، الموافق ل 26 و 27 يونيو 2013م، الرباط المملكة المغربية، ص: 117 .

<sup>35</sup> سورة البقرة، الآية: 184 .

<sup>36</sup> سورة الحج، الآية: 76 .

أُنزِلَ مَعَهُ أَوْلِيكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ<sup>37</sup>، وقد ظل نداء المسلمين على الدوام، دعاء يتلى آداءً، وليس ثمة حاجة للرجوع لشيء من الشرائع السابقة لأن رسالة الإسلام الخاتمة جاءت تعرض الإسلام في صورته النهائية الأخيرة، ليكون دين البشرية كل ما كان قبلها، وتكون هي المرجع النهائي، ولتقيم منهج الله للحياة البشرية وفق تعاليم القرآن الكريم : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾<sup>38</sup>.

وستظل هذه الرسالة كونية بهذه الهداية تدور حياة البشرية حول محورها، استمداً للتصور الاعتقادي والنظام الاجتماعي وآداب السلوك الفردي والجماعي، "لأنها الحق الباقي، ويتمثل الحق في صدره من جهة الألوهية، وهي الجهة التي تملك حق تنزيل الشرائع وفرض القوانين، ويتمثل الحق في محتوياته وفي كل ما يعرض له من شؤون العقيدة والشريعة، وفي كل ما يقص من خير ومن توجيه"<sup>39</sup>، وعندما أتم الله سبحانه دينه برسالة الإسلام، جاء ذكر الكتب السابقة بما جاء فيها، كما بين تعالى أن كتابه الكريم يكملها ويصدقها ويهيمن عليها. ونزلت آيات كريمة تؤكد هذا المعنى من أجل نقل أصحاب الديانات من دائرة رسالاتهم إلى الرسالة الجديدة عبر حجج وأدلة صادرة من رسالاتهم.

تعد العالمية أحد مقتضيات الخاتمية، والهيمنة من لوازمها، فمجيء الرسالة خاتمة للرسالات يقتضي الهيمنة على غيرها من الرسالات، وهذا يلزم من عدم حصرها في أمة دون

<sup>37</sup> سورة الأعراف، الآية: 157 .

<sup>38</sup> سورة الإسراء الآية: 09 .

<sup>39</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط 03، 1423هـ، 2003م، ص: 256 .

أخرى، والقرآن الكريم، ينص على ذلك ويقرره، موجها نداءه للناس كافة، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>40</sup>، فرسالته صلى الله عليه وسلم ليست لفئة من الناس دون غيرها، وإنما هي للناس كافة، العرب منهم والعجم والأحمر والأسود .

ولا جرم أن المسلمين عامة ودعاتهم ومفكرهم خاصة يتحملون أمانة إبلاغ الخطاب القرآني للعالمين، فإذا كانت الأمم السابقة مكلفة باستقامتها لله في ذاتها لا غير كما يتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾<sup>41</sup>، فإن أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مكلفة بما كلفت به الأمم السابقة وزيادة، وهذه الزيادة هي تكليفها بهداية البشرية والشهادة عليها .

شاعت إرادة الله جل شأنه إنهاء الحالة القومية الاصطفائية والتمهيد للعالمية الإنسانية، من خلال سيرها باتجاه العالمية انطلاقاً من بناء الأمة القطب، واستبدال مفهوم الشعب والقوم بمفهوم الأمة وإحلال شريعة التخفيف والرحمة.

شاعت إرادة الله عز وجل أن تكون رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هي خاتمة الرسالات السماوية، واللبنة الأخيرة في البناء النبوي الذي انتهت إليه أصول الرسالات السماوية جميعاً، كما انتهت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كمالات الأنبياء، لذلك لا بد أن تكون مهيمنة عليها، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ

<sup>40</sup> سورة سبأ، الآية: 28 .

<sup>41</sup> سورة البينة، الآية: 05 .

وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٤٢﴾ ، فهي المكملة والتمتمة لها، والباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وبناء على ذلك، فهيمنة القرآن على كتب الله تفرض الإحتكام إلى هذا الكتاب باعتباره النص الخاتم للرسالات السابقة، هذا الختم الذي هو في الوقت نفسه ميلاد عصر الهيمنة القرآنية، واكتمال الرشد الإنساني الذي سيواصل مسيرته في غير ما حاجة إلى وصاية مباشرة من السماء عن طريق إرسال الرسل والأنبياء، وحتى تؤدي هذه الأمة دورها كما أراد الله عز وجل حدد لها سبحانه خصائص عديدة ومزيا متنوعة، فهي أمة مخرجة من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾<sup>43</sup> ، وهي أمة القراءة بدأ تكوينها بكلمة اقرأ بما يقتضيه معناها في الرسالة الخاتمة "من الصفة الكونية والعالمية، والرؤية الكونية الشاملة لرسالة الإسلام، المستتبطة من قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾<sup>44</sup> ، وهي رسالة للعالم، والمرسل بها مرسل لسائر الأمم والشعوب، وبها تخرج الأنساق المغلقة من حالة الانغلاق والضييق إلى سعة الدنيا والآخرة"<sup>45</sup>.

<sup>42</sup> سورة المائدة، الآية: 04 .

<sup>43</sup> سورة آل عمران، الآية: 110 .

<sup>44</sup> سورة الفرقان، الآية: 01 .

<sup>45</sup> محمد المنتار، خصائص القرآن في القرآن، مجلة الترقى، ص: 117-118.

لقد كان موقع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمة موقع الشاهد عليها، قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>46</sup>، "المعلم والمربي والمزكي والمطهر لنفوسها وقلوبها ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾<sup>47</sup>، وموقع أمته من سائر الأمم نفس هذا الموقع بالضبط، فهي الشهادة على الناس المزكية للأمم، وهي النموذج للعالم، وكل ما يقتضيه قيامها بهذا الدور واجب من واجباتها، وفريضة من فرائض الله عليها طبيعة إخراجها للناس، وابتعاثها إليهم ووسطيتها وشهودها، وكونها نواة عالمية شاملة<sup>48</sup>.

مصطلح الشهادة على الناس كما ورد في القرآن الكريم عند التأمل فيه، حافل بالمعاني التي تتجاوز مدلولات جزئية لتكون معنى كلياً يحدد مهمة الأمة المسلمة إزاء البشرية، ومسئوليتها نحوها، "ودورها في تأسيس البديل الحضاري الإسلامي العالمي انطلاقاً من وعيها بكتاب ربها المطلق والمهيمن على ما سواه"<sup>49</sup>.

<sup>46</sup> سورة البقرة، الآية: 142 .

<sup>47</sup> سورة البقرة، الآية: 128 .

<sup>48</sup> طه جابر العلواني، الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي، ، سلسلة قضايا إسلامية معاصرة، دار الهادي، القاهرة، ط.1، 2003م، ص: 54 .

<sup>49</sup> عبد المجيد النجار، مصطلح الشهادة على الناس في القرآن الكريم وأبعادها الحضارية، ندوة الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية، كلية الآداب فاس سايس، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996م، ص: 367.

وبالتالي فإن مقومات بناء الأمة وقواعدها وخصائصها تمثل قبسات من تلك الخاصة المطلقة للنبوّة والرسالة التي يمثلها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي بدورها نفحات من ذلك الإعجاز المطلق الذي يتمثل في القرآن الكريم<sup>50</sup>.

### ثالثاً: الهداية والإبانة

إن من رحمة الله عز وجل أنه أنزل كتابه مفصلاً يراعي الوقائع والأحداث عن طريق نبي مرسل مأمور بأن يبلغ ويتبع باعتباره رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الأمة بل للعالمين كافة، ف جاء عليه الصلاة والسلام هادياً ومؤسساً لمعالم الإنسان السوي والأمة السوية التي ستكون هي بدورها الهداية للبشرية، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾<sup>51</sup>، ذلك أن شهادة الأمة هي تأس بشهادة نبيها عليه الصلاة والسلام، وهي مواصلة لما سنه المصطفى من الهداية والبيان للعالمين ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>52</sup>.

لقد ورد وصف القرآن المجيد بأنه هدى في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾<sup>53</sup>، وقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾<sup>54</sup>، وقوله سبحانه: ﴿هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ

<sup>50</sup> طه جابر العلواني، الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر، ص: 229.

<sup>51</sup> سورة الحج، الآية: 76 .

<sup>52</sup> سورة الأحزاب، الآية: 21 .

<sup>53</sup> سورة غافر، الآية: 53 .

<sup>54</sup> سورة النحل، الآية: 102 .

كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ ﴿55﴾، وهي آيات دالة على هداية شاملة لجميع مجالات الحياة والأحياء، ومستوعبة لكل الأبعاد، وهي مدخل الإنسان لبلوغ الرشد، وبلوغ التي هي أقوم، وبلوغ الحق والطريق المستقيم مصداقا لقول الباري سبحانه: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ 56.

إن هذا القرآن العظيم الذي هو أعظم الكتب السماوية، وأجمعها لجميع العلوم، وآخرها عهدا برب العالمين جل وعلا، يهدي للتي هي أقوم، أي للطريقة التي هي أسد وأعدل وأصوب، كما أن القرآن هدى فإنه كذلك بيان، كما في قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ 57، وهو أيضا كلام الله المبين، قال عز وجل: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ 58 .

لقد جعل الله تعالى البيان نعمة من أجلّ النعم التي أكرم بها الإنسان فقال: ﴿الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ 59، فكان البيان بذلك الميزة الكبرى التي فضل بها الإنسان على سائر الخلق، وكذلك جعل الله بيان كتابه حجة باهرة للخلق جميعا، حيث كان هذا البيان فتحا وتحديا للعرب وغير العرب، وسرا من أسرار خلود هذا الكتاب العزيز.

55 سورة الجاثية، الآية: 11 .

56 سورة الإسراء، الآية: 09 .

57 سورة آل عمران، الآية: 138 .

58 سورة يس، الآية: 68 .

59 سورة الرحمن، الآيات: 04\_03\_02\_01 .



القرآن الكريم حين يفتح على كل هذه المعاني فإنه يتسع لبعضها بألفاظه الظاهرة، وأحياناً بمعانيه الكاملة، ثم سياقه ونظمه، ولذلك فإن المتدبر للقرآن المجيد يبحث عن تلك الجوانب المقترحة في النص على مختلف الآفاق، موظفاً بيان النص وبلاغته للغوص في هذا الباب باعتباره كتاب ربنا الخاتم مفتوح ميسر، يستطيع البشر أن يقرأوه، وأن يتصلوا به بشكل مرن واسع في إطار تلك "القيم القرآنية المطلقة القادرة على استيعاب أي واقع إنساني مهما كان، وبفهم إنساني متجدد من حقه أن يكون مختلفاً من بيئة إلى أخرى، ومن زمن إلى آخر، مستفيداً في كل الأحوال من الخبرات والتجارب، ومن منهجية رسول الله عليه الصلاة والسلام في فهم القرآن وتلاوته وتنزيله على الوقائع النسبية"<sup>60</sup>.

وهداية القرآن الكريم تجعل آياته بصائر ورحمة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْنَاهَا فَلْإِنَّمَا أَتَّبَعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ﴾<sup>61</sup>، يقول محمد الطاهر بن عاشور في تفسير الآية: "في القرآن الكريم أنواع من الهدى على حسب النواحي التي يهدي إليها، من تنوير العقل في إصلاح الاعتقاد، وشديد الفهم في الدين، ووضع القوانين للمعاملات والمعايشة بين الناس، والدلالة على طرق النجاح والنجاة في الدنيا، والتحذير من مهاوي الخسران"<sup>62</sup>.

<sup>60</sup> محمد المنتار، خصائص القرآن في القرآن، ص: 117\_118.

<sup>61</sup> سورة الأعراف، الآية: 203 .

<sup>62</sup> محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط2، 1997م، ص 198.

لعل الأمور التي تظهر في هذا الباب، حديث القرآن المجيد عن كتب موسى عليه السلام، وهارون عليه السلام: ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾<sup>63</sup>، وقوله سبحانه عن هذا الكتاب الخاتم: ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾<sup>64</sup>، حيث إن (الكتاب المستبين) أوحى به في مرحلة لم يكتمل فيها بناء النبوة الذي عبر عنه صلى الله عليه وسلم قال: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"<sup>65</sup>، وكان هذا الوحي الذي جاء مصدقا لما بين يديه، ومهيما عليه، خاتمة الوحي وجامعه، بل يصدق على ما هو أصيل فيه، ويهيمن عليه بهذا الانفتاح على كل زمان، وكل مكان .

وأكثر من ذلك الوعي بالمحددات المنهجية الأخرى، فلكي تتحقق هيمنة القرآن الكريم وكيونته لابد من فهم الصحيح بمقاصد القرآن الكريم بعالمية خطابه والفهم بأن الشريعة هي شريعة تخفيف ورحمة ووضع للإصر والأغلال وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وتحليل الطبيات وتحريم الخبائث إلى غير ذلك من الخصائص التي تجعل القرآن الكريم هو الحاكم على ما سواه، "إن القرآن الكريم يشتمل على منهجية معرفية متكاملة، هذه المنهجية المعرفية تتسجم تمام الانسجام، بل تهيمن على منهجية العلوم الطبيعية، وتستطيع أن تقودها وتعطيها

<sup>63</sup> سورة الصافات، الآية: 117 .

<sup>64</sup> سورة النمل، الآية: 01 .

<sup>65</sup> أخرجه البخاري، باب: خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، ص: 215، رقم: 3535.

نهاياتها الفلسفية التي تجعل منها منهجية معرفية متجاوزة لكل المنهجيات المعرفية  
الوضعية»<sup>66</sup>.

في الختام فإن المقصد من وراء استجلاء مقومات وخصائص الرؤية القرآنية، والتصور  
الإسلامي للكون والحياة، يكمن في السعي إلى تيسير تمثل هذه المقومات، وهذه  
الخصائص، وما لها من أهمية في ترشيد إنسانية الإنسان حتى تصبح متاحة بعلمية أمام  
الإنسان، للإفادة منها في تحقيق الذات الإنسانية بشكل أصيل ومبدع، في تكامل تعارفي مع  
الذات الإنسانية والذوات الأخرى، وذلك انطلاقاً من كون المعرفة في الرؤية القرآنية لا تنفك  
عن الحركة، والعلم لا ينفك عن العمل، والعقيدة لا تنفك عن الحياة.

## **المطلب الثاني: مقاصد الرؤية القرآنية**

إن معرفة مقاصد الرؤية القرآنية تبين الإطار العام للشريعة، والتصور الكامل للإسلام،  
وتوضح الصورة الشاملة للتعاليم والأحكام، وبذلك يعرف الإنسان كل ما يحقق مصالح الناس  
في العاجل والأجل، فإنه من المعلوم أن الشرائع السماوية وفي ختامها الشريعة الإسلامية  
الغراء إنما جاءت لتحقيق مصالح العباد وحمايتهم في كل زمان ومكان، هذا وإن أساس هذه  
المصالح الكليات الخمس التي لا تقوم الحياة ولا تستقيم إلا بصونها وحفظها، فالدين والنفس  
والعقل والعرض والمال محور مقاصد الشرع الإسلامي.

<sup>66</sup> محمد الناصري، القرآن الكريم ومنجته المعرفية البديلة، أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، نظرية المعرفة والسياق  
الكوني المعاصر التكييفات المرجعية، والمستلزمات العلمية، سلسلة ندوات علمية 08، يومي 21 و 22 شعبان 1436هـ، الموافق ل 09 و 10 يونيو  
2015م، الرباط المملكة المغربية، ص: 366 .

الشرائع الإلهية السماوية ومقاصدها التي ارتضاها الله تعالى لسكان العالم المعمور، يقول الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾<sup>67</sup>، وقد جاءت هذه الشرائع الإلهية السماوية متسلسلة من آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم، ومتدرجة وفق تطور مدارك الإنسان وقد اختلفت مع ختم النبوة؛ قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>68</sup>، "لقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم، وجعل رسالته عامة شاملة لجميع الأمم والأزمان، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، إن أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر، أما عموم رسالته فقد جاءت به الأدلة من الكتاب والسنة"<sup>69</sup>، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>70</sup>، "إن القرآن الكريم كتاب مهيمن وكلي وليس كتاباً خاصاً بالدستور والشرائع"<sup>71</sup>.

لقد وردت نصوص كثيرة من القرآن الكريم، تبين أن مقاصد الشريعة، شاملة لجميع جوانب الحياة، فالمقصد من بعث الرسل والأنبياء عليهم السلام، ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾<sup>72</sup>، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>73</sup>، هذه الآيات الكريمة، تبين مقصد الشارع من بعث الرسل، وأن بعثهم: لتحقيق مصالح العباد، ودرء المفساد والمتاعب عنهم، في الدنيا، ولتحقيق مصالح في

<sup>67</sup> سورة المائدة، الآية: 48 .

<sup>68</sup> سورة المائدة، الآية: 03 .

<sup>69</sup> يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ط01، 2006م، ص: 231 .

<sup>70</sup> سورة سبأ، الآية: 28 .

<sup>71</sup> محمد أبو القاسم حاج حمد، حرية الإنسان في الإسلام، مراجعة وتعليق: محمد العاني، دار الساقى، بيروت، ط01، 2012م، ص: 33.

<sup>72</sup> سورة النساء، الآية: 165 .

<sup>73</sup> سورة الأنبياء، الآية: 107 .

الآخرة، وكذلك حديث القرآن الكريم عن مقصد خلق الإنسان، ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾<sup>74</sup>: " تبرز تجلياتها في النظر إلى الإنسان من منظور عقلائي بالقيم الشرعية العملية المتأسس في الوحي "<sup>75</sup> .

لقد دعا القرآن الكريم إلى العديد من المبادئ والمقاصد التي هدفها وغايتها تربية وإصلاح البشرية، وقد اختلف مسلك القرآن الكريم في بيانه لهذه المقاصد، فمنها ما اكتفى ببيانه مرة أو مرتين، ومنها ما قام بتكراره مراراً كثيراً، "ومن هذه الغايات والمقاصد التي كررها واعتنى بها أشد الاعتناء إرساء دعائم التوحيد، وبيان أمر النبوة، ووظيفة الرسل عليهم السلام، وتزكية النفس البشرية وتطهيرها"<sup>76</sup>، "فالقرآن الكريم والسنة هما أصل كل مقصد، وما عداهما فهو محكوم بهما، ومستتبط منهما"<sup>77</sup> .

مقاصد الشريعة الإسلامية تعتبر منهجاً يسعى إلى بيان الغايات الكبرى من التشريع الإسلامي، وضابطاً حيويّاً تؤول إليه الأحكام الشرعية جميعها فيما يكفل العيش الكريم لكل من الفرد والمجتمع، وعليه فإن من أهم أسس التعامل مع القرآن الكريم أن نفهم مقاصده، وندرك غاياته، ونقف على أهدافه وما يرمي إلى تحقيقه في الفرد والمجتمع، فمعرفة مقاصد

<sup>74</sup> سورة المؤمنون، الآية: 115 .

<sup>75</sup> عبد الرحمن العضراوي، مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط 1، 2015م، ص: 07 .

<sup>76</sup> وفاء بنت دخيل الله بن عابد الخطابي، مقاصد القرآن العامة، من كتاب جماعي؛ الوحي والعلوم في القرن الواحد والعشرين: مقاصد القرآن والسنة والأنظمة والؤسسات المالية من منظور القرآن والسنة، تحرير: محمد أبو الليث الخير آبادي، عصام التجاني محمد إبراهيم، دار الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا للنشر، ط 01، 1436هـ، 2015م، ص: 230 .

<sup>77</sup> الطيب البرغوث، المدخل السنني إلى خريطة المقاصد الكلية في القرآن الكريم، مجموعة بحوث؛ مقاصد القرآن الكريم، تحرير محمد سليم العوّاء، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ط 1، 1439هـ، 2018م، ص: 457 .

القرآن ابتداءً تجعل لدينا تصوراً عاماً عن موضوعات القرآن الكريم ومحاوره، ومجالات اهتمامه، ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم كتاب نور وهداية للبشرية جمعاء، لذلك تضمّن مبادئ ومقاصد أساسية عامة يحتاج إليها الناس في كل زمان ومكان، من خلال بيان معنى مقاصد القرآن الكريم وأهميتها.

إن الإحاطة بالمقاصد العامة للكتاب الكريم قاعدة متينة من قواعد التدبر واستنباط الهدى المنهاجي الكامن في القرآن، وهي عاصمة من شطط التأويل، وزينغ الفهم، وانسداد الأفق، ولذلك جاء النهي لأقوام أعرضوا عن التدبر، فإذا هم في غفلة عن الأسرار، وشغل عن المقاصد ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾<sup>78</sup>، وعليه "القرآن كتاب الله تعالى، ومعجزته الخالدة، أنزله على نبيه ليكون خاتماً للكتب، وحفظه سبحانه من التغيير والتبديل، وأودعه الهدى والنور، وضمّنه المبادئ العامة والمقاصد الأساسية التي يحتاجها الناس في كل زمان ومكان"<sup>79</sup>، "ومعرفة مقاصد القرآن الكريم هو المدخل السليم إلى فهم الرسالة القرآنية الإسلامية على وجهها الصحيح، بلا زيادة ولا نقصان، ولا إفراط ولا تفريط، فمقاصد القرآن إنما هي ما نصّ عليه القرآن، وما نزل لأجله القرآن، وما استخلص من جملة من معانيه وأحكامه"<sup>80</sup>.

<sup>78</sup> سورة محمد، الآية: 24 .

<sup>79</sup> وفاء بنت دخيل الله بن عابد الخطابي، مقاصد القرآن العامة، من كتاب جماعي؛ الوحي والعلوم في القرن الواحد والعشرين: مقاصد القرآن والسنة والأنظمة والؤسسات المالية من منظور القرآن والسنة، تحرير: محمد أبو الليث الخير آبادي، عصام التجاني محمد إبراهيم، دار الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا للنشر، لندن، ط1، 1436هـ، 2015م، ص: 208.

<sup>80</sup> أحمد الريسوني، مقاصد المقاصد: الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة، مركز المقاصد للنشر والبحوث، الرباط، ط01، 2013م، ص: 29 .

إنّ البذور الأولى للمقاصد كانت مع بداية نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث كانت مبنوثة في نصوص الكتاب والسنة، ومتضمنة في أحكامها على تفاوت من حيث التصريح والإيماء والإشارة إليها، والتأكيد عليها، ووقع الاجتهاد بمقتضى مقاصد القرآن قصد تحقيق صلاح الإنسان في الدنيا والآخرة، وهذا الصلاح يشمل كلاً من الفرد والمجتمع والعالم بأسره، إلا أن صلاح الإنسان يأتي في المقدمة، كون الفرد هو اللبنة الأولى في بناء المجتمع، "لهذا أولى القرآن الكريم عناية خاصة بإصلاح أحوال الفرد، مراعيًا في ذلك الموازنة بين حاجاته الظاهرة والباطنة، ولم يغلب جانباً على آخر، كما راعى أيضاً جانب الوسطية والاعتدال وملاءمة نظرة الإنسان الشاملة المتكاملة المتجانسة"<sup>81</sup>.

إن المتأمل في القرآن الكريم أمراً، ونهياً، أو قصصاً وأخباراً يجد أن من أهم مقاصده وغاياته العظمى، تهذيب سلوك المسلم وأخلاقه، وتزكية نفسه والرفي بها معالي الأمور، ومكارم الأخلاق حتى يصير من أفضل الناس سلوكاً، وأنبلهم أخلاقاً وأحسنهم سيرة وتعاملاً، وأكرمهم شيماً ومروءة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾<sup>82</sup>، ومن أجل ذلك بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم لعباده ليخرجهم من الظلمات إلى النور وليتم لهم مكارم الأخلاق

<sup>81</sup> توفيق علي مراد زيادي، مقاصد القرآن والسنة وأثرهما في الارتقاء الحضاري، من كتاب جماعي؛ الوحي والعلوم في القرن الواحد والعشرين: مقاصد القرآن والسنة والأنظمة والؤسسات المالية من منظور القرآن والسنة، تحرير: محمد أبو الليث الخير آبادي، عصام التجاني محمد إبراهيم، الجامعة دار الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا للنشر، ط 01، 1436هـ، 2015م، ص: 240.

<sup>82</sup> سورة الإسراء، الآية: 09 .

ويزكيهم لأحسن الأقوال والأفعال، وهو الذي أثنى عليه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>83</sup>.

تتجلى مقاصد الشريعة في نصوص القرآن الكريم "من خلال تنبيهه بعض الآيات للحكم والمعاني التي من أجلها تقررت الأحكام الشرعية لبعض المبادئ الشرعية العامة، أو الفروع الفقهية الواردة في تلك النصوص التفصيلية"<sup>84</sup>، "إن الإسلام الدين المنزل من عند الله سبحانه، والذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنزل به كتابه، لهو الدين الذي تميّز بخصائص وسمات لا توجد في غيره من النحل والطوائف التي اتخذها الناس لأنفسهم في هذه الحياة، فالإسلام جاء من عند الله سبحانه المتصف بصفات الكمال، المنزه عن كل نقصان، والذي أحاط بما كان وبما هو كائنٌ، ولذا جاءت صفة الكمال في هذا الدين لا ترى فيه عيباً ولا نقصاً ولا خللاً"<sup>85</sup>، وعليه "فالإسلام دين شامل لكل جوانب الحياة، هو عصب الحياة والوعد الذي يجتمع عليه أمر الإنسان، جاء لينظم للناس أمور حياتهم، بما يعود عليهم بالخير في دنياهم وآخرتهم، وليكفل لهم حياة الأمن والاستقرار، ويحقق لهم الحياة الكريمة السعيدة بعيداً عن حياة التعب والشقاء"<sup>86</sup>.

<sup>83</sup> سورة القلم، الآية: 04 .

<sup>84</sup> محمد البشير الحاج، المقاصد والمصالح الشرعية، أعمال ندوة تطور العلوم الفقهية المقاصد الشرعية، المنعقدة خلال عام، 1427هـ، 2006م، لوزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط، ط 02، 1433هـ، 2012م، ص 269.

<sup>85</sup> عبد الوهاب بن لطف الدليمي، منهج الكتاب والسنة في الدعوة إلى إقامة العدل، ص: 06.

<sup>86</sup> مضر علي النعيمي، محمد يوسف ذو الكفل، علي علي ساجد، نظرة عامة في مقاصد الشريعة للطب الوقائي في سورة المائدة، مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية، المجلد 04، 1439هـ، 2018م، ص: 162.



لقد أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وجعله خاتماً للأنبياء والمرسلين، وأنزل الكتاب كعهد أخير للبشرية، وكلمة فاصلة انتهى بعدها الوحي بين السماء والأرض، وانتهى بها التشريع الرباني، ومن أجل تلك الخاتمية كان خطاب الله في تلك الرسالة لكل إنسان مكلف عبر الزمان والمكان وفي جميع الأحوال، وأصبحت تلك "الخصائص التي تميزت بها الشريعة الإسلامية من الخاتمة والعالمية وتجاوز الزمان والمكان، مستلزمة لأوضاع تختص بها تلك الشريعة أيضاً من المرونة والسعة والتوازن وغيرها"<sup>87</sup>.

لقد دعا القرآن المجيد الناس كافة إلى تدبره وتعقله وتذكره والتفكير فيه وتلاوته حق التلاوة، وترتيبه ترتيلاً، والقرآن الكريم باعتباره الأصل الأول والمرجع الأعلى للإسلام وشريعته، لا بد أن يكون مستودع المقاصد الكلية والجزئية ومنجمها، والناظر في آياته وسوره يجده يتحدث عن مقاصده وغاياته<sup>88</sup>، قال الشاطبي: "فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد"<sup>89</sup>.

فقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ

<sup>87</sup> جمال الدين عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ط1، 01، 1424هـ، 2003م، ص: 07.

<sup>88</sup> محمد المنتار، مقاصد القرآن الكريم قراءة معرفية، مجلة الترتيل، الرابطة المحمدية للعلماء، العدد 3، السنة: 1437هـ/2016م، ص 89-90.

<sup>89</sup> أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق أبو عبيدة، دار ابن عفان، القاهرة، ج4، ط1، 1417هـ، 1997م، ص: 209.

رِضْوَانُهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٩٠﴾،  
هو لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، يقول الله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ  
النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٩١﴾، وهو لسعادة  
الإنسان، وهو كتاب لإعزاز الأمة قوله تعالى: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٩٢﴾، ﴿لَقَدْ  
أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٩٣﴾.

إذا كانت مقاصد الشريعة هي مطالب تهدف سن القوانين التشريعية وإجراء الأحكام  
الفقهية كالكليات الخمس التي ذكرها الفقهاء قديما من حفظ الدين والنفس والعرض والعقل  
والمال، فإن حفظ هذه الأمور وغيرها من تلك الأمور الكلية والجزئية التي تستهدف من سنن  
الشريعة الحنيفة هي المقصد والهدف الذي يترتب على القوانين الشرعية، ففي الشريعة  
الحنيفة أحكام تجرى في المجتمع للحفاظ على نظامه بغض النظر عن كون تلك الأحكام في  
قالب نص صريح أو لا، لأن مقاصد القرآن هي المطالب التي تستهدف من النص القرآني  
اللفظي، وأما مقاصد الشريعة فهي الأهداف التي تستهدف من الأحكام التشريعية الإجرائية.

ومن المسلم به أن نتصور أن الالتفات إلى مقاصد الشريعة كان مبكرا، وكان ملازما  
للشريعة نفسها، فقد نشأت المقاصد مع نشأة الأحكام التي انتصب الرسول صلى الله عليه  
وسلم، لبيانها وتبليغها، "وكان المقصد الشرعي أحد الأمور الملتفت إليها والمعول عليها في

<sup>90</sup> سورة المائدة، الآيتان، 15\_16 .

<sup>91</sup> سورة إبراهيم، الآية: 01 .

<sup>92</sup> سورة طه، الآية: 02 .

<sup>93</sup> سورة الأنبياء، الآية: 10 .

فهم الأحكام واستنباطها، سواء من قبله عليه الصلاة والسلام، أو من قبل أصحابه رضي الله عنهم، وعمدتهم في ذلك المصدر الأوحد في إطلاقه وقطعيته وكونيته وإنشائه للأحكام، ألا وهو القرآن المجيد، الذي ينطوي على أرقى المقاصد وأعلاها، إذ هو أصل الأصول ومصدر المصادر، ومنطلق أي بناء حضاري يهدف إلى الاعمار والصلاح<sup>94</sup>.

مقاصد القرآن الكريم والسنة النبوية ليست محصورة في آيات الأحكام وأحاديث الأحكام، بل كل الآيات والأحاديث لها مقاصدها، ويجب أن تدرس وتفهم بمقاصدها، فالقصص القرآني له مقاصده، والأدعية القرآنية والنبوية لها مقاصدها، وضرب الأمثال في القرآن والسنة له مقاصده، كما للآيات والأحاديث التشريعية مقاصدها، وما ذكره غير واحد من العلماء من كون القرآن والسنة مليئين بآلاف التعليقات والتنبيهات المقاصدية، يجب استقصاؤه واستخراجه ودراسته بالكامل، وهذا يتطلب عدة أبحاث ومؤلفات.

إذا كنا ننظر للمقاصد ونستخرجها من كتب الفقه وكتب الأصول وغيرها، فأولى بنا أن نلتمسها ونستخرجها من القرآن الكريم والسنة النبوية، لأن المقاصد مقاصدهما، وإنما الأصول أصولهما، من القرآن الكريم استفيدت مقاصد الشارع من إرسال الرسل وتنزيل الكتب وبيان العقائد والأحكام، وتكليف المكلفين وأمرهم ونهيهم وإماتة الخلق وبعثهم ومحاسبتهم ومجازاتهم.

<sup>94</sup> محمد المنتار، مقاصد القرآن الكريم قراءة معرفية، ص: 96.

وما قيل في مقصدية القرآن الكريم يمكن أن يقال في مقصدية السنة النبوية من جهة كونها مبينة لأحكام القرآن، ومن جهة كونها مبرزة لمقاصده وأسراره، فالنواحي المقصدية التي أقرها القرآن الكريم في جملتها هي التي عملت السنة على إبرازها وتأكيدھا، بحكم العلاقة الوثيقة بينهما في بيان الشرع، قال الشاطبي رحمه الله: " وذلك أن القرآن الكريم أتى بالتعريف بمصالح الدارين جلبا لها، والتعريف بمفاسدها دفعا لها، وإذا نظرنا إلى السنة وجدناها لا تزيد على تقرير هذه الأمور، فالكتاب أتى بها أصولا يرجع إليها والسنة أتت بها تقریعا على الكتاب وبيانا لما فيه منها"<sup>95</sup>.

حدد الشاطبي الإطار التاريخي لنزول القرآن الكريم بالمقاصد والقواعد العامة بقوله: "فالضروريات الخمس كما تأصلت في الكتاب تفصلت في السنة، وإذا نظرت في حاجياته أطر النظر أيضا فيها على ذلك الترتيب أو نحوه، فإن الحاجيات دائرة على الضروريات، وكذلك التحسينات، وقد كملت قواعد الشريعة في القرآن وفي السنة، فلم يتخلف عنها شيء، والاستقراء يبين ذلك، ويسهل على من هو عالم بالكتاب والسنة"<sup>96</sup>.

ومن هنا، فإن التأصيل لمقاصد القرآن هو تأصيل لمقاصد التشريع، يمكن القول إذاً إن مقاصد القرآن الكريم هي القضايا الكبرى والحقائق الإسلامية العظمى التي قصد القرآن الكريم إقرارها، واقتناع الناس بها، بأسلوب يختلف بحسب اختلاف المتلقين له، " هنا حفظ الله القرآن مجيداً بمعنى الاستمرارية لكل العصور المتقدمة، فما نقول اليوم سيبدو متخلفاً

<sup>95</sup> الشاطبي، الموافقات، ج 4، ص: 336.

<sup>96</sup> المصدر السابق، ج 4، ص: 20.

قياساً لما سيُكشف لاحقاً في هذا القرآن المجيد: كذلك احتفظ الله بالقرآن كريماً بمعنى تدفُّق العطاء الذي لا ينتهي لدى فترة أو عصر معيَّنين، وجعل الله محتوى هذا العطاء الإلهي المكنون في القرآن الكريم الذي يعطي نفسه ويظهر ضمن مقتضيات العصور المتغيرة<sup>97</sup>: ﴿

فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ \* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ \* إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ \* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ \* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾<sup>98</sup>.

ولا تخفى أهمية الكشف عن مقاصد القرآن في فهم مراد الله من كتابه، واستنباط الهدى المنهاجي الكامن فيه، وذلك بوضع الآيات القرآنية في سياقها العام والكلي، وإرجاع مقاصد الآيات والسور والأجزاء إلى مقاصدها الكلية في تناسب تام بين كل كلمة وكل حرف وكل مقطع من مقاطع القرآن، والافتقار الحثيث لأنوار الهداية الكامنة في النظم القرآني<sup>99</sup>، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>100</sup>، واستناداً عليه جاءت الشريعة لتحقيق مصالح الناس وإسعادهم في الدنيا والآخرة، فتشريعاتها تضمنت تنظيم حياة البشر في كل المجالات، سواء في علاقة الإنسان بربه، أو في علاقته بأهله، أو علاقته بأقاربه وجيرانه وإخوانه، أو بمن يماثلونه في الإنسانية، وضبطت تصرفاته وحركاته بما يعود عليه وعلى المجتمع بالنفع الدنيوي والأخروي، ومن تلك التشريعات: أحكام العبادات وما تبعها من طهارة ونظافة، وأحكام المعاملات المختلفة، والأحكام المتعلقة بالأحوال الشخصية،

<sup>97</sup> محمد أبو القاسم حاج حمد، حرية الإنسان في الإسلام، ص: 87.

<sup>98</sup> سورة الواقعة، الآيات: 75\_76\_77\_78\_79.

<sup>99</sup> محمد المنتار، مقاصد القرآن الكريم قراءة معرفية، ص: 96.

<sup>100</sup> سورة البقرة، الآية: 02 .

وكلها تهدف إلى إقامة صرح حضاري عالٍ للمجتمع الإنساني، قائم على أصلب دعائم العلم وأدق أسس الحضارة<sup>101</sup>.

إن اعتماد الخطاب الإسلامي الرؤية الكلية المنطقية من "التصور القرآني سيكون رصيда مهما وذخرا عظيما لتجاوز الكثير من العقبات التي كانت ولا تزال تعوق نجاح الدعوة الإسلامية عن اختراق مجالات عدة أغفلتها، ولم تضعها ضمن اهتماماتها وأولوياتها، وقد يكون هذا من أهم أسباب تخلف القيام بدور الشهود الحضاري، الذي أنيط بالأمة الإسلامية، على الإنسانية<sup>102</sup>.

إن الهدف النهائي لجميع التعاليم الإسلامية أن تكون رحمة للجنس البشري، حيث يشكل هذا الهدف الغرض الأساسي الذي بُعث من أجله الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذا العالم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>103</sup>، ومن السبل التي لا غنى عنها لتحقيق هذا الهدف، تعزيز الفلاح أي الرفاه الحقيقي لجميع البشر على الأرض، بغض النظر عن العرق واللون والجنس.

إن تنزل القرآن الكريم ليس لمجرد التلاوة وحسن الأداء، إنما تنزله ليحيي أمة تحمل الخير للإنسانية؛ ولذلك شملت مقاصده تحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل، وهذه المصالح هي نتيجة العطاء الحضاري المعنوي والمادي للأمة الإسلامية، والتي أنزل لها الله

<sup>101</sup> عبد المجيد عمر النجار، فقه التحضر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1427هـ، 2006م، ص: 51 .

<sup>102</sup> محمد شهيد، من مقاصد القرآن الكريم في بناء الأمة الشاهدة على البشرية، ص: 81 .

<sup>103</sup> سورة الأنبياء، الآية: 107 .

هذا القرآن ليكون منهجاً واضحاً كاملاً صالحاً لإنشاء حضارة إنسانية نموذجية في كل بيئة، وفي كل زمان، بشرط أن تكون هذه الإنسانية موصولة بالقرآن، تأخذ منه لترتقي إلى الكمال الإنساني المقدر لها، ولتعمّر الكون بأحسن أنواع العمران الذي يرتقي بالحياة الإنسانية، متعاونة مع الأمم الأخرى فيم يحقق ذلك وفق مراد الله من استخلاف الإنسان<sup>104</sup>.

فالرسالة الخاتمة رسالة الإسلام تحمل مضامين جديدة وتشريعات وتعاليم تتناسب وخصوصيتها في أنها رسالة إلى العالمين، أي أنها رسالة لكل الخلق عبر الزمان وعبر المكان، إن مفهوم المقصد ذاته يشير إلى قصدية وجدانية وعقلية موضوعية تلتئم في بنية موحدة تفعل فعلها صوب تحقيق الغاية من الفعل الإنساني، وهي جلب المصلحة ودرء المفسدة، "وتستمد هذه الرؤية مضامينها من الأصول الأساسية للدين، حيث يمثل التوحيد في الإسلام أساس تلك الرؤية، الاعتقاد بأن خلق العالم قد تم بمشيئة حكيمة، وأن النظام الوجودي قائم على أساس الخير والرحمة واللطف بالموجودات كي تبلغ ما يليق بها من كمالات، وتقرر هذه الرؤية أن للإنسان رسالة خاصة يحملها في حياته وترفض أي طابع عبثي لحركة الكون"<sup>105</sup>.

على ضوء ما سبق بيانه يمكن القول: إن القرآن الكريم جاء بروية مقاصدية متكاملة في تحقيق صلاح الإنسان، تقوم على الوسطية والاعتدال والتوازن في تحقيق نزعاته الروحية

<sup>104</sup> توفيق علي مراد زيادي، مقاصد القرآن والسنة وأثرهما في الارتقاء الحضاري، ص: 240.

<sup>105</sup> مهدي كلشني، قضايا إسلامية معاصرة، من العلم العلماني إلى العلم الديني، دار المهادي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ،

ص: 13.

والمادية، الفردية والجماعية على حدّ سواء، باعتبار أن الإنسان فرد يعيش في محيط اجتماعي وعالمي، ومن هنا تبرز القيمة الكبرى لمعرفة وإدراك مقاصد القرآن الكريم، فبمقدار هذه المعرفة يصل الإنسان إلى إدراك الغايات الكبرى من الخلق والوجود، وعلى ضوء ذلك نزل القرآن الكريم برؤية مقاصدية متكاملةٍ ومنهج رشيدٍ، أنزل الله عليهم أحكامه وشرائع دينه، كي يتعبدوا لله ويمتثلوا أمره محبةً وتعظيماً، وخوفاً ورجاءً.



## المبحث الثاني: مفهوم إنسانية الإنسان في الرؤية القرآنية

القرآن الكريم يبين النموذج الإنساني الذي يرمي إلى بنائه وفق شروط محددة، ويبين كذلك أي إنسان يريد لهذا الكائن أن يكون حتى يتجاوز طبيعته التي خلقت معه بحكم مادته التكوينية، فالإنسان هو المحور الأساسي في البيان القرآني الذي حدد طبيعة إنسانيته، التي بفضلها يتحقق مفهوم الخلافة بأبعدها الإنسانية، هذا ما يحاول المبحث بيانه:

### المطلب الأول: منظور الرؤية القرآنية للإنسان

إن الفلسفات البشرية ومصادر المعرفة الإنسانية ما زالت تتخبط في مواقفها من معظم القضايا الأساسية، مثل حقيقة الإنسان ومكانته ودوره في الحياة، علاقته بالطبيعة، وحقيقة الحياة، وحقيقة الموت، "علاقة الخالق بال مخلوق، والحق والباطل، وغيرها من الأمور التي تشكل الرؤية التوحيدية فيها أهم المعايير التي يزن الإنسان بها نشاطه النظري والعملي، وعليها يقيم موازين التفسير والتقويم لكل ما حوله، ويبني على أساسها علاقاته بالواقع الاجتماعي بجوانبه المختلفة"<sup>106</sup>.

عندما نستعرض الفكر الإنساني الذي تناول تعريف الإنسان عبر تاريخ البشرية الطويل نصادف التعريفات المختلفة المتقاطعة في بعض الجوانب المتضاربة في بعضها الآخر، والمتباينة أحياناً، ومن المعلوم أن كل تعريف للإنسان هي مسألة خلافية دائمة دوام الحياة لتعدد المعتقدات والثقافات واختلافها، ومن التعريفات التي نجزم باعتبار عقيدتنا الإسلامية

<sup>106</sup> طه جابر العلواني، التوحيد والتزكية والعمارة: محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1424هـ، 2003م، ص 65 .

أنها الحقيقة تعريف القرآن للإنسان، إذن فما هو الإنسان في القرآن؟ وما هي مزاياه وخصائصه وسماته؟

هذا ما نطالعنا به آيات القرآن الكريم وسوره في مواطن كثيرة، ولدى التأمل والتفكر نجد

أن القرآن الكريم يبصر الإنسان بحقيقتين اثنتين داخلتين في قوامه وتركيبه الإنساني:

**الحقيقة الأولى:** أنه مخلوق أصله الأول من تراب، وسلالته من ماء مهين، وهناك الكثير

من الآيات القرآنية التي تبصر الإنسان بمظاهر هذه الحقيقة في ذاته، قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَيِّ

شَيْءٍ خَلَقَهُ \* مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ \* ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾<sup>107</sup>، قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ

تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ ﴾<sup>108</sup>.

**أما الحقيقة الثانية:** التي تشكل الجزء الآخر من "الهوية الإنسانية في القرآن الكريم، فهي أن

الإنسان هو ذلك المكرم على سائر المخلوقات الأخرى، وأنه ذاك الذي استحق أن يكلف الله

الملائكة بالسجود له متمثلاً في شخص أبيه آدم عليه السلام، وأنه الذي شرفه الله تعالى

بالخلافة على هذه الأرض عندما شاء أن يكلفه بالمهمة التي حمله إياها"<sup>109</sup>.

تتسم قضايا الإنسان في القرآن الكريم بالاتساع والتنوع، إذ أنه من "المصطلحات

الكبيرة والمحورية التي ترتبط بها عدة أغراض، وهي من أهم الحكم والغايات التي أنزل من

<sup>107</sup> سورة عبس، الآيات: 18\_19\_20 .

<sup>108</sup> سورة الحج، الآية: 05

<sup>109</sup> محمد سعيد رمضان البوطي، منهج القرآن في بناء الإنسان والحضارة، مجلة المعارج العدد 162، السنة: 1434هـ/2013م، ص: 21.

أجلها القرآن الكريم خاصة، والرسالات السماوية الأخرى عموماً<sup>110</sup>، "فلا جرم أن يكون القرآن الكريم قد وضع الإنسان في مكانه الطبيعي بحيث هو المخلوق المسؤول عن أفعاله، وتبدو المسؤولية القرآنية منسجمة تمام الانسجام مع ما عليه الإنسان من القوة النظرية التي لا تكتمل فيه بغير معرفة الحقائق وفق ما هي عليه، ومن القوة العملية التي لا ينال الإنسان كمالها بغير قيامه بما ينبغي من شؤون حياته وعلائقه الخاصة والعامّة"<sup>111</sup>.

القرآن الكريم حين ينظر إلى الإنسان من حيث كان خلقه وتكوينه، ومن حيث كانت أهليته واستعداده، لحمل الأمانة وما فيها من التكاليف الشرعية، وما وراء ذلك من حساب وجزاء، فإن القرآن الكريم هنا يرى الإنسان عالماً مستقلاً بذاته، متفرداً بوجوده، حيث يجني وحده ثمرة عمله، ويطعم ما يجني من ثمر، إن حلوا فحلوا، وإن مرا فمر، قال تعالى: ﴿كُلْ أَمْرِي بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾<sup>112</sup>، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾<sup>113</sup>، وفي الإطار الفردي المحمود، يستقل الإنسان بوجوده استقلالاً مطلقاً، لقد "جاء الخطاب القرآني بمفردة الإنسان في خمس وستين سياقاً مما يثبت معه بيان محورية الإنسان في الكون ووظيفته الاستخلافية في تحمل مسؤوليته الاختيارية الضرورية لصناعة التاريخ عبر قوانين وسنن

<sup>110</sup> أحمد بوشلطة، مفهوم الإنسان في القرآن الكريم والحديث الشريف، مكتبة حسن العصرية لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1،

1430هـ/2009م، ص: 255.

<sup>111</sup> سالم أحمد الماقوري، المثل الأعلى للمجتمع الإنساني كما تحدث عنه القرآن الكريم، دار القلم، بيروت، ط1، 1985م، ص: 123.

<sup>112</sup> سورة الطور، الآية: 21 .

<sup>113</sup> سورة الأنعام، الآية: 164 .

علمية، كما ثبت أيضا عالمية الخصائص الإنسانية بكل أبعادها العلمية والنفسية وما يعترىها من قوة ومن ضعف ومن نوازع ومن حرية<sup>114</sup> .

إن القرآن الكريم ينظر إلى الإنسان من حيث إنه يعيش في جماعة إنسانية، تحتويها دوائر تضيق حتى تنحصر في محيط الأسرة من زوج وولد ثم تتسع حتى تضم العالم الإنساني كله، وما يتحرك في محيطه من عوالم الموجودات في الأرض والسماء، وفي هذه النظرة التي ينظر القرآن الكريم من خلالها إلى الإنسان، "يحدد القرآن الكريم للإنسان مساره مع تلك الجماعة، صغيرة كانت أو كبيرة، وفي هذا الإطار غير المحدود تفرض على الإنسان التزامات قبل الجماعة، وفي مقابل حقوق تؤديها الجماعة له"<sup>115</sup> .

القرآن الكريم حينما تناول الإنسان بهذا القدر من الاهتمام والتركيز، فإنه تناوله ضمن الإطارات العريضة للرؤية القرآنية ذاتها التي تقوم في إحدى خصائصها على الشمول، ولعل المعنى المستفاد من تقرير القرآن قوله تعالى: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾<sup>116</sup> ، هو هذه الشمولية للقرآن الكريم، وليس إجهاد الفكر في البحث عن تفصيلات كل علم أو معرفة أو تجربة أو اكتشاف أو فرض أو نظرية، في نصوص القرآن الكريم، وعلى هذا الأساس من الشمول، ينبغي أن نفهم تقارير القرآن الكريم عن الإنسان والنظرة إليه في تركيبه الثنائي

<sup>114</sup> عبد الرحمن العضراوي، علمية الإسلام وعلمية حقوق الإنسان، ص: 214.

<sup>115</sup> عبد الكريم الخطيب، الإنسان في القرآن الكريم: من البداية إلى النهاية، دار الفكر العربي، دمشق، ط1، 1979م، ص: 108.

<sup>116</sup> سورة الأنعام، الآية: 38 .

الطبيعة، وسلوكه في الحياة، وحالاته النفسية والعقلية والروحية، فردا وجماعة، قال تعالى:

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾<sup>117</sup>.

إن الذي يتأمل آيات القرآن الكريم يتبين له بكلّ وضوح أنّ الإنسان هو المحور الأساسي الرئيسي للوحي الإلهي، وكلّ ما جاء في القرآن الكريم إمّا حديث إلى الإنسان، أو حديث عن الإنسان، أو عن شيء يتعلق بالإنسان بشكل أو بآخر، "إن الخطاب القرآني الموجه إلى الإنسان هنا خطاب شامل، يبدأ من خلقه وينتهي بمماته، ويدله على سعادته في الدنيا والآخرة، ويحدثه عن طبيعته وصفاته السلبية وسبل تجاوزها ليصل إلى الكمال ليكون بذلك نموذجا متميزا عن غيره"<sup>118</sup>.

آيات القرآن الكريم بينت نموذج الإنسان الذي أراد الله بنائه وفق شروط محددة، وبين أي إنسان يريد لهذا الكائن أن يكون حتى يتجاوز طبيعته وصفاته السلبية التي خلقت معه بحكم مادته التكوينية، "إن القرآن يحفل بالإنسان - لمكانته في الكون ولعظيم مهمته فيه كما لم يحفل بغيره أبدا، فهو يبدأ قبل كل شيء بتعريف الإنسان على ذاته وهويته، وتبصيره بأصله وخصائصه، ومدى أهميته في هذا الكون الذي يعيش فيه، وليس أدل على عناية القرآن بهذه القضية من أنها جاءت في أولى الآيات التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾<sup>119</sup> 120".

<sup>117</sup> سورة النجم، الآية: 32 .

<sup>118</sup> أحمد بوعود، الإنسان في القرآن: دراسة فلسفية مقارنة، مطبعة بني ارناسن، سلا، ط1، 2014م، ص: 08.

<sup>119</sup> سورة العلق، الآيتان، 02\_01 .

<sup>120</sup> محمد سعيد رمضان البوطي، منهج القرآن في بناء الإنسان والحضارة، ص: 21.

القرآن الكريم لم يغفل هذه الطبيعة البشرية التي تعبر عن نقص الإنسان، بل اعترف بها ودعا إلى الارتفاع عنها للوصول إلى مرحلة النضج والكمال، وهذا ما يعطي الحياة قيمة ومعنى، "لقد ابتلى الإنسان بهذه الطبيعة السلبية الناقصة وعليه تجاوزها"<sup>121</sup>، "القرآن الكريم كشف للإنسان عن نفسه، وأوقفه على سبل صلاحها وإصلاحها، وسبل غوايتها وضلالها، وقص عليه في سبيل تحقيق الصلاح والفلاح تاريخ النبوات، وتاريخ الإنسان عبر التاريخ"<sup>122</sup>، ومن هنا جاءت آيات القرآن الكريم تبين صلة الإنسان بنفسه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا \* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾<sup>123</sup>، لأن تطهير النفس من الرذائل والصفات الذميمة والأخلاق الفاسدة، وتزويدها بالقيم الأخلاقية السامية يجعل الإنسان ينكشف فيها ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾<sup>124</sup>، وهي تلك الفطرة الصافية النقية المبرأة من كل ما يعكر صفوها، والتي من شأنها أن تدله على طريق الهدى والرشاد كما جاءت في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾<sup>125</sup>.

القرآن الكريم في تناوله للإنسان يتناول ذلك التركيب الذي تتوحد فيه المادة والروح، أو تتوحد فيه العضوية والنشاط العقلي وخصائصه من الإدراك والوعي والشعور والبيان والتصور... إلخ، فيتناول ذاتا تتصف بصفات يظهر معها نشاطها العضوي الذي تحركه

<sup>121</sup> أحمد بوعود، الإنسان في القرآن دراسة فلسفية مقارنة، ص: 148.

<sup>122</sup> مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 1418هـ، 1998م، ص: 29.

<sup>123</sup> سورة الشمس، الآية 08\_09.

<sup>124</sup> سورة الروم، الآية: 30.

<sup>125</sup> سورة الأعراف، الآية 172

طاقة عقلية أو روحية، القرآن الكريم يتناول كل مجالات النشاط الإنساني سواء ما يتصل منها بفكر الإنسان، أو ما يظهر من أنماط التصرفات والسلوكيات في المجتمع، كما يتناول أغوار النفس الإنسانية بالكشف والتحليل ويبني على أساسها توجيهاته الأخلاقية<sup>126</sup>.

الإنسان في منظور القرآن الكريم ذو شخصية مزدوجة: فردية واجتماعية معاً، فالشخصية الفردية يسأل فيها عن أفعاله الخاصة، ولها شرعت التكاليف الفردية، والشخصية الاجتماعية يسأل فيها عن علاقاته الاجتماعية بغيره من أفراد المجتمع، ولها شرعت التكاليف الاجتماعية، ومن ثم لا سعادة للفرد إلا في ظل المجتمع، ولا سعادة للمجتمع إلا في ظل تعاون أفرادهِ<sup>127</sup>.

القرآن الكريم في كثير من آياته، بل في معظم آياته، بين النموذج الإنساني الذي يريد بناءه، بدء من أول سورة نزلت وانتهاء بآخرها، خاصة وأنه جعل للإنسان في منتهى هذه الحياة طريقين لا ثالث لهما: إما الجنة أو النار، وقد ضمنت الجنة لذلك الإنسان النموذج، فأبي نموذج يريد القرآن الكريم للإنسان أن يكون؟

إن الإجابة عن هذا السؤال يقتضي تتبع الإنسان الناجح، كما جاءت به آيات القرآن الكريم وحددت مواصفاته، وهو ما يصطلح عليه الإنسان القرآني، مما لا شك فيه أن القرآن الكريم قد بين غاية الإنسان ومهمته في هذه الحياة القصيرة على الأرض، فهو لم يخلق عبثاً، ولم يترك سدى، ولم يخلق ليعيش ثم يموت ويطويه العدم، وإنما خلق ليعرف الخالق،

<sup>126</sup> محمد أمين جبر، الإنسان والخلافة في الأرض، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1419هـ، 1999م، ص: 08\_07.

<sup>127</sup> توفيق على مراد زيادي، مقاصد القرآن والسنة وأثرها في الارتقاء الحضاري، ص: 327.

ورزق العقل ليدرك الإله المعبود وحده لا شريك له فيعبده كما أمره، ووهب من الصفات المميزة له عن سائر المخلوقات ليكون خليفة له في الأرض، " لقد ذكر الإنسان في القرآن الكريم بغاية الحمد وغاية الذم في الآيات المتعددة وفي الآية الواحدة كذلك، وهذا لا يعني أنه يحمد ويذم في آن واحد، وإنما معناه أنه أهل للكمال والنقص بما فطر عليه من استعداد لكل منهما، فهو أهل للخير والشر لأنه أهل للتكاليف"<sup>128</sup>.

القرآن الكريم يظل منبعاً لمعرفة حقائق الإنسان، واستجلاء مكونات شخصيته، ولأنه كتاب صادر عن رب العباد، وعليه فهو "كتاب قدسي لا يد للبشر فيه، إذ هو دليل على كماله، ولأنه كامل فهذا يعني أنه الوحيد القادر على إعطاء بيان لطبيعة الإنسان، وحقيقة نفسه، ولهذا نلاحظه تنوع أساليبه لمخاطبة للإنسان، يستعمل الترغيب والترهيب إذا دعت الحاجة لذلك، ومرة يعتمد على القصص، ومرة النداء ومرات الأمثال، وكل ذلك حسب ما يتطلبه الحال والمقال"<sup>129</sup>.

الهدف من سوق القرآن الكريم أطوار خلق الإنسان وتطوره من حال إلى حال أن يبين للناس كمال قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت، لأن من قدر على الخلق من التراب وعلى تطوير التراب ذلك التطوير العجيب حتى أصبح آية باهرة تحير العقل فهو بلا شك قادر على إعادة ما بدأه من الخلق.

<sup>128</sup> محمد أمين جبر، الإنسان والخلافة في الأرض، ص: 239.

<sup>129</sup> موصدق خديجة، خطاب النفس الإنسانية في القرآن الكريم: حقيقته ومقاماته ومقاصده، دار الشروق، القاهرة، 1430هـ-2010م، ص 40-41.



من هنا كان مكان الإنسان في الإسلام أشرف مكان تحظى به الإنسانية في ميزان الفكر بل وفي الميزان الذي توزن به الكائنات عامة، فهو الإنسان المكلف وإن شئت فقل هو الكائن المتميز عن غيره من الكائنات، ذلك أن الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه أكرم الخلائق باستعداد منفرد بين خلائق السماء والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>130</sup>، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>131</sup>، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>132</sup>.

إن الإنسان محور القرآن الكريم، بل محور جميع الكتب السماوية وحتى الوضعية؛ غايتها إسعاده والسمو به، لكن هذه السعادة وذلك السمو لن يتحققا إلا بمواصفات محددة ينبغي توفرها فيه، "وبهذا نجد كل قانون أو تشريع يرمي إلى إعداد إنسان خاص به، تتحقق من خلال التزامه مقاصد ذلك القانون أو ذلك التشريع، وليس هذا فحسب، بل إننا نجد كل فرقة من الفرق المختلفة تتفق على نموذج معين للإنسان، وكل مذهب ديني أو دنيوي له نموذجة إنساني، فضلا عن الفلسفات التي جعلت الإنسان محورها"<sup>133</sup>.

إذا نظرنا إلى الإنسان في الإسلام نجد أن القرآن الكريم تحدث عنه من زاويتين مختلفتين؛ فمن جهة يصفه بأنه مخلوق أصله حقير، حيث خُلق من تراب وسلالته من ماء

<sup>130</sup> سورة الإسراء، الآية: 70 .

<sup>131</sup> سورة التين، الآية: 04 .

<sup>132</sup> سورة المجاثية، الآية: 13 .

<sup>133</sup> أحمد بوعود، الإنسان في القرآن: دراسة فلسفية، ص: 147.

مهين، والشأن فيه - وإن طالت حياته- أن يُردَّ إلى أرذل العمر، وهناك آيات عديدة تدل على هذا المعنى، منها قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾<sup>134</sup>، ومن جهة أخرى يتحدث عنه بصفة التكريم والتفضيل، وأنه مخلوق شرفه الله بالخلافة في الأرض وفضله على سائر المخلوقات، ومن الآيات الدالة على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾<sup>135</sup>، وهذا ليعلم الإنسان أنه مهما بلغت مرتبته من العلو والرفعة، ومهما اتصف به من الفضائل والصفات النادرة فليس شيء من ذلك نابعا من ذاته، ولا هو اكتسبه بجهده واستقلال طاقته، وإنما ذلك كله فيض من الله عز وجل، أما هو فتكوينه الذاتي ليس إلا من تراب تافه ثم ماء مهين.

القرآن الكريم يجعل من الإنسان مثالا لذلك النموذج الذي يهدف الإسلام إلى إيجاده أصلا تحقيقا لرسالة يجعل منها الإسلام علة العلل في نشأة الإنسان على الأرض، ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾<sup>136</sup>، هذه الخلافة التي "تحقق الهداية والصلة بالله تعالى، قصد إخراج الإنسان المستخلف، الذي يبني مجتمعا ويسهم في إعمار الكون من حوله"<sup>137</sup>.

<sup>134</sup> سورة الطارق، الآيات، 08\_07\_06\_05 .

<sup>135</sup> سورة الإسراء، الآية: 70 .

<sup>136</sup> سورة البقرة، الآية: 30 .

<sup>137</sup> سعيد شبار، من أجل منهاج قرآني تجديدي في الفكر والعلوم الإسلامية، مجلة الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء المغرب، العدد 27، السنة:

2008م، ص: 78 .

خاطب القرآن الكريم الإنسان فوصفه مخلوقاً مكرّماً طاهراً، يمتلك القدرة والاستعداد لبلوغ أقصى درجات الكمال البشري، وهو المعرفة بالله وبخلقه وشرعه؛ إذ لا يوجد لدى أي إنسان أو طائفة ما يعوق إمكانية الارتقاء الكمالي، ويستوي في ذلك الناس على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وأعرافهم، يقول الطاهر ابن عاشور: "لو ترك الإنسان وتفكيره، ولم يلحق اعتقاداً ضالاً لاهتدى إلى التوحيد بفطرته"<sup>138</sup>.

اهتم القرآن الكريم بالإنسانية حيث "جاء الخطاب القرآني: ب { يا أيها الناس } في عشرين سياقاً، وهذا دليل ساطع يؤكد لنا أن البلاغ القرآني يقصد كل النوع البشري الذي كرمه الله تعالى بالعقل وزكاه بالعلم والعمل"<sup>139</sup>، وهذه كلمة ( الإنسان ) تستعمل في آيات القرآن الكريم، في أكثر من ثمانين موضعاً، في أساليب متنوعة، وحتى كلمة البشر الدالة على الجنس الإنساني الواحد، تستعمل في القرآن الكريم، في أكثر من خمس وثلاثين آية، وهكذا يهتم القرآن الكريم، بكل ما من شأنه أن يوقظ في الناس أحاسيس الإنسانية، ويربي الخلق الإنساني"<sup>140</sup>، "إنَّ التصور القرآني للبعد الأخروي للحياة الإنسانية تصور هام في توازنها وفي إرساء دعائم الخير والحق والسعادة النفسية، وفي مقاومة الظلم والجور والفساد"<sup>141</sup>.

<sup>138</sup> محمد طاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص: 399.

<sup>139</sup> عبد الرحمن العضراوي، عالمية الإسلام وعالمية حقوق الإنسان، ص: 214.

<sup>140</sup> أحمد عبد الرحيم السايح، فلسفة الحضارة الإسلامية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة، ط1، 1410هـ، 1989م، ص:

41.

<sup>141</sup> عبد المجيد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط1، 1412هـ، 1991م، ص: 178 .

لما كان الدين الإسلامي خاتم الأديان، جاء "القرآن الكريم كتابا لا يقبل التحريف أو التبديل كونه محفوظاً بحفظ الله؛ فهو مصدر الأمن لكل ما يحتاجه الإنسان من أسس وركائز تُنظم علاقاته الاجتماعية والدينية والشخصية"<sup>142</sup>، وعليه فإن الإنسان في الإسلام لا يعيش على الأرض عفواً، ولم يوجه إلى الأرض اعتباطاً، ولم يمنح ما منح من خصائص ترقيه واستعداده للتقدم في الحياة من أجل تحقيق الحرية والكرامة الإنسانية"<sup>143</sup>، "فالإنسان في الإسلام، ذلك الذي يمتلئ كيانه بمشاعر العزة والسيادة والقوة والاستفادة بكل ما في الأرض، من قوى يسخرها لسلطانه، ويقوم بها على خلافة الله في الأرض، مستصحباً في ذلك عقله، المحرر من كل ولاء لغير الحق، المطلق من كل قيد، غير قيد البر والإحسان"<sup>144</sup>.

هذا يعني أنّ الدين الإسلامي اعتنى كلّ العناية بحياة الإنسان كلّها من أولها إلى آخرها، ومن هنا يمكن القول إنّ الإسلام في جوهره دين للحياة بكلّ أبعاده المختلفة، دين يريد صياغة حياة المسلم صياغة متوازنة "فالإنسان في التصور الإسلامي حين تتعدد جوانب وجوده وحاجته وشخصيته، فإنه في نفس الوقت كيان واحد متكامل له أبعاده المادية والروحية، التي لا تنفصم ولا تتعارض، ولا مجال لتحقيق سعادته وتوازنه في هذه الدنيا إذا أهمل أيّ جانب من هذه الجوانب أو سيئ استخدامه"<sup>145</sup>.

<sup>142</sup> عماد عادل أبو مغلي، العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم، دار الكندي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009م، ص: 14.

<sup>143</sup> صبار طعيّة، المعرفة في منهج القرآن الكريم: دراسة في الدعوة والدعاة، دار الجيل، بيروت، بدون طبعة وتاريخ، ص: 23\_24.

<sup>144</sup> أحمد عبد الرحيم السايح، فلسفة الحضارة الإسلامية، ص: 21.

<sup>145</sup> عبد المجيد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ص: 177.

الحياة المسلمة الصحيحة كلها رضا ورضوان واستقرار بسبب وحدتها وتكاملها وبُعدها الأخرى، فحياة الإنسان الدنيوية بكل جوانبها لها غاية خيرة، وما معاناته في الحياة إلا خير بحسب قصدها وتوجهها، وجهده قط لن يضيع، صبراً وشكراً في الدنيا، وأجراً ومثوبة في الآخرة، ثقةً بالله وبعده وحكمته، وذلك زاد المسلم الحق في مسيرة الحياة ومواجهة عنائها وبلائها وامتحانها، فهو نفس راضية شاكرة قانعة عاملة على كل الأحوال، وما ذلك إلا لأن حياته الدنيوية لها جوانبها المتكاملة ذات الغاية الخيرة كما أن لها بُعداً أبدياً أخروبياً مأمولاً<sup>146</sup>، إن الإسلام هو الدين الذي نظر إلى الإنسان نظرة شاملة متوازنة في تكوينه على أنه مادة وروح وعقل، فلا يطغى فيها جانب على جانب.

على ضوء ما سبق بيانه؛ فإن للإنسان قيمة كبيرة، ومكانة رفيعة نوه بها القرآن الكريم وأشاد بها علماء الإسلام في كل اختصاص، فالإنسان هو المخلوق الذي كرمه الله تعالى، إن تناول الطبيعة الإنسان من خلال القرآن الكريم؛ فهو المصدر الإلهي الذي أنزله الله رب العالمين الذي خلق الإنسان، وهو الذي يعلم من أسراره ما لا يعلمه الإنسان عن نفسه، "فمكانة الإنسان في القرآن الكريم هي أشرف مكانة له في ميزان العقيدة والفكر فهو الكائن المكلف الذي يفكر ويعقل ويبصر ويتدبر وبما تهيأ له من وسائل وقدرات العقل في التبصر والتميز بين الخير والشر وذلك من جوهر إنسانيته"<sup>147</sup>.

<sup>146</sup> الرجوع السابق، ص: 178 .

<sup>147</sup> نبيه عبد الرحمن عثمان، الإنسان الروح العقل والنفس، مجلة دعوة الحق، العدد 70، السنة: 1407هـ، ص: 16.

من هنا أيضاً، تتضح القيمة القرآنية فيما يتعلق بمعرفة النفس الإنسانية، "بما يجعل القرآن الإطار الذي يوجه الإنسان في سلوكه العقلي المعرفي في الحياة، باعتبار ذلك صعوداً في درجات السلم المعرفي من جانب الإنسان الذي تعلم البيان ويسعى للمعرفة"<sup>148</sup>.

جاء القرآن الكريم بياناً وافٍ مفصل للغاية التي خلق من أجلها الإنسان، والتي ينبغي أن يتمثلها في نفسه إيماناً، ويسعى فيها عملاً، تمهيداً بذلك لأحكام أخرى مطردة تعمل بصفة مباشرة على تحقيق ما تحفظ به تلك الغاية في تصور الإنسان وعمله، "فقد جاء في القرآن الكريم أن الله تعالى خلق الإنسان لغاية، هي أن يكون خليفة في الأرض.

على ضوء ما سبق؛ الإنسان هو المحور الأساسي في البيان القرآني يدور عليه القول في سائر الأغراض، وتعود إليه المعاني في سائر المقامات، وليس في مجال الخطاب التكليفي فحسب مما يبدو بديهياً، إذ القرآن خطاب من الله تعالى للإنسان، ولكن في كل مجالات البيان للخلق الإلهي، وللعناية بالكون وما فيه، وفي كل مقامات الشرح الوجودي في مختلف الأغراض، فالإنسان في المنظور القرآني عقل وروح وجسم، كما أنه فرد يعيش داخل مجتمع، فجدير أن يكون إصلاحه شاملاً للجوانب الروحية والمادية منها والاجتماعية، كل هذه المقاصد تبين لنا معالم خصائص النفس الإنسانية في الرؤية القرآنية.

<sup>148</sup> محمد أمين جبر، الإنسان والخلافة في الأرض، ص: 187.

## المطلب الثاني: خصائص النفس الإنسانية في الرؤية القرآنية

النفس الإنسانية مكنون عميق ليس من السهل استجلاء كل بواطن الخفاء والتعقيد في جوانبها المحيرة والملهشة، "ومنهج الله دائماً يتعرض إلى مواجهة الإنسان بحقائق عن تكوينه النفسي وخاصة ما كان خافياً في مكنونها وأسرار انفعالاتها، وما زال الإنسان يجهل الكثير عن تركيب هذه النفس، والنفس البشرية هبة من الله للإنسان كرمه بها"<sup>149</sup>، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا \* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾<sup>150</sup>، لقد تشعبت مسالك الناس مع النفس ومواقفهم منها، وشغل بعضهم بالبحث عن كنهها وماهيتها حتى أعياهم البحث ولم يظفروا إلا باضطراب يزيد النفس غموضاً، ويزيد الإنسان شقاء وضلالاً، "ولم تتمكن الفلسفات المختلفة من تحقيق التوازن والانسجام في الكيان الإنساني بل زادت تشتتاً وتعاسة لانحرافها عن الفطرة وإغراقها في الخرافات والعقائد الباطلة"<sup>151</sup>.

بنظرة سريعة إلى مدارس واتجاهات علم النفس الغربي ندرك على الفور كيف أدت هذه النظرة الجزئية إلى كثير من الاختلال في تصور الإنسان وتشويه الصورة الصحيحة لكيانه المتكامل، "وهكذا تظهر المشكلة الأساسية للدراسات النفسية، إنها لا تنظر للإنسان ككل في

<sup>149</sup> عبد الرحمان عثمان، الإنسان الروح العقل والنفس، ص: 126.

<sup>150</sup> سورة الشمس، الآيات، 10\_09\_08\_07.

<sup>151</sup> أنس أحمد كرزون، منهج الإسلام في تربية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة، الدراسات العليا، 1415هـ، 1995م، ص: 01.

إطار واحد متكامل، وإنما كانت تركز في كل فترة زمنية من تاريخ علم النفس على جانب واحد فقط تسلط عليه أضواء البحث مهمة في ذات الوقت الجوانب النفسية الأخرى<sup>152</sup>.

السبب الرئيسي لما وصلت إليه نظريات علم النفس الحديث من انحراف وتخبط في مجال معرفة النفس ودراستها، أنها تغفل من حسابها توجه النفس البشرية توجهاً فطرياً إلى خالقها سبحانه، واستمدادها منه مكونات حياتها، "وتهمل تأثير الدين في رسم خطوط جوهرية في تاريخ البشر"<sup>153</sup>.

الذات الإنسانية هي ذات مركبة من عناصر وقوى متعدّدة، فهي ابتداءً تتكوّن من جسم وروح، والروح تشتمل على مجموعة من العناصر والقوى، فهي أحاسيس وغرائز ومشاعر وذاكرة وخيال وعقل مفكر، "وحفظ الذات الذي هو مقصد من مقاصد الشريعة يشمل حفظ هذه العناصر كلّها، سواء باعتبارها كلاً مجتمعاً، أو باعتبارها عناصر مميزة للإنسان عن سائر الحيوان، وبها كان الإنسان مكّافاً بمهمة الخلافة"<sup>154</sup>.

فإن الله سبحانه وتعالى خلق النفس الإنسانية "وخلق فيها استعدادات متساوية للخير والشر والهدى والضلال، وفي النفس إرادة اختيار توجه الاستعدادات الكامنة في النفس وهي قدرة خفية في كيان الإنسان ظاهرة في تصرفاته وأعماله، والقرآن الكريم يعبر عن هذه القدرة تارة

<sup>152</sup> عبد الحميد الهاشمي، علم النفس التكويني أسسه وتطبيقه، دار الهادي، القاهرة، ط2، 2005م، ص: 19 .

<sup>153</sup> سيد القطب، دراسات في النفس الإنسانية، دار الشروق، القاهرة، ط 10، 1414هـ، 1993م، ص: 25\_26 .

<sup>154</sup> عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، ط2، 2008م، ص: 112.



بالإلهام، قال تعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾<sup>155</sup>، وتارة يعبر عنها بالهداية قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾<sup>156</sup> "157"، وهكذا تكونت خصائص النفس الإنسانية وصفاتها وأحوالها، حيث نشأ هذا المخلوق المتكامل بنظام دقيق يجمع بين متطلبات الجسد ومتطلبات الروح، ويتولى العقل قيادته والإمساك بزمامه، وتتولى الفطرة توجيهه إلى خالقه، لكي يؤدي الدور والمهمة والملقاة على عاتقه إذا التزم بالمنهج الذي أمر به ولم يحد عنه"<sup>158</sup>، "لما كان الإنسان هو النفس، فإن الاهتمام بالإنسان يعني الاهتمام بالنفس ومحاولة معرفتها عن طريق دراستها وبيان طبيعتها وأخلاقها وأحوالها، خاصة وأن كثيرا من المفكرين والفلاسفة قد قالوا أن النفس هي الإنسان"<sup>159</sup>.

لذلك اتصفت النفس بأن لها أحوالاً، فهي تارة تسول وتوسوس وتغوي وتارة تلوم صاحبها على فعل الشر وتأمره بالخير، وتارة تكون في حالة بين هذا وذاك، وهذا ما سنراه تفصيلاً بعد صفحات عند الحديث عن أحوال النفس، غير أن المهم هنا بيان "الطبيعة الإنسانية التي تجعل الإنسان يميل أحياناً لشهوات الجسد، وينطلق أحياناً من هذه السيطرة مستجيباً لنداء الروح فيعود إلى فطرته الحقه، ووضعه الطبيعي الذي ميّزه الله به على سائر المخلوقات"<sup>160</sup>.

<sup>155</sup> سورة الشمس، الآية 07 .

<sup>156</sup> سورة البلد، الآية: 08 .

<sup>157</sup> عبد الرحمن عثمان، الإنسان الروح العقل والنفس، ص: 10.

<sup>158</sup> أنس أحمد كرزون، منهج الإسلام في تركية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، ص: 13 .

<sup>159</sup> سهيل فضل الله أبو وافية، الفلسفة الإسلامية في الإسلام، ص: 31.

<sup>160</sup> أنس أحمد كرزون، منهج الإسلام في تركية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، ص: 28 .

إن من أهداف الأديان السماوية كلها، وبخاصة الدين الإسلامي الخاتم تهذيب النفس الإنسانية وتربيتها على أحسن الأخلاق ومعالجة نوازعها من الشر بأسلوب متدرج يجمع بين الشدة واللين، وبين الترهيب والترغيب، وبين الوعد والوعيد، وبين بيان قيمة الدنيا والآخرة." النفس الإنسانية التي نعني بها الإنسان وفعاليته ونشاطه لها علامات وسمات كثيرة أوردها القرآن الكريم فكانت أعظم تحليل، والذي أخبرنا بذلك هو خالق النفس والعالم بكنهها وأحوالها لا يخفى عنه ظاهرها ولا باطنها، فعلم الله محيط بهذه النفس يعلم ما تسر وما تعلن، قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾<sup>161</sup> 162.

النفس في المصطلح القرآني "ذَكَرَ وَافَرَ" يشتمل على تفصيلات عن طبيعة النفس جسماً وعقلاً وروحاً، وحالات النفس: المطمئنة، واللوامة، والأمانة بالسوء، وأسرار النفس، وأمراض النفس... إلخ، مما يجد القارئ تفصيلاته في المراجع المتخصصة في هذا الموضوعات<sup>163</sup>.

الإنسان آية كبيرة من آيات الله الباهرات، وظاهرة عجيبة من ظواهر القدرة الإلهية العظيمة، تحدث عنه المؤمن الصادقون وقالوا فيه: إنه لطيفة ربانية، ونفخة قدسية، وروح من أمر الله، خلقة بيده، ونفخ فيه من روحه، وفضله على كثير من خلقة، وأسجد له الملائكة، وعلمه الأسماء كلها، وعرض عليه الأمانة فحملها، "وأسبغ عليه نعمه ظاهرة

<sup>161</sup> سورة البقرة، الآية: 77 .

<sup>162</sup> نبيه عبد الرحمان عثمان، الإنسان الروح والعقل والنفس، ص 123.

<sup>163</sup> فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فريجينا، ط1، 1441هـ، 2020م،

ص:110.

وباطنة، وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، وكرمه أعظم تكريم، فخلقه في أحسن تقويم، وأعدّه أكمل إعداد، ووهب له السمع والبصر والفؤاد، وأوضح له الطريقين، وهداه النجدين، ويسر له السبيل<sup>164</sup> .

إن "النفس البشرية سمات وصفات كثيرة أوردها القرآن الكريم كتابنا الخالد هو من لدن خالق النفس ومبدع تكوينها، فكان ما جاء به القرآن الكريم تحليل للنفس"<sup>165</sup> . "لكن منهج الله الخالق لهذه النفس يتعرض دائماً إلى مواجهة الإنسان بحقائق عن تكوينه النفسي، والنفس هبة من الله للإنسان كرمه بها بهذه النفس ارتقى الإنسان وسما بمكانته بين سائر المخلوقات"<sup>166</sup> .

إن النفس الإنسانية أولها القرآن الكريم عناية وأهمية فائقتين، إذ بالنفس كان الإنسان إنساناً، فإذا هذبت وأصلحت بالتوجيهات الإلهية والتعاليم الربانية سعد صاحبها في الدارين، وإذا أهملها وانساق خلف شهواته ورغباته وغرائزه خسر الدنيا والآخرة، "ومن أجل هذا اعتنى القرآن الكريم بها عناية عظيمة فكانت إشارات إلهية تتسم بالشمولية المتكاملة، والمنتبع للفظه النفس في القرآن الكريم يقف عليها مترددة بصيغ مختلفة، وذلك حسب موقعها في النظم الحكيم"<sup>167</sup> .

<sup>164</sup> محمد الصالح الصديق، القرآن في محيط العقيدة والإيمان، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2002م، ص: 44 .

<sup>165</sup> عبد الرحمن عثمان، الإنسان الروح العقل والنفس، ص: 09 .

<sup>166</sup> المرجع السابق، ص: 08 .

<sup>167</sup> موصدق خديجة، خطاب النفس الإنسانية في القرآن الكريم: حقيقته ومقاماته ومقاصده، ص: 40-41 .

قد شاءت حكمة الله سبحانه أن يكون للنفس البشرية قابلية التوجه للخير أو الشر، وأن تتميز بخصائص وصفات تتجلى فيها بدائع قدرة الله سبحانه في خلقه، "فالنفس تلين وتقسو، وتفرح وتأسى، وتصبر وتجزع، وترتدع وتكابر، وتحس وتتبدل، وتأمين وترهب، وفيها دقائق وأعماق، ولها أحوال وتقلبات"<sup>168</sup>.

قد أطلقت النفس في القرآن الكريم على شيء في داخل كيان الإنسان، "جامع لكثير من الصفات والخصائص الإنسانية، التي لها آثار ظاهرة في السلوك الإنساني، ولئن كانت ذات هذا الشيء وحقيقته غير معلومة على وجه التحديد لدى الناس، إلا أن كثيرا من صفاته وخصائصه وآثاره الظاهرة في السلوك مدركة معلومة، وموصولة بالشعور الظاهر لدى الإنسان السليم"<sup>169</sup>، "ومع الإطلاق القرآني لكلمة النفس، وردت عدة صفات وبيانات، توضح جملة من خصائص النفس وصفاتها وآثارها في السلوك، وهذه تكشف عن المراد من النفس في داخل كيان الإنسان"<sup>170</sup>.

قد وردت النفس في القرآن الكريم في مواضع عديدة، وتعددت معانيها بحسب سياق الآيات الكريمة الواردة فيها، ولكن يمكن إجمال هذه المعاني في المجالات الخمسة التالية:

<sup>168</sup> أنس أحمد كرزون، منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، ص: 01 .

<sup>169</sup> سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، دار الفكر العربي، دمشق، ط01، 1421هـ، 2000م، ص: 96.

<sup>170</sup> المرجع السابق، ص: 96.

1\_ النفس بمعنى الروح: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ﴾<sup>171</sup> .

2\_ النفس بمعنى الإنسان كله روحاً وجسداً: ومنه قوله تعالى: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾<sup>172</sup> .

3\_ النفس بمعنى القوى المفكرة في الإنسان، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَجَعَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنَتَهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾<sup>173</sup> .

4\_ النفس بمعنى القلب، وما يتصل به من الصدر والفؤاد وغيرهما، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾<sup>174</sup> .

5\_ النفس بمعنى قوى الخير والشر في الإنسان: وهذه النفس لها صفات وخصائص كثيرة، فهي تحب وتكره، وتسول وتوسوس وتتوي، كما ترشد صاحبها إلى طريق الخير وتلومه على فعل الشر، ولهذه النفس آثار ظاهرة في السلوك الإنساني.

معظم آيات القرآن الكريم التي ورد فيها ذكر النفس يقصد بها هذا المعنى، ومن ذلك

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾<sup>175</sup> ، وقوله سبحانه: ﴿ وَأَمَّا

<sup>171</sup> سورة الأنعام، الآية: 93 .

<sup>172</sup> سورة لقمان، الآية: 28 .

<sup>173</sup> سورة النمل، الآية: 14 .

<sup>174</sup> سورة الأعراف، الآية: 205 .

<sup>175</sup> سورة ق، الآية: 16 .

مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿١٧٦﴾، وقوله عز وجل: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ  
 اللَّوَّامَةِ﴾<sup>177</sup>، "ولو شاء الله سبحانه لجعل لجميع النفوس طريقاً واحداً، وهو طريق الهدى،  
 لكن إرادة الله اقتضت أن لا يكون الإنسان مجبوراً على فعل شيء بل جعل فيه طبيعة  
 خاصة يملك معها الهدى والضلال، ويؤدي دوره في هذا الكون بهذه الطبيعة الخاصة التي  
 فطره الله عليها"<sup>178</sup>، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾<sup>179</sup>.

من خلال الآيات القرآنية التي ورد فيها الحديث عن النفس الإنسانية وصفاتها وأحوالها  
 يتبين أن هناك ثلاثة أحوال للنفس وهي: "النفس الأمانة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس  
 المطمئنة، النفس الأمانة بالسوء: تميل عن طبيعة الفطرة التي فطرها الله عليها، لأنها تأمر  
 صاحبها بالشر وتسوّل له الإقدام على فعله، وتخزي بارتكاب المحرمات، وقد ورد الحديث  
 عن هذه الحالة من حالات النفس في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ  
 إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>180</sup>.

قد عزّف الجرجاني النفس الأمانة بقوله: "هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية، وتأمر  
 بالذات والشهوات الحسية، وتذب القلب إلى الجهة السفلية، فهي مأوى الشرور ومنبع  
 الأخلاق الذميمة"<sup>181</sup>، فالنفس تميل لتكون أمانة بالسوء إلا التي رحمها الله وحفظها فارتقت

<sup>176</sup> سورة القيامة، الآية: 40 .

<sup>177</sup> سورة القيامة، الآية: 02 .

<sup>178</sup> السيد قطب، في ظلال القرآن، ج 5، ص: 2811 .

<sup>179</sup> سورة السجدة، الآية: 13 .

<sup>180</sup> سورة يوسف، الآية: 53 .

<sup>181</sup> علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، ط 1، 1413هـ، ص: 243 .

وسمت، وقد ختمت الآية الكريمة التي ذكرت النفس الأمارة بقوله تعالى: { إن ربي غفور رحيم } أي عظيم المغفرة لمن تاب ورجع عما يعتري نفسه من الأمر بالسوء والحض عليه، وبين الإمام ابن القيم خطر النفس الأمارة بالسوء بقوله: " أما النفس الأمارة فالشيطان قرينها وصاحبها، فهو يعدها ويمنيها ويقذف فيها الباطل ويأمرها بالسوء ويزينه لها في صورة تقبلها وتستحسنها، ويمدها بأنواع الإمداد والباطل من الأمانى الكاذبة والشهوات المهلكة ويستعين عليها بهواها وإرادتها، فمنه يدخل عليها كل مكروه"<sup>182</sup>، ولذلك استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرور النفس أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول: " إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا"<sup>183</sup> .

النفس اللوامة؛ من فضل الله سبحانه أن النفس ترتقي إلى حالة تعود فيها إلى فطرتها النقية وتزول عنها غشاوة المعصية فتلوم نفسها على فعلها وتدعو صاحبها للتوبة، أو تحذره من الوقوع في المعاصي قبل أن يقع، وقد ورد ذكر هذه الحالة من حالات النفس في قوله تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِبَيْومِ الْقِيَامَةِ \* وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾<sup>184</sup>، فالله سبحانه أقسم بهذه النفس تعظيماً لشأنها كما أقسم بيوم القيامة، وقد نقل الإمام القرطبي "أن هذه النفس هي نفس المؤمن الذي لا تراه إلا يلوم نفسه، يقول: ما أردتُ بكذا؟ فلا تراه إلا وهو يعاتب

<sup>182</sup> ابن القيم الحوزية، الروح، حققه: محمد اسكندر يلدا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1402هـ، 1986م، ص: 228 .

<sup>183</sup> رواه أبو داود، باب ما جاء في خطبة النكاح، ج 02، ص: 256، رقم 2118 .

<sup>184</sup> سورة القيامة، الآيتان، 02\_01 .

نفسه<sup>185</sup>. قال الجرجاني في تعريفه للنفس اللوامة: "هي التي تنورت بنور القلب، قدر ما تنبعت به سنة الغفلة، كلما صدرت عنها سيئة بمحكم جبلتها الظلمانية، أخذت تلوم نفسها"<sup>186</sup>، فالنفس اللوامة تكبح جماح النفس الأمانة وتصرفها عن الشر، ولا شك أن هذا يحتاج إلى قوة تتحكم في النفس وإيمان يضبط الغرائز ويزنها بميزان الشرع.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في حديثه عن النفس اللوامة: "هي التي لامت نفسها في طاعة الله، واحتملت ملام اللائمين في مرضاته، فلا تأخذها فيه لومة لائم، فهذه قد تخلصت من لوم الله، وأما من رضيت بأعمالها ولم تلم نفسها ولم تحتل في الله ملام اللوام، فهي التي يلومها الله عز وجل"<sup>187</sup>.

النفس المطمئنة؛ هي أعلى درجات النفس، فهي نفس اطمأنت بإقامتها على طاعة الله، فسلمت بوعده ورضيت بقضائه وتوكلت عليه، وذاقت حلاوة الإيمان فلم تعد ترضى به بديلاً، واستشعرت لذة المناجاة بين يدي الله سبحانه فلم تعد تشغلها عن طاعة ربها مغريات الحياة ولا تصدها عن زينتها وقد ذكر هذه الحالة من حالات النفس في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً \* فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴾<sup>188</sup>، فهي نفس زكية ثابتة مع الحق، لا يعتربها صراع ولا تخبط ولا قلق ولا

<sup>185</sup> أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1467هـ، 2006م، 19، ص: 92\_93 .

<sup>186</sup> علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، ص: 243 .

<sup>187</sup> ابن القيم الجوزية، الروح، ص: 226 .

<sup>188</sup> سورة الفجر، الآيات: 27\_28\_29\_30 .



اضطراب، لأنها أدركت طريق سعادتها ورضيت به، ولذلك يقال لها: { ارجعي إلى ربك راضية مرضية}، فقد رضيت عن الله ورضي الله عنها وأرضاها، ولذلك تبشر بمقعدتها من الجنة ويقال لها: { فادخلي في عبادي وادخلي جنتي} "وتأتيها البشارة هذه في مواضع ثلاثة: عند الاحتضار وعند الحشر وعند دخول الجنة"<sup>189</sup>، قال الجرجاني في تعريفه للنفس المطمئنة: "هي التي تم تتورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالأخلاق الحميدة"<sup>190</sup>، والوصول بالنفس الإنسان إلى هذه الحالة هي الثمرة الكبرى لتزكية النفس، وهذه التزكية لها أسسها ووسائلها ومعوقاتهما كما سنرى بالتفصيل في ثنايا هذا البحث إن شاء الله.

خصائص الروح النورانية في طبيعة النفس البشرية في المنظور القرآني مختلفة عن غيرها لأن الإنسان ليس آلة وليس حيوانا، وإنما هو خليفة الله في الأرض لاستعمارها والكبح فيها من أجل البقاء، والحفاظ على النوع وبناء مستقبل مدني وحضاري متقدم في إطار توجيه هدى الله الآتي للإنسان فيما نعرف من رسالات الأنبياء والرسل المصطفين، والذين يأتي خاتمهم بصورة الهدى الكامل المكنم، يتجلى ذلك في "استعادة التوازن في الرؤية الإنسانية للمادي والروحي: أساس التوازن بينهما تقدير كل منهما بمدى إسهامه في تحقيق الخير

<sup>189</sup> ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ج4، ط2، 1420هـ، 1999م، ص: 510 .

<sup>190</sup> علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، ص: 243 .

الإلهي الأسمى، فلب السلام الإسلامي هو التغيير من إقامة حياة أفضل لكل البشر مؤسسة على عملٍ صالحٍ بنيةٍ خالصة لله<sup>191</sup>.

إن لنفس الإنسان جوانب ثلاثة: معرفية، وتحقق: بوجود العقل البشري، وسلوكية: وتكون نتاج عمل العقل البشري ونزعات النفس، وروحية: تشكل الرابط بين العقل والسلوك الباعث للحركة والحياة في الجسد، وإذا وُجد أي خلل في أي جانب من هذه الجوانب الثلاثة ينحرف الإنسان عن الهدف من وجوده، ويتشبث بالعبثية في الحياة، فتصبح لا قيمة لها، "ولذا كان لا بد منهج واضح لتغيير النفس نحو ما أمر الله تعالى به، ليضمن سلامة كل الجوانب كما يريد الله تعالى لعباده"<sup>192</sup>.

إن الإسلام دين المثل الكامل الذي نزله الله للبشر، "هو المنهج الحق الذي أراد لهم في الحياة وهو طريق الإلتزام الذي يلبي فيهم هواتف الروح، وأشواق البدن، وضرورات العيش، ومقتضيات المجتمع، وأحاطهم بكل ما فيه أمنهم وسلامتهم ورشادهم في حنايا النفس ورحاب المجتمع"<sup>193</sup>.

الإسلام في مفهوم وحدة كيان الإنسان، لا يرى تعارضاً بين البُعد الفردي في حياته والبُعد الجماعي، فكلاهما حقيقة في كيانه وحاجته، وكل له دوره وأبعاده وآثاره، وهي في حياته حقيقة مادية ومعنوية، فالجماعة الإنسانية معنى ومادة لا وجود لها إلا بأفرادها، كما

<sup>191</sup> السيد عمر، الأنا والآخر من منظور قرآني، دار الفكر، دمشق، ط 01، 1429هـ، 2008م، ص: 74.

<sup>192</sup> تحاني عفيف يوسف جابر، منهج القرآن الكريم في التغيير الفردي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط1، 1436هـ، 2015م، ص: 19.

<sup>193</sup> أحمد عبد الرحيم السايح، فلسفة الحضارة الإسلامية، ص: 75 .

أن الفرد لا وجود ولا بقاء له إلا بالجماعة الإنسانية، والوجود الإنساني مادي ومعنوي هو نتيجة لهذين البعدين، والإنسان وجود يتميز بهذه المميزات التي هي ثمرة لما أودعه الله من فطرة من عقل وإدراك وضمير وإرادة.

فالله سبحانه الذي خلق الإنسان وكرّمه لم يدعه يتخبط في هذه الحياة بلا منهج ولا دليل، وإنما بيّن له طريق الهداية ليسير عليه وحدّره من طريق الضلال ليبعد عنه، "وفي ذلك صلاح نفسه وسعادتها في الدنيا والآخر، وكلما ازداد تمسكاً بطاعة الله سبحانه واستجابة لأمره كان تحقيقه بمعاني الإيمان أكبر حتى يترقى في الدرجات في تزكية النفس"<sup>194</sup>.

الإمكانات لإصلاح النفس البشرية على نحو يضمن تحقيق كل الحاجات الروحية والمادية للشخصية الإنسانية التي وردت الإشارة إلى ملامحها في ما تقدم، ويستطيع المنظور الديني للعالم القيام بذلك من خلال جعل الحياة ذات معنى وغرض، وتصويب الجهد الإنساني نحو الوجهة الصحيحة، وتحويل الأفراد إلى صنف أفضل من البشر عبر تغيير سلوكهم، وأنماط حياتهم، وأذواقهم، وخياراتهم، ومواقفهم فيما يخص أنفسهم وخالقهم وغيرهم من البشر وما لديهم من موارد وبيئة.

على ضوء ما سبق بيانه؛ يمكن القول "إن الطاقات المودعة في النفس الإنسانية، أثبتتها القرآن الكريم، كما قرر إمكانية توجيهها بما فيها من المرونة ما يستطيع به صاحبها

<sup>194</sup> أنس أحمد كرزون، منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، ص: 02.

أن يوجهها للخير أو الشر، الفهم الواعي المدرك للهداية الصحيحة، يوجه النفس للخير"<sup>195</sup>.  
ويظهر من متابعة النصوص القرآنية أن النفس قد أطلقت في القرآن على شيء هو داخل  
كيان الإنسان، يشتمل على كل الصفات والخصائص التي تكونت منها ماهيته، دون النظر  
إلى الهيكل الجسدي الذي هو وعاء لها"<sup>196</sup>.

لقد وصف القرآن الكريم أحوال النفس البشرية وسلوكها، "فهي إما نفس ضعيفة تنقاد  
إلى الحس الظاهري وتميل إلى الغرور والتعالي والأنانية، وليس للقيم والمبادئ في داخلها  
من وجود، إنها نفس شريرة لا تسكن ولا تهدأ تزهد في الشهوة"<sup>197</sup>، أما النفس التي لا ترى  
غير الفضيلة مبدأ ولا تختار غيره طريقاً ومسلماً، ومتوكله مطمئنة لقضاء الله خالقها، راضية  
بما رزقها من خير أو شر تجاهد دائماً نحو الخير، إنها النفس المطمئنة"<sup>198</sup>.

الخلاصة المركزة التي يمكن أن نعيها من القرآن الكريم حول النفس الإنسانية، هي  
خلاصة تتعلق بما يتصل بالخواطر والوساوس والهواجس والأحاسيس من فرح وحزن ووحشة  
وانقباض وانبساط وارتجاف واطمئنان، وقلق واضطراب وما إلى ذلك كله مما سجله العلماء  
بعد طول معاناة ودراسة وتأمل وبحث واستقصاء، وتتعلق الخلاصة أيضاً "بأمراض وعلل  
النفس ألوان قصورها وأوجه قوتها ونشاطها وكماالاتها وأنماط علاجها وصحتها وعافيتها"<sup>199</sup>،

<sup>195</sup> عابد توفيق الهاشمي، مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة، دار الفرقان، الجزائر، ط1، 1402هـ، 1982م، ص: 32.

<sup>196</sup> عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط5، 1420هـ، 1999م، ص: 215 .

<sup>197</sup> عبد الرحمان عثمان، الإنسان الروح العقل والنفس، ص: 09.

<sup>198</sup> المرجع السابق، ص: 09.

<sup>199</sup> ناهد الخراشي، النفس الإنسانية في القرآن الكريم، مجلة المعارف، العدد 162، السنة: 1434هـ، 2013م، ص: 158.

"إن طبيعة النفس الإنسانية في القرآن تقوم على أساس تفرد الإنسان في هذا الكون من حيث طبيعة التكوين والتركيب والغاية والمصير، هذا المخلوق خلق بطريقة خاصة ومقصودة حددت وظيفته وجعلت هناك غاية لوجوده"<sup>200</sup>.

وهكذا تكونت خصائص النفس الإنسانية وصفاتها وأحوالها، ونشأ هذا المخلوق المتكامل بنظام دقيق يجمع بين متطلبات الجسد ومتطلبات الروح، ويتولى العقل قيادته والإمساك بزمامه، وتتولى الفطرة توجيهه إلى خالقه، لكي يؤدي الدور والمهمة الملقاة على عاتقه إذا التزم بالمنهج الذي أمر به.

### **المطلب الثالث: محددات إنسانية الإنسان في القرآن الكريم**

إنّ عصرنا الحديث بما فشا فيه من فلسفات مادّية قد شهد انتهاكات كبيرة لمعنى إنسانية الإنسان، ولقيمة هذا المعنى وعناصر تكوينه، إذ قد انتهكت فطرته بمذاهب لا ترى فيه فطرة ثابتة، حيث جعلت الإنسان يصنع هويته بنفسه كما في الفلسفة الوجودية، التي انتهكت كرامته، فتعرض للظلم والقهر، "وانتهك معنى الغائية في حياته، فظهرت فلسفات عدمية تقوم على اعتبار الحياة الإنسانية قائمة على العبثية، وانتهكت حرّيته بالاستبداد والقهر السياسي"<sup>201</sup>.

وهكذا فإنّ الإنسان يتعرض لانتهاكات قاسية في عناصر كثيرة من العناصر المكوّنة لمعنى الإنسانية فيه، فهذا شعار تكشف الأحداث يوماً بعد يوم عن مقدار كبير من الزيف

<sup>200</sup> فايز الربيع، وقفات مع الإنسان في القرآن، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1431هـ، 2010م، ص: 283.

<sup>201</sup> عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: 51.

فيه، "وهكذا نرى أن الإنسانية جمعاء تتطلع إلى مناهج معرفية جديدة بديلة عن المناهج المعرفية الغربية، تمكن من معالجة الإنسان كإنسان آدمي، له خصوصياته التي تميزه، إنه ليس غير النظام المعرفي القرآني نظاماً قادراً على إعادة الاعتبار للإنسان كإنسان، وإنقاذه من حياة الاغتراب واللامعنى إلى حياة الغائية والقصدية"<sup>202</sup>.

إنّ البيان القرآني الذي حدّد الطبيعة التي خُلق عليها الإنسان، والمهمّة التي خُلق من أجلها يكون قد حدّد أيضاً قيمة الحياة الإنسانية تحديداً معيارياً يتبيّن به كيف يمكن أن ترتفع حياة الإنسان لتكون حياة إنسانية حقاً، وكيف يمكن أن تنزل لتلتحق بحياة ما دون الإنسان من سائر الموجودات، "الإنسان تحصل له الإنسانية بقدر ما تحصل له العبادة التي من أجلها خُلق، فمن قام بالعبادة حق القيام فقد استكمل الإنسانية، ومن رفضها فقد انسلخ من الإنسانية فصار حيواناً ودون الحيوان"<sup>203</sup>.

إذا أراد الإنسان بناء ذاته، فعليه أن "يبني ذاته الإنسانية ويرببها، لا أن يبني الذات الحيوانية أو الجسدية، وهذا كان هدف الأنبياء أيضاً، حيث كانوا يريدون توجيه الإنسان لبناء وتقوية الجهة الإنسانية"<sup>204</sup>؛ "الإنسانية: التي تدفع في اتجاه التكافل والتعاون والتعارف

<sup>202</sup> محمد الناصري، القرآن الكريم ومنجته المعرفية البديلة، ص: 369 .

<sup>203</sup> المرجع السابق، ص: 60.

<sup>204</sup> ابراهيم الأميني، تزكية النفس وتهدئتها، دار البلاغة للنشر والتوزيع، بيروت، ط 4، 1421هـ، 2000م، ص: 14 .

والتدافع السلمي بدل الصراع والصدام لوحدة الأصل والمصالح وحتى الهموم والمشكلات البشرية<sup>205</sup>.

إن هذا الاتجاه الإنساني، ظاهر في تعاليم الإسلام، وتوجيهاته في القرآن الكريم، الذي يصرح بأن الإنسان هو خليفة الله في الأرض، "القرآن الكريم حين يتحدث عن الإنسان، فإنه يتحدث عن الإنسان حديثاً يملأ الصدر بدفء الأمل، وسعة الرجاء، ويفتح صفحات مشرقة للوجود"<sup>206</sup>.

فالإنسان مخلوق ضعيف، كما يصفه الله تعالى، في مكوناته النفسية، وليس لضعفه من دواء سوى تساميه الروحي الذي توفره له ذاته فيما يكون لها من تواصل حقيقي مع سبب وجودها، وعلة الفيض عليها، "إنها روح الإنسان وحقيقته وسر تمايزه، وما لم تكن أفعال الإنسان وحضوره تعبيراً عن الإنسانية، فلن يكون الإنسان إنساناً، وإنما هو إنسان بصورته لا بمادته"<sup>207</sup>، "لأن الإنسان لا تنحصر ذاته في النفس، بل تتعدى إلى الروح، ولا تنحصر رؤيته في البصر، بل تتعدى إلى البصيرة؛ فإذا كان يحيا بنفسه في العالم المرئي، فإنه يحيا في العالم الغيبي"<sup>208</sup>.

<sup>205</sup> سعيد سبار، الثقافة والعمولة وقضايا إصلاح الفكر والتجديد في العلوم الإسلامية، مركز دراسات المعرفة والحضارة، دار الإنماء الثقافي، الرباط، ط 01، 2014م، ص: 93 .

<sup>206</sup> عبد الرحيم السايح، فلسفة الحضارة الإسلامية، ص: 21 .

<sup>207</sup> فرح موسى، الإنسان والحضارة في القرآن الكريم بين العالمية والعمولة، دار الهادي ، بيروت، ط1، 1424هـ، 2003م، ص: 31.

<sup>208</sup> طه عبد الرحمن، روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2013م، ص: 24\_25.

الإنسانية "من أسلافها إلى أعقابها أسرة واحدة لها نسب واحد، وإله واحد، أفضلها من عمل حسنا، واتقى سيئا، والإنسان مسئول عن عمله، ولا يؤخذ فرد بوزر فرد ولا أمة بوزر أمة"<sup>209</sup>، قال تعالى: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ لَهَا نَسَبٌ وَآلٌ مِمَّنْ وَبُزُرٌ وَوَزُرٌ ۖ وَالْأُمَّةُ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ ۖ﴾<sup>210</sup>، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ﴾<sup>211</sup>، ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>212</sup>.

النوع الإنساني الذي تنتهي شعوبه، وقبائله، إلى أسرة كبيرة، يجمعها التعارف هو كذلك حقيقة حية ، والإسلام لا يهدم شيئا من كيان الاجتماع الذي استفاد بنو الإنسان من أطوار حياتهم الاجتماعية في الحقب الطوال، لأن المفهوم من سير الهداية الإلهية كما يسردها القرآن الكريم: "أن حياة النوع الإنساني، تاريخ متصل يتم بعضه بعضا، وينتهي إلى التعارف بين الشعوب والقبائل، في أخوة عامة لا فضل فيها لقوم على غيرهم إلا بالعمل الصالح، ولهذا يحرص الإسلام على كيان الاجتماع في الشخصية الفردية وفي الأسرة، وفي الإيمان بوحدة النوع"<sup>213</sup>، "مجال الإنسانية حديث عن مقصد التعارف والتعاون والتكامل، ومقصد تحقيق السلام العالمي القائم على العدل، ومقصد الحماية الدولية لحقوق الإنسان ومقصد نشر دعوة الإسلام"<sup>214</sup>.

<sup>209</sup> عبد الرحيم السايح، فلسفة الحضارة الإسلامية، ص: 16.

<sup>210</sup> سورة الطور، الآية: 21 .

<sup>211</sup> سورة فاطر، الآية: 18 .

<sup>212</sup> سورة البقرة، الآية: 134 .

<sup>213</sup> عبد الرحيم السايح، فلسفة الحضارة الإسلامية، ص: 14.

<sup>214</sup> عبد الرحمن العضراوي، مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي، ص: 341 .



إن هذا الاتجاه الإنساني، ظاهر في تعاليم الإسلام، وتوجيهاته "والقرآن الكريم يصرح بأن الإنسان هو خليفة الله في الأرض، والقرآن الكريم حين يتحدث عن الإنسان، فإنه يتحدث عن الإنسان حديثاً يملأ الصدر بدفء الأمل، وسعة الرجاء، ويفتح له صفحات مشرقة للوجود"<sup>215</sup>، "الذي أعطى الإنسان مؤهل السيادة الشامل خاصة إنسانية لا يشارك الإنسان فيها غيره، وقوله: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾"<sup>216</sup>، فيه دعوة للنظر والتأمل والبحث واستنباط العبرة، وهذا عمل إنساني وليس عملاً بشرياً"<sup>217</sup>.

"إن الإسلام دين الفضائل العليا، والقيم الرشيدة، التي يرمي بها إلى تكوين النفس وبناء الفرد، وتشكيل المجتمع، على نحو يتناسب ومنهج الحياة المتكامل الذي جاءنا به الحق عز وجل"<sup>218</sup>، إن الإسلام دين المثل الكامل الذي نزله الله للبشر، وهو المنهج الحق الذي أراد لهم لينهجو، ويحيوا في إطاره، وهو إن التزموا به، لبي فيهم هواتف الروح، وأشواق البدن، وضرورات العيش، ومقتضيات المجتمع، وأحاطهم بكل ما فيه أمنهم وسلامتهم ورشادهم"<sup>219</sup>.

القرآن الكريم هو المصدر الرئيسي للإسلام، ويشتمل على الكثير من الضوابط والمعايير التي تحقق للإنسان إنسانيته، تقييم عند تمييز الخبيث من الطيب، والفاقد من الصالح، وهذه الإنسانية هي التي تضبط سير الحياة لتستقيم الأمور، وهذه المعايير التي

<sup>215</sup> عبد الرحيم السايح، فلسفة الحضارة الإسلامية، ص: 21 .

<sup>216</sup> سورة الطارق، الآية: 05 .

<sup>217</sup> سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص: 82.

<sup>218</sup> أحمد عبد الرحيم السايح، فلسفة الحضارة الإسلامية، ص: 75 .

<sup>219</sup> المرجع السابق، ص: 75 .

يوزن بها العمل الإنساني، فالقرآن الكريم رسالة الله إلى البشر، وفي ثناياه نظام شامل وتشريع كامل ومنهج واقعي يراعي إنسانية الإنسان بما تحققه تعاليمه من توازن بين متطلبات الروح والجسد وبين مصالح الفرد والمجتمع، منهج أمثل يقود الإنسانية إلى الخير ويسعى بها إلى الفلاح ويضمن لها السعادة في الدنيا والآخرة، هذه هي وظيفة القرآن الكريم الأساسية ومقاصده الكلية في الحياة، أن يؤسس وعي الإنسان بمعالم إنسانيته كامنة فيه.

إننا سنحاول إبراز المفهوم الإنساني كما يصوره القرآن الكريم من أجل إيجاد تصور لإنسانية قرآنية التصور شاملة، "مستمدة من المنبع الإسلامي الأصيل، والحديث فيها يتصل بمجالات عديدة للمعرفة الإنسانية"<sup>220</sup>، "وقد تحدث القرآن الكريم في كثير من آياته، بل في معظم آياته، عن النموذج الإنساني الذي يريد بناءه، بدءاً من أول سورة نزلت وانتهاءً بآخرها، خاصة وأنه جعل للإنسان في منتهى هذه الحياة طريقين لا ثالث لهما، إما الجنة أو النار، وقد ضمنت الجنة لذلك الإنسان النموذج، فأى نموذج يريد القرآن للإنسان"<sup>221</sup>.

أما الإنسانية كمصطلح قرآني فهو يعني الخصائص العليا التي يتمتع بها بنو آدم ولا توجد عند الكائنات الحية الأخرى، "فكل ما هو مشترك بين الإنسان والحيوان من أحوال وخصائص ليس من الإنسانية، ونكاد لا نجد آية قرآنية تستخدم كلمة إنسان إلا ويكون موضوع الآية الرئيسي هو خاصية من خصائص الإنسان التي ينفرد بها عن الحيوان"<sup>222</sup>.

<sup>220</sup> محمد أمين جبر، الإنسان والخلافة في الأرض، ص: 21.

<sup>221</sup> أحمد بوعود، الإنسان في القرآن: دراسة فلسفية مقارنة، ص: 147.

<sup>222</sup> سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص: 82.

فإبراز خصائصه الإنسانية، وإخراج ما أودع الله فيها على سبيل الاستعداد والإمكان إلى حيّز الفعل والسلوك الملاحظ الملموس، "وتهذيب سلوكه وتبليغه مستوى النمو أو الكمال المستعد له، وتهينته لدور الخلافة في الأرض ولتحمل أعباء مسؤوليات هذه الخلافة والوفاء بالتزاماتها"<sup>223</sup>، "فاهتمام الإسلام بالإنسان، فيه ترسيخ معنى الإنسانية العام في نفس المسلم الذي يقرأ القرآن، ويستمتع إليه، ويعمل به كما أن هذا كله يبين وحده الجنس البشري، والقرآن الكريم لا يخاطب العرب فقط، ولا قومية معينة ولا شعباً معيناً، بل يخاطب الإنسان بوجه عام"<sup>224</sup>.

إن القرآن الكريم ينظر إلى الإنسانية عامة، نظرة التكريم والاحترام، "ويرتب على ذلك حقوقاً عامة لجميع البشر، فالعدل، الرحمة، والمساواة، في الحقوق والواجبات أمور يفرضها الله للناس، ما لم يكن اعتداء، وخروج على سنن الله"<sup>225</sup>، الذي أعطى الإنسان مؤهل السيادة الشامل خاصة إنسانية لا يشارك الإنسان فيها غيره.

استعمل القرآن الكريم كذلك كلمة البشر، للدلالة على الجنس الإنساني الواحد وقد استعملت هذه الكلمة، في أكثر من خمس وثلاثين آية، كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾<sup>226</sup>، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ

<sup>223</sup> عمر التومي الشيباني، مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط1، 1987م، ص: 276.

<sup>224</sup> أحمد عبد الرحيم السايح، فلسفة الحضارة الإسلامية، ص: 13.

<sup>225</sup> المرجع السابق، ص: 09.

<sup>226</sup> سورة ص، الآية: 71.

رَبُّكَ قَدِيرًا<sup>227</sup> وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ

تَنْشُرُونَ ﴾<sup>228</sup>، ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾<sup>229</sup>، إن القرآن الكريم جاء كما

يفهم من النصوص القرآنية، "ليقيم بين البشر جميعا رابطة الإنسانية، القائمة على ارتباط البشر جميعا بالله الخالق جل وعلا"<sup>230</sup>.

مما يثبت معه أن الإنسانية تختلف عن البشرية وإن كانت الإنسانية والبشرية يجتمعان في كائن واحد وذات واحدة هي الذات الأدمية، "ولكن البشرية هي أحوال آدمية تتناظر مع الحيوانية أو هي تكاد تكون في مستواها، بينما الإنسانية هي حالات عليا وسامية لبنى آدم، أو هي خصائص ترتفع بابتعاد آدم إلى مستوى وجودي أرفع وأكرم من مستوى الحيوان، فالابتلاء والمسئولية والجزاء والعلم والسيادة والبيان والحرية وغير ذلك كلها إنسانية، وليست خصائص بشرية"<sup>231</sup>، لقد "اعترف الإسلام بأن للإنسان مطالب، روحية، وعقلية وبدنية، حيث نظّمها لتحقيق له أفضل الحياة، الإنسان في داخل نفسه، ومع حاجاته الذاتية الروحية، والعقلية، والبدنية"<sup>232</sup>.

أخبر الله سبحانه بوحدة أصل الإنسانية في جملة من آيات كتابه منها قوله تعالى: ﴿ يَا

أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

<sup>227</sup> سورة الفرقان، الآية: 54 .

<sup>228</sup> سورة الروم، الآية: 20 .

<sup>229</sup> سورة إبراهيم، الآية: 11 .

<sup>230</sup> عبد الرحيم السايح، فلسفة الحضارة الإسلامية، ص: 20 .

<sup>231</sup> سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص: 83 .

<sup>232</sup> عبد الرحيم السايح، فلسفة الحضارة الإسلامية، ص: 14 .

وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿٢٣٣﴾، حيث ظل

الإنسان هو المحور الأساسي في البيان القرآني يدور عليه القول في سائر الأغراض، "وليس مناط إنسانية الإنسان كونه منتمياً إلى فصيلة الإنس، كما أنه ليس ذلك كونه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، وإنما الإنسانية في الارتقاء إلى الدرجة التي تؤهله للخلافة في الأرض" <sup>234</sup>.

فالإنسانية على امتداد الزمان والمكان، واختلاف الألسن والأعراف والألوان، تؤول بمقتضى هذه الآية إلى أصل واحد "هي النفس التي منها تناسلت فروعها، ويجمع بين هذه الفروع الإنسانية علاقة أصيلة ثابتة، اقتضاها الأصل الواحد، وهي علاقة الرحم الآدمية، بغض النظر عن الدين والعرق واللون والحضارة، وينبغي النظر إلى هذه العلاقة بما تستوجبه من حقوق تتعين مراعاتها، تحت طائلة الحساب الأخروي" <sup>235</sup>، كما نفهم من قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢٣٦﴾.

إن قاعدة الحياة الإنسانية الصالحة لا تستمد إلا من مصدر يقوي لدى الإنسان مسار الوجوب نحو الحياة الإنسانية الصالحة، ويعين الحدود المعقولة لمثل هذه الغائية، مغذياً

<sup>233</sup> سورة النساء، الآية: 01

<sup>234</sup> سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص: 84.

<sup>235</sup> محمد رفيع، القرآن وقيم المشترك الإنساني، مجلة دعوة الحق، العدد 70، السنة: 1407هـ، 1987م، ص: 85.

<sup>236</sup> سورة الحجرات، الآية: 13.

الأفعال الإنسانية بدلالات حية تحملها نحو النهوض بالصلاح، مثل هذه الوظيفة لن يؤديها إلا دين قويم، مقاصده صلاح الإنسان في الدنيا والآخرة.

معنى الإنسانية في الإنسان، وما يتميز به عن غيره من المخلوقات، "معنى غائية الحياة، وهو ذلك المعنى الذي يجده الإنسان في نفسه بحسب الفطرة من أن لحياته غاية، ولوجوده معنى مستقبلي، وهذا المعنى لا تخلو منه نفس بشرية، مهما يكن المدى الذي تمتد إليه غاية الحياة في النفوس طويلاً وقصراً في الزمن، وقوة وضعفاً في المعنى، ولعل من شواهد ذلك أننا لا نجد إنساناً إلا وهو يدخر من يومه لغده، ومن حاضره لمستقبله، مهما اختلفت أنواع المدخرات في طبائعها وأحجامها ومناهجها وآمادها"<sup>237</sup>، وهي "المصلحة الإنسانية الضامنة للفلاح الإنساني معنى ومادة دنيا وآخرة، فأحكام الشرع عبادات ومعاملات منزهة عن العبث بكونها معللة بتحصيل المصالح وتقويت المفاصد"<sup>238</sup>.

جاء القرآن الكريم بتقرير عقدي هو كون الإنسان ما خلق إلا لغاية، وأن معنى حياته مرتبط بتلك الغاية، وإيماناً بها، وسعيّاً في تحقيقها، وأنه لو نزعته منه غائية الحياة لنقصت إنسانيته ليصل إلى ما يقارب مرتبة سائر الحيوانات، وهذا ما يبينه قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ

<sup>237</sup> عبد المجيد النجار، أبعاد جديدة لمقاصد الشريعة: حفظ إنسانية الإنسان، مجلة الإسلام اليوم، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، العدد 32، السنة: 1437هـ، 2016م، ص: 129 .

<sup>238</sup> عبد الرحمن العضراوي، مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي، ص: 154 .

الإنسانُ أن يُتركَ سدَى ﴿<sup>239</sup>، وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾<sup>240،241</sup>.

المنهج القرآني هو المنهج الوحيد الصالح والمصلح للبشرية عموماً على اختلاف العصور والأزمان؛ لأنه يخاطب العقول، لا في زمن النزول فحسب، بل في كل وقت وفي كل عصر وزمان، فحوى كل ما يرقى عقل الإنسان في كل مجالٍ من مجالات الحياة المختلفة، فهو نظام متكامل لحياة شاملة<sup>242</sup>، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾<sup>243</sup>، وقال سبحانه: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>244</sup>.

إن هذه الغائية للحياة في وجدان الإنسان تُعدُّ عنصراً من عناصر إنسانيته، إذ هي من خواصه باعتباره إنساناً يفارق بها سائر الحيوانات التي لا تعيش إلا للحظتها، وإذا ما ادخر بعضاً منها طعاماً لمستقبله، فإنه إذا ما انهدمت تلك الغائية في النفس البشرية، وفقد الإنسان أي غاية لحياته، أدى ذلك إلى انهيار الحياة بأكملها، حيث "يفقد بذلك معنى إنسانيته، وهو

<sup>239</sup> سورة القيامة، الآية: 36 .

<sup>240</sup> سورة المؤمنون، الآية: 115 .

<sup>241</sup> عبد المجيد النجار، أبعاد جديدة لمقاصد الشريعة: حفظ إنسانية الإنسان، ص: 130 .

<sup>242</sup> وفاء بنت دخيل الله بن عابد الخطابي، مقاصد القرآن العامة، ص: 208.

<sup>243</sup> سورة النحل، الآية: 89 .

<sup>244</sup> سورة الأنعام، الآية: 38 .

أحد تفسيرات انتحار المنتحرين، فالأكثر من هؤلاء إنما يقدم على ما أقدم عليه، لأنه يجد حياته قد فقدت معناها بفقدان غايتها المرجوة منها<sup>245</sup>.

إنَّ من أهم العناصر المكونة لإنسانية الإنسان "حرية الإرادة، فكل الموجودات الكونية خلقت مسوقةً إلى مصائرهما على سبيل الحتم، إلا الإنسان فقد خلق بإرادة حرة يختار بها مصيره، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾<sup>246</sup> 247.

بما أنَّ المعنى الكلي للإنسانية يتعلّق بحقيقة الحياة الإنسانية كحياة لهذا النوع، فقد أدرجنا المقصد الذي يكون به حفظه في دائرة الحفظ لقيمة الحياة الإنسانية، "وبما أنَّ المعنى الفردي للإنسان يتعلّق بذاته الفردية فقد أدرجنا المقصد الذي يتعلّق به دائرة حفظ الذات الإنسانية، ولا شكَّ أنَّ في هذا التقسيم قدرا من الاعتبارية بغاية الدقّة في الدرس<sup>248</sup>.

فحفظ إنسانية الإنسان إنما يكون بحفظ مقومتها التي تشكّل حقيقتها، وهذه المقومات هي في معرض تعدّدها تجتمع عندما يكون به الإنسان إنسانا في بعديه المادّي والروحي على حدّ سواء، وهي في تفصيلها قد تتلخّص في أربع مقومات أساسية هي: الفطرة متمثلة في عناصر التكوين الإنساني ماديا ومعنويا، وغائية الحياة التي تشعر الإنسان بحقيقة حياته وقيمة وجوده، والإحساس بالكرامة والعزّة الذي بدونه يكون الذلّ والمهانة والحقارة، والحرية

<sup>245</sup> عبد المجيد النجار، أبعاد جديدة لمقاصد الشريعة: حفظ إنسانية الإنسان، ص: 130 .

<sup>246</sup> سورة الأحزاب، الآية: 72 .

<sup>247</sup> عبد المجيد النجار، أبعاد جديدة لمقاصد الشريعة: حفظ إنسانية الإنسان، ص: 133 .

<sup>248</sup> المصدر السابق، ص: 113.



التي تثمر الشعور بالذات وتدفع إلى الفعل، "فأيّما مقوم من هذه المقومّات أنهدم في الكيان الإنساني يكون قد أنهدم بانهدامه جزء من إنسانيته، فإذا ما انهدمت جميعا تلاشى المعنى الحقيقي للإنسانية، وانهدم ما يترتب عليها من تكاليف؛ ولذلك فقد جاءت الشريعة تعمل على حفظ هذه المقومّات حفظا لإنسانية الإنسان، وحفظا من وراء ذلك لأن يقوم الإنسان بما كلف به من مهمّة الخلافة"<sup>249</sup>.

من هنا أيضا، تتضح القيمة القرآنية فيما يتعلق بالمعرفة الإنسانية إطلاقا، بما يجعل القرآن الكريم الإطار الذي يوجه الإنسان في سلوكه العقلي المعرفي في الحياة، "التي تقرب الإنسان إلى معرفة الحقيقة وتفسيرها في الكون المحيط به، باعتبار ذلك صعودا في درجات السلم المعرفي من جانب الإنسان الذي تعلم البيان ويسعى للمعرفة"<sup>250</sup>.

وعليه يمكن القول؛ إذا كانت إنسانية الإنسان، بما تعنيه من خصائص وامتيازات لهذا الكائن، هي أول شيء يجب أن نحافظ عليه ونصونه، وننطلق منه في كل ما يتعلق بالإنسان؛ إذا عرف الإنسان شخصيته الإنسانية، وقويت الذات الإنسانية فيه، أحييت فيه الفضائل والمكارم الأخلاقية، وتجنب الرذائل، عندها لا يسمح للإنسان أن يترك القيم الإنسانية ويسعى خلف أضدادها، كأن يترك الصدق ويتبع الكذب، أن يترك الأمانة ويتبع الخيانة، أن يترك عزة النفس ويرمي بنفسه في الذلة، أن يترك الإحسان ويسعى لإيذاء الناس، إن الخطاب القرآني موجه إلى الذات الإنسانية أنّى كانت، إلى كل فرد وكل جماعة،

<sup>249</sup> عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: 85.

<sup>250</sup> محمد أمين جبر، الإنسان والخلافة في الأرض، ص: 187.

وهذا ما يجعلنا نعي أن خطاب القرآن الكريم إنما هو تعبير عن الفطرة الإنسانية السوية  
الغائية الإيمارية الأخلاقية.

## المبحث الثالث: مفهوم إنسانية الإنسان في الرؤية الوضعية من خلال نماذج

بالرغم من أهمية إنسانية الإنسان في الرؤية الوضعية، إلا أن هذه الرؤية مرتكزة بالأساس على منظور جزئي لإنسانية الإنسان، لافتقارها للمنظور الشمولي وهو ما يفسر سبب تخبط النظريات الغربية حول إنسانية الإنسان.

## المطلب الأول: مفهوم الوضعية ورؤيتها لإنسانية الإنسان أو كمت كونت نموذجا

الإنسان في منظور الفلسفة المادية الوضعية لم يبق منه إلا الجانب الجسمي لأن الجانب الروحي لا يعترف به أصلا، ولذا لن يبحث الوضعيون عن المناهج المناسبة لمعالجته، هذا التصور وضع علم النفس في أزمة حقيقية حيث أصبحت هذه الفلسفة غير قابلة تماما للاستمرار، "فحينما يرد الإنسان إلى الفلسفة الوضعية، فإنه يفقد ما يميزه بوصفه إنسانا ويصبح مادة استعمالية، ليس له قيمة خاصة، ولذا فالرؤية المادية تحوي داخلها نزعة إختزال وتفكيك الإنسان"<sup>251</sup>.

إن النظرة الوضعية إلى الإنسان ليست مرتكزة بالأساس على رؤية منهجية، بل تستند قبل ذلك إلى "رؤية مادية للكون بحيث لا تقبل منه إلا ما كان وجوده ماديا يتم الوصول إليه عن طريق الملاحظة"<sup>252</sup>، أما ما لم يكن كذلك فإن الوضعي لا يبحث عن وسيلة أخرى غير الملاحظة للوصول إليه، بل ينكره وينفي وجوده بكل بساطة، وما يهمنا هنا من نتائج تلك

<sup>251</sup> منتصر حمادة، قراءة في كتاب: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مجلة المنعطف، عدد مزدوج 24/23، سنة 2004م، ص 220.

<sup>252</sup> عبد النصار السباعي، مشكلات علم النفس في التصور الغربي للإنسان: دراسة تاريخية، مجلة المسلم المعاصر، العدد 47، السنة: 1411هـ، 1990م، ص: 149-150.

الرؤية في منظورها لإنسانية الإنسان "افتقارها للمنظور الشمولي وغياب العلة الأساسية لخلق الإنسان، وهو الذي يفسر سبب تخبط النظريات الغربية حول الإنسان والمجتمع والتاريخ، وهو كذلك الذي أوقع الكثير من مدارس الفكر الاجتماعي في الغرب أسرى للحتميات والنظريات أحادية التفسير"<sup>253</sup>.

أما استعمال كلمة وضعية فإن سان سيمون كان أول من استعمل هذه الكلمة (وضعي)، وقد استبدل بالمبدأ الأخلاقي النسبي الذي تقول به المسيحية " لا تعامل الناس بما تحب ألا يعاملوك به" مبدأ إيجابيا، وضعيا هو "كل إنسان يجب أن يعمل"<sup>254</sup>.

الفلسفة الوضعية حسب كونت تحمل معنى واسع، ذلك لأن الفلسفة الوضعية لا تنطبق فقط على الظواهر الطبيعية لكنها تنطبق أيضا على الظواهر الاجتماعية أي على الظواهر الإنسانية على الأقل من الناحية المنهجية، باعتبارها طريقة منظمة للتفكير وصالحة للتطبيق على كل المواضيع التي تستطيع الذات الإنسانية الوصول إليها.

إذا نظرنا من ناحية أخرى فإن ( الفلسفة الوضعية ) تحمل أيضا معنى أقل اتساعا من عبارة فلسفة العلوم لأنها تختص بدراسة المعارف المتعددة الخالصة والخاصة لكل بحث في كل علم، وفي سنة 1825م يبدأ كونت في إعطاء محتوى أكثر وضوحا لمفهوم الفلسفة

<sup>253</sup> نبيل السمالوطي، الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1984م، ص: 61.

<sup>254</sup> نزوي: مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مراجعة، محمد ثابت الفندي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1964م، ص: 09.

الوضعية، من خلال مرجعيته الفكرية، حيث حصلت الفلسفة الوضعية اليوم على حركة تصاعدية في الفكر الإنساني.

بعد هذا التحديد المعرفي والمنهجي لمفهوم الفلسفة الوضعية يعتبر كونت أن مشروع الدراسات في الفلسفة الوضعية قد بدأ بالفعل، فما هو منطق هذا المشروع؟ هل هو إصلاح الأخلاق والسياسة والدين وبالتالي هو إعادة تنظيم المجتمع أم لا؟ هل هو مشروع عملي، أم إصلاح الفلسفة والعقل؟ هل هو إصلاح نظري بالدرجة الأولى أم إصلاح عملي؟

إن الفلسفة الوضعية تعمل على الربط بين النتائج العلمية المحصلة في كل ميدان على حدة، وبين مجموع المعرفة العلمية، فتمكن العلماء المختصين في كل ميدان من المعرفة العلمية، وهكذا تستجيب الفلسفة الوضعية لشرح التخصص في البحوث العلمية سواء في الحالة التي يتطلب فيها الأمر المحافظة على تمايز المعرفة في كل ميدان عن الميادين الأخرى، أو في الحالة التي يكون الاقتضاء فيها هو إبراز العلاقات المتبادلة بين العلوم المختلفة، وإحالة الاكتشافات المتعددة فيها إلى جملة من المبادئ العامة.

هذا المعنى يؤكد أنه أوجست كونت من حيث؛ إن لفظ الوضعي يدل على الحقيقي، المقابل للوهمي، وهو موافق من هذه الجهة للروح الفلسفية الجديدة، وهي الروح التي تتميز بارتباطها الدائم بالبحوث التي يستطيع عقلا أن يطلع عليها.

أما العلم عند كونت فإنه لا يطلق إلا على المعرفة التي بلغت من تطورها الحالة الوضعية، وهي الحالة التي يصل إليها الفكر في ميدان معرفي ما، كمرحلة نهائية لتطور يمر فيه بمرحلتين سابقتين هما الحالة اللاهوتية والحالة الميتافيزيقية، "ويعرف كونت الحالة الوضعية مبرزا وضعها من تطور الفكر الإنساني"<sup>255</sup>.

إن الفيلسوف الوضعي، كما هو في تصور كونت، منبثق من بين العلماء ذوي الاختصاصات المختلفة وبذلك، "الفيلسوف الوضعي عالم يقوم بدور إيجابي بالنسبة لتطور العلوم في الفترة المعاصرة له، وذلك لأنه يكون بمثابة الوسيط بين العلماء المختصين في فروع المعرفة المختلفة وبين أعم النتائج العلمية، ويهيء هذا العالم أنه يتلقى تكويناً ملائماً لأجل القيام بدوره الإيجابي وهذا المعنى الذي يحدد به كونت الفلسفة الوضعية"<sup>256</sup>.

قد يوصف الشخص بأنه ذو فكر وضعي من غير أن يكون من أنصار كونت فقد يكون هذا الوصف للمدح تارة وللتهكم تارة أخرى، إذ المعاني التي تدل على استعماله للتهمك مثلا تدل على الاهتمام البالغ بالذات والمنافع المادية وهو بهذا المعنى مقابل للمثالي المترفع عنها، "إن علماء الوضعيون لم يضعوا تصورا للإنسان انطلاقاً من أبحاثهم ودراساتهم بل إنهم يقومون بأبحاثهم ودراساتهم في ضوء تصور ضمنى للإنسان في التعامل به داخل مجتمعهم حيث أصبح جزء من فكرهم"<sup>257</sup>.

<sup>255</sup> محمد وقيدي، الاستمولوجيا الوضعية عند أوجيست كونت، مجلة عالم الفكر، العدد، 01، السنة: 1982م، ص: 206.

<sup>256</sup> المرجع السابق، ص: 212.

<sup>257</sup> عبد الناصر السباعي، مشكلات علم النفس في التصور الغربي للإنسان: دراسة تاريخية، ص: 152.

إن الفلسفة الوضعية تأتي عند كونت كاستمرار للواقع، "وتضاف إليه من حيث هي اختصاص جديد كبقية الاختصاصات، لا يختلف عنها إلا من حيث أن موضوعه هو العموميات العلمية المتعلقة بمجموع المعرفة الإنسانية في فترة تاريخية معينة من تطور العلوم"<sup>258</sup>، إن "المناخ التاريخي والإيديولوجي للفلسفة الوضعية هو مناخ فرنسا القرن التاسع عشر، ولقد كان هذا الزمن، كما يصفه كونت نفسه زمن الاضطرابات المجتمعية والسياسة التي عرفتها فرنسا، بصفة خاصة في أعقاب الثورة الفرنسية الكبرى"<sup>259</sup>.

أما بصدد شروط هذه المهام فنجد أن كونت يذكر لنا شرطا عاما وهو أن الفلسفة الوضعية لا تجد مكانتها إلا ضمن نسق المعارف الوضعية، وأنه لم يكن من الممكن قبل القرن التاسع عشر، وهو الزمن الذي شملت فيه الروح الوضعية، "دراسة الظواهر في كل مستوياتها بما في ذلك الظواهر الإنسانية أن يقع الحديث عن الفلسفة الوضعية، لأن الوقت لم يكن قد حان بعد لوجود المهمة التي سيرجع إلى الفلسفة الوضعية أمر إنجازها"<sup>260</sup>.

إن "التصور الوضعي للمعرفة من هذه الزاوية لم يعد تصورا علميا بمقدار ما هو تصور فلسفي يستجيب للفلسفة الحسية، وهو مغاير تماما للاتجاهات الحديثة في علم النفس المعرفي الحديث، خاصة عندما يختزل الواقع إلى مجرد أشياء مفردة، يشار إليها بـ"هذا"، أي

---

<sup>258</sup> محمد وقيدي، الاستمولوجيا الوضعية عند أوجيست كونت، ص: 211.

<sup>259</sup> المرجع السابق، ص: 206.

<sup>260</sup> محمد وقيدي، الاستمولوجيا الوضعية عند أوجيست كونت، ص: 212.

الظواهر الميكروسكوبية، كما يهمل أيضا عالم العمليات والعلاقات غير المنفصل عن الأشياء، هذا العالم الذي يمثل نمطا للتحقق الواقعي، كالعلاقات المكانية والزمانية<sup>261</sup>.

علاوة على ذلك فإن التصور الوضعي للمعرفة يهدف إلى تفكيك العالم وتفتيت الظواهر إلى العناصر الأولية، ويأمل دائما أن يعرف المركب، إذا عرفت أولياته التي يتكون منها، وما "نفهمه من التحليل الوضعي هو أن خصائص الكل تساوي المجموع الحسابي لخصائص عناصره منفردة وهي فكرة واضحة الخطأ"<sup>262</sup>، كما تصبح الكثير الدراسات، كالظواهر الاجتماعية والنفسية والاقتصادية... إلخ، التي لا يساوي مفهومها الجمع العددي للعناصر التي تتركب منها، لأن هذا الجمع يعطي للظاهرة طابعا مميزا وجديدا.

ثم يلخص كونت "هذه الخصائص عندما يلخص التضاد بين النظرية الوضعية والفلسفية: "ويختص علم الاجتماع الوضعي ببحث الوقائع بدلا من الأوهام المتعالية بالمعرفة النافعة بدلا من التأمل العقيم، باليقين بدلا من الشك والتردد، وبالتنظيم بدلا من السلب والهدم"<sup>263</sup>.

---

<sup>261</sup> مصطفى كيجل، العقل الوضعي وسؤال التجديد: دراسة نقدية في الجهود الفلسفية لركي نجيب محمود، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق، بدون طبعة والتاريخ، ص: 57.

<sup>262</sup> عاطف أحمد، نقد العقل الوضعي، دراسة في الأزمة المنهجية لركي نجيب محمود، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1980م، ص: 80.

<sup>263</sup> ماركيز هربرت، العقل والثورة، ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1979م، ص: 214 .



كل ذلك يرسم معالم إنسانية الإنسان في فلسفة الوضعية عند أوجست كونت، بذلك

فإنه يكون إنسانا طبيعيا وظيفيا ذا بعد واحد، آليات يتحرك في إطار الدوافع<sup>264</sup>.

حينما يرد الإنسان إلى الفلسفة الوضعية فإنه يفقد ما يميزه بوصفه إنسانا ويصبح مادة

استعمالية ليس له قيمة خاصة، ولذا فالرؤية الوضعية تحوي داخلها نزعة يفقد فيها الإنسان

إنسانيته.

## **المطلب الثاني: مفهوم إنسانية الإنسان في الفلسفة المثالية امانويل كانط نموذجا**

الفلسفة المثالية هي التصور الذي يتأسس على رؤية مفادها أن حقيقة الكون عبارة عن

أفكار وصورة عقلية، والعقل هو مصدر المعرفة، فمفهوم الفلسفة المثالية عبارة عن موقف

فلسفي عملي ونظري، بحيث ترد كل مظاهر الوجود إلى الفكر، وتظهر بأن الفكر هو

المنطلق لمعرفة الحقيقة أو الوجود، مؤكدة على أسبقية المثالية بكل معانيها على الواقع.

إن كلمة مثالي، ستظهر للمرة الأولى في اللغة الفلسفية في نهاية القرن 18م، حيث إن

ليبنتر يعارض المثالي بالمادي، وقبل أن يتعود الباحثون على توظيف المصطلح كانوا

يستعملون بدله مصطلح اللامادي كما هو الشأن بالنسبة لـ: باركلي، لقد أصبحت كلمة

مثالي تطلق أيضا على المذهب الأفلاطوني، باعتباره مذهب الأفكار، خاصة وأنه يضع

الفكرة المعيارية للخير في القمة، وهكذا نستنتج مبدئيا أن اللفظ حديث، ولكن التمثلات

<sup>264</sup> منتصر حمادة، قراءة في كتاب: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ص: 205.

والأفكار المؤسسة له أقدم، أما من حيث الدلالة التي يحملها اللفظ، "فإننا نفهم من المثالية حالياً النزعة الفلسفية التي ترجع الوجود كله إلى الفكر"<sup>265</sup>.

كما أنها أيضاً الموقف الذي يخضع الفكر والسلوك لمثال، وفلسفياً هي النسق الذي يرفع الفكر فوق الحواس والتجربة، وهي التوجه الذي يرجع كل وجود إلى الفكر، إنها تعني إذا إمكانية سيطرة الفكر على الواقع، بحيث أن الإنسان يتبين موقفاً متعالياً لا يتأثر فيه بالشروط المادية للحياة.

لقد أكد كانط في فلسفته علو المعرفة العقلية والتجريبية، واستخدام العقل من أجل إيجاد ميتافيزيقا علمية بدلاً من الميتافيزيقا التقليدية، وجاء نقده لميتافيزيقا الأخلاق بما يتلائم مع نزعته العقلية، إن المسألة الأساس في فلسفة كانط هي تأكيده على سمو العقل، حيث "يقع تطور كانط الفكري في ثلاث مراحل، في المرحلة الأولى كان مثل معظم الفلاسفة الألمان في عصره، فيلسوفاً عقلياً، تحت تأثير ليبنتز إلى حد ما، وكان يظن أنه من الممكن الوصول إلى حقائق بعيدة عن طريق التفكير العقلي المستقل عن البراهين التجريبية، ومع ذلك، تظهر مقالاته - حتى تلك السنوات - علامات الأصالة وعدم الرضى عن المذهب العقلي"<sup>266</sup>.

<sup>265</sup> حيرش بغداد محمد، الخطاب المثالي في الفلسفة الألمانية، دار الروافد الثقافية، بيروت، ط1، 2015م، ص: 18.

<sup>266</sup> وليم وكلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمود سيد أحمد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2010م، ص: 255.

أما المثالية الكانطية فهي تنظر إلى العالم كما هو عندنا: "فهي مثالية تنظر إلى العالم بمنظور الإنسان إن صح هذا القول، وهذا هو المعنى الذي قصد إليه كانط"<sup>267</sup>.

المثالية عند كانت كانت حركة دائرية، "مثالية ذاتية تتولد عنها واقعية شرفية، على اعتبار أن الفكر عند كانت يميز في ذاته بين إرادة العقل الحري، وعملية استقباله للحسيات، هذه العملية المزدوجة، تطرح عند كانت افتراضا لحالة وجود محايدة لا تنتمي للعقل ولا للمادة الخام، وهذه الحالة هي ما يسميه كانط الشيء في ذاته"<sup>268</sup>، "وفلسفة كانط في جملتها يمكن تلخيصها في قولنا إنها استعادة وتمجيد للقيم الروحية الأصلية التي سيطرت على الأذهان في أوروبا المسيحية إبان القرن الثامن عشر"<sup>269</sup>.

تتأسس فلسفة كانط، من حيث منظورها للأخلاق، بنزوعها الصريح نحو الإنسان: "فهي تريد أن يكون الفعل أخلاقيا ما لم يكن صادرا عن إرادة الإنسان الحرة"<sup>270</sup>، ومهما تكن نتائج الفعل أخلاقية فهو لا يعد أخلاقيا، إذ صدر عن خضوع لإرادة خارجية، فمناطق أخلاقية الفعل عند كانط انبثاقه من ناموسه الذاتي، وصدوره عن كياننا الداخلي؛ وهذا ما تعبر عنه

---

<sup>267</sup> عثمان أمين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1967م، ص: 08.

<sup>268</sup> يوسف حامد الشين، الفلسفة المثالية، قراءة جديدة لشتتها وتطورها وغاياتها، منشورات جامعة قازيوس، بنغازي، ط1، 1998م، ص: 36.

<sup>269</sup> عثمان أمين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، ص: 115.

<sup>270</sup> المرجع السابق، ص: 122.

الصيغة الكانطية المشهورة: "إن بعض الأفعال يجب أن تعتبر أوامر إلهية، لأنها ملزمة لنا إلزاما داخليا، ولا ينبغي أن ينظر إليها على أنها ملزمة لنا لأنها أوامر إلهية"<sup>271</sup>.

إن مفهوم الإنسان عند كانط؛ هو تخلص الإنسان من الحيوانية الموجودة فيه لبلوغه الحرية، "وإنه ينظر إلى الإنسان بطريقة تجريدية، وأن تكون العلاقات الاجتماعية قائمة على مبدأين هما العيش والفضيلة"<sup>272</sup>.

فكانط يميز في مفهوم الإنسانية بين ثلاثة معان:

1- "النوع الإنساني أو الإنسانية بوصفها جزء من الطبيعة وهو ما مثل مبحثا لفلسفة التاريخ.

2- الإنسان بوصفه كائنا عاقلا خاضعا لقوانين العقل العملي، وبوصفه كائنا مستقلا أو غاية في حد ذاته ينتمي إلى مجال الكائنات العاقلة بعامة (نقد العقل العملي).

3- البشر بوصفهم مخلوقات أرضية تعيش في شكل اجتماعي تملك حسا مشتركا أو حس الجماعة"<sup>273</sup>.

المذهب المثالي عميق الجذور في تأريخ الفكر الإنساني ومتعدد الأساليب، ولفظ المثالية هو -أيضا- من الألفاظ التي لعبت أدوارا مهمة عبر التأريخ الفلسفي، وتبلور في عدة مفاهيم فلسفية تبادلت عليه، وأكسبته بسبب ذلك لونا من الغموض والالتباس.

<sup>271</sup> إمانوئيل كانط، نقد العقل المحض، ترجمة موسى وهبة، مركز الانماء القومي، بدون طبعة وتاريخ، ص: 122.

<sup>272</sup> حورش بغداد محمد، الخطاب المثالي في الفلسفة الألمانية، ص: 250.

<sup>273</sup> أم الزين بنشيجة المسكيني، كانط راهنا أو الإنسان في حدود مجرد العقل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2006م، ص: 31.

انبثقت النزعة المثالية لا باعتبار برهنة العلم على صحتها وصوابها، بل باعتبار تزعم عقيدة العلماء بالعلم وزوال إيمانهم بمسلماته القاطعة، ولكن هذا العامل لا يعدو أن يكون باعثاً نفسياً أو أزمة نفسية أوحى بالتمايل نحو المثالية .

ذلك أن الاعتقاد بوجود الواقع الموضوعي للعالم ليس ناشئاً من براهين التجربة والعلم، فقد عرفنا سابقاً أن التجارب لا يمكن أن تبعث على هذا الاعتقاد، وتخرج الإنسان من التصورية إلى الموضوعية، "ولأجل ذلك فهو عام يشترك فيه الجميع حتى المثاليون المتمردون عليه بلسانهم، فإنهم -أيضاً- يعتقدون هذا الاعتقاد تماماً كما تدل عليه حياتهم العملية، وأما المسلمات التي تدور كلها حول بنية العالم الموضوعي وتحديد واقعه وعناصره الأساسية، ومن الواضح: أن مسلمات كهذه إنما تثبت بالتجربة العلمية، فانهايرها ووضوح خطأها -بسبب نقصان التجارب التي ارتكزت عليها وعدم نفعها، أو عدم صحة الاستنتاج العقلي للنظرية من التجربة- لا يعني بحال من الأحوال: أن يجوز الخطأ في المسلمات العقلية الضرورية"<sup>274</sup>.

يفتح كانط كتابه أسس ميتافيزيقا الأخلاق بفكرة مهمة مفادها أن "من بين الأمور التي يمكن تصورها في هذا العالم، أو خارجه هي أنه لا يوجد ما يمكن عدّه خيراً على وجه الإطلاق ودون قيد، اللهم شيء واحد هو: الإرادة الخيرة"<sup>275</sup>.

<sup>274</sup> محمد باقر الصدر، فلسفتنا، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1430هـ، 2009م ص: 182.

<sup>275</sup> كانط إمانويل، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة وتقدم: عبد الغفار مكاوي، منشورات الجمل، بيروت، ط 01، 2002م، ص: 37 .

بذلك شكلت فلسفة كانط الأخلاقية منحى جديدا يهدف إلى الاهتمام بالإنسان ومكانته، كانط أكد على الاستقلالية الذاتية للأفراد ومن ثم فقد قدم مفهوم للكرامة الإنسانية والاحترام وجعله من الصفات الواجب توفرها للإنسان كمبادئ أخلاقية هامة، باعتبار أن إنسانية الإنسان ممثلة في شخصيته وبناءا على اعتباره غاية في حد ذاته فقد دعا كانط إلى عدم معاملته لتحقيق مصالح الآخرين.

في نظريته لإنسانية الإنسان نجد تصور كانط يتأسس على البعد الأخلاقي في الإنسان، بوصفه كائناً عقلياً يخضع لواجبات أخلاقية مطلقة على شكل قوانين يتبعها الشخص الحر المستقل على أساس العقل، أما بما هو كائن طبيعي فيخضع الإنسان لمبدأ السببية، فهو موجود في منطقة الضرورة.

إن السمة الغالبة في منظور كانط للأخلاق يختزله في القانون، حيث "يعتبر هذا القانون الذي أعطاه لنفسه وللجميع شيئا مقدسا لا ينتهك الاستقلال والفردية والحرية الداخلية وفي الوقت ذاته الاحترام والاحتياج والتقديس لهذا القانون الكلي في المجتمع"<sup>276</sup>.

يرى كانط أن هذه المسلمة ضرورية في الأخلاق "والتي لا يمكن الاستغناء عنها خصوصا وأن الحياة الإنسانية الراهنة لا تتسع لامكانية توطيد دعائم الفضيلة أو السعادة وكأنها مترادفان عند كانط وهما الهدف النهائي لاجتهاد الإنسان وهما غايته أيضا"<sup>277</sup>.

<sup>276</sup> عثمان أمين، فلسفة كانط، المكتبة الفلسفية، بيروت، ط1، 1923م، ص: 299 .

<sup>277</sup> عبد الوهاب جعفر، كانط والكانطية الجديدة، دار المعرفة الجامعية، بدون طبعة وتاريخ، ص: 107 .

هذه السمات تبين أن أفكار الأخلاقية متجسدة وموجودة بكثرة داخل المجتمع، فالقانون الأخلاقي في المجتمع هدفه عند العامة ليس تحقيق السعادة فحسب بل حتى فرض النظام داخل المجتمع لتحقيق الكرامة الإنسانية.

يقدم كانط تفكير عقلائي عن إنسانية الإنسان التي يعتبرها الأساس في التنوير العقلاني، للخروج من ريقه السلطة الدينية والسياسية، وتعتمد هذه العقلانية على خروج الإنسان من قصوره الذي هو نفسه مسؤول عنه، قصور يعني عجزه عن استعمال عقله دون إشراف من الغير.

إن ميزة الإنسانية في الإنسان من خلال فلسفة كانط مرتبطة بالعقل، وهذا الارتباط لا يستطيع بلوغ الكمال فيه إلا من خلال القانون الأخلاقي، بذلك تحققت إنسانية الإنسان وأصبحت له مكانة جد هامة، بعدما نتخلص من كل ما كان سائداً، ونتسلح بمبادئ أدت إلى إعطائه صبغة إنسانية يسودها التعاون والتعايش مع الآخرين، إنسانية الإنسان وفقاً للتوصيف الكانطي إنسانية ذات عقل أخلاقي عملي، ولذلك قيمته وتميزه يكمن في تصرفه وفقاً لمقتضيات عقله الأخلاقي العملي.

### **المطلب الثالث: مفهوم إنسانية الإنسان في الفلسفة المادية كارل ماركس نموذجاً**

ظهرت الفلسفة المادية في أوروبا -خاصة- كرد فعل على الفلسفة المثالية، التي كانت شائعة فترة القرون الوسطى، وكان يغلب عليها الطابع اللاهوتي، فجاءت الفلسفة المادية

لتركز بدورها على العلوم الطبيعية، واتخذ أصحاب هذه الفلسفة من المادة محورا لكل موجود، ونادوا بأفكارهم التي تعبر عن نفورهم من كل ما هو روحي، واعتبروا أن حوادث العالم تمثل الجوانب المختلفة للمادة الموجودة خارج إطار الروح، والتي لا تحتاج إلى روح كي تثبت وجودها، وعليه "فالمادة هي الحقيقة الأولى؛ وليس الإحساس والفكر سوى نتاج هذا الواقع وانعكاسه، وبالتالي يمكن للمعرفة؛ التي يتم التوصل إليها عن طريق التجربة العلمية؛ أن تعطينا قوانينا ثابتة تفسر لنا طبيعة العالم"<sup>278</sup>.

ومن هنا كانت المفارقات في النظرة للطبيعة الإنسانية، فليس الإنسان مكرم بحكم إنسانيته، ولكنه مكرم بحسب بيئته التي يعيش في وسطها المادي، وما يرثه من ألقاب من تلك البيئة، ولا يمكن للعبد أن يرتقي إلى طبقة الأشراف كما لا يمكن للنبلاء أن ينحدروا إلى مستوى العبيد، ولعل هذا التعاطي مع الطبيعة الإنسانية على مستوى التنظير وعلى مستوى الفعل في المجتمع كان قائما من طبيعة تنشئة المفكر نفسه، وتركيبته الاجتماعية التي أثرت في فلسفته ومذهبه إلى أقصى حد.

لقد "ادعت المادية أن الإنسان جزء من الطبيعة يخضع لما تخضع له القوانين والأسس، فهو جزء منها وليس منفصلا عنها، وسلوكه مقنن محدد ويمكن أن يدرس ويلاحظ ويجرب شأنه شأن غيره من ظواهر الطبيعة"<sup>279</sup>.

<sup>278</sup> روجيه غارودي، النظرية المادية في المعرفة، ترجمة إبراهيم قريط دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، بدون طبعة وتاريخ، ص: 06.

<sup>279</sup> سيد مرسي محروس، التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1988م، ص: 7.



يرى أتباع المدرسة المادية؛ "أن الوجود الحقيقي هو وجود المادة وما ينشق عنها، وأن طبيعة الموجودات هي الطبيعة المادية؛ التي يتم إدراكها والتحقق من خصائصها وصفاتها بالإحساس، وتتمثل هذه الصفات في الأبعاد الثلاثة للمادة: (الطول، العرض، الارتفاع)؛ وشغل الحيز من الفراغ والحركة؛ أي الانتقال من مكان إلى غيره، وكذلك الكتلة والقصور الذاتي"<sup>280</sup>، وينكر أصحاب هذا المذهب أي وجود آخر غير الوجود المادي، فهم لا يؤمنون بوجود النفس أو الروح، وإنكارهم للموجودات غير المادية؛ هو أساس المذهب المادي، ترجع أصول هذا المذهب؛ الذي نادى به الفيلسوف اليوناني ديموقريطس؛ فهو يرى أن جميع الأشياء؛ تتكون من ذرات متشابهة في طبيعتها المادية الخالصة، التي لا يختلف إلا في هيئة الشكل أو الحجم، وكذلك العقل والنفس هما أيضا ذرات مادية، وعن طريق تلك الحركة المستمرة للذات؛ تتغير الموجودات من حالة لأخرى، والعالم في نهاية المطاف مجرد مادة وحركة<sup>281</sup>.

كلمة المادة قد تبدو لأول وهلة وكأنها كلمة واضحة، ولكن الأمر أبعد ما يكون عن ذلك، فالشيء المادي هو الشيء الذي كل صفاته مادية؛ حجمه، كثافته، كتلته لونه سرعته، صلابته، كمية الشحنة الكهربائية التي يحملها، سرعة دورانه، درجة حرارته مكان الجسم في الزمان والمكان... الخ، "في الفلسفة المادية نجد في مقابل الإنسان والإنسانية نضع

<sup>280</sup> جمعة عبد الرزاق الزيداني، الماركسية بين المادية والمثالية: دراسة في الفلسفة الاشتراكية، دار ومكتبة الفضيل للنشر والتوزيع، بنغازي، ط1، 2010م،

ص: 29.

<sup>281</sup> عزمي طه السيد أحمد، الفلسفة مدخل حديث، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2003م، ص: 55.

الطبيعة/المادة، ومفهوم الطبيعة مفهوم أساسي في الفلسفات المادية التي تدور في إطار المرجعية الكامنة، خصوصا في الغرب، وهو تعبير مهذب يحل محل كلمة المادة<sup>282</sup>.

فالفلسفات المادية هي التي يتعامل معها علم الطبيعة (الفيزياء)، "فالمادة ليس لها أي سمة من سمات العقل، الغاية، الوعي، القصد، الرغبة، الأغراض والأهداف، الاتجاه، الذكاء، الإرادة، المحاولة، الإدراك... الخ"<sup>283</sup>.

الفلسفة المادية ترى أسبقية المادة على الإنسان وكل نشاطاته، ولكن هناك جانبا آخر للطبيعة البشرية متجاوز للطبيعة المادة، وغير خاضع لقوانينها ومقصورا على عالم الإنسان ومرتبطا بإنسانيته، وهو يعبر عن نفسه من خلال مظاهر عديدة من بينها "نشاط الإنسان الحضاري (الاجتماع الإنساني، الحس الجمالي، الحس الديني) ومن المظاهر الأخرى لهذا الجانب أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يطرح تساؤلات عما يسمى العلل الأولى، وهو لا يكتفي أبدا بما هو كائن وبما هو معطى ولا يرضى بسطح الأشياء، فهو ذائب النظر والتدبر والبحث، يغوص وراء الظواهر ليصل للمعاني الكلية التي أصلها في البنية النفسية والعقلية للكائن البشري"<sup>284</sup>.

ومن ثم فالمادية؛ هي مرادفة للطبيعة البشرية في السياق الفلسفي الغربي، والمراد بها: "المذهب الفلسفي الذي لا يقبل سوى المادة باعتبارها الشرط الوحيد للحياة الطبيعية والبشرية،

<sup>282</sup> نبيل السمالوطي، الإسلام وقضايا علم النفس، الحديث، ص: 61.

<sup>283</sup> عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2002م، ص: 15.

<sup>284</sup> المرجع السابق، ص: 12.

ومن ثم فهي ترفض إلا ما كان له شرط من شروط الحياة، كما أنها ترفض الإنسان نفسه وأي منظومات فكرية أو قيمية متجاوزة للمادة<sup>285</sup>، وهي تعتبر كنتيجة وأثر لتطبيق العقلانية الصرفة، والتي لا تؤمن بغير المادي المحسوس، وخلصت نتيجة لذلك إلى "الاستغناء عن دراسة الذهن إلى جانب المادة، مادام أن العالم الذهني والعالم المادي يعملان بطريقة متوازنة تماما، ففي وسعنا الاستغناء عن أي منهما"<sup>286</sup>.

فلسفة كارل ماركس<sup>287</sup> "تبنى أسس مادية بحثة حيث نجد أن العامل الاقتصادي؛ هو محور هذه الفلسفة؛ باعتبار أن المادة هي النواة التي يدور حولها؛ جميع ما يخص الكائن البشري من أفكار ومعتقدات، وماركس كما يراه الباحثون الماركسيون؛ هو الذي أخرج المادة من سباتها وطرح عنها غفلتها من قشور مثالية وأخلاقية؛ أي كل ما له علاقة بالميتافيزيقيا"<sup>288</sup>.

<sup>285</sup> عبد الوهاب المسيري، الموسوعة اليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1999م، ص: 125 .

<sup>286</sup> أحمد السيد علي رمضان، المادية في الفكر الفلسفي، مكتبة الإيمان، الاسكندرية، ط01، 1420هـ، ص: 87.

<sup>287</sup> ولد كارل ماركس في بلدة ترير جنوب غرب ألمانيا في 05 مايو 1818م، من أسرة بورجوازية صغيرة يهودية، اعتنقت البروتستانتية لحماية نفسها من الاضطهاد ولكي يحافظ هنريش ماركس والد كارل ماركس على مهنته كمحامي. درس كارل ماركس الحقوق والاقتصاد السياسي ثم التاريخ والفلسفة في جامعتي بون وبرلين في السنوات المتراوحة ما بين 1835 و 1841م، حيث حصل على شهادة دكتوراه في الفلسفة حول موضوع الفوارق الموجودة في فلسفة الطبيعة عند كل من ديموقريطس وأبيقور. وهو موضوع صعب مكن ماركس من الإلمام بمحمل فلسفة الإغريق وخاصة الفلسفة المادية والمنهج الديالكتيكي وتطورهما.

انتمى كارل في شبابه لعدة نوادي فكرية كان أبرزها نادي الهيجليين اليساريين الشباب، بعد ذلك مارس مهنة الصحافة في كولون فكان لكتاباته السياسية والفلسفية وقع كبير على الرأي العام مما جعل السلطات تتمتع الجرائد التي كان يكتب فيها. انتقل ماركس إلى باريس سنوات 1844 و 1845م، حيث التقى صديقه الكبير فريدريك إنجلز، حيث اشتغلا معا على عدد من الأعمال كالإيديولوجيا الألمانية والعائلة المقدس كما نشر ماركس نقد للاشتراكية الطوباوية عند جوزيف برودون تحت عنوان بؤس الفلسفة، كما كتب مخطوطاته الباريسية لسنة 1844م. ونظرا للأنشطة السياسية لماركس التحريضية طرد من فرنسا حيث توجه إلى بروكسيل والتي طرد منها أيضا سنة 1848م عائدا منها إلى باريس وبعد طرده مرة أخرى من هناك سيتوجه إلى لندن حيث سيستقر إلى أن توفي في 14 مارس 1883م.

<sup>288</sup> جوزيف ستالين، المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، ترجمة خالد بكداش، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، بدون طبعة وتاريخ، ص: 09.

لذلك يعتبر الإنتاج المادي في الفلسفة الماركسية؛ "أهم فعل يمارسه الإنسان في أي وقت، فهو أساس الوجود والشرط الرئيسي لتطور المجتمعات البشرية"<sup>289</sup>، لقد كرس ماركس جهده لتحليل الاقتصاد الرأسمالي؛ وحاول تطبيق قوانين المادية التاريخية على هذا الاقتصاد، لكنه لم يضع قوانيننا خاصة بالمجتمع، مما دعا إلى جعل العديد من الاقتصاديين الماركسيين؛ يبنون وجهة النظر القائلة بعدم وجود قوانين اقتصادية؛ تطبق في المجتمع الاشتراكي؛ حيث ينتهي دور الاقتصادي السياسي كعلم بانتهاء النظام الرأسمالي<sup>290</sup>.

من هذا المنطلق يمكن اعتبار؛ "فلسفة ماركس تمتد بجذورها إلى التقاليد الفلسفية الإنسانية الغربية، والتي تشكل موضوع الاهتمام بالإنسان ككائن، والطرق المؤدية إلى تحقيق طاقاته واقعيًا، بدراسة جوهرها الأساسي"<sup>291</sup>، هذه التقاليد التي تبدأ بسبينوزا وتنتهي بهيجل، مرورًا بفلسفة عصر التنوير الفرنسيين والألمان في القرن الثامن عشر.

بالنسبة لفلسفة كارل ماركس، التي نجد تعبيرها الأكثر وضوحًا في الخطوات الفلسفية والاقتصادية، فإن المسألة المركزية هي مشكلة وجود الإنسان، ككائن فردي واقعي، يتحدد معنى وجوده من خلال عمله، والذي تجسد طبيعته وتحقق ذاتها في الصيرورة التاريخية، "إلا أن ماركس يرى الإنسان في حسيته الكاملة، ككائن موجود في مجتمع معطى، وفي طبقة

<sup>289</sup> بودوسيتيك، وسركين، المادية التاريخية، مجموعة مترجمين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1979م، ص: 21.

<sup>290</sup> أوسكار لانكة. ومايكل كالتيكسي، الاقتصاد السياسي الرأسمالية والاشتراكية، ترجمة محمد سلمان حسن، دار الطليعة، بيروت، 1980م، ص:

147.

<sup>291</sup> إريك فروم، مفهوم الإنسان عند ماركس، ترجمة: محمد سيد رصاص، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، ط11، 1998م، ص: 09.

اجتماعية معطاة، حيث يجري تطوره من خلال إطار المجتمع، كما يكون في الوقت نفسه، أسيرا له أو متعلقا به<sup>292</sup>.

يعتبر ماركس أن تحقيق إنسانية الإنسان، يمر عبر انعتاقه من القوى الاجتماعية التي تقيد، حيث يعتبرها غير منفصلة عن عملية وعي وجود هذه القوى، وعن التغيير الاجتماعي الذي يتأسس على هذا الوعي، "الاتجاه المادي الذي يفسر العالم تفسيراً مادياً بقوانين الديالكتيك، فهو الاتجاه الذي اتخذته المدرسة الماركسية، فوضعت مفهومها المادي عن العالم على أساس هذا الاتجاه"<sup>293</sup>.

إن مفهوم ماركس للإنسان يعود بجذوره إلى التفكير الهيجلي، حيث يبدأ هيجل نظريته من أن الظاهرة الإنسانية وجوهرها لا يتطابقان، إذ إن مهمة المفكر الجدلي هي "أن يميز التقدم الجوهرى عن التقدم الظاهري للحقيقة، وأن يفهم علاقتهما"<sup>294</sup>، أو إذا أردنا تبينها بشكل آخر - إنها مشكلة العلاقة بين الجوهر والوجود، في عملية تطور الوجود، حيث يتم تحقق الجوهر، وفي نفس الوقت، يعني الوجود عودة إلى الجوهر، "يكون العالم مغرباً وغير حقيقي، طالما أن الإنسان لم يدمر موضوعية العالم الباردة، ولم يدرك ذاته وعالمه فيما وراء الأشكال الثابتة للأشياء والقوانين، فعندما يحصل الإنسان في النهاية، على وعي الذات هذا، فإنه لا يكون فقط في طريقه لمعرفة حقيقة ذاته، بل وحقيقة العالم أيضاً، أي أن الإنسان

<sup>292</sup> المرجع السابق، ص: 10.

<sup>293</sup> محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ص: 272 .

<sup>294</sup> هوبرت ماركوز، العقل والثورة: هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1994م، ص: 141.

سيحاول وضع الحقيقة في الفعل، وبصير العالم ما هو جوهريا فيه، أي تحديدا لتحقيق وعي الذات للإنسان<sup>295</sup>.

إن الهدف الأساسي لماركس هو تحرير الإنسان من ضغط الحاجات الاقتصادية، بشكل يستطيع فيه تحقيق إنسانيته بأبعادها الكلية، إضافة إلى اهتمام ماركس الرئيسي بانعتاق الإنسان كفرد، ويتجاوز الاغتراب، وبالتالي تأمين قابلية الإنسان لأن يتفاعل كليا مع الإنسان ومع الطبيعة، إن هدف ماركس هو هدف متمثل في الانعتاق الروحي للإنسان، وتحريره من قيود الحتمية الاقتصادية، لإعادة بناء كليته الإنسانية، ولتمكينه من إيجاد الوحدة والتوافق مع أقرانه من البشر ومع الطبيعة.

ليس بوصفه فعالية إنسانية حسية، كممارسة ذاتية، لهذا السبب؛ تم تطوير الجانب الفعال بشكل مجرد من قبل المثالية التي لم تعي فعالية حسية واقعية كهذه، "إن فيورباخ يريد حقيقة مفادها؛ تمايز الأشياء الحسية عن موضوعات التفكير، إلا أنه لم يفهم الفعالية الإنسانية ذاتها بوصفها فعالية موضوعية"<sup>296</sup>.

إن مفهوم إنسانية الإنسان تتحدد عند ماركس بوصفها مادة بشرية خام، لا يمكن تغييرها، بالإضافة إلى ذلك فالإنسان يتغير في مجرى التاريخ، إنه يطور نفسه، وبذلك فهو نتاج التاريخ، فما دام الإنسان يصنع تاريخه، فهو إذن نتاج ذاته، إن التاريخ هو عملية

<sup>295</sup> المرجع السابق، ص: 142.

<sup>296</sup> كارل ماركس، الأيديولوجية الألمانية، ترجمة: فؤاد أيوب، دار دمشق للتوزيع والنشر، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ، ص: 07.

تحقيق إنسانية الإنسان، إن التاريخ ليس سوى عملية الخلق الذاتي للإنسان، عبر تطور عمله وإنتاجه؛ إن مجمل ما يدعى بالتاريخ العالمي ليس إلا عملية خلق الإنسان بواسطة العمل، وعملية انبثاق الطبيعة للإنسان.

مما تقدم يتبين لنا أن إنسانية الإنسان عند كارل ماركس؛ تتحدد أولاً بذات إنسان عامل، والعمل هنا ينحصر قبل كل شيء في إخضاع الطبيعة والسيطرة على العالم، ولكن ماركس لا يريد أن يجعل من العمل قسراً أو ضرورة، بل هو يجعل منه مجرد حاجة، وبهذا المعنى قد يصح لنا أن نقول أن الإنسانية الماركسية إنسانية الفعل، الموجه نحو الخارج لأنه يهتم أولاً وقبل كل شيء بحل المشكلات التي تساعد الإنسانية على التقدم، وتسهم في تحرير الطبقة الكادحة، وتعمل على رفع الأغلال والقيود، والتي من شأنها أن تخلق بالضرورة إنساناً جديداً يكتشف إنسانيته من خلال عملية تغييره لصفحة هذا العالم، وليس تاريخ الإنسانية في نظر ماركس سوى تاريخ تلك الاختراعات البشرية التي لم تكن يوماً مجرد معرفة خالصة، بل كانت في صميمها تغييرات متلاحقة في أنظمة الإنتاج ترتب عليها تغيير شامل في العلاقات الاجتماعية، ولعل هذا ما عبر عنه ماركس نفسه: "إن ماهية الإنسان ليست تجريداً باطنياً في صميم كل فرد، بل هي في الحقيقة مجموعة العلاقات أو الروابط الاجتماعية.

بالرغم من إصرار ماركس على الطابع العلمي لفلسفته ورفض أي لون من التفكير الميتافيزيقي، نجد أن الفلسفة الماركسية لا تنقيد في فلسفتها بالجهود العلمية للبحث؛ ذلك أن

الفلسفة التي تتبع من الخبرة العلمية يجب أن تمارس مهمتها في الحقل العلمي ولا تتجاوزه إلى غيره، "فالمجال المشروع لفلسفة علمية كفلسفة الماركسية في زعمها وإن كان أوسع من المجال المنفرد لكل علم، لأنها تستهدف بمختلف العلوم، ولكن لا يجوز بحال من الأحوال أن يكون أوسع من المجالات العلمية مجتمعية، أي: المجال العلمي العام، وهو الطبيعة التي يمكن إخضاعها للتجربة أو الملاحظة الحسية المنظمة"<sup>297</sup>.

إن هدف الاشتراكية -حسب ماركس- هو اعتناق الإنسان، الاعتناق الذي هو نفسه عملية تحقيق إنسانية الإنسان، في سياق تفرد وتواصله المنتج مع الإنسان والطبيعة، إن هدف الاشتراكية هو تطوير الشخصية الفردية.

وعليه فالاشتراكية -بالنسبة لماركس- هي المجتمع الذي يلبي حاجاته الإنسانية، لكن ربما يسأل الكثيرون، "أليس هذا بالضبط، ما تقوم به الرأسمالية المعاصرة؟ وهي التي تحاول بذل جهود ضخمة لخدمة احتياجات الإنسان"<sup>298</sup>.

المادية هي التي أنتجت "مصطلح الواحدية -كما يرى الدكتور عبد الوهاب المسيري، والذي يعني أن ثمة جوهرًا واحدًا في الكون على رغم من كل التنوع الظاهري، مما ينفي وجود الحيز الإنساني المستقل عن الحيز الطبيعي المادي، كما ينفي الثنائية الناجمة عن وجوده، ومن ثم فإن القوانين التي تسري على الطبيعة تسري على الإنسان"<sup>299</sup>، وهذه الطبيعة

<sup>297</sup> محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ص: 144.

<sup>298</sup> إريك فروم، مفهوم الإنسان عند ماركس، ص: 80.

<sup>299</sup> أحمد السيد علي رمضان، المادية في الفكر الفلسفي، ص: 15.



التي يتماها معها الإنسان في عرف الماديين هي؛ "نظام يتحرك بلا هدف أو غاية، نظام أوجد مغلق مكتف بذاته، توجد مقومات حياته وحركته داخله، يحتوي داخله ما يلزم لفهمه، لا يشير إلى أي هدف أو غرض خارجه، فمركزه وقوة دفعه كامن حال فيه، وهو نظام ضروري كلي شامل لا يمكن لأي من المخلوقات تجاوزه، حيث تتضوي كل الأشياء تحته"<sup>300</sup>.

لأجل أن تمتلك الماركسية الحق في تقرير النقطة المركزية تقريراً نهائياً، اختارت أن تكون يقينية، وأعلنت أن "لدى الإنسان من الطاقات العلمية ما يتيح له الجزم بفلسفة معينة عن الحياة، واستكناه أسرار الوجود والعالم، ورفضت مذهب الشك المطلق، وحتى النسبية الجامدة، وحاولت بذلك أن تعطي صفة قطعية للمحور الرئيسي أي: المفهوم المادي"<sup>301</sup>.

إن ترابط المعرفة الإنسانية عوماً بالوضع الاقتصادي -أيضاً- بوصفها جزء من الكيان الاجتماعي الذي يركز كله على العامل الاقتصادي، بالتالي "فالمعرفة حسب الفكر الماركسي ليس وليد النشاط الوظيفي للدماغ فحسب، وإنما يكمن سببه الأصيل في الوضع الاقتصادي، ففكر الإنسان انعكاس عقلي للأوضاع الاقتصادية وما ينشأ عنها من علاقات، وهو ينمو ويتطور طبقاً لتلك الأوضاع والعلاقات"<sup>302</sup>.

---

<sup>300</sup> المرجع السابق، ص: 17 .

<sup>301</sup> محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ص: 272.

<sup>302</sup> المرجع السابق، ص: 201.

على ضوء ما سبق بيانه؛ فمفهوم الطبيعة البشرية، ليس تجريدا بالنسبة لماركس (مثله مثل هيجل)، وإنما جوهر الإنسان في تغيره عن الأشكال المتنوعة لوجوده التاريخي، أو كما يعبر عنه ماركس، إن جوهر الإنسان ليس تجريدا متأسلا في كل فرد على حدة.

كما يتبدى من المفهوم الكلي لإنسانية الإنسان في فلسفة كارل ماركس تتلخص في أن حاجات الإنسان الحقيقية متجذرة في طبيعته، وهذا التمييز بين الحاجات الحقيقية والزائفة، ممكن فقط، على أساس صورة طبيعة الإنسان، وحاجاته الإنسانية الحقيقية، وهي تلك التي يكون إنجازها، ضروريا لتحقيق جوهر الإنسان ككائن إنساني.

### **المطلب الرابع: قراءة نقدية لإنسانية الإنسان في الرؤية الوضعية**

إن القراءة النقدية لمفهوم إنسانية الإنسان في الرؤية الوضعية، تهدف إلى مناقشة علمية موضوعية، تبتعد عن كل تكلف في الشرح، وعن كل تعسف في التأويل أو شطط في الاستنباط، وذلك ببيان أطرها المرجعية وتطبيقاتها على الإنسان المعاصر أو بالأحرى بيان الأسس التي يقوم عليها مفهوم إنسانية الإنسان في الرؤية الوضعية وتجلياتها الحضارية، مع الابتعاد قدر المكان عن منطق الإدانة أو التمجيد، الذي لن يتحقق إلا من خلال اعتماد التحليل الدقيق والمنهجية العلمية في معاينة أفكاره، وبيان "أهم خصائص هذا الإطار النظري الغربي في:

1\_الدنيوية: أي القطع مع الغيب، واعتبار الحياة الراهنة هي الوجود الحق والأهم

للإنسان، ومن ثم فرصته الأولى والأخيرة للاستمتاع بأكثر قدر ممكن من الملذات والمتع.

2\_ تأليه العقل أو العقلانية المفرطة: أي الإيمان بالقدرة المطلقة لعقل الإنسان على

تحصيل المعرفة وإدراك كنه الأشياء والظواهر<sup>303</sup>.

على ضوء ذلك ؛ فإن النظرة الوضعية لإنسانية الإنسان ليست مرتكزة بالأساس على رؤية منهجية، بل تستند قبل ذلك إلى رؤية مادية للإنسان و الكون بحيث لا تقبل منه إلا ما كان ذا وجود مادي الوصول إليه عن طريق الملاحظة، أما ما لم يكن كذلك فإن الرؤية الوضعية لا تبحث عنه بأي وسيلة أخرى، ولا تقبل غير الملاحظة للوصول إليه، بل تنكره وتتفي وجوده، وعليه فهذه النظرة "للإنسان في المنظور المادي الوضعي لم تُبق منه إلا الجانب الجسمي لأن الجانب الروحي لا تعترف به أصلاً، ولذا لن يبحث الوضعيون عن المناهج المناسبة لمعالجته، هذا التصور الأخير وضع علم النفس في أزمة حقيقية بحيث أصبحت الصياغة غير قابلة تماماً للاستمرار في المناخ الوضعي الجديد"<sup>304</sup>.

إن افتقار المنظور الشمولي وغياب العلة الأساسية لخلق الإنسان هو الذي يفسر غياب المعنى الحقيقي لإنسانية الإنسان، "كل ذلك جعل مدارس الفكر الغربي أسرى للحتميات والنظريات أحادية التفسير والاتجاه"<sup>305</sup>، "إن الوضعيين لم يضعوا تصوراً شاملاً لإنسانية الإنسان انطلاقاً من أبحاثهم ودراساتهم، بل إنهم يقومون بأبحاثهم ودراساتهم في ضوء تصور

<sup>303</sup> محمد الناصري، القرآن الكريم ومنهجه المعرفية البديلة، ص: 366 .

<sup>304</sup> عبد النصار السباعي، مشكلات علم النفس في التصور الغربي للإنسان: دراسة تاريخية، ص: 149-150.

<sup>305</sup> نبيل السمالوطي، الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، ص: 61.

ضمني لإنسانية الإنسان<sup>306</sup>، "ولعل أبرز الميادين العلمية التي تدل على خطورة المأزق الذي وصل إليه العلم في الغرب: ميدان العلوم البيولوجية وخاصة موضوعة الاستنساخ الذي حول الإنسان إلى مجرد سلعة خاضعة للعرض والطلب، تسري عليها أهواء العلماء وتتحكم فيها مختبراتهم"<sup>307</sup>.

كل هذه الأسباب وغيرها مما أسفر عنه التفكير الوضعي؛ نتج عنه الاعتداء السافر على إنسانية الإنسان، سواء على المستوى الفلسفي، أو على المستوى العملي الواقعي، فمن الفلسفات العدمية والعبثية التي تهدر الغاية من الوجود الإنساني من أصله، إلى الوجودية التي تهدر معنى الثبات في الماهية الإنسانية وتدّعي إمكان التغيير المستمرّ فيها، إلى التشريعات التي تلغي الفروق بين الجنسين وتشرع بناء على ذلك الزواج المثلي، إلى الهندسة الوراثية التي تسعى إلى الاستنساخ البشري .

كل ذلك راجع إلى "التصور الوضعي للمعرفة، وهذا التفكير من هذه الزاوية لم يعد تصورا علميا بمقدار ما هو تصور فلسفي يستجيب للفلسفة الحسية، وهو مغاير تماما للاتجاهات الحديثة في علم النفس المعرفي الحديث، خاصة عندما يختزل الواقع إلى مجرد أشياء مفردة، كما يهمل أيضا عالم العمليات والعلاقات غير المنفصل عن الأشياء، هذا العالم الذي يمثل نمطا للتحقق الواقعي، كالعلاقات المكانية والزمانية"<sup>308</sup>، "ومن تطورات

<sup>306</sup> عبد الناصر السباعي، السباعي، مشكلات علم النفس في التصور الغربي للإنسان: دراسة تاريخية، ص: 152.

<sup>307</sup> محمد الناصري، القرآن الكريم ومنحيته المعرفية البديلة، ص: 369 .

<sup>308</sup> مصطفى كبحل، العقل الوضعي وسؤال التحديد: دراسة نقدية في الجهود الفلسفية لركي نجيب محمود، ص: 57.

الفكر الغربي التي أسست رؤية فلسفية ومبادئ وتصورات كلية صارت مرجعية مركزية متحكمة ومهيمنة على النظر الإنساني للإنسان والكون والإله<sup>309</sup>، وعليه "فبدلاً من تسخير العلم لإسعاد الناس ومعالجة مشكلاته، صار العلم والمعرفة يسخران لتصنيع وسائل الدمار الشامل وغيرها مما يهلك الحرث والنسل، إجمالاً، ثمة إحباط عام يلف الأسرة الدولية من جراء الوعي بخسارة المستقبل"<sup>310</sup>.

وعلاوة على ذلك فإن التصور الوضعي للمعرفة يهدف إلى تفكيك العالم وتفتيت الظواهر إلى العناصر الأولية، ويأمل دائماً أن يعرف المركب إذ عرفت أولياته التي يتكون منها وما "نفهمه من التحليل الوضعي هو أن خصائص الكل تساوي المجموع الحسابي لخصائص عناصره منفردة، وهي فكرة واضحة الخطأ"<sup>311</sup>، كما تصبح الكثير من إمكانات الدراسة، كالظواهر الاجتماعية والنفسية والاقتصادية التي لا يساوي مفهومها الجمع العددي للعناصر التي تتركب منها، لأن هذا الجمع يعطي للظاهرة طابعاً مميزاً وجديداً.

لقد طرح كونت تصوراً كونياً للتاريخ الإنساني يعرف بقانون المراحل الثلاث، افترض فيه أن الإنسانية مرت خلال تطورها بثلاث مراحل: المرحلة الأولى هي المرحلة الدينية، المرحلة الثانية هي المرحلة الميتافيزيقية، المرحلة الثالثة هي المرحلة الوضعية، وفي رأي كونت أن المرحلتين الدينية والميتافيزيقية قد استنفذتا مهمتهما التاريخية، ولذا كرس كل

<sup>309</sup> عبد الرحمن العضاوي، علمية الإسلام وعلمية حقوق الإنسان، ص: 204 .

<sup>310</sup> محمد الناصري، المشتركات القيمية في زمن كورونا وما بعده: قراءة في دواعي وأسباب الحاجة، مجلة السلم، العدد 09، السنة، 2020م، ص:

180\_181 .

<sup>311</sup> عاطف أحمد، نقد العقل الوضعي، دراسة في الأزمة المنهجية لركي نجيب محمود، ص: 80.

جهوده لرسم "معالم المرحلة الوضعية التي يرى أنها تمثل مستقبل الإنسانية من جميع النواحي الفكرية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية، وسنقتصر هنا على خصائص المرحلة الوضعية من الناحية المعرفية، والتي لها صلة مباشرة بمشكلات الإنسان"<sup>312</sup>.

واجهت الماركسية في هذه المرحلة مشكلة وهي: أن الميزان الفكري للإنسان إذا كان هو الحس والتجربة، فلا بد أن تكون المعلومات التي يكونها عن طريق الحس والتجربة صحيحة دائماً، ليتمكن اعتبارها ميزاناً أولياً توزن به الأفكار والمعارف، فهل نتائج الحس العلمي كذلك حقاً؟

هكذا وقعت الماركسية بين خطرين: فإن اعترفت بأن المعلومات القائمة على أساس التجربة ليست معصومة من الخطأ، فقد سقطت التجربة من كونها ميزاناً أولياً للحق والمعارف، وإن ادعى الماركسيون أن النظرية المستمدة من التجربة والتطبيق فوق الخطأ والاشتباه، اصطدموا بالواقع الذي لا يسع لأحد إنكاره، وهو: "أن كثيراً من النظريات العلمية، بل القوانين التي توصل إليها الإنسان عن طريق درس الظواهر المحسوسة، قد ظهر خطؤها وعدم مطابقتها للواقع، فسقطت عن عرشها العلمي بعد أن تربعت عليه مئات السنين"<sup>313</sup>.

والفلسفة الماركسية تؤمن في هذه المسألة بإمكان معرفة العالم، وبطاقة الفكر البشري على الكشف عن الحقائق الموضوعية.

<sup>312</sup> عبد الناصر السباعي، مشكلات علم النفس في ضوء التصور الغربي للإنسان: دراسة تاريخية، مجلة المسلم المعاصر، السنة 15، 1411هـ، 1990م، العدد 57، ص: 147.

<sup>313</sup> محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ص: 149-150.

خلافاً للمثالية التي تنكر إمكان معرفة العالم وقوانينه، ولا تؤمن بقيمة معارفنا، ولا تعترف بالحقيقة الموضوعية، وتعتبر أن العالم مملوء بأشياء قائمة بذاتها، ولن يتوصل العلم أبداً إلى معرفتها، لتقوم المادية الفلسفية الماركسية على المبدأ القائل: "إنه من الممكن تماماً معرفة العالم وقوانينه، وإن معرفتنا لقوانين الطبيعة- تلك المعرفة التي يحققها العمل والتجربة- هي معرفة ذات قيمة ولها معنى حقيقي موضوعي، وأن ليس في العالم أشياء لا يمكن معرفتها، وإنما فيه أشياء لا تزال مجهولة بعد، وهي ستكشف وتصبح معروفة بوسائل العلم والعمل"<sup>314</sup>.

لذلك فإن الحضارة الغربية المعاصرة، ورغم ما توصلت إليه وحققته من إنجازات مادية هائلة في جميع الميادين، وعلى كل الأصعدة؛ فهيات للإنسان من أسباب الرفاهية ومظاهر التنعم ما لم يتهيأ له في الأزمان السابقة على مر التاريخ، إلا أنها أغفلت الجانب المعنوي الروحي في الإنسان ولم تُعز له اهتماماً، أو لم تجعله في سلم أولوياتها في أحسن الأحوال؛ فعظمت كل ما هو مادي، وهونت من شأن كل ما هو معنوي، واعتبرت التقدم في إنتاج أكبر كمّ من السلع والخدمات، وإشباع أكبر قدر من اللذات والشهوات، ولهذا فهي تعاني - كما نشاهد في الواقع - من الويلات التي جرّتها إليه حضارتها، حتى صارت تشكل خطراً على أهلها وعلى البشرية جمعاء.

---

<sup>314</sup> المرجع السابق، ص: 263.

إن الإنسان الذي هو محور دراسة العلوم ليس عدداً أو شكلاً مما تدرسه علوم الرياضيات، كما أنه ليس مادة من مواد العلوم الطبيعية، وليس آلة من مواد العلوم الاقتصادية، فالإنسان مخلوق ثنائي التركيب روح وجسد، ويمكننا أن نقول "إن الروح الإنسانية هي العنصر الأساسي الذي يتصل بمعاني الوجود، بالأفكار والمشاعر والمعاني والمقاصد التي تقف وراء الوقائع والتغيرات المختلفة، ومن ثم قلنا بأنه يحتاج إلى فهم كيفي وليس كمياً أو مادياً، فالروح في الإنسان لا تقبل الكم أو القياس ولا تخضع للملاحظة أو التجريب، ومن ثم يخطئ من يحاول ردها إلى المادة"<sup>315</sup>.

إنسانية الإنسان، اتجاه تكويني ذاتي، " وجد مع الإنسان منذ بداية وجوده على هذه الأرض، وهذا الاتجاه يفسر قوة الدفع الأصيلة والنزوع الذاتي، في تكوين الإنسان"<sup>316</sup>، إن "أية قيمة تستلزم إنسانية الإنسان باستعباده واستذلاله، أو لا تجسد إنسانيته، بل لا تجسد كمال الإنسانية فيه يرفض الإسلام أية حركة يتم فيها إبعاد المقاصد الإنسانية الكلية"<sup>317</sup>، "فكل المنافع التي من شأنها أن ترتقي بإنسانية الإنسان، أو على الأقل تحفظها، وتتكسر كل المضار التي من شأنها أن تنحط بهذه الإنسانية"<sup>318</sup>، فإنسانية الإنسان "في النظر الغربي هي وليدة رؤيته للعالم تأسست في سياق تاريخي امتد من عصر النهضة الأوروبية إلى التنوير، إلى الحداثة، إلى ما بعد الحداثة، إلى زمن العولمة، فعلى الرغم من تعدد

<sup>315</sup> محمد أمين جبر، الإنسان والخلافة في الأرض، ص: 25.

<sup>316</sup> بدران مسعود بن لحسن، دور الدين في تحقيق العمران الاجتماعي، سلسلة المؤتمرات، الدين والحضارة حفظ العمران: مقصد شرعي، مؤسسة

الفرقان للتراث الإسلامي، ط1، 1440هـ، 2018م، ص: 75.

<sup>317</sup> محمد عبد الفتاح الخطيب، قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة، كتاب الأمة، العدد 139، السنة 30، ص: 29.

<sup>318</sup> المرجع السابق، ص: 30.



الاجتهادات داخل الفكر الغربي النابعة من هيمنة المنهج النقدي الفلسفي التفكيكي فإن  
إيديولوجية الحداثة قد هيمنت على رؤيته للعالم<sup>319</sup>.

فإذا كانت الرسائل السماوية جاءت لترشد الفعل الإنساني، "فإن من تمام الرشد أن  
يحقق الإنسان ذاته بالإيمان والوعي والتأمل، وأن تكون له حضارته الإنسانية المتوازنة،  
تحفظ له موقعه ومكانته فيما يكسبه من توقيعات إنسانية وحضارية"<sup>320</sup>، وبروز الأزمات  
الفكرية والمعرفية عالميا ومحليا، يتصدى القرآن الكريم إلى توجيهها وترشيدها.

إن الخطاب القرآني موجه إلى الذات الإنسانية، وإلى كل فرد وكل جماعة، فإذا جعلنا  
في بؤرة وعينا أن خطاب القرآن الكريم إنما هو بكل بساطة تعبير عن الفطرة الإنسانية  
السوية الغائية الإيمانية الأخلاقية، "كما أن المتأمل في القرآن الكريم، يتبين له أن دين الله  
تعالى وشريعته السمحة في أحكامها؛ الاعتقادية والعملية، تصب كلها في مقصد تحقيق  
صلاح الإنسان بأبعاده الثلاثة؛ الفردية والجماعية والعمرانية، وذلك من خلال ضبط نظام  
الأمة واستدامة صلاحه بصلاح الإنسان في دوائر وجوده الثلاثة السالفة الذكر"<sup>321</sup>.

القرآن الكريم هو الوحي الإلهي الذي يمثل المصدر المنشئ للتصورات الكلية، التي  
تحكم رؤية المسلم للخالق والمخلوقات وللحياة الدنيا وما بعدها من حياة أخرى، ورؤيته  
لطبيعة الإنسان وغاية وجوده ولعالم الغيب وعالم الشهادة، "والقرآن الكريم هو المصدر

<sup>319</sup> عبد الرحمن العضاوي، عالمية الإسلام وعالمية حقوق الإنسان، ص: 210.

<sup>320</sup> نعيمة لبدوي، مفهوم التعارف بين التأويل المفسرين ورؤية المفكرين، التأويل سؤال المرجعية ومقتضيات السياق، أعمال الندوة العلمية الدولية التي  
نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، يومي 17 و 18 شعبان 1434هـ، الموافق لـ 26 و 27 يونيو 2013م، الرباط المملكة المغربية، ص: 611.

<sup>321</sup> بدران مسعود بن لحسن، دور الدين في تحقيق العمران الاجتماع، ص: 98.

المنشئ لأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات والأخلاق، ولقواعد التفكير الإنساني التي تنظم طرق فهم الإنسان والمعاملات والأخلاق، ولقواعد التفكير الإنساني التي تنظم طرق فهم الإنسان للأشياء والأفكار والأحداث وتحكم سلوكه إزاءها<sup>322</sup>.

إن القرآن الكريم قد ركز على إبراز الخصائص الطبيعية لإنسانية الإنسان، التي تقوم على وحدة الكيان الإنساني الثنائي التركيب؛ روح ومادة، ولو أن الإنسان ارتبط في فكره وسلوكه الفردي والاجتماعي بالهدى القرآني، لاستطاع أن يحقق وحدة الوجود الإنساني وتوازنه، "مستنده المعرفة الإلهية بالنفس الإنسانية وطبيعتها، في شكل مجتمعات تحقق التوازن بين الدنيا والآخرة، والتوازن في الشخصية الفردية بين الجسد والروح، في ظل الإيمان بالله، واستغلال الموارد والطاقات في البيئة الكونية في إطار من توجيهات الدين وقيمه الأخلاقية"<sup>323</sup>.

القرآن الكريم مرجعاً ومصدراً لإنسانية الإنسان التي تقوم على ضبط سلوك الإنسان في الكون والحياة بمفاهيم الاستخلاف لتحقيق كمال الإنساني الممكن، تدفع الإنسان إلى التعامل مع الكون على أنه ملك الله وهو جزء منه ومن ثم لا يسخر قوانينه إلا فيما يرضي خالقه، "فالوحي على هذا الأساس ضرورة حياتية للإنسان، بدونها لن يستطيع أن يعرف نفسه على حقيقتها، ولا أن يعرف دوره وموقعه في الكون، ولا أن يؤدي ذلك الدور بالشكل المطلوب

<sup>322</sup> فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية، ص: 209.

<sup>323</sup> محمد أمين جبر، الإنسان والخلافة في الأرض، ص: 09.

منه<sup>324</sup>، ومن ثمّ "من الواجب إذن أن نبرز الحفاظ على إنسانية الإنسان باعتبارها مقصدا شرعيا أساسيا من مقاصد الشريعة الإسلامية تتوقف عليه الحياة الإنسانية ومعناها وقيمتها وغاية وجودها"<sup>325</sup>.

على ضوء ما سبق بيانه يمكن القول ؛ إن الإسلام دين الإنسانية يحثنا على العمل الإنساني للبشرية جمعاء، دون أن يقتصر عمل الخير عند المسلم على الأخوة في الإسلام، ليتعداها إلى الأخوة الإنسانية، والعمل الخيري أو الإنساني، وهو العمل الذي لا يعتمد على تحقيق أي مردود مادي أو ربحي؛ بل يعتمد على تقديم مجموعة من الخدمات الإنسانية للأفراد المحتاجين لها، بخلاف الرؤية الوضعية القاصرة على هذه الرؤية الشمولية لإنسانية الإنسان.

---

<sup>324</sup> الطيب البرغوث، المدخل السنني إلى خريطة المقاصد الكلية في القرآن الكريم، ص: 420 .

<sup>325</sup> عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: 85.

## **الفصل الثاني :**

**الأسس المرجعية والمعرفية لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم**

يقدم هذا الفصل تصوراً حول الأسس المرجعية والمعرفية لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم من خلال تناوله في بحثين الأول: يدرس الأسس المرجعية ومقومتها، والثاني من خلال الأسس المعرفية لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم.

### **المبحث الأول: الأسس المرجعية ومقومتها**

مرجعية القرآن الكريم شاملة للتصور الإسلامي أصوله وفروعه، إذن كيف انعكست هذه المرجعية بمقومتها من خلال البحث حول إنسانية الإنسان، إذ تبرز هذه الأسس المرجعية ومقومتها من خلال اختصارها في مطلبين:

### **المطلب الأول: مفهوم الأسس المرجعية**

تستمد المرجعية مشروعيتها، من خلال وضعها في إطاره العقدي أو المعرفي أو في سياقها التاريخي، ورصد درجة التفاعل معها من جهة كونها سلطة يحتكم إليها، ونبراس يستضاء به، وسند تبنى عليه التصورات والمواقف والأحكام، إن القرآن الكريم بما هو مرجعية عليا، قد أرسى المبادئ الكبرى للإنسانية التي تنزل في صميم المنظومة العقدية والتشريعية تضبط تعامل الناس والتي تتسجم مع تلك المبادئ فهما وتنزيلا، وتعصم الفقيه والحاكم من الخلط أو النزوع إلى التبرير والتوظيف، لتظل تلك المبادئ إسلامية صرفة محافظة على طابعها الخلقي القيمي الفطري، هكذا مثل القرآن الكريم مرجعية عليا ثابتة في الحياة والإنسان والكون، باعتبار القرآن الكريم المرجعية العليا في الحديث عن إنسانية الإنسان.

مصطلح المرجعية في اللغة أصله من مادة (رجع) يقول ابن فارس "الراء والجيم والعين أصل كبير مطرد مُنقاس، يدل على رد وتكرار، تقول: رجع يرجع رجوعا، إذا عاد، وراجع الرجل امرأته، وهي الرجعة والرجعة، والرجعى: الرجوع"<sup>326</sup>، ويقول ابن منظور في لسان العرب "رجع يرجع رجعا ورجوعا ورجعى ورجعانا ومرجعا ومرجعة، انصرف وفي التنزيل؛ ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَ﴾<sup>327</sup>، أي الرجوع والمرجع مصدر على فُعلَى<sup>328</sup>، أما الراغب الأصفهاني في المفردات فيقول؛ "الرجوع العود إلى ما كان منه البدء، أو تقدير البدء مكانا كان أو فعلا، أو قولاً وبذاته كان رجوعه أو بجزء من أجزائه أو بفعل من أفعاله، فالرجوع العود والرجع الإعادة، والرجعة في الطلاق، وفي العود إلى الدنيا بعد الممات، ويقال فلان يؤمن بالرجعة، والرجاع مختص برجوع الطير بعد قطاعها، فمن الرجوع قوله تعالى: ﴿لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾<sup>329</sup>، ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ﴾<sup>330</sup>، ويقال رجعت عن كذا رجعا، ورجعت الجواب نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾<sup>331</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾<sup>332</sup>، أي حرما عليهم أن يتوبوا ويرجعوا عن الذنب تنبيها أنه لا توبة بعد الموت، كما قال تعالى: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا

<sup>326</sup> ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (رجع)، ج2، ص: 490.

<sup>327</sup> سورة العلق، الآية: 08 .

<sup>328</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة (رجع)، دار صادر، بيروت، ط1، بدون طبعة وتاريخ، ج8، ص: 114.

<sup>329</sup> سورة المنافقون، الآية: 08 .

<sup>330</sup> سورة يوسف، الآية: 63 .

<sup>331</sup> سورة التوبة، الآية: 83 .

<sup>332</sup> سورة الأنبياء، الآية: 95 .

نُورًا ﴿٣٣٣﴾، وقوله تعالى: ﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾<sup>334</sup>، فمن الرجوع أو من رجع الجواب كقوله تعالى: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾<sup>335</sup>، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَأَنْظَرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾<sup>336</sup>، فمن رجع الجواب لا غير، وقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾<sup>337</sup>؛ أي المطر، وسمي رجعا لرد الهواء ما تناوله من الماء، وسمي الغدير رجعا إما لتسميته بالمطر الذي فيه وإما لتراجع أمواجه وتردده في مكانه<sup>338</sup>.

فالرجوع إذاً على اختلاف استعمالاته، يفيد على العموم معنى الرد والعودة، في لسان العرب كما في خطاب الشرع، وتدل على هذا المعنى آيات أخرى دون استعمال اللفظ ذاته، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُرْدُونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>339</sup>، ﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>340</sup>، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾<sup>341</sup>، ﴿فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾<sup>342</sup>.

<sup>333</sup> سورة الحديد، الآية: 13 .

<sup>334</sup> سورة النمل، الآية: 35 .

<sup>335</sup> سورة سبأ، الآية: 31 .

<sup>336</sup> سورة النمل، الآية: 28 .

<sup>337</sup> سورة الطارق، الآية: 11 .

<sup>338</sup> الأصفهاني الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق، محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للنشر، لبنان، (دت)، كتاب

الراء، مادة (رجع)، ص: 188-189.

<sup>339</sup> سورة التوبة، الآية: 94 .

<sup>340</sup> سورة الأنعام، الآية: 27 .

<sup>341</sup> سورة النساء، الآية، 83 .

<sup>342</sup> سورة النساء، الآية: 59 .

إن مفهوم المرجعية مفهوم ذاتي مُعَبَّر عن خصوصية المجتمع المفكر، لأنه يمثل "الإطار الكلي والأساس المنهجي، المستند إلى مصادر وأدلة معينة، لتكون معرفة ما أو إدراك ما، يبني عليه قول أو مذهب أو اتجاه يتمثل في الواقع علماً أو عملاً"<sup>343</sup>، "المرجعية رؤية كلية جامعة عن تصور معين لله ووحيه، ومفسر للكون ووجوده، والإنسان ومقاصده، وتصوغ الحياة في أشكال وأنماط محددة تعبر بوعي وبلا وعي عن منهجها في النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والقيمي والأخلاقي والجمالي"<sup>344</sup>.

وعليه هذا فاستعارة فعل (رجع) بهذا المعنى في الفكر العربي والإسلامي المعاصر، والذي منه "المرجع" و"المرجعية"، يعني أن المرجوع إليه، الذي يرد ويعاد إليه أصل ومبدأ كلي جامع، يحسم الخلاف وينهي النزاع، إذ غالب الرجوع بما هو رد وعودة إلى أصل يكون بعد خلاف في فرع أو نزاع في جزء، يضاف إلى هذا أن هذا الأصل لا يمكنه إلا أن يكون ذاتياً محددًا للذات هوية وحضارة، ولا يمكنه أن يكون شيئاً آخر خارجاً عنها"<sup>345</sup>.

كثيراً ما يفتن ذكر المرجعية بالحديث عن رؤية العالم في نظر المفكرين المسلمين، حيث اعتبر سيد قطب أن البحث في المرجعية "هو بحث عن القاعدة التي يقوم عليها نظام الحياة الإنسانية، في أكمل صورة، بل هو بحث عن الأصل الذي ينبثق منه النظام"<sup>346</sup>.

<sup>343</sup> سعيد بن ناص الغامدي، المرجعية في المفهوم والمآلات، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، بيروت، ط1، 2015م، ص: 34.

<sup>344</sup> عبد الرحمن العضراوي، عالمية الإسلام وعالمية حقوق الإنسان، ص: 210.

<sup>345</sup> سعيد شبار، الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر دراسة في الأسس المرجعية والمنهجية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1،

2007م، ص: 338.

<sup>346</sup> سيد قطب، مقومات التصور الإسلامي، دار الشروق، مصر، ط5، 1418هـ، 1997م، ص: 22.



ومن هذا المنطلق يمكن اعتبار المرجعية أصلاً وأساساً "يحيل المعرفة قوة دافعة، لتحقيق مدلولها في عالم الواقع، تبتغي استجاشة ضمير الإنسان لتحقيق غاية وجوده الذي أراده لها، وإلى الحياة الكريمة الرفيعة التي تتفق مع الكرامة التي كتبها الله للإنسان، والتي تحققت في فترة من فترات التاريخ، على ضوء هذا التصور، عندما استحال واقعا في الأرض، يتمثل في أمة، تقود البشرية إلى الخير والصلاح والنماء"<sup>347</sup>.

إلا أن المرجعية في التصور الإسلامي مختلفة عن غيرها في باقي التصورات ولذلك يجب التمييز بين "حياة تقوم على أساس التصور الإسلامي والمنهج الإسلامي، وحياة تقوم على غير هذا التصور وغير هذا المنهج، حتى لو قامت في رقعة من الأرض واحدة، وفي فترة من الزمان واحدة"<sup>348</sup>.

إن ارتباط المرجعية برؤية العالم وليدة صدفة لا غاية لها، بل هي وليدة علاقة وطيدة تمثل الإطار الكلي الذي يمارس فيه العقل عملية الاكتساب المعرفي، "الرؤية الكلية هي المدخل الأساسي للعمل المعرفي في سائر محاور المشروع وقضاياها، والتناول المنهجي يتداخل في غايات المشروع وفي وسائله على حد سواء، ويبدو أن كل صور السلوك الإنساني يمكن في النهاية إرجاعها إلى رؤية العالم، وهي نتيجة كافية بحد ذاتها للكشف عن أهمية رؤية العالم في الحياة الفردية والاجتماعية والنشاط العلمي، وحسب هذه النتيجة نستطيع أن تؤكد الدور المركزي لرؤية العالم في أعمالنا، دون أن نقلل من أهمية العوامل

<sup>347</sup> سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، القاهرة، ط10، 1408هـ، 1988م، ص: 10.

<sup>348</sup> سيد قطب، مقومات التصور الإسلامي، ص: 24.

الأخرى، مثل نفسية الفرد والمحيط المادي والاجتماعي، ولكن رؤية العالم من الناحية المعرفية على الأقل أكثر أهمية بكثير من أي عناصر أخرى ذات علاقة بالسلوك الإنساني، لأنها الإطار الوحيد الذي يمارس العقل الإنساني فيه عمله لاكتساب المعرفة، ولذلك فإن رؤية العالم هي الأساس لأي نظرية معرفة<sup>349</sup>.

إن بعض الدراسات ربطت الحديث عن المرجعية بحديثها عن نظرية المعرفة لأن هذه الأخيرة تختص بالقضايا الكلية، أو محاولة الإجابة عن الأسئلة الكلية للمعرفة، والتي بدونها لا يستقيم أي نظام معرفي.

إن هذه القضايا الكلية هي التي حاولت نظرية المعرفة بيانها باعتبارها "دراسة منهجية منظمة لقضية العلم أو مسألة المعرفة، بدراسة ماهية المعرفة وإمكانها وطبيعتها وطرق الوصول إليها وقيمتها وحدودها"<sup>350</sup>.

إن ربط نظرية المعرفة بالتصور العقدي التوحيدي في الإسلام، هو سبيل "تفعيل قواعد العقيدة معرفياً وتحويلها إلى طاعة معرفية مبدعة تقدم إجابة شافية عما يطلق عليه (الأسئلة الكلية أو النهائية)، وذلك من خلال الفهم المعرفي لقواعد الإيمان والتركيز على الأبعاد المنهجية له"<sup>351</sup>.

<sup>349</sup> ملكاوي فتحي حسن، منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية، ص: 97-98.

<sup>350</sup> عبد الحميد الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فريجينا، ط1، 1412هـ، 1992م، ص: 63.

<sup>351</sup> طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية: محاولات في بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة، دار الهادي، بيروت، ط1، 1429هـ، 2008م، ص: 279.

وربط المرجعية بقاعدتها الإيمانية في التصور الإسلامي هو المخلص لها من الصورية والتجريد إلى الواقعية والتقصيد، "فإذا كان العقل المسلم قد درج على اعتبار هذه القواعد الإيمانية قضايا فردية اعتقادية تتعلق باعتقاد ديني لا ينعكس على شيء منهجي أو معرفي، فإن رؤية إسلامية المعرفة اتساقا مع مقاصد الشرع وخصائصه رسالة الإسلام، تقوم على أن هذه القواعد تمثل أسسا للنسق الحضاري والمعرفي الذي ينشده الإسلام، وهي تدرك في الوقت ذاته أنه ما من نهضة أو حضارة على وجه الأرض قامت أو تقوم إلا على أساس معرفي ومنهجي، وفي مقدمة تلك الأنساق الإسلام الذي حقق ما حققه بناء على الرؤية الإسلامية للغيب والكون والإنسان والحياة وبقية المنظومة الإيمانية، والعقدية الإسلامية التي تعتبر منطلق هذه الرؤية وأساسها"<sup>352</sup>.

يعتبر مفهوم النموذج المعرفي كذلك أشد المصطلحات ارتباطا بالمرجعية، لأن محاولة الربط بين الأنساق المعرفية أو النماذج وبين الإنتاج الفكري الذي وجد في عصر من العصور، يحدد لنا مدى الاستقامة والفعالية والتجديد والشمول في ذلك الإنتاج الفكري كما أنه يعيننا في محاولة كشف وبيان كيفية استمداد النماذج المعرفية الجزئية من النظام الكلي التوحيدي، تمهيدا وتوطئة لإمكانية تشكيل نماذج معرفية في مختلف العلوم"<sup>353</sup>.

إن العلاقة الوثيقة للنموذج المعرفي في صياغة المعرفة وتشكيل أي مرجعية، تبرز ملامحها وتتحدد سماتها باعتبار "الأطر المرجعية أو النسق القياسي والنماذج التحليلية،

<sup>352</sup> المرجع السابق، ص: 279.

<sup>353</sup> المرجع السابق، بتصرف، ص: 280.

ومثلها من التركيبات الكلية التي يمكن استخدامها عند مراحل مختلفة في العمل الفكري الانشائي، أو في مستويات مختلفة منه، إنما تدخل في عداد اللحمة والعصب للمنهجية، في غيابها تضيع ملامح المنهجية وتغدو في غمار ذلك، المفاهيم جملة مفاتيح اختلطت أبوابها أو فانت دارها<sup>354</sup>.

فالنموذج المعرفي من المرجعية "موضعه موضع الخريطة الأساسية للملامح العامة للموقع محل الرضى والنظر والحركة، فهو يتيح وضع المفاهيم في مواضعها وإخراجها من قوالبها المستقلة لتوصيلها فيما بينها وتشغيلها في تشكيلاتها المتباينة في اتجاه معلوم، في سبيل تحقيق القصد من المنهجية، فكأن الأطر المرجعية هي الكفيلة بتأكيد فعالية المنهجية إذ عليها يتوقف ضبط وتحريك الوحدات الجزئية، إقامة العلاقات الارتباطية بينها، وتمييز المستويات وترتيب الأولويات في ضوء المنظومة القيمية التي تنطوي عليها هذه الأطر<sup>355</sup>.

وفي الأخير يمكن القول إن المرجعية بما هي سلطة معرفية تضبط التصورات، وتحدد المواقف، وتتحكم في توجيه القرارات، هي المعيار الموضوعي الذي يمكن من الكشف عن ملامح أي اتجاه فكري، كما أن تعدد المرجعيات وتنوعها وتداخلها أمور طبيعية في عالم البشر، لكن ما ليس طبيعياً هو أن يتحول هذا التنوع والاختلاف إلى صراعات وفتن، بها

<sup>354</sup> أبو القاسم حاج حمد محمد، منهجية القرآن المعرفية أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، دار الهادي، بيروت، ط2، 1429هـ،

2008م، ص: 71-72.

<sup>355</sup> المرجع السابق، ص: 72.

تتعمق الفرقة والعدواة بين أفراد المجتمع ومجموعاته ومكوناته خصوصاً إذا اتصل الأمر بموضوع حساس مثل موضوع إنسانية الإنسان.

إن وحدة المرجعية؛ من الواضح آثارها على النفس الإنسانية، وذلك من خلال ما يصل إليه الإنسان من نفس مطمئنة تتوحد طاقاتها ومشاعرها في جهة واحدة، تشعر بالرضا والسعادة، وتتصف بالنشاط والهمة والإيجابية، وتطمئن إلى الحكمة فيما يتفضل الله به عليه من نصيب الدنيا، وما يدخره له في الآخرة، وقد ضرب الله مثلاً في القيمة العظيمة التي تمثلها وحدة المرجعية بالمقارنة مع تعددها، وكل ذلك له أبعاد إيجابية على معاني إنسانية الإنسان.

### المطلب الثاني: المقوم العقدي

الإيمان بالله وبالعالم ما وراء المادة ( الغيب )<sup>356</sup> من شأنه أن يحرر الإنسان من القيد الذي يكبل إنسانيته، ويعيقه عن إدراك الحقيقة الإنسانية، فإيمان الإنسان يحرر فكره وروحه من الهوى والشهوة، إذ الاعتقاد بالله يصدّ صاحبه عن الميل والتردي نحو السفول والضلال

<sup>356</sup> مصطلح الغيب من المصطلحات المركزية في القرآن الكريم، وعليه فقد طرق بابه الأئمة العلماء في مختلف الفنون والعلوم الإسلامية، وعلى مستوى القرآن الكريم كله يلاحظ أن مصطلح الغيب حضوراً مهماً، أخذاً بعين الاعتبار عدد كلمات القرآن الكبير جداً، مقارنة مع غيره من المصطلحات التي لها حضور ضئيل جداً، وفي غالب نصوصه، نجد المصطلح يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقضية التوحيد . فالقرآن الكريم جعل المسائل الغيبية والقضايا العقدية مبنية على التسليم والإذعان، بخلاف المسائل العقلية والقضايا الفكرية التي أطلق الإسلام حرية العقل فيها للبحث والنظر والتفكير، ولما كان الخطأ وارداً في المسائل الفكرية للوصول إلى الحقائق الكونية؛ فإنه في القضايا الغيبية يهوي بصاحبه في ظلمات لا تحاية لها . لتوضيح هذا المصطلح أكثر، أنظر كتاب: مفهوم الغيب في القرآن الكريم والحديث الشريف: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، رسالة دكتوراه، إدريس مولودي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط 1، 1437هـ، 2016م، حيث نجد طه عبد الرحمان يركز على أن وجود الإنسان في عالمين اثنين لا في عالم واحد، وهي إشارة لأهمية مفهوم الغيب، أنظر كتاب رُوح الدّين: من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية، المركز الثقافي العربي، ط 3، 2013م. يمكن القول أن تحقيق إنسانية الإنسان بشكل متوازن يتجلى؛ فعالم الشهادة يحيط به عالم الغيب من كل جانب، وبهذا الشكل فعالم الغيب والشهادة مترابطان ومتداخلان بطريقة مستمرة ودائمة ومستدامة، أنظر كتاب: الإنسان بين عالم الغيب والشهادة، على محمد على عبد الله، طوى للثقافة والنشر والإعلام، ط 1، 2014 .

المعرفي والروحي والسلوكي، ويرجع به إلى الانصياع لأوامر الله وحده، بحيث لا يكون هناك سلطان على الفكر غير سلطان التوحيد الخالص.

لقد كانت العقيدة<sup>357</sup> في صورتها الأولى التي تركز في أعماق النفس الإنسانية، وتشعر معها بالرضى والاطمئنان، وتفسر لها كثيراً من حقائق الوجود الظاهر وأمر الغيب المستتر، وتشير إلى المبادئ العميقة التي دعا إليها الإسلام والمتعلقة بأركان الإيمان، وعلاقة المخلوق بالخالق، وعلاقة عالم الغيب بعالم الشهادة، إلى غير ذلك من الحقائق الكبرى التي استقرت في الوجدان وأثرت في سلوك الأفراد من الجيل الأول الذين تلقوها مباشرة من صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم، "ومن هنا يمكن التحدث عن عالمية البيان القرآني وعالمية خطابه وعالمية رسالته، وعالمية مقاصده على أساس مقاصد الوحدة المستخلصة من قاعدة التوحيد، باعتبارها قانوناً علمياً كاشفاً عن التوحيد الجامع لمنظومة من مقاصد الوحدة الإنسانية والكونية"<sup>358</sup>.

إن بناء الإنسان وتحقيق إنسانيته يتجلى من خلال إصلاح عقيدته<sup>359</sup>، لتكون بذلك القوة

الدافعة لجميع أعماله والخيط الناظم لكل فكرة تسري في ذهنه، حتى يكون هذا الفكر موصولاً

<sup>357</sup> وحينما نتكلم عن العقيدة، نرجع قليلاً إلى ما ذكره علماء اللغة - كلمة العقيدة في اللغة مأخوذة من العقد، وهو نقيض الحل، وهو يدل على الشدة والثوق، ومنه: عقد الشيء يعقده عقداً وانعقد وتعقد، والمعاهد: هي مواضع العقد، والعقدة: القلادة، والعقد: الخيط ينظم فيه الخرز وجمعه عقود، ويقال: اعتقد الدر والخرز وغيره وغيره: إذا أخذ منه عقداً، وعقدت الحبل أعقده عقداً وقد انعقد، ومعقد الحبل مثل مجلس، وهو موضع عقده يقال له: عقده، وجمعها عُقَدٌ، لأنها تمسكه وتوثقه، من قولهم اعتقد الأمر صدقة، وعقد عليه قلبه وضميره وتدين به والعقيدة ما عقده عليه القلب والضمير، وما تدين به الإنسان واعتقده، والمعتقد والاعتقاد: ما يعتقد الإنسان . أنظر معجم مقاييس اللغة 87/3، ولسان العرب 3/413 .

<sup>358</sup> عبد الرحمن العضراوي، علمية الإسلام وعلمية حقوق الإنسان، ص: 206 .

<sup>359</sup> فحديثنا عن الإصلاح العقدي الذي أحدثه القرآن الكريم لبناء الإنسان لا يعني الانحسار في مرحلة معينة عاجلها القرآن الكريم، بل هو مشروع متجدد قابل للتنزيل كلما تطلب الأمر ذلك، " ولا يمكن أن يحدث في حياة الأمة الإسلامية انتعاش معتبر إلا بإصلاح عقدي يرشده تحمل الأمة

باعتقاد يحميه من اتباع الهوى والظنون الكاذبة، التي تتعكس سلبا على إنسانيته، إن "في الطبع الإنساني استعداد للعقيدة، وأيا كان نوعها من الرشد والضلال فهذه الملكة توجد عنده، ولا تتوقف صحة الملكة على صحة موضوع العقيدة" <sup>360</sup>، "فالعقيدة لا بد أن تتعكس على الإنسان وسلوكه فإذا آمن إيمانا يقينياً بالله سبحانه ويعلمه ومراقبته الدائمة لعبه كان هذا الإيمان محدداً لسلوك المسلم كفرد وسلوك الجماعة كأمة مسلمة، فالعقيدة لا بد أن تُترجم في حياة الفرد الذي يعلم بأن الله يطلع على سره ونجواه، وأن أفعاله مكتوبة وهو محاسب عليها، ولا بد أن تترجم في حياة الجماعة فتبني نظام حياتها وفق هذه العقيدة التي آمنت بها" <sup>361</sup>.

إلا أن سنة الله في حياة الأمم أن لا تستمر تلك الصورة المثلى لإنسانية الإنسان، بل يعتري في ذلك الأمم ما يعتري الأفراد من تناقص الإنسانية في الإنسان، وتدني مستوى إنسانيته، وهذا ما حدث للأمة الإسلامية بعد عهد النبوة وعصر الصحابة ومن أعقبهم مباشرة من الجيل الأول من الأمة لأسباب كثيرة، وعلى ذلك هبت مجموعة من العلماء لتصحيح الانحراف ومقاومة الخلل من جذوره العقيدية، وتمثلت تلك الجهود في محاولات من عرفوا في التاريخ الإسلامي: بـ ( المتكلمين ) <sup>362</sup>.

---

لعقيدتها لتقع في النفوس من جديد موقع الدفع إلى العمل الصالح المعتمَر في الأرض، والنمي للحياة.. أن الحديث عن أهمية الإصلاح العقدي يتجلى في القوة التي تحركها هذه العقيدة في نفوس معتنقيها، لتحدث بذلك عملاً نقضيه هذه العقيدة؛ فاستقامة أعمال المكلفين وتصرفاتهم لا تصلح إلا بإصلاح تصوراتهم وطريقة تفكيرهم، ومن هنا كان المدخل الأول والأهم لبناء الإنسان .

<sup>360</sup> صابر طعيمة، المعرفة في المنهج القرآني: دراسة في الدعوة والدعاة، دار الجيل، بيروت، بدون طبعة وتاريخ، ص: 23 .

<sup>361</sup> عباس محجوب، أصول الفكر التربوي في الإسلام، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط1، 1987م، ص: 91\_92 .

<sup>362</sup> لقد كانت حركة المتكلمين بمختلف مدارسها عبارة عن محاولات لإصلاح المجتمع الإسلامي والعودة به إلى الوضع الطبيعي للأمة كما كانت في

عهد الرعييل الأول من الصحابة . إلا أن تلك المحاولات أخفقت \_ نسبياً \_ في تحقيق الأمل لسوء تطبيق المنهج القرآني في الخطاب الإلهي المتعلق بالعقيدة. فجاء المنهج الكلامي عموماً منهجاً قاصراً، لاعتماده أساساً على عنصر أحادي وهو العقل، وافتقده بذلك إلى شرط أساسي وهو عدم توافقه

فكل حضارة إنسانية تنبثق عن مفهوم للوجود، وتصور للإنسان، يحدد موقعه في الوجود، وعلاقته بالكون وبما وراء الكون، وتنطلق من اعتقاد يؤمن به الإنسان في هذا المجال، التوحيد هو الإيمان بأن المبدأ الواحد، مصدر تماسك العالم ووحدته وحركته وغايته، ومرجعياته النهائية، وركيزته الأساسية، ومنطلقه الذي تتأسس عليه إنسانية الإنسان.

قد يقع الإنسان تحت سلطان عقائد معينة يتشكل سلوكه على قوتها، فأخص ما توصف به هذه، إنها معان عقلية مجردة، أما العقيدة الدينية التي يقوم عليها إيمان الإنسان وتدينه فإن موضوعها الذي يدين له المتدين المعتقد بالتقديس والخضوع والإذعان حقيقة خارجة عن نطاق الأذهان، ومستقلة عنها، ثم هي أيضا في غاية الوضوح والظهور والتحديد.

من هنا يبرز التوحيد في التصور الإسلامي باعتبار المقوم العقدي<sup>363</sup> "الأساس من مقومات ذلك التصور الإسلامي لهذه المعايير، ولاشك أنه المفهوم الأساس والدعامة الكبرى، فهو بمثابة أصل الشجرة وجذعها"<sup>364</sup>، "ويفترض الاعتراف بوحدانية الله- بالضرورة-

---

مع موضوع الخطاب، والمتمثل هنا في العقائد الإيمانية كمضمون للخطاب، ومع الإنسان بإنسانيته كلها كمضمون للخطاب . وعدم التوافق هنا راجع إلى طبيعة الموضوع، فمضمون الخطاب (العقائد الإيمانية) لا يتحقق وفق مراد الشارع الحكيم إلا من خلال التأسيس النظري على مستوى العقل والتفاعل النفسي على مستوى الوجدان. ومن خلال إحكام الربط بين الجانب النظري والوجداني، ترسخ معاني العقيدة وتجدد على المستويين، ليأتي بعدها التجسيد العملي لمقتضياتها على مستوى السلوك نتيجة طبيعية للعقيدة الصحيحة، لسلامة منهجية البناء لعقيدة الإنسان المؤمن .

إذا فسر إخفاق المدارس الكلامية في إصلاح المجتمع بإصلاح عقيدته يعود إلى خلل في المنهج، لأنهم حينما ركزوا على العقل كأساس نظري للإصلاح العقدي، بقيت مقتضيات العقيدة حبيسة القناعات النظرية \_ بغض النظر عن مدى مطابقتها لمراد الله \_ والعقل وأن كانت له القدرة على تقرير حقائق العقيدة والافتناع بها، فإنه لا يقدر على تجسيد المقتضى العملي السلوكي لها . وفي المقابل يبقى الجانب الوجداني والنفسي على حالته الواقعية مما قد تكون عليه النفس من الاضطراب، بطغيان الهوى والتعصب والاعجاب بالرأي... إلى غير ذلك من الأمراض الباطنية التي كانت حاجزا حال دون إيمان كثير من الناس كما كشف لنا الله عن أمثال ذلك عند العرب في فترة تنزيل القرآن .

<sup>363</sup> تكمن أهمية دراسة المقوم العقدي في جوانب عديدة لعل من أهمها تحقيق إنسانية الإنسان، يتجلى ذلك في استخلاص جوانب التربية الإسلامية للإنسان من خلال العقيدة الإسلامية الصحيحة التي جاء بها القرآن الكريم.

<sup>364</sup> طه جابر العلواني، التوحيد والتزكية والعمران: محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة، ص: 80 .



الاعتراف بوحدة الحقيقة فالحق والحقيقة صفة تقتضيها حقيقة التوحيد<sup>365</sup>، "وكما أن التوحيد هو إثبات الوحدة المطلقة لله عز وجل، فإنه كذلك إثبات الوحدة لمصادر الحقيقة، فالله خالق الطبيعة التي يأخذ الإنسان منها المعرفة: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾<sup>366</sup>، فموضوع المعرفة هو أشياء الطبيعة وأحداثها التي هي خلق لله، فمن المؤكد أن الله سبحانه يعلمها، ومن المؤكد بالقدر نفسه أن الله مصدر الوحي، وهو الذي يعطي الإنسان شيئاً من علمه الواسع المحيط الكامل<sup>367</sup>.

ونظراً لأهمية التوحيد في حياة البشر فقد عمت الدعوة إليه جميع الأمم وأرسل الله له الرسل وأنزل عليهم الكتب، فدعوا الناس إلى التوحيد الخالص، وكان هو أول مطلوب من العباد كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾<sup>368</sup>، وهو المقدمة الأولى لكل رسالة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾<sup>369</sup>.

لذلك نرى أن معظم آيات القرآن الكريم ركزت على المقوم العقدي وأفاضت الحديث عن الجوانب المثيرة للجدل عبر تاريخ الإنسانية، كحقيقة الإنسان ونشأته وأصله والغاية من خلقه،

<sup>365</sup> فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية، ص: 38.

<sup>366</sup> سورة يونس، الآية: 05 .

<sup>367</sup> فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية، ص: 40.

<sup>368</sup> سورة الأنبياء، الآية: 25 .

<sup>369</sup> سورة النحل، الآية: 36 .

فقد تاهت العقول وضلت الأفهام في إدراك حقيقة هذه المسائل؛ لذلك أجاب القرآن الكريم عن كل ما يخطر ببال الإنسان من تساؤلات يمكن أن تنشأ في العقل البشري سواء ما تعلق منها بالكون أو الإنسان أو الحياة.

ولقد جاء اهتمام القرآن الكريم بإصلاح العقيدة وبيان مقاصدها من أجل بناء الإنسان وتحقيق إنسانيته، المحققة لمقصد الاستخلاف والسيادة في الأرض، وفي ذلك يقول ابن عاشور: "إذا نحن استقرينا موارد الشريعة الإسلامية الدالة على مقاصدها من التشريع استبان لنا من كليات دلائلها ومن جزئياتها المستقرأة أن المقصد العام من التشريع فيها هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان"<sup>370</sup>، وعليه "فالعقيدة التوحيد هي العقيدة التي بعث الله بها رسله وأنزل بها كتبه من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كان كل رسول يدعو قومه إلى التوحيد الخالص بأقرب الطرق وأيسرها على أفهام الناس، بحيث كان كل رسول يدعو قومه إلى التوحيد الخالص بأقرب الطرق وأيسرها على أفهام الناس، والأقوام كلهم يفهمون ما يريد رسولهم منهم بكل وضوح ويسر، حتى جاء آخر الرسل ونبي الإنسانية كافة محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنزل الله عليه القرآن هدى وشفاء ورحمة للمؤمنين، وداعياً إلى عقيدة التوحيد متبعاً في ذلك منهجاً خاصاً يناسب جميع الناس ومختلف الفئات"<sup>371</sup>.

<sup>370</sup> محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 2011م، ص: 68 .

<sup>371</sup> محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، مكتبة دار الزمان، الرياض، ط1، 1405هـ، 1985م، ص: 5.

إن التوحيد جوهر الإيمان الذي أرسى القرآن الكريم دعائمه، وأشاد أركان وبنياته، وهو أعلى قيم القرآن المجيد وقمة مقاصده، "ويتبع هذا الاعتقاد حقه من التسليم المطلق لله والخضوع والطاعة والانقياد التام، وعدم صرف شيء من العبادات القولية والفعلية والمالية والقلبية لغيره سبحانه، لأن التوحيد ليس كلمة تقال باللسان دون أن تستقر في القلب وتظهر آثارها على الإنسان في منهج كامل للحياة يبدأ من الاعتقاد الصحيح وينتهي بتنظيم شامل لحياة الفرد والجماعة"<sup>372</sup>.

العقيدة لا بد أن تنعكس على الإنسان وسلوكه فإذا آمن إيماناً يقينياً بالله سبحانه ويعلمه ومراقبته الدائمة لعبدته كان هذا الإيمان محددًا لسلوك المسلم كفرد، وسلوك الجماعة كأمة مسلمة، فالعقيدة لا بد أن تترجم في حياة الفرد الذي يعلم بأن الله يطلع على سره ونجواه، وأن أفعاله مكتوبة وهو محاسب عليها، ولا بد أن تترجم في حياة الجماعة فتبني نظام حياتها وفق هذه العقيدة التي آمنت بها"<sup>373</sup>.

ولهذا لا غرابة أن نجد أول ما ابتدأت به الدعوة الإسلامية إصلاح الاعتقاد<sup>374</sup> طيلة الفترة المكية، وفي ذلك يقول ابن عاشور: "إن المقصد الأعظم من الشريعة هو جلب الصلاح ودرء الفساد، وذلك يحصل بإصلاح حال الإنسان ودفء فساد، فإنه لما كان هو المهيم على

<sup>372</sup> المرجع السابق، ص: 168 .

<sup>373</sup> عباس محجوب، أصول الفكر التربوي في الإسلام، ص: 91\_92 .

هذا العالم، كان في صلاح مجموعته وهو النوع كله، فابتدأت الدعوة بإصلاح الاعتقاد الذي هو إصلاح مبدأ التفكير الإنساني الذي يسوقه إلى التفكير الحق في أحوال هذا العالم<sup>375</sup>.

إن ثبات العقيدة يشكل الحجر الأساس في الشريعة الإسلامية، ومن أبرز مقاصد استقرار النفس واطمئنان العقل، عن طريق هذا الثبات يقيس المسلم أمور حياته وما يعرض له من مستجدات؛ فخاصية الثبات في الأمور العقديّة والغيبية هي المدخل الرئيسي للإصلاح العقدي الذي نهجه القرآن الكريم على ضوء ما جاءت به الكتب السماوية السابقة، قال تعالى:

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾<sup>376</sup>، من يقرأ القرآن الكريم بإمعان يجد أن من مقاصده الكبرى العقيدة وبيان مقاصدها، وذلك من خلال معالجة القضايا الكبرى التي شغلت بال الإنسان على مر القرون؛ فالتصور الصحيح للحياة لا يكون إلا تحت لواء عقيدة صحيحة، ومن أجل ذلك "اتجه السياق القرآني دائما إلى الحديث عن وحدة الألوهية، بوصفها التصحيح الضروري للتصور، والقاعدة الأساسية لإقامة هذا التصور، ثم لإقامة سائر القواعد الأخلاقية والنظم الاجتماعية، المنبثقة عنه"<sup>377</sup>.

إن التوحيد من أهم المحركات الموضوعية المؤثرة في تحقيق إنسانية الإنسان، في اتجاه إفراز الدواعي والقوى للمعرفة الإنسانية وتحديد مضمونها وتفسير الغامض والمبهم

<sup>375</sup> محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص: 70 .

<sup>376</sup> سورة الشورى، الآية: 13 .

<sup>377</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص: 151 .

منها، "وهو ما جاء القرآن المجيد به نقيًا خالصًا سليماً من سائر الشوائب، فلو شابته أية شائبة أو خالطته الأخلاط فقد نقاهه، وبطلت فاعليته، أو ضعفت آثاره وانطفأت جذوته، وتوقفت تجلياته"<sup>378</sup>، "إن من مزايا التوحيد كما جاء في القرآن المجيد أنه تحول إلى طاقة هائلة بنت أمة، وأسست إيماناً فاعلاً متحركاً ملؤه الفاعلية والدفاعية، أقام توحيد الأمة عليها، وحدد لها دورها في الشهادة بعد الاتصاف بالخيرية والوسطية، وانطلاقاً من تبنيها للتوحيد واستجابتها لله وللرسول حين دعاها لما يحييها صارت أمة إجابة وأمة قطباً تحمل للآخرين الدعوة التي تمثل الهدى والنور، وتتصف بالحق"<sup>379</sup>.

لكي يحيا التوحيد في وجدان الأمة ويكون فاعلاً، وليحقق كل ما أنيط به يجب أن يكون؛ "هو الباني لتصور الإنسان للوجود، والمؤسس لنظرة الإنسان ورؤيته الكلية، والمبين لسائر الحقائق الكبرى التي يتشكل وفقاً لها المناخ الفكري لثقافة الأمة، والبيئة الفكرية لبناء الشخصية الإنسانية بشقيها العقلي والنفسي، وذلك يعني أن على سلامة التوحيد تتأسس سلامة الأسس والمنطلقات التي تقوم عليها"<sup>380</sup>، "ثم إن التوحيد يدعو الإنسان إلى الربط بين الإيمان بالله الخالق من جهة وممارسة العلم في ميادينه المختلفة من جهة أخرى؛ ذلك أن الإنسان عنده يدرك فعل الله في كل الأحداث والأشياء فإنه يتتبع فعل الخلق الإلهي"<sup>381</sup>.

<sup>378</sup> طه جابر العلواني، التوحيد والتزكية والعمران: محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة، ص: 12.

<sup>379</sup> إسماعيل راجي الفاروقي، التوحيد ومضامينه في الفكر والحياة، ترجمة السيد محمد السيد عمر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط 1، 1437هـ، 2016م، ص: 22\_23.

<sup>380</sup> طه جابر العلواني، التوحيد والتزكية والعمران: محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة، ص: 83-84.

<sup>381</sup> فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية، ص: 40.

والتوحيد الصحيح "لا حد لتأثيره في رقي الحياة البشرية في كل جوانبها، ولذلك استحق أن يرسل الله لأجله كل هؤلاء الرسل، وأن يبذلوا في سبيله كل هذه الجهود ويتحملوا الآلام، لا لأن الله سبحانه في حاجة لتوحيد العباد إياه، ولكن لأن استقامة الحياة البشرية وصلاحها متوقف على التوحيد"<sup>382</sup>، يعلمنا التوحيد أن الله تعالى رحيم، وأنه سبحانه خلق كل شيء لغاية، ومن ثم فإنه لم يخلق الإنسان لعباً ولهواً: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾<sup>383</sup>، وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾<sup>384</sup>.

ومن كل ما سبق يتقرر؛ أن القرآن الكريم بمضمونه العقدي هو المنطلق المنهجي والطبيعي لبناء إنسانية الإنسان، وكانت تجربة النبي صلى الله عليه وسلم في توظيفه للمنهج الإلهي تمثل التطبيق الصحيح للفهم السليم للخطاب الإلهي العقدي، ف جاء الرعيل الأول من الصحابة كأسمى ما يكون أن تكون عليه حياة البشر في توحيد الله عز وجل، "ولا ريب في أن للعقيدة التي يحملها الإنسان أثراً في توجيه سلوكه وتصرفاته، وأن أي انحراف في هذه العقيدة يبدو واضحاً في حياة الإنسان العملية والخلقية، ومن ثم يؤثر ذلك بشكل ملموس في حياة المجتمع، لأننا لا نستطيع الفصل بين المجتمع وأفراده"<sup>385</sup>.

ذلك أن العقيدة هي التي تحفز الإنسان نحو السلوك الطيب، وأن انتفاء العقيدة عنده سيقود إلى كل الاحتمالات السلبية والتفكك والانحراف، وبناء على ذلك؛ "وحدها إنسانية

<sup>382</sup> محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن، بدون طبعة وتاريخ، ص: 128 .

<sup>383</sup> سورة القيامة، الآية 32 .

<sup>384</sup> سورة الدخان: 38 .

<sup>385</sup> محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ص: 32 .

التوحيد هي الأصيلة، التي تحترم الإنسان بوصفه إنساناً مخلوقاً، دون تأليه أو تحقير، وهي الوحيدة التي تحدد قيمة الإنسان بمناقبه، وتبدأ تقييمها له من نقطة إيجابية لتسليمها باستواء الفطرة التي فطر الله كل البشر عليها، لإعدادهم للقيام بمهتهم النبيلة، وهي الوحيدة التي تحدد فضائل الحياة الإنسانية ومثالياتها بمحتوى مماثل للحياة الفطرية، وليس بالتكبر لها، الأمر الذي يجعل إنسانيتها غير زاهدة في الحياة"<sup>386</sup>.

فإنسانية التوحيد بمعناه الشامل؛ "لا لتأليه الإنسان، ولا لتحقيره، وتتأكد العروة الوثقى بين التوحيد والإنسانية، وتتمحي الثنائيات المختلفة المتقاطبة، وتتأسس في الوعي الإنساني صورة كون متناغم، كل شيء فيه يسبح، على طريقته التي خلقه الله عليها، باسم الله تعالى، في ظل حياة إنسانية هادفة تستحضر المعية والرقابة الإلهية، والمنهج الرباني للحياة، على الدوام"<sup>387</sup>، ومن هنا يجب على المربي المسلم أن يربط كل جوانب التربية بهذا الأصل الاعتقادي لما له من أهمية كبرى في حياة الإنسان النفسية، التي "توحد نوازعه وتفكيره وأهدافه وتجعل كل عواطفه، وشعوره مرتبط بالله وألوهيته وحاكميته ورحمته وعلمه لما في النفوس"<sup>388</sup>، "لذلك كان للتوحيد انعكاساته على سائر جوانب الحياة، بدءاً بالفكر والتصوير والاعتقاد مروراً بالمعرفة

<sup>386</sup> إسماعيل راجي الفاروقي، التوحيد ومضامينه في الفكر والحياة، ترجمة السيد محمد السيد عمر، ص: 168 .

<sup>387</sup> المرجع السابق، ص: 39 .

<sup>388</sup> عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1428هـ، 2008م، ص: 80 .

وتجديد شبكة النظم والعلاقات المتنوعة وقواعد السلوك والأخلاق، وانتهاء بإقامة العمران وانتظام الخلق كله في فلك التسبيح ومدار التنزيه ومسيرة التقديس والعبادة لله القهار<sup>389</sup>.

إن مقاصد العقيدة التي بينها القرآن، تكمن في بيان أسرار إخبار الله تعالى بأمر الكون والخلق وبيان الحكمة من إثبات البعث والجزاء، ثم بيان مقصد فتح الفكر والنظر، والحديث عن الإخلاص لله تعالى باعتباره المقصد الأعظم من مقاصد العقيدة.

لأن الله واحد لا شريك له، فإن أومراه، تسري على كل البشر وعمومية تلك الأوامر لتحقيق إنسانية الإنسان، وهذا ينطبق على كل البشر، بوصفهم فاعلين مكلفين بتحقيق الأوامر التكليفية.

لا سعادة لهذه النفس الإنسانية ولا استقامة لها إلا إذا ارتبطت كافة جوانبها بعقيدة التوحيد، لأنها تزود الإنسان دائماً بجرعات متتالية من القوة الإيمانية، والثقة العميقة بالنفس المستمدة من الثقة بالله، في ضوء ذلك، يتحقق تفعيل المقوم التوحيدي في الحياة.

### **المطلب الثالث: المقوم التزكوي**

لقد طغت موجة من الماديات على الإنسان المعاصر قطعت صلته بالله، وتعلقه به، فابتعد عن كل مظاهر العبودية والالتجاء الصادق إلى الله، حتى وصل إلى ما نراه من حيرة وقلق واضطراب، ولا سبيل للخروج من هذا المأزق إلا بالمقوم التزكوي، حيث يعتبر من القضايا الأساسية والأصلية في تحقيق إنسانية الإنسان، ويتجلى ذلك من خلال تزكية النفس

<sup>389</sup> طه جابر العلواني، التوحيد والتزكية والعمران: محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة، ص: 47.



وتربيتها وتهذيبها، ونقل الفرد من حال متردية مضطربة إلى حال مستقرة ثابتة ومنظمة، والتي هي أساس العمل الصالح الذي يثمر نهضة الأمة، وينقذ الإنسانية جمعاء من جحيم الماديات، لهذا تبرز أهمية الحديث عن المقوم التركوي في القرآن الكريم في عصرٍ تشد فيه حاجة الأمة إلى الرصيد الروحي السليم.

إن إطلاق العنان لشهوات الجسد، وتحطيم متطلبات الروح، يؤدي إلى التخبط والضياع، وكما أن معاملة الإنسان بمقاييس الآلة والحيوانية دمرت خصائصه، وحولته عن إنسانيته، لذا وقع في التناقض والاضطراب في كيانه الإنساني، وتمزق بين وجهتين مختلفتين، وهي الروح والجسد، وعليه "فالحضارة المعاصرة، بالرغم مما أسدته للإنسان من خدمات في عمليات الكشف والتسخير، وعلى ما أنتجته من علوم ومعارف وآداب وفنون - بقطع النظر عن طبيعتها- لم تستطع أن تقدم أطراً ووسائل تربية إنسانية هادفة يمكن أن نجد فيها ما يساعد الإنسان على تقويم نفسه وتهذيب سلوكه وتربية ذاته"<sup>390</sup>.

إن تغيير ما بالنفس بتزكيته مقدمة لتغيير ما بواقع الفرد، ثم تغيير أحوال الأمة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>391</sup>، فإن إصلاح النفوس والسعي إلى تزكيته بالإيمان والعمل الصالح، والارتقاء بها في مدارج الكمال الإيماني وسلم السموات الأخلاقي والسلوكي من أهم ما يحقق للإنسان إنسانيته، "فإدراك قيمة الإنسان نابعة من الوجدان الإنساني الذي يحول التجارب العلمية المنطقية من وضعها المطلق إلى وضعها

<sup>390</sup> طه جابر العلواني، التوحيد والتزكية والعمران: محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة، ص: 113 .

<sup>391</sup> سورة الرعد، الآية: 11 .

الإنساني تدريجياً، في واقعه الذي يكشف عنه العلم من خلال إدراجه في مجال الاستعمال الحياتي لسد إشباع الحاجات الإنسانية مما لهذا الواقع من قيمة إنسانية<sup>392</sup>، والنفس الإنسانية التي يتحقق لها الفلاح بالتركيز وتلقى في مهاوي الخيبة والخسران بالتدسية، هي الذات الإنسانية جسماً وعقلاً وروحاً، وهي الفرد الإنساني والجماعة الإنسانية، وللنفس الإنسانية مدخرات يتصرف فيها بتفويض من مالكة الأصلي سبحانه، ولها بيئة مكن الله للإنسان واستخلفه فيها.

كثير من آيات القرآن الكريم جاءت بتركيز النفس حتى يحقق الإنسان إنسانيته، ويشعر بالسعادة، لأنه أهل نفسه ليكون عبداً لله، وصار جديراً باستقبال الهدى، ذلك أن هدي الله لا تتقبله إلا النفوس الزكية، والتي زكت نفسها لله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>393</sup>، فالجوهر الذي يحقق للإنسان إنسانيته توازن بين الجسم والعقل والروح، يرتبط بالقدرة الإنسان الذاتية على تركيز نفسه، وهو ما ألمح إليه الراغب الأصبهاني قائلاً: "الإنسان تحصل له الإنسانية بقدر ما تحصل له العبادة التي لأجلها خلق، فمن قام بالعبادة حق القيام فقد استكمل الإنسانية، ومن رفضها فقد انسلخ من الإنسانية فصار حيواناً ودون الحيوان"<sup>394</sup>، وهذا الكلام دليل على فقد العبادة قد تهبط بالإنسان من إنسانيته المكرمة، فيصبح كالدابة التي لا تعي، بل يصبح أسوأ وأضل<sup>395</sup>،

<sup>392</sup> نعيم حبيب جعيني، الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، دار وائل، عمان، ط1، 1424هـ، 2004م، ص: 147 .

<sup>393</sup> سورة العنكبوت، الآية: 69 .

<sup>394</sup> الراغب الاصبهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، تحقيق عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م، ص: 244.

<sup>395</sup> محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق، بيروت، ط 9، 1422هـ، 2001م، ص: 289 .

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا  
يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾<sup>396</sup>.

لا بد من التأكيد هنا أنه ليس المراد بتزكية النفس اقتلاع الأوصاف المذمومة منها،  
لأن هذا يخالف طبيعة النفس وصفاتها وخصائصها التي خلقها الله عليها، وإنما المقصود  
غلبة صفات الخير، وضبط صفات الشر وتوجيهها بما يرضي الله سبحانه، وبذلك يتم  
تطهير النفس من نزعات الشر والإثم، والتخلي عن الأخلاق المذمومة والتخلي بالأوصاف  
المحمودة، حيث تعد محاسبة النفس والإطلاع على عيوبها، من أكثر وسائل التزكية أهمية  
وأولوية، وبها يتم الكشف عن الصفات المذمومة والمواد الرديئة التي ينبغي للمرء التخلص  
منها بالتوبة، وزراعة الإيمان في القلب وتنميته بالطاعات، لا تكون إلا بعد تخليصه من  
الدغل المتمثل في صفات النفس المذمومة، "ومن باب رفع الإنسان إلى مقام الإنسانية  
الكريمة كذلك يربي الإسلام المسلمين على الأخلاق الفاضلة التي تنظف المشاعر وتنظف  
السلوك، وتتفي عن النفس خبثها، وتصونها من التردى إلى مستوى الحيوان، فيفرض النظافة  
في الأعمال كلها"<sup>397</sup>.

لذا يتحدد المقوم التزكوي على أسس عملية تختلف عن كل المقومات الأخرى، وأول  
أساس للمقوم التزكوي؛ هو تربية الفرد المسلم للاستجابة لله والرسول صلى الله عليه وسلم،  
"قاله خلق الإنسان، ونفخ فيه من روحه، فكرمه بهذه النفخة، وفرض عليه فرائض حتى

<sup>396</sup> سورة الأعراف، الآية: 179 .

<sup>397</sup> محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ص: 288 .

يزكي نفسه؛ إذ تزكية النفس هي دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام أن يرسل رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>398</sup>، وبذلك "فتح الإسلام مجالا واسعا باهتمامه بالنفس ومراتبها وأصنافها"<sup>400</sup>.

لقد جاءت الآيات القرآنية ببيان أهمية تزكية النفوس وما لها من مكانة عالية ومنزلة رفيعة، ولعل من أبرز تلك الآيات وأظهرها قوله تعالى في سورة الشمس: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا \* وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا \* وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا \* وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا \* وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا \* وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا \* وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا \* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا \* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾<sup>401</sup>، حيث "أقسم تعالى بهذه الآيات العظيمة، على النفس المفلحة، وغيرها من النفوس الفاجرة، وقوله: { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا } أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح، { وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا } أي: أخفى نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعها وإخفائها، بالتدنس بالردائل"<sup>402</sup>، "وقد أقسم الله عز وجل في هذه الآيات البينات أحد عشر قسما على أن صلاح العبد وفلاحه

<sup>398</sup> سورة البقرة، الآية 129 .

<sup>399</sup> علي بن عبده بن شاکر أبو حمیدی، تزکیة النفس فی الإسلام وفي الفلسفات الأخرى: دراسة تحليلية، بحث الدكتوراه فی الأصول الإسلامیة للتربیة، جامعة أم القرى، کلیة اللغویة، المملكة العربیة السعودیة، 1428هـ، 1429هـ، ص: 02 .

<sup>400</sup> إسماعیل راضی، التصوف بین المدارس والممارسة، الرابطة المحدثیة للعلماء، الرباط، ط1، 1433هـ، 2012م، ص: 113 .

<sup>401</sup> سورة الشمس، الآيات: 01\_02\_03\_04\_05\_06\_07\_08\_09\_10 .

<sup>402</sup> عبد الرحمن بن ناصر بن السعدی، تیسیر الکریم الرحمن فی تفسیر کلام المنان، تحقیق عبد الرحمن بن معلا اللویحی، مؤسسة الرسالة، بیروت، ط1،

1420هـ، 2000م، ص: 926 .

منوط بتزكية نفسه<sup>403</sup>، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى في موضع آخر من الكتاب: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى \* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾<sup>404</sup>، "والتزكي: التطهر من كل رجز وذنس، والله سبحانه يقرر أن هذا الذي تطهر وذكر اسم ربه، فاستحضر في قلبه جلاله، هذا الذي تطهر وذكر صلى { قد أفلح } يقينا، أفلح في دنياه، فعاش موصولاً حي القلب، شاعراً بحلاوة الذكر وإيناسه، وأفلح في أخراه، فنجى من النار الكبرى، وفاز بالنعيم والرضى"<sup>405</sup>، عبر الغزالي في إحياء علوم الدين عن التزكية "برياضة النفس وتهذيب الأخلاق"<sup>406</sup>، ما استعمله ابن عاشور أيضا في كتاب مقاصد الشريعة من قبيل: "الهدى والإرشاد وتكميل النفوس"<sup>407</sup>، لأن "تزكية الإنسان، وهي جزء من التكريم المراد للإنسان، بل هي قمة ذلك التكريم، فعبادة الله وحده دون شريك - فضلا عن كونها حقا لله على عباده - هي في الوقت ذاته تزكية للإنسان"<sup>408</sup>.

كما أخبر الله جل وعلا بفوز من حقق هذه التزكية بالدرجات العلى، فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى \* جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾<sup>409</sup>، "فالتزكية في بدايتها ونهايتها لا تخرج عن مقام العبودية لله، فهو سبحانه هو المتفضل بإرشاد العباد لما فيه تزكية نفوسهم

<sup>403</sup> كفايت الله همداني، تزكية النفس أسسها وسائلها، دار المسلم للنشر والتوزيع، بدون طبعة وتاريخ، ص: 306 .

<sup>404</sup> سورة الأعلى: الآية: 14 \_ 15 .

<sup>405</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 8، ص: 28 .

<sup>406</sup> أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار ابن حرم، بيروت، ط1، 1462هـ، 2005م، ص: 53 .

<sup>407</sup> محمد الطاهر ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص: 27 .

<sup>408</sup> محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ص: 288 .

<sup>409</sup> سورة طه، الآية: 75\_76 .

إذا هم أخلصوا التوجه له والصدق بين يديه، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>410</sup>.

إن الإنسان خلقه الله سبحانه وتعالى وجعل له الهداية باستخدام الطريق الصحيحة حتى يعيش في حياته مطمئناً سعيداً بما حققه في حياته الدنيا ليسعد وبنال الخير في الآخرة، لذا عليه أن يتخذ من الأساليب والطرق الصحيحة التي تؤدي به تركية النفس، ولأهمية التزكية، كان من عناية الله برسوله صلى الله عليه وسلم أن تولاه الله منذ صباه بتزكية باطنه وتطهير قلبه، في حادث شق صدره صلى الله عليه وسلم، وإخراج حظ الشياطين منه، ثم ألهمه الرشد فأخذ قبل الوحي يتحنث (أي يتطهر ويتعبد) في غار حراء، ثم أمره الله في أوائل ما أوحى به إليه بطهارة قلبه وتركيبته من أدرانه، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ \* فُمْ فَأَنْذِرْ \* وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ \* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾<sup>411</sup>،<sup>412</sup>.

لقد جاءت السنة النبوية تحث على فعل الأوامر التي تزكي النفس كالأمر بالصلاة والزكاة، وذكر وتلاوة القرآن، وعلى ترك المنهيات التي يصاب الإنسان بالخيبة كإتباع السفهاء، وأكل المال الحرام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأن أو تملأ الميزان ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان،

<sup>410</sup> سورة النور، الآية: 21 .

<sup>411</sup> سورة المدثر، الآيات: 01\_02\_03\_04 .

<sup>412</sup> إسماعيل راضي، التصوف بين المدارس والممارسة، ص: 116 .

والصبر ضياءً، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس تغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها"<sup>413</sup>.

ذكر الله تعالى التزكية باعتبارها إحدى مهمات النبي صلى الله عليه وسلم، "فالقرآن الكريم حدّد وظائف النبي صلى الله عليه وسلم بين الناس في ثلاثة عناصر متماسكة هي: تلاوة الآيات، والتزكية، والتعليم؛ فبعد تلاوة آيات الوحي المؤسّس، تأتي التزكية أولاً لتطهير وتنوير القلوب، ثم بعدها يأتي التعليم لهداية وتنوير العقول بما يفتقر إليه من هدايات في عالم الغيب والشهادة"<sup>414</sup>، "وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على أن مهمة الرسل كانت دعوة الناس إلى تزكية نفوسهم، قال تعالى لموسى في خطابه لفرعون: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنَا تَزَكَّى﴾"<sup>415</sup>، وقال سبحانه عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾"<sup>416</sup>، ولما كانت التزكية إحدى مهماته صلى الله عليه وسلم، فقد كان من أقواله وأفعاله وتقريراته ما هو تنفيذ لهذه المهمة؛ قال سليمان الأشقر: "هذا وإن الأقوال كانت هي الوسيلة الرئيسية للنبي صلى الله عليه وسلم في أداء هذه المهمات، ولكن مع ذلك كانت الأفعال النبوية تؤدي دورا بارزا في تنفيذ المهمات المطلوبة منه، خصوصا مهمة البيان، ومهمة التعليم والتزكية"<sup>417</sup>.

<sup>413</sup> مسلم بن حجاج بن مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ج1، ص 140. رقم الحديث: 1258 .

<sup>414</sup> إسماعيل راضي، التصوف بين المدارس والممارسة، ص: 128 .

<sup>415</sup> سورة النازعات، الآية: 18 .

<sup>416</sup> سورة الجمعة، الآية: 02 .

<sup>417</sup> محمد سليمان الأشقر، أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالاتها على الأحكام الشرعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1424هـ، 2003م،

ص: 30.

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويطلب منه تزكية نفسه، فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهزم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع"<sup>418</sup>، فنسبت التزكية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه المربي والمزكي لأئمة والمرشد إلى طريق الخير، وهذه هي المهمة التي كلفه الله بها وأمره بأدائها.

لقد جعل الحق سبحانه وتعالى التزكية من أعظم صفات سيد الخلق عليه الصلاة والسلام، إذ أنه كان يتعهد صحابته متتبعا لأحوالهم عن كثب، مراعى لهم بتهديب نفوسهم وتقويمها، وزيادة ذلك الخير المودع فيها، ونقلهم من حال إلى حال أحسن منه، ومن وضع إلى وضع أرقى منه، "إذا كان الحق جلت حكمته قد فوض إلى نبيه الكريم، جميع المناصب الدينية في رسالته، فإنه قد جعل تزكية النفوس أجل تلك المناصب وأشرفها"<sup>419</sup>.

فتزكية النفس هي مراد كل من أراد الاتصاف بأنه مطيع لله سبحانه وتعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ولكي يكون الإنسان مطيعا لله سبحانه وتعالى لا بد له بأن يلتزم أوامره ويتبعها وينتهي عن كل ما نهى عنه، فيلتزم بالإيمان به ويوحده، ويجعل عبادته له خالصة فتزكو نفسه، وترتقي في منازل العابدين، "والنفس عندما تكون خبيثة أو أمارة بالسوء فهي لا

<sup>418</sup> صحيح مسلم، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ج 8، ص: 81\_82، رقم الحديث: 1254 .

<sup>419</sup> ابن عاشور، التحرير والتونير، ج 29، ص: 207 .



تتلذذ ولا تنتشرح إلا بالمعاصي والآثام<sup>420</sup>، وعندما تكون طاهرة وراضية، فتجد لذتها وانسراحها في الطاعات والقربات، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>421</sup>، إن تجليات إهمال التزكية لها وقع خطير على إنسانية الإنسان؛ فمهما ألتم الإنسان بالعلم والعمل "دون تزكية النفس وتطهير القلب فهو النقصان، ولا يُنال كمال السعادة به، فلا عبدة بالعلم ولا غاية من العمل إذا كان القلب مريضاً"<sup>423</sup>، وعليه "فتزكية النفس فيه تحرر لها من حب الدنيا والتعلق بها، وهو ميدان المعرفة ومواطن الضعف والقوة في النفس، فتخلي المسلم عن تزكية النفس بكل أنواعها ومراتبها يُضعف نفسه ويعودها على الخنوع والذل والاستكانة"<sup>424</sup>، "إن التزكية عملية وجدانية، تُقتبس بالافتداء، وتُنال بالاستقاء القلبي والتأثر الروحي، والمزكي الرياني، ينقل للناس الدين ممثلاً في سلوكه، حياً في أحواله، فعندما يأخذ المرء عنه تصبح روحه مستمدة من الحال النبوي"<sup>425</sup>.

الإنسان يحقق تزكية مسار الفكر من خلال "تنمية القدرات العقلية على التوجه للأهداف التي خلقت من أجلها وهي تدبر شؤون الإنسان وتنظيم علاقاته بالخالق والكون

<sup>420</sup> سورة النحل، الآية 106 .

<sup>421</sup> سورة الزمر، الآية 22 .

<sup>422</sup> إسماعيل راضي، التصوف بين المدارس والممارسة، ص: 114 .

<sup>423</sup> المرجع السابق، ص: 123 .

<sup>424</sup> فاطمة محمد علي واسلي رمضان، الجهاد ودوره في تزكية النفس، مجلة كلية التربية الأساسية التربوية والإنسانية، العدد 31، 2017م، ص: 138 .

<sup>425</sup> إسماعيل راضي، التصوف بين المدارس والممارسة، ص: 135 .

والإنسان والحياة والآخرة<sup>426</sup>، فأساس التزكية "التهديب لا الكبت، والإسلام يعترف بالطاقات الحيوية في الإنسان، ولا يعطلها عن الممارسة، ولا يلغيها، ولكنه ينظم عملها بما يحقق الخير والإيجابية، ويؤدي إلى إقامة المجتمع الصالح من غير عدوان من إنسان على حق إنسان، وهو في ذلك يجمع ضرورات الجسد وأشواق الروح، ويعطي كلاً نصيبه المعقول، ويقيم للمزوجة بين ذلك ضوابط وحدوداً"<sup>427</sup>، فالتزكية شيء زائد عن العلم؛ "إذ العلم يعطي القواعد والبيان لكل شيء، والتزكية تطبيق لهذا العلم على النفس البشرية وأمراضها وأغراضها، ومعرفة التطبيب وطرقه، ومعرفة بالكمال، وكيفية النقل إليه وأدوات ذلك فإساسة خاصة بكل نفس لنقلها من حال إلى حال، وهذا شيء للكسب فيه نصيب، ولكن عطاء الله هو الأساس"<sup>428</sup>، التزكية هي: "تطهير وإصلاح وتنمية شاملة هدفها تحقيق إنسانية الإنسان، وما ينتج عن هذه التنمية من صلاح وتقويم وفلاح في حياة الأفراد والجماعات، فالتزكية هي تزكية معنوية ميدانها المعتقدات والقيم"<sup>429</sup>.

إن المقوم التزكوي عملية تربوية يحتاج إليها كل فرد من أفراد المجتمع، وكذلك المجتمع ككل لأنه بدون التزكية ليس هناك فلاح بل خيبة وتدسيه، والتزكية ترتبط بمعتقدات وتصورات وقيم وأخلاقيات وسلوكيات، وإقامة التزكية على أساس تفاعلي مع فقه الآيات فيغدو التزام سبيل الهدى نابعاً من أعماق النفوس باقتناع وجداني والتزام، والذي يريد أن

<sup>426</sup> ماجد عرسان الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1416هـ، 1995م، ص: 132 .

<sup>427</sup> أنور الجندي، التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1392هـ، 1985م، ص: 158 .

<sup>428</sup> سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1412هـ، ص: 322\_323 .

<sup>429</sup> ماجد عرسان الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية، ص: 132 .

يزكي نفسه عليه وجبات الصبر؛ وهو صبر على أمر الله به، وصبر عما نهى الله عنه، ثم الرعاية والدأب، لذا فإن التزكية فعل مستمر مع الإنسان في جميع مراحل العمرية، يقوم أولاً على مسؤولية الإنسان عن نفسه ومصيره الشخصي ومسؤوليته تجاه من يعيش معهم في أسرته ومجتمعه وأمته وعالمه الإنساني.

والإنسان من رقيه العلمي والعملية تتزكى نفسه، ويصبح هذا الخليفة مزكى النفس بما يقوم به من أعمال صالحة ترفع إلى منازل الصالحين المصلحين؛ لذا أكرمه الله سبحانه وتعالى بقدرات عقلية هي محور خلافة الإنسان، من خلال هذه القدرات يتحمل الإنسان التكاليف وأداء الأمانة، ومن خلال الإدراك والفهم والتمييز بين الطيب والخبيث، وبذلك يتميز عن سائر المخلوقات بأنه الكائن المهيأ للتفكير والتعليم، وتحمل المسؤولية والأمانة، ومن خلال هذا التكريم وجب على الإنسان تزكية نفسه حتى ينال الدرجات العلى من الجنة، وتحصيل إنسانية الإنسان لا يكون إلا بتزكية النفس عن طريق الإيمان والاهتداء لمعرفة الخالق سبحانه وتعالى والاستتارة بنورة، والخضوع له بطاعته فيما أمر، والانتهاز عما نهى عنه.

## المبحث الثاني: الأسس المعرفية لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم

إن المعرفة التي تستمد من كتاب الله عز وجل، هي وحدها من تؤسس للأجوبة الشافية

الوافية للأسئلة الكثيرة التي تحقق للإنسان إنسانيته، وفيها وحدها كذلك الحلول الحاسمة لكل

ما يتعرض له الفكر البشري من مشكلاتٍ في تفسير الوجود والإنسان وما يحقق إنسانيته.

### المطلب الأول: المعرفة النظرية والتدبيرية

تعتبر قضية المعرفة من القضايا المحورية في الفكر الإنساني عموماً، وقد اهتم العلماء

والمفكرون بها وجعلوا مناقشتها مداخل لكتبهم ومصنفاتهم، وما ذلك إلا لإيمانهم العميق

بأهميتها وضرورة النظر فيها والوقوف عندها، ثم أولاهم الفكر الغربي عناية كبيرة واهتماماً

بالغاً، حيث "يعتقد الكثير من نقاد الفكر الغربي أن النظام المعرفي لهذا الأخير يمر بأزمة

معرفية ومنهجية حادة أفقدته توازنه، ويعزى هذا التآزم إلى خلل في الجهاز المقولاتي، وإلى

اضطراب البنية المفاهيمية لهذا النظام، بحيث بلغ به حد الإفلاس الفكري والمعرفي، وصار

غير قادر على تجاوز أزماته ومآزقه، عاجزاً عن حل إشكالياته المعرفية ومعضلاته

المنهجية، على الرغم من محاولات الكثير من الفلاسفة والمدارس الفلسفية، التي دعت إلى

ضرورة مراجعة النظام المعرفي لمقولاته ومفاهيمه وبنيتة التكوينية، بمعنى التأسيس لما بعد

الحدثة بدلاً من الحدثة"<sup>430</sup>.

لقد انبنى هذا التصور على نظرة معادية للدين، ورؤية مهاجمة للقيم، بل تعدّاهما إلى

حدّ أنه صار يهاجم فكرة الدين والقيم، "وصار العالم في فلسفة ما بعد الحدثة تعدّدياً بشكل

<sup>430</sup> عبد العزيز بوالشعير، النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي والغربي، منتدى المعارف، بيروت، ط1، 2014م، ص: 11 .

مُفْرط، عالم لا مركز فيه ولا مُطْلقات، كل الأمور فيه متساوية، بما فيها الله والدين، ناهيك عن الإنسان والكون، كل الأمور نسبية ولا مجال للحديث عن قيم اليقين والثبات<sup>431</sup>، إنه "مهما يكن اجتهاد الإنسان في البحث عن سعادته، فإن جهده هذا يبقى قاصراً بحكم نسبتيه ومحدودية معرفته في إدراك غايات ومقاصد الخلق التي لا سبيل لإدراكها إلا من خلال الأديان"<sup>432</sup>.

من هنا امتاز "ما قدّمه الوحي من علم بأنه يقين مطلق، سواء كان ذلك في ما أخبر به مما وقع ماضياً، أو حاضراً وقت نزوله، أو في ما يُستقبل من الزمان، أو في ما أثبتته من حقائق العالم الغيبي، أو سنن الكون، أو غير ذلك"<sup>433</sup>، وبذلك "تؤكد مطلّية الوحي، باعتباره مصدراً للحقيقة المطلقة، والعقل هو وسيلة تفسير الوحي، غير أنّ المعرفة الحاصلة لديه ليست بمنزلة الوحي ولا ترقى إلى المطلّية، فهناك هوة فاصلة بين العلم الإلهي والعلم الإنساني، هناك تفرقة، كما يرى ابن رشد، بين عالم الأمر وعالم الخلق"<sup>434</sup>.

لقد هياً الله لكل إنسان بمقتضى إرادته التكوينية، المؤهلات الأساسية في "إدراك المعرفة من آيات كتابه المنظور، من الحواس وإرادة البحث والاستكشاف والعقل، وذلك على وجه المساواة بين الناس جميعاً، فلا حق لأمة ولا جماعة أن تدعي احتكار العلم، أو التفرد

<sup>431</sup> عبد العزيز بالشعير، النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي والغربي، ص: 11 .

<sup>432</sup> محمد الناصري، الديانات السماوية وحقوق الإنسان، مجلة الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء، العددان: 41\_42، السنة 2014م، ص: 224 .

<sup>433</sup> عبد الرحمن بن زيد الزبيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي: دراسة نقدية في ضوء الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1،

1412هـ، 1992م، ص: 128 .

<sup>434</sup> محمود قاسم، نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توما الأكويني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1969م، ص: 219 .

بالقدرة على استنباط المعرفة؛ لأن الناس متساوون في تلك المؤهلات لحظة ميلادهم،  
مصادقا لقول الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ  
السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ 435 «436» .

الوحي كمصدر للمعرفة والتوجيه في حياة الإنسان يقصد به عموماً كلمة الحق التي  
أوحى الله بها إلى الأنبياء والرسل، لكي تبلغ ما أمر به إلى الأمم، والوحي كمصدر للمعرفة  
والتوجيه الإسلامي يقصد به كلمة الله وإرادة الحق التي أوحى بها إلى نبيه ورسوله محمد  
صلى الله عليه وسلم ليبلغها إلى الناس كافة، "رسالة خاتمة كاملة شاملة، هداية للناس  
وإرشاداً إلى معنى وجودهم وغاية هذا الوجود، وتبياناً للمقاصد والمبادئ والقيم والأحكام التي  
ينبغي لهم أن يلتزموها لتحقيق غاية وجودهم، وجوهر ما يقدمه الوحي للناس هو توضيح  
طبيعة علاقة الإنسان بالله، وغاية وجود الإنسان في الكون، ودليل حركة الإنسان في الحياة،  
ومصير هذا الإنسان فيما وراء الحياة"<sup>437</sup> .

إن الحديث عن مستند الوحي من خلال طبيعته يختلف عن المصادر الأخرى، فإذا  
كان العقل يستند إلى أدلته القائمة على المبادئ الفطرية في الإنسان لإثبات ما قدمه من  
معرفة صحيحة، "وإذا كانت المعرفة الحسية تستند إلى التجربة الراجعة إلى العقل التي

<sup>435</sup> سورة النحل، الآية: 78 .

<sup>436</sup> أحمد عبادي، نحو منهجية معرفية للدراسات القرآنية، مجلة الترتيل، الرابطة المحمدية للعلماء المغرب، العدد 01، رجب 1434هـ، 2013م، ص:

14 .

<sup>437</sup> عبد المجيد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ص: 116 .

يوصل من خلالها إلى المعرفة الصحيحة، فإن مستند الوحي كونه من علم الله، وعلم الله مستغن عن الاستعانة بأي وسيلة للوصول إلى معرفة الحقيقة<sup>438</sup>.

إن القرآن الكريم مؤسس على العقل والحس، وهما القاعدتان السليمتان الوحيدتان للمعرفة، وحينما يُنزل الله الوحي فإنه يَخْلُق في مستقبله معرفة بحقائقه "تبيّن مكانة العقل كوسيلة لإثبات تكامل هذه المصادر"<sup>439</sup>، وبهذا يتفق العلماء المسلمون على أن أهم مصادر المعرفة التي ينالها الإنسان هو الوحي<sup>440</sup>، الذي يمدّ الإنسان بحقائق ما كان له ليصل إليها بدونها، وهذا بالاستناد إلى العقل والحس كأدوات لتحصيل المعرفة، وكامتداد للوحدة الوجودية، فإن احتمالية التناقض الكامل بين الوحي والعقل الصريح قد أنكرتها المدارس الإسلامية، فهي تؤكد أن وحدة الحقيقة تتبع من وحدة الألوهية المطلقة<sup>441</sup>.

أما فيما يتعلق بوحدة المعرفة والصورة التي تظهر عليها المعرفة، "فالمعرفة في جوهرها واحدة، لأن الحقيقة واحدة، ولكنها غالباً ما تظهر في مجالات وحقول معرفية وفروع، فهناك مثلاً: علم السياسة، وعلم الاجتماع، وعلم التربية، وعلم الفيزياء... إلخ، وكل هذه الحقول، وهذه المجالات المعرفية تكونت بسبب أن المعرفة تتعلق بظاهرة أو الحقيقة الواحدة لها جوانب مختلفة"<sup>442</sup>.

<sup>438</sup> عبد الرحمن بن زيد الزبيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي: دراسة نقدية في ضوء الإسلام، ص: 151 .

<sup>439</sup> أحمد داود أوغلو، تحليل مقارن للنماذج المعرفية الإسلامية والغربية، مجلة إسلامية المعرفة، العدد 22، 1421هـ، 2000م، ص: 128، 129 .

<sup>440</sup> عبد الحميد الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص: 503 .

<sup>441</sup> عبد الرحمن بن زيد الزبيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي: دراسة نقدية في ضوء الإسلام، ص: 127 .

<sup>442</sup> محمد الناصري، الجمع بين القراءتين والمنهج التوحيدي للمعرفة قراءة في المتين الفكري لطله جابر العلواني، ص: 263 .

كما أن المعرفة قبل نزول القرآن المجيد، كانت في نظر الناس أمراً تولده العقول، لكن مع نزول القرآن المجيد، تبين أن وظيفة العقول هي تعقل ما تستكشفه من خلال النظر إلى البصائر ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾<sup>443</sup>، وكذا من خلال إِبْصَار الآيات الموجودة في الآفاق والآنفس ﴿ سُنُرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾<sup>444</sup>، "وهذا المنهج كان مدركاً من قبل الإنسان، كما كان له أثره العميق في مجموعة من المجالات من المناهج المعرفية التي كانت سائدة قبل نزول القرآن الكريم"<sup>445</sup>.

إن نداءات القرآن الكريم المنبثقة من فعل القراءة والتفكير والتعقل والتفقه والتدبر والنظر، إلى آخره منبثقة في آيات كتاب الله، بل "إن آيات القرآن الكريم من بدئها حتى منتهاها في مجال العقيدة، والتشريع، والسلوك، والحقائق العلمية تمثل نسقاً من المفردات المعرفية، كانت كفيلاً بمجرد التعامل الجاد معها أن تهز عقل الإنسان، وأن تنمي فيه خاصية التوق المعرفي لكل ما يحيط به من مظاهر ووقائع وأشياء"<sup>446</sup>.

لقد ضمن الخطاب القرآني "استمرار تجدد المعرفة في الزمان كلما أحسن الإنسان توظيف قدراته المعرفية، كما لفت الخطاب القرآني انتباه الإنسان إلى مجال حيوي آخر أقرب

<sup>443</sup> سورة الجاثية، الآية: 20 .

<sup>444</sup> سورة فصلت، الآية: 53 .

<sup>445</sup> أحمد عبادي، نحو منهجية معرفية للدراسات القرآنية، ص: 14.

<sup>446</sup> عماد الدين خليل، صفحات من حضارة الإسلام، العلوم التطبيقية: دراسة في المعطيات وعوامل الازدهار والتوقف، بدون صفحة وتاريخ،

ص: 134 .



من الإنسان نفسه لتوظيف مشترك الكفاية، فقال سبحانه: ﴿سُئِرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي  
أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾<sup>447</sup>،<sup>448</sup>.

إن القرآن المجيد كلام الله عالم الغيب والشهادة الذي أحاط بكل شيء علماً، يبقى هو  
المهيمن على المعارف والعلوم البشرية، ولا بد في ذلك من الانضباط بضوابطه والاستمداد  
من معانيه ومقاصده، "فكل معرفة أو علم نشأ بعيداً عن روح القرآن، إلا وتكون له نتائج  
سلبية على الإنسان والكون، أو يكون مدمراً لهما معاً"<sup>449</sup>.

نلاحظ أن الوحي يكون مصدراً مباشراً للمعرفة في مبادئ الاعتقاد، والأحكام العملية  
وقواعد السلوك الفردي، والإخبار عن الأمم الماضية، وأساليب التربية والتعليم، وذلك في ما  
تتضمنه "الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ذات الدلالات الواضحة في تحديد ما يقوم به  
الإسلام، من أعمال محمودة؛ أو ما ينعقد عليه عزم الإنسان حول ما يجول في نفسه من  
خواطر؛ أو مما هو في مستوى الوجوب أو الندب، وقد تكون دلالات هذه النصوص متعلقة  
بما يلزم أن يتمنع الإنسان عن القيام به من أفعال مذمومة، سواءً كانت في مستوى التحريم،  
أو الكراهية"<sup>450</sup>.

<sup>447</sup> سورة الذاريات، الآية: 21 .

<sup>448</sup> محمد بن محمد رفيع، المنهج القرآني في المشترك الإنساني، مجلة إسلامية المعرفة، ص: 121 .

<sup>449</sup> نعيمة لبادوي، المحددات المنهجية للمعرفة في القرآن، نظرية المعرفة والسياق الكوني المعاصر التكييفات المرجعية والمستلزمات العلمية، أعمال الندوة  
العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، يومي 21 و 22 شعبان 1436هـ، الموافق ل 09 و 10 2015م، الرباط المملكة المغربية،  
الرابطة المحمدية للعلماء، ط 01، 1439هـ، 2017م، ص: 379 .

<sup>450</sup> فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي، مقدمات في المنهجية الإسلامية، ص: 210.

على ضوء ذلك؛ "يوصف القرآن الكريم كله بالمعرفة، وهي بمثابة النسيج للدين والرابطة التي إلى بعضه، ومنبع قوته وتأثيره، واستيعابها هو العظمة للمؤمنين، كما أنها أيضاً الوسيلة العقلية للولوج إلى هذا النظام العقائدي وسبر معانيه وفهم مقاصد"<sup>451</sup>، إن القرآن الكريم لا يهتم بالتفاصيل لكنه يسعى إلى تكوين بيئة عمل وإنجاز تتضمن الشروط التي تمكنها من العطاء، "وها هنا في حقل التوجه المعرفي تمكن الإسلام من إيجاد هذه البيئة، فبعث أمة من الناس من قلب الجاهلية، قدرت على صياغة حضارة أسدت للبشرية الشيء الكثير"<sup>452</sup>.

إنّ القرآن الكريم يقرّر أن في إمكان الإنسان معرفة الكثير من الأشياء إذا ما سلك السبيل المؤدية إلى المعرفة، وقد جاءت آيات كثيرة تحث الإنسان على التفكير والتدبر والنظر، من أجل هدفين هما:

أ\_ معرفة الأشياء المبنوثة في الكون من حوله حتى يستفيد منها في حياته المادية ويقوم بواجب الاستخلاف في الأرض.

ب \_ استشعار عظمة خالق هذه الأشياء ومدبرها ومجريها على سننها الثابتة.

<sup>451</sup> حامد العطية، نظام المعرفة ومنهج البحث في القرآن الكريم، دار الأنوار للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ط01، 2006م، ص: 11\_12.

<sup>452</sup> عماد الدين خليل، صفحات من حضارة الإسلام، العلوم التطبيقية: دراسة في المعطيات وعوامل الازدهار والتوقف، بدون صفحة وتاريخ،

ص: 134 .

لقد أصبح البحث في المعرفة ماهيةً وقيمةً ومصدراً؛ ضرورة علمية وفكرية لا يمكن تجاوزها، "والحقيقة أن البحث في المعرفة مطلب لا غنى عنه في أي حركة ثقافية وعمل فكري، ويكون إغفاله أو التهاون فيه مصدراً لمشكلات خطيرة؛ عندما تكون مسألة الثقافية وقضية الفكر - من حيث المناهج والتخطيط في إطار العقائد والقيم، وتوجيه المسار، وتحديد الموقف" <sup>453</sup>.

وهذه المعرفة بوصفها علاقة نامية بالتأثير الفعال للإنسان في الكون والحياة أصبحت في بعض فترات التاريخ هدفاً في ذاتها، وحاجة عقلية ممتزجة بمشاعر قوية ملحة، للبحث عن الحقيقة وكشفها وإدراك عللها، "من هنا نشأت الفلسفة بتياراتها الكثيرة، ومذاهبها المختلفة، وكان طبيعياً أن تختلف نزعات الفلاسفة بدرجات متفاوتة تجاه هذه الحقيقة، فهم لا يملكون إلا أن يصوغوا آراءهم - على الغالب - في شكل ( افتراضات) قد تصدر عن التأمل أو التحليل، أو الحدس، أو الحس، أو التخيل، أو غير ذلك" <sup>454</sup>.

لما كان التوحيد هو جوهر الإسلام، كان النظام المعرفي هو "مجموع المبادئ والكلية والأصول المستندة من مبدأ الوحدانية التي ينتظم في إطارها التعامل مع مصادر المعرفة، ووسائل الوصول إلى المعرفة من تلك المصادر، وبواعث المعرفة والمعوقات التي تعترض تلك البواعث والوسائل والغايات المعرفية التي يتوقع الوصول إليها في ظل ذلك النظام.

<sup>453</sup> عبد الرحمن بن زيد الزبيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي: دراسة نقدية في ضوء الإسلام، ص: 03 .

<sup>454</sup> المرجع السابق، ص: 03 .

إنّ طبيعة النظام المعرفي الإسلامي تقتضي، إذاً، الجمع بين المادي واللامادي، والمحسوس واللامحسوس، الوحدة والكثرة، الثبات والتحوّل، النسبي والمطلق، الطبيعي والإنساني، المعرفي والقيمي، في "إطار المعرفة الكلية، التي تتطوي في مكمونها على طاقة الاكتمال الحيوية التي تعكس في صورتها المتوازنة خصائص النموذج الكلي"<sup>455</sup>.

وعليه "فالمعرفة التدبرية والتأملية للوحي ارتكازا على منطقته الشرعي والحجائي هي الأصلح والأأنفع للوجود الإنساني بدل المعرفة التي تبتغي تأويله وتقصيده بمناهج تأويلية وتقصيدية منقولة وغير مأسوله ومخالفة لمنطقه"<sup>456</sup>.

على ضوء ما سبق بيانه؛ تتأسس المعرفة النظرية والتدبرية، التي تتحدّد طبيعتها طبقاً للإجابة عن الأسئلة النهائية أو الكلية، وهي الأسئلة المتعلقة بالإله والغيب والإنسان والكون والحياة، التي احتوتها قضايا علم العقيدة ابتداء من الإجابة عن سؤال الإله، والإجابة عنه بالإيمان بالله واحداً خالقاً مديراً متحكماً مالِكاً... إلخ، ويتحدّد دور الإنسان في الكون وطبيعته وعلاقته بالله سبحانه، ثم سؤال الغيب وطبيعته وعلاقة الإنسان به، فتأتي الإجابة بالإيمان بالملائكة بوصفها وسيلة لتواصل الإنسان مع عالم الغيب.

إن المعرفة التي يكتسبها الإنسان من خلال عمليات الإدراك والتفكير العقلي الذي يصوغ السلوك الإنساني الفردي، "ويحدّد قواعد الاجتماع البشري، هذا السلوك يرتبط بالبنية

<sup>455</sup> عبد الرحمن بن زيد الزبيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي: دراسة نقدية في ضوء الإسلام، ص: 140.

<sup>456</sup> عبد الرحمن العضراوي، النسق التأويلي والمقاصدي في نظرية الاستنطاق القرآني، ص: 416 .

العقلية والمعرفية للإنسان، ويصدر عن وعي بجملة العلاقات والظروف والاعتبارات الثقافية<sup>457</sup>، وهو "حصيلة عملية إدراكية يتفاعل فيها العقل والحس مع الوحي قرآناً وسنة، والكون والإنسان والحياة، ومعنى ذلك، أن العقل وحده لا ينهض كأداة وحيدة للعملية المعرفية، وكذا الأمر بالنسبة إلى الوحي، بل هو حصيلة تفاعل مجموع عناصر"<sup>458</sup>.

إن الطبيعة الإنسانية يمكن فهمها على أنها وجهة من أوجه سلوك الإنسان الحقيقي، قيمة إنسانية نابغة من الوجدان الإنساني الذي يحول التجارب العلمية المنطقية من وضعها المطلق إلى وضعها الإنساني تدريجياً، "فالوجدان هو الذي يسبغ عليها بعداً اجتماعياً، ويتجه الإنسان من التأثير تدريجياً في واقعه الذي يكشف عنه العلم من خلال إدراجه في مجال الاستعمال الحياتي، لسد إشباع الحاجات الإنسانية مما يجعل هذا الواقع له قيمة إنسانية"<sup>459</sup>.

وعليه فالمعرفة في المنظومة المعرفية الإسلامية مرتبطة بالحق، وهي معرفة بالإنسان وبالكون وبالوحي، بمعنى أنّ المعرفة الحقيقية، والعلم الصحيح هما اللذان يهديان إلى الحق والعمل به، بخلاف "التصور الغربي الذي يقصر المعرفة والعلم على ظواهر الطبيعية أو بعضها، حيث إنّ العلم يشمل أموراً معينة ولا يشمل كل أمور الحياة، وهي نظرة قاصرة، تفتقر إلى الشمولية والفعالية بحسب التصور الإسلامي للمعرفة والعلم"<sup>460</sup>.

<sup>457</sup> عبد العزيز بالشعير، النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي والغربي، ص: 115 .

<sup>458</sup> عبد الرحمن بن زيد الزنيدى، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي: دراسة نقدية في ضوء الإسلام، ص: 142.

<sup>459</sup> نعيم حبيب جعيني، الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، ص: 169 .

<sup>460</sup> عبد العزيز بالشعير، النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي والغربي، ص: 106 .

يستوجب اعتماد المعرفة الربانية كنموذج مثالي استهداف الإحاطة أو الشمولية في المعرفة، فالشمولية التامة صفة أساسية من صفات العلم الرباني: ﴿ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾<sup>461</sup> ، ﴿ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾<sup>462</sup> .

وتحيط هذه المعرفة أو العلم بكافة الظواهر الكبيرة والصغيرة: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾<sup>463</sup> ، كما تحتوي هذه المعرفة العلم بالظواهر والأسباب الخفية التي لا يمكن إدراكها بأي صورة: ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾<sup>464</sup> ، بينما لا تتعدى المعرفة البشرية الظواهر المحسوسة في الكون: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾<sup>465</sup> .

القرآن الكريم نزل لينشئ نظاماً معرفياً لم يعهده العرب، "فيه خصائص الثبات والتطور ما يجعله النظام الوحيد القادر على ربط البشرية بخالقها من جهة، وتمكينها من اكتشاف الآيات الكونية وتسخيرها من جهة أخرى، لتكون الأجيال المتعاقبة قادرة على القيام بواجبات الإعمار والاستخلاف"<sup>466</sup> ، "ويتعلق بتطبيقات المعرفة وانعكاسات العلم على السلوك الإنساني، بحيث لا ينظر للمعرفة فقط من زوايا الإدراك الحرفي المهني وحده، الذي يحصر

<sup>461</sup> سورة الأنبياء، الآية: 81 .

<sup>462</sup> سورة المائدة، الآية: 97 .

<sup>463</sup> سورة الأنعام، الآية: 59 .

<sup>464</sup> سورة الفرقان، الآية: 59 .

<sup>465</sup> سورة الروم، الآيتان: 06\_07 .

<sup>466</sup> محمد عابد الرشيدان، حول النظام المعرفي في القرآن الكريم، ص: 25 .

المعرفة في حدود التخصص الضيق، فيتم استيعاب المعرفة الإنسانية ضمن مهام الاستخلاف والأمانة<sup>467</sup>.

التوحيد في النظام المعرفي الإسلامي هو "الذي يجمع شتات الظواهر ويضعها في جسد موحد متكامل يتجلى في شكل حضارة، يضم في النهاية جميع العلوم والمعارف، من علوم المنطق وما فوق الطبيعة والأخلاق ونظرية المعرفة"<sup>468</sup>، فيكون النظام المعرفي توحيدياً عندما يجمع بين عالم الغيب وعالم الشهادة، وتصدر المعرفة فيه عن الوحي والكون، وتقوم على العقل والحواس كوسائل، بحيث لا تعارض بين جميع مكوناته وعناصره، التوحيد كناظم معرفي وضابط منهجي للنظام المعرفي يضع عناصره في بنية منظمة تشكل نسقاً موحداً، نسقاً من العلم ندرك به عالم الأشياء وعالم الأفكار وعالم الأشخاص، وعليه يشكل التوحيد مبدأ هذا النظام، إذ في إطاره تنتظم كل معارف الإنسان وسلوكاته وثقافته وحضارته.

طبيعة النظام المعرفي الإسلامي يتميز بكون المعارف جميعها تأتي أصولها إلى الإنسان من خارجه، "سواء كانت علماً من كتاب الله المسطور أو كتابه المنظور، أو علماً قذفه الله في فؤاد عباده الصالحين بواسطة ملائكته، كالرؤيا الصالحة والإلهام، وعليه فليس هناك علم ينتج من داخل الإنسان وحده؛ ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾<sup>469</sup>؛ فالسمع وسيلة علم الخبر، والبصر

<sup>467</sup> محمد الناصري، الجمع بين القراءتين والمنهج التوحيدي للمعرفة قراءة في المتين الفكري لطله جابر العلواني، ص: 264 .

<sup>468</sup> عبد العزيز بوالشعير، النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي والغربي، ص: 116 .

<sup>469</sup> سورة النحل، الآية: 78 .

وسيلة علم المختبر، والفؤاد يعقل آيات الله في علمي الخبر والمختبر، ويتهيأ بذلك للمزيد من العلم عن الله تعالى تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾<sup>470</sup>، والعلم المتوحى من كتاب الله المسطور أو المنظور يتدخل الإنسان في توليده متأثراً في ذلك بتحيزاته المنهجية واللغوية ورؤيته الكونية<sup>471</sup>.

فالمعرفة البشرية علماً ومعرفة، "هي كسب بشري تتسبب إلى كاسبها، لأن الحق الذي فيها نسبي وظني، بينما الحق الذي في الوحي والكون مطلق ويقيني، ولا ينفي ذلك أن ما يصيبه الإنسان من علم باجتهاده في فهم المصدرين هو من عند الله"<sup>472</sup>، "ولما كانت المعرفة البشرية في الإسلام مستمدة في غالبيتها من الوحي أي من القرآن الكريم، فإن طبيعتها تقتضي الإقرار بما يلي :

1\_ موجودات عالم الشهادة: وهي الأشياء التي تحيط بالإنسان في عالم الطبيعة من جماد ونبات وحيوان وإنسان، ويدركها بحواسه.

2\_ موجودات عالم الغيب: وهو العالم الذي ليس باستطاعة الإنسان إدراكه بالحواس، في هذه الحياة الدنيا، وهو داخل في ما يسمى بالميتافيزيقا كاللوح المحفوظ والجنة والنار

<sup>470</sup> سورة البقرة، الآية: 282 .

<sup>471</sup> محمد حسن برهمة، الظاهرة الاجتماعية ونظامها المعرفي في القرآن، مجلة تفكر، العدد 01، 1420هـ، 1999م، ص: 46.

<sup>472</sup> المرجع السابق، ص: 46 .



والعرش ونحوها، ولها وجودها الثابت في الخارج، وقد بيّن القرآن الكريم استقلال هذه الموجودات عن الإنسان<sup>473</sup>.

الجدير بالذكر أن المعرفة الإنسانية هي في النهاية معرفة بعالم الغيب ومعرفة بعالم الشهادة معاً، ولا يصح أن نسلط مقاييس عالم الشهادة على عالم الغيب، كما حدث في تاريخ الفكر الفلسفي الغربي، ذلك أن العالمين كل له طبيعته وقوانينه، حيث إن لعالم الغيب طبيعته وقوانينه تُبلّغ وتلقّن للإنسان عن طريق الأنبياء عليهم السلام، بمعنى أن الحقيقة مزدوجة، فهي تتكون من ملكوت فوق الوجود المادي، وملكوت مدرك بالحواس، وطبقاً لمبدأ التوحيد.

أما عالم الغيب فمعرفته تختلف عن معرفة عالم الشهادة " وهو وراء هذه الحواس وهذا العقل ومعرفته إجمالاً من حيث المبدأ التسليم بوجوده، تدخل في إمكان المعرفة الإنسانية، إذ إن العقل يستطيع من خلال النظر في قوانين عالم الشهادة أن يسلم بعالم الغيب، ولكن تفصيلات هذا العالم ليس في إمكان العقل أن يعرفها، ومن ثم أسعف الله هذا الإنسان بمعرفتها عن طريق الوحي<sup>474</sup>، إن "إثبات الوعي الإنساني لا ينفصل عن المعنى المستتق من الوحي، والمعرفة الإنسانية مهما تبدلت وتغيرت لا تخرج عن يقينيات الوحي<sup>475</sup>".

<sup>473</sup> المرجع السابق، ص: 126 .

<sup>474</sup> عبد الحميد الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص: 437 .

<sup>475</sup> عبد الرحمن العضراوي، النسق التأويلي والمقاصدي في نظرية الاستنطاق القرآني، ص: 417 .

تأسيساً على ما سبق يتبين لنا معاني التدبر في القرآن الكريم؛ للإخبار بأن الله عزَّ وجلَّ أنزل كتابه للتدبر وليتذكر أولوا الألباب، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>476</sup>، فلا يقتصر العامل به على تلاوته ومعرفة معانيه فحسب، وإنما عليه أن يتدبره، "ولما كان لإنزال القرآن الكريم مقاصد وغاياتٍ أخرى غير تدبره، قد أفصح الله عزَّ وجلَّ عنها في آيات وسورٍ أخرى، فقد أصبح من المفيد الوقوف على مدى ارتباط مقاصد القرآن الكريم بالتدبر، وعلى ماهية هذا الارتباط الوثيق بينهما، ومدى الحاجة إلى تصوُّر العلاقة التي تجمع شملهما، وتؤكدُ على رسوخ الالتحام بينهما"<sup>477</sup>.

فالتفكير والتأمل في آيات القرآن الكريم من أجل فهمه، وإدراك معانيه وحكمه، والمراد منه، وقد يطلق التدبر على العمل بالقرآن الكريم، لأن العمل ثمرة التدبر، كما أن تحققه يقتضي التلازم القوي بينهما، "فتدبر القرآن الكريم هو التأمل فيه بتحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله، لا مجرد تلاوته بلا فهم وتدبر"<sup>478</sup>، قا تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾<sup>479</sup>، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾<sup>480</sup>.

<sup>476</sup> سورة ص، الآية: 29

<sup>477</sup> علي البشر الفكي التجاني، مقاصد القرآن الكريم وصلتها بالتدبر، بدون طبعة وتاريخ، ص: 04 .

<sup>478</sup> ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، تحقيق محمد البغدادي، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط2، 1995م، ص: 449 .

<sup>479</sup> سورة محمد، الآية: 24 .

<sup>480</sup> سورة المؤمنين، الآية: 67 .

للتدبر وسائل مهمة فمن ذلك الوسيلة الأولى: وهي قراءة القرآن العظيم، وتدراسه وفهم معانيه، وليس المقصود هنا بالفهم أن يفهمه كفهم العلماء المجتهدين، أو بمصطلحات أهل العلم، إنما الفهم الذي يحقق معنى الآية من جهة دلالتها العامة، والتدبر للقرآني فيه النظر إلى مقاصد القرآن العظيم، فهو كتاب هداية، تضمن ما فيه سعادة الإنسان في الدنيا والآخر، "والمسلم في قراءته للقرآن العظيم يتفهم هذه المقاصد الكبيرة، ويستفيد مما فيها، ناظراً ومتفكراً ومتعظاً، وهذا سر ختم الكثير من الآيات بما يفيد طلب التفكير، والرشد والعبرة، والعظة والرجوع إلى الصواب"<sup>481</sup>، إن المتدبر لكتاب الله عندما يلحظ ربانية القرآن الكريم ومقاصده، ينشأ لديه تصوّر لما يتدبره، ويتبّه لما يصل إليه، ذلك أن ربانية القرآن الكريم يراد بها مراعاة جانب الهيبة والتوقير للقرآن الكريم، على أنه كلام الله عز وجل، ومحفوظ بحفظ الله جلّ وعلا، من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان، وهذا مما يراعيه المتدبر لكتاب ربه ابتداءً.

ختماً؛ تستند المعرفة النظرية والتدبرية في القرآن الكريم على مبدأ الفهم، فمن دونه لا يمكن الحديث عن نظام معرفي قائم بأنه مدرك ومستوعب لفهم الإنسان لنفسه وللوحي والله والكون والحياة، إن ما يتطلع إليه البشر من الصيغة المثلى للمعرفة، من حيث ارتكازها على الحقائق اليقينية، وما لا يعتريه أي نقص أو قصور في المصدر، لا يمكن أن يتحقق إلا بالمنهج الإلهي الذي جاء بالحكم الفصل في كل قضايا الإنسان وما يحقق إنسانيته في

<sup>481</sup> محمد بن عمر بن سالم بازمول، تدبر القرآن وأثره في تركية النفوس، دار الاستقامة، القاهرة، ط01، 1429هـ، 2008م، ص: 14.

مجال المعرفة، ليقود حركة الحياة بدقة وضبط ونظام، وعلى هذا فإن المعرفة التي تفتقدها الإنسانية بحق هي تلك التي تستمد من كتاب الله عز وجل، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي هذه المعرفة وحدها مضموناً ومصدراً ومنهجاً - الأجوبة الشافية الوافية لأسئلة كثيرة التي تحقق للإنسان إنسانيته، وفيها وحدها كذلك الحلول الحاسمة لكل ما يعترض الفكر البشري من مشكلاتٍ في تفسير الوجود والإنسان<sup>482</sup>، مصداقاً لقول الله عز وجل:

﴿سُئِرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾<sup>483</sup>.

### المطلب الثاني: المعرفة العملية التنزيلية

إن من المهم معرفة الجانب العملي التنزيلي في قضايا إنسانية الإنسان، لأن الجانب النظري وحده لا يغني ولا يقدم التفسير الكامل لواقع الممارسة الاجتماعية، "إن واقع الممارسة الاجتماعية للحريات وحماية حقوق الأفراد لا تعتمد الأسس النظرية وحدها، ولكن هذه القضايا تخضع للاعتبارات الواقعية، فكلما كانت المنطلقات النظرية سليمة، وكلما كان فكر الأمة معافى؛ كانت الأمة ومؤسساتها أقدر على التسامح وإفساح المجال أمام الأفراد والفئات لممارسة حقوقهم في حرية الفكر والعقيدة"<sup>484</sup>.

إن هذا البعد من أبعاد حركة الوجود الإنساني يتصل بالجانب العملي التنزيلي في هذا الوجود، وهو بذلك يتصل بمجموع الأفعال والتصرفات وتبادل المصالح والعلاقات بين الفرد والمجتمع، حيث أن وجود الفرد الإنساني لا يمكن أن يقوم ولا أن يستمر في الحياة إلا إذا

<sup>482</sup> عبد الرحمن بن زيد الزبيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي: دراسة نقدية في ضوء الإسلام، ص: 05 .

<sup>483</sup> سورة فصلت، الآية: 53 .

<sup>484</sup> عبد المجيد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1412هـ، 1991م، ص: 145 .

كان في مجتمع إنساني يتبادل الفرد فيه مع بقية أفراد المجتمع ومؤسساته العلاقات والمصالح<sup>485</sup>.

إن الخطاب الشرعي دعوة لمصالح الإنسان في العاجل والآجل فما كان تنزيهه إلا لأجل صلاح الخلق وعليه فالصلاح هو سبيل السعادة في الدارين فمادام الصلاح يعد سبيلا للسعادة الدنيوية والأخروية، فلا بد من النظر إلى الشريعة من زاوية ناجعة نحو الصلاح، ونظرا للقيمة المركزية التي تحتلها المصلحة في بيان مقصود الخطاب الشرعي وتشكيل معقوليته ثم في زيادة تعليل هذا الخطاب وشموله لجوانب الحياة الإنسانية فنحن بحاجة للرجوع لكتاب الله قصد استلها مغانى الصلاح الإنسانى.

يعد الواقع ببعديه التاريخى والمجتمعى الفاعل الأول فى قضية الوعى العلمى المتكامل لتطور المعرفة البشرية، إذ الواقع ىمثل بحق ذلك الفضاء المتحرك الذى بموجب سيرورته الفاعلة تتفاعل الأفكار وتتطور وتطلب التغيير بمقتضى تطور الأفق الإنسانى، وكل درس علمى يدرك منطق جدلية الواقع والنص المشكل له، وذلك فى وعيه لحقيقة البناء اللغوى والدلالى لهذا النص، حيث ىميط اللثام عن حقيقة البناء المعرفى لهذا النص، ومن ثم سىكشف عن سبل تطوره وتشكله فى إطار واقع متغير ىطالب بالتفاعل المضمونى والدلالى للنص، حتى ىتم البناء الجديد لهذا الواقع.

<sup>485</sup> المرجع السابق، ص: 175 .

إن الإنسان لم توكل إليه مهام التدبر في آيات القرآن بطريقة مجرد عن الواقع، "لأن القرآن لم يأت لتجريد الواقع، وإنما أتى لكشف الواقع ومعالجته والتدبير فيه، باعتباره مجال عمل الإنسان، وفي هذا السياق يمكن لنا أن نكشف عن شيء جديد في إطاره"<sup>486</sup>.

فاعتبار الواقع في فهم مقاصد الآيات "هو أدعى للنظر والتفكير والتأمل والتدبر، الذي ربما يفتح الله على الإنسان فيها بدلالات لم تخطر ببال غيره من السابقين أو المعاصرين، فالقرآن الكريم، كثير العطاء، لا تنتهي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد"<sup>487</sup>.

وفهم الصحابة والتابعين لهذا المعنى في ربط الآيات بالواقع يُثبت حقيقة أنه كان منهاجاً أساسه توجيهات الوحي، وتطبيقاته العملية في التربية التي تلقاها الصحابة بتوجيه من النبي صلى الله عليه وسلم، "قال أبو عبد الرحمن السلمي، حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن عثمان بن عثمان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم؛ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً"<sup>488</sup>.

إن التعامل مع القرآن الكريم، بوصفه مصدراً للمعرفة يفيدنا التمييز بين صورتين في علاقة القرآن بالوجود الذي يحيط بالواقع البشري، "الصورة الأولى هي الصورة التي تنزل في واقعة محددة، يعيش الناس فيه قضايا ومشكلات وظروفاً، فتكون الآيات النازلة علاجاً

<sup>486</sup> فرح موسى، الإنسان والحضارة في القرآن الكريم بين العالمية والعمولة، ص: 116.

<sup>487</sup> فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية، ص: 210.

<sup>488</sup> ابن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم الحراني، دقائق التفسير، تحقيق: محمد السيد الجليلند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ح2، ط1، 1404هـ، ص: 227.

لقضايا ذلك الواقع، وإجابات عن أسئلته، أما الصورة الثانية فهي صورة الواقع الذي نعيشه اليوم، وفي واقعنا الذي نعيشه اليوم - بطبيعة الحال - قضايا ومشكلات وأسئلة، لكننا لا نقرأ القرآن لنستمد منه الهداية اللازمة لحل مشكلاتنا، بل نكتفي في معظم الأحيان بقراءة القرآن لنستمد منه الهداية اللازمة من أجر وثواب، أو لتعزيز الأحكام الفقهية التي نتعلمها بالشاهد القرآني، أو للأنس بقراءته واستشعار السكينة والطمأنينة النفسية، وكل ذلك خير وبركة، لكننا ما لم نحاول أن نقيم التفاعل بين القرآن الكريم وقضايا الواقع الذي نعيشه ومشكلاته وأسئلته، فلن نجد القيمة المنهجية والمعرفية للقرآن في حياتنا<sup>489</sup>.

لقد دلت الآيات القرآنية على ربط النص بواقع تنزيله، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِبُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>490</sup>، فهذه الآية وقع الجواب فيها بما يتعلق به العمل، اعراضا عما قصده السائل من السؤال عن الهلال: "لم يبدو في أول الشهر دقيقا كالخيط، ثم يمتلئ حتى يصير بدرا، ثم يعود إلى حالته الأولى"<sup>491</sup>.

وتفصيل القول فيه "أن تقدير الزمان بالشهور فيه منافع بعضها متصل بالدين وبعضها بالدنيا، أما ما يتصل منها بالدين فكثيرة منها الصوم، قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي

<sup>489</sup> فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية، ص: 225.

<sup>490</sup> سورة البقرة، الآية: 189 .

<sup>491</sup> الشاطبي، الموافقات، ج1، ص: 44.

أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴿492﴾ ، وثانيها الحج قال الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴿493﴾ ، وثالثها عدة المتوفى عنها زوجها قال الله تعالى: ﴿يَنْزَيِّنَنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴿494﴾ ، ورابعها النذور التي تتعلق بالأوقات، ولفضائل الصوم في أيام لا تعلم إلا بالأهلة، وأما ما يتصل منها بالدنيا فهو كالمداينات والإجازات والمواعيد، ولمدة الحمل والرضاع كما قال تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴿495﴾ ، وغيرها، فكل ذلك مما لا يسهل ضبط أوقاتها إلا عند وقوع الاختلاف في شكل القمر ﴿496﴾ .

لربط الآيات القرآنية بواقع تنزيلها قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴿497﴾ ، فعن البراء رضي الله عنه قال "نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكانه عيّر بذلك فنزلت الآية" ﴿498﴾ ، " فكان من جملة الجواب أن هذا السؤال في التمثيل إتيان للبيوت من ظهورها، والبر إنما هو التقوى، لا العلم بهذه الأمور التي لا تفيد نفعاً في التكليف، ولا تجرُّ إليه" ﴿499﴾ .

492 سورة البقرة، الآية: 185 .

493 سورة البقرة، الآية: 197 .

494 سورة البقرة، الآية: 234 .

495 سورة الأحقاف، الآية: 15 .

496 الرازي، مفاتيح الغيب، ج5، ص: 105 .

497 سورة البقرة، الآية: 189 .

498 صحيح البخاري، باب قول الله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها، ج2، ص639، حديث رقم: 1709 .

499 الشاطبي، الموافقات، ج1، ص44-45 .



قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>500</sup>، فسؤال اليهود النبي صلى الله عليه وسلم، عن حقيقة الروح، كان تعنتاً لا طلب هداية، لأن حقيقتها استأثر الله تعالى بعلمها، والإنسان قاصر عن إدراكها، كما أن علمها مما لا يحتاجه المكلف في التكليف، ولذلك نهى الله تعالى المؤمنين عن السؤال الذي لا يُرجى منه عمل، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِنِ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾<sup>501</sup>، وقد نزلت الآية في سؤال أحد الصحابة فيما لا يثمر عملاً، فعن أنس بن مالك قال: « قال رجل يا نبي الله من أبي؟ قال ( أبوك فلان ) فنزلت الآية»<sup>502</sup>، فكان السؤال تحصيل حاصل لا يثمر فقها ولا يورث عملاً فجاء النهي عنه من قبل الله عز وجل.

ونجد المعرفة العملية التنزيلية في السنة النبوية كذلك، منها ما روي عن زيد بن ثابت: أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ حجرة في المسجد من حصير، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ليالي حتى اجتمع إليه ناس، ثم فقدوا صوته ليلة فظنوا أنه قد نام، فجعل بعضهم يتحنح ليخرج إليهم، فقال "ما زال بكم الذي رأيت من صنيعكم حتى خشيت أن يكتب عليكم، ولو كتب عليكم ما قمتم به، فصلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة"<sup>503</sup>.

<sup>500</sup> سورة الإسراء، الآية: 85 .

<sup>501</sup> سورة المائدة، الآية: 101 .

<sup>502</sup> صحيح البخاري، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، ج6، ص: 2660، حديث رقم: 6865.

<sup>503</sup> صحيح البخاري، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، ج6، ص: 2658، حديث رقم: 6860.

عن أنس قال: "كنا عند عمر فقال نهينا عن التكلف"<sup>504</sup>، وهو كثرة السؤال والبحث عن الأشياء الغامضة التي لا عمل يرجى من وراءها ومن هنا نهى عليه السلام: "عن قيل وقال وكثرة السؤال"<sup>505</sup>؛ لأنه مظنة السؤال عما لا يفيد، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه: أن النبي صلى الله عليه و سلم قال " إن أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته "<sup>506</sup>، وهو مما نحن فيه، فإنه إذا لم يُحرم، فما فائدة السؤال عنه بالنسبة للعمل"<sup>507</sup>.

لقد أدرك الإمام الشاطبي أهمية البعد التنزيلي العملي للمعرفة في الواقع وبذلك أسند للأصول وظيفة عملية تنزيلية كثيرا ما تغافل عنها العلماء، وهذا ما أكدته المقدمة الرابعة، ومقتضاها أن الأصول التي "لا ينبني عليها فروع فقهية، أو آداب شرعية، أو لا تكون عوناً في ذلك، فوضعها في أصول الفقه عارية، والذي يوضح ذلك أن هذا العلم لم يختص بإضافته إلى الفقه إلا لكونه مفيدا له، ومحققا للاجتهاد فيه، فإذا لم يفد ذلك، فليس بأصل له"<sup>508</sup>، فلا بد للأصل إذاً أن يكون مُنتجا، عن طريق إنتاج فروع الفقه عليه، وإلا كان أصلا عقيما أو عاريا حسب اصطلاح الشاطبي، ومن ثم فكل أصل يُضاف إلى الفقه لا ينبني عليه فقه، فليس بأصل له، وقول الشاطبي هذا دليل على "الوعي الكامل بالوظيفة التشغيلية للعلم الشرعي، حيث إن الشاطبي المالكي المتشعب بالمبادئ العلمية للتراث الاسلامي عموما،

<sup>504</sup> صحيح البخاري، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، ج6، ص: 2659، حديث رقم: 6863.

<sup>505</sup> صحيح البخاري، باب ما يكره من قيل وقال، ج5، ص: 2375، حديث رقم: 6108.

<sup>506</sup> صحيح البخاري، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، ج6، ص: 2661، حديث رقم: 6859.

<sup>507</sup> الشاطبي، الموافقات، ج1، ص: 47-49.

<sup>508</sup> المرجع السابق، ج1، ص: 37.

وبالتوجه العملي الراسخ للمذهب المالكي خصوصاً، ما فتى يقرر المقتضيات التشغيلية للعلم الشرعي بآكد البيّنات، وأوضح الدلالات في مقدمات كتابه الموافقات<sup>509</sup>.

وعليه فإن المعرفة العملية التنزيلية هي "المنطلق للاستيقان بوجود الله المستخلف وصفاته لتجلي هذه الصفات فيه، وهو المسرح الذي تكون الخلافة دائرة عليه، مما يستلزم من الخليفة استيعاب حقائقه المادية شرطاً ضرورياً لممارسة هذه المهمة عليه"<sup>510</sup>.

ولسنا نقصد بالنظرة الواقعة هنا أن القرآن الكريم يساير ( واقع ) الإنسان من حيث رغباته وميوله وغرائزه وانفعالاته، "وإنما نقصد أنه اعترف بهذا الواقع ولم يضع من المبادئ والقواعد ما يقهره ويكبته، ووضع هذا الواقع في إطار يسمو بالإنسان عن الرتبة الحيوانية"<sup>511</sup>.

فالعالم الذي يحيط بنا في مختلف مستوياته الطبيعية والاجتماعية والنفسية هو واقع لا بد من دراسته وفهمه، وهذا ما يطلق عليه في الدراسات المعاصرة فقه الواقع، ولا بد من دراسته بالأدوات والأساليب المناسبة لتحقيق معالم إنسانية الإنسان، وذلك أمر ضروري لفهم علاقة القرآن بهذا الواقع الإنساني، لاستكمال قدرتنا على إجراء التفاعل اللازم بين عالم الوحي وعالم الإنسان، من أجل إصلاح هذا الواقع والخروج من مشكلاته وأزماته.

<sup>509</sup> ادريس غازي، نظرات في التقريب المعرفي لعلوم أصول الفقه عند الإمام الشاطبي: ص: 205-206.

<sup>510</sup> عبد المجيد عمر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص: 73.

<sup>511</sup> سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص: 212.

## **الباب الثاني:**

### **إنسانية الإيمان في القرآن الكريم: الأبعاد الحضارية**

لما كانت الأطروحة في بابها الأول تختص بدراسة الأسس المرجعية والمعرفية لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم، فإن الباب الثاني الذي خصصته للأبعاد الحضارية لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم، يبرز هذه رؤية في القرآن الكريم لأنه الخلاصة النهائية الخاتمة لمسيرة الوحي الإلهي للإنسان من خلال إبراز الأبعاد الإنسانية والحضارية، ومن ثم فإنه الركيزة الأساسية في أي بناء حضاري .

تناولت مواضيع الباب الثاني ببيان الأبعاد الحضارية ودورها في الحياة والإنسان والكون، وهي أبعاد تقوم على التكامل المعرفي والأخلاقي والتوازن المادي والروحي، والمتأمل في آيات القرآن الكريم التي تهتم بالأبعاد الحضارية للإنسانية الإنسان في القرآن الكريم؛ يلاحظ تنوع أساليبها وتعدد موضوعاتها وهذا ما سنحاول بيانه قدر المستطاع في هذا الباب.

## **الفصل الأول:**

**البدء الامتخاني لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم**

يمثل هذا الفصل مدخلا مهما في دراسة البعد الاستخلافي لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم، من خلال استقراء آيات القرآن الكريم التي بينت وظيفة الإنسان في هذه الحياة، المتعلقة بخلافة الإنسان في الأرض وتعميرها بكل جهد مخلص وعمل مثمر، واستخراج ما فيها من ثروات، وامتلاكها على سبيل الاستخلاف.

تبرز دراسة هذا الفصل كونه مدخلا مهما للإعلان الإلهي والبيان الاستخلافي الذي اعتبر ميثاقا وعهدا للخلافة الإنسانية، والذي تضمن خلق الكائن الجديد ألا وهو الإنسان، فجاء ذلك الخلق مقترنا بالمهمة والرسالة والوظيفة والدور الذي أنيط بعهدته، هذه المهمة التي كلف الله بها الإنسان وجعلها غاية لوجوده تتبني على قاعدة من خلافة الإنسان لله، وهو أمر يقتضي من الخليفة ترقية فعله اقتداء بمستخلفه واقترابا منه ليحقق معنى الاستخلاف على الوجه الأفضل والأكثر فعالية، سنحاول بيان ذلك في هذا الفصل قدر المستطاع.

## المبحث الأول: الأبعاد العقلية والتكريمية والتعميرية

لقد خصصت هذا المبحث للحديث عن الأبعاد العقلية والتكريمية والتعميرية، كل هذه الأبعاد تعد ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية، فقيمة إنسانية الإنسان متعلقة بهذه الأبعاد، وبذلك تعتبر في المنظور القرآني منهجاً تستقيم بها النفس الإنسانية والحياة.

### المطلب الأول: البعد العقلي

إن الإيمان بالعقل وحده باعتباره الوسيلة الوحيدة التي تضمن السيطرة على العالم وتسخير إمكاناته بالاعتماد على العلم وحده أمر غير سليم، فالنظرة المادية إلى الكون والإنسان هي سمة الفكر الغربي، وهي السمة التي عملت الفلسفة الوضعية على ترسيخها بطريقة علمية للوصول إلى مشروعية التصورات المادية للإنسان، مما أنتج انحرافات كبيرة حالت دون تحقيق إنسان إنسانيته، وذلك راجع إلى محدودية العقل البشري وعدم قدرته على الإحاطة بكل ظواهر الإنسانية وأسسها النفسية، ومن ثم "قام العقل الوضعي بتهميش العقل الفطري، وتحديد دوره"<sup>512</sup>.

لقد تميزت آيات القرآن الكريم بأن لها منطلقات أساسية، تمثل الركائز التي تضيء الطريق أمام العقل المسلم في حركته الفكرية الإبداعية نحو فهم ماهية إنسانية الإنسان، ولكي يقوم العقل المسلم في وضع نموذج فكري كامل يحقق للإنسان إنسانيته على ضوء مقاصد الوحي، لا بد له من الوضوح الكامل للأسس والمنطلقات والمفاهيم والمبادئ التي

<sup>512</sup> محمد الناصري، المنهج التوحيدي للمعرفة وتأسيس الإستمولوجيا المعاصرة، مجلة الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء المغرب، العدد 48، صفر

1442هـ، شتنبر 2020م، ص: 163 .



يستند الفكر الإسلامي إليها، وتمثل القاعدة المنهجية العامة التي يهتدي ويسير على مقتضاها ليحقق للإنسان إنسانيته.

حيث يعتمد في ذلك على المراقبة الذاتية، لأن المراقبة الخارجية قد يفوتها شيء، وربما استطاع الإنسان أن يفلت منها، لذلك كان الإيمان الحصن الحصين الذي يأوي إليه المرء فَيَسْلَمُ، وينفذ أحكامه فيغنم<sup>513</sup>، لكن العقل بحاجة إلى نور يستضيء به، وهادٍ يهديه، فكان شرع الله تعالى هو المرشد المقوم الضابط للتصرفات، والانحرافات السلوكية التي تعترى الإنسان، وتتشأ هذه الانحرافات عندما يبتعد الإنسان عن المنهج الرباني فتضعف صلته بالله تعالى، أو تنقطع فيفسد سلوكه، وهذا ما تظهر أعراضه في: الحسد والرياء والنفاق وغير ذلك، فالعقل البشري مفطور بطبعه على التفكير فيما حوله، واستنباط الطرق التي تحقق للإنسان إنسانيته.

إن البعد التعقلي<sup>514</sup> في هذه القضية عظيم، وهو موضع اعتبار الإسلام وتعظيمه ليكون في الدرجة الأولى من الأهمية والفعالية والعطاء، من أجل وصول الإنسان إلى مداخل الحق والخير وتمكينه من استيعاب الحقائق التي تملأ أرجاء هذا الكون المعمور، وفي طبيعتها حقيقة الإيمان بالله؛<sup>515</sup> والعقل مناط تحقيق المصلحة الشرعية في الخلق قد حثت

<sup>513</sup> أحمد سعيد سيف الدين، العقيدة في القرآن الكريم: بين التخلية والتحلية، دار البشائر الإسلامية، ط 1، 1428هـ، 2007م، ص: 22 .

<sup>514</sup> المقصود هنا بالبعد التعقلي، هو تلك القوة التي بها يميّز الإنسان بين الحق والباطل والخير والشر، فقد أودع الخالق في الإنسان قوة يقدر بها على التمييز بين الحق والباطل في القضايا النظرية، والخير والشر والنافع والضار في القضايا العملية، والعقل في الإنسان هو القوة التي تمكنه من معرفة الحقائق والتوصل إلى المجهولات بواسطة المعلومات فوظيفة العقل هو الإدراك العقل الذي كرم به الإنسان حتى يميز بين النافع والضار ويعرف به طريق الخير من طريق الشر، ويتقبل بواسطته العلوم والمعارف وإدراك حقائق الأشياء .

<sup>515</sup> أمير عبد العزيز، الإنسان في الإسلام، دار الفرقان، بيروت، ط 1، 1404هـ، 1984م، ص: 83 .

الشريعة المحافظة عليه، لما له من الميزة التي ميز الله بها الإنسان، حيث به تتحقق الإنسانية الكامنة فيه، وعلى ضوء ذلك فضّله الله على كثير من مخلوقاته، وعليه لا بد من طرق يحافظ بها عليه من حيث الوجود ومن حيث العدم.

للعقل في الإسلام منزلة رفيعة لا تدانيها منزلة، "وكيف لا يكون كذلك ودين الله تعالى الذي أنزله على خلقه في كتابه الكريم، وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، قد جعل القيام به منوطاً بوجود العقل، فإذا فقد ( أي التعقل ) ارتفع التكليف، وعد فاقده كالبهيمة لا تكليف عليه"<sup>516</sup>، إن الإسلام قد ترك للعقل الإنساني الإبداع والابتكار في مجال استغلال خيرات الكون، مع وضع ضوابط إنسانية تحكم هذا السلوك من الانحرافات المنافية للفترة الإنسانية.

العقل هو موجه الإنسان ودافعه ووسيلته إلى إدراك موقعه وغايته من الحياة، وهو موجهه ودافعه ووسيلة في طلب علم الغيب والتلقي عن رسالات الوحي، "والعقل وقدرته على الإدراك والتمييز والتمحيص هو وسيلة الإنسان إلى إدراك فحوى الوحي ووضعه موضعه، موضع الإرشاد والتوجيه لعمل الإنسان وبناء الحياة ونظمها وإنجازاتها، بما يحقق غاية الوحي ومقاصده وتوجيهاته وأحكامه"<sup>517</sup>.

فدور الوحي الرباني هو في إمداد العقل المسلم بحاجته من علم عالم الغيب، وتوضيح غايته الخيرة من خلق الإنسان في عالم الشهادة، ودوره في خلافة الأرض، ودور العقل

<sup>516</sup> الشاطبي، الموافقات، ج3، ص: 13 .

<sup>517</sup> عبد المجيد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ص: 199 .

المسلم هو السعي في عالم الشهادة، وإقامة الخلافة في الأرض على نور من توجيه الوحي والرسالة الربانية<sup>518</sup>.

فالعقل هو وسيلة الإنسان لتلقي الرسالة الربانية والتفكير بها، ومن ثم اتخاذ موقف منها، ويعتبر الخطاب الديني التصديق بهذه الرسالة الإحيائية موقفاً عقلانياً، "صادر عن أولي الألباب، وذوي العقول المستنيرة، الذين يستمعون للرسالة الربانية وغيرها، ويفاضلون فيما بينها، ثم يتبنون ويتبعون أحسن هذه البدائل، أي: الرسالة الإلهية، وكل هذه صفات أو خصائص للحالة العقلانية ومعبرة عنها"<sup>519</sup>.

إن الله سبحانه خلق الإنسان وكرمه، واختصه بخصائص ووظائف، "وأغدق عليه النعم، وسخر له العديد من المخلوقات، ووهبه العقل ليميز به طريق الخير من طريق الشر، وزوده بإمكانات فكرية وقدرات بدنية ليكون خليفة في الأرض يعمرها بالعمل الصالح"<sup>520</sup>، "فلا مجال لوجود الإنسان كإنسان ولا مجال للتلقي عن رسالة الوحي كمصدر للمعرفة والتوجيه والعلم، ولا مجال لمسئولية الخلافة والاعمار دون وجود العقل، دون دور العقل، ودون فطرة العقل في معطياته وقدراته وبديهياته، في الإدراك والفهم والتمييز، وما تدل عليه وتدعو إليه من مقاصد الخير والعطاء"<sup>521</sup>.

<sup>518</sup> المرجع السابق، ص: 120 .

<sup>519</sup> حامد العطية، نظام المعرفة ومنهج البحث في القرآن الكريم، ص: 27.

<sup>520</sup> أنس أحمد كرزون، منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، ص: 01 .

<sup>521</sup> عبد المجيد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ص: 199 .

على ضوء ذلك؛ فإن الإنسان هو خلق الله؛ إذ وهبه العقل وما أو دعه فيه من فطرة الإنسانية السليمة للإدراك والتدبر والتدبير وتصريف الحياة والمقدرات وفق ما علمه من نواميسها وأسبابها ومسبباتها، فيعلو ويحسن طواعية بالتزام الحق، وينحط ويطغى ويفسد باجتتاب الحق واتباع الهوى، "والعقل هو موجه الإنسان ودافعة ووسيلته إلى إدراك موقعه وغايته من الحياة، وهو موجهه ودافعه ووسيلته في طلب علم الغيب والتلقي عن رسالات الوحي، والعقل وقدرته على الإدراك والتمييز والتمحيص هو وسيلة الإنسان إلى إدراك فحوى الوحي ووضعه موضع الإرشاد والتوجيه، لعمل الإنسان وبناء الحياة ونظمها وإنجازاتها، بما يحقق غاية الوحي ومقاصده وتوجيهاته وأحكامه"<sup>522</sup>.

فالوحي هو خطاب موجه للعقل البشري، لذا تستدعي كفاءة الاتصال حداً أدنى من العقلانية أو جدارة العقل البشري، وترد في القرآن الكريم آيات عديدة دالة على أن الخطاب الرباني موجه للعقل قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>523</sup>، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>524</sup>، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِّمَّا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾<sup>525</sup>.

إن العقل في القرآن الكريم لم يرد مصدراً، وإنما ورد بالصيغة الفعلية المختلفة، في كثير من المواضع، ولكن وردت مرادفات له مثل: الألباب، والنهي، إضافة إلى الألفاظ التي تدعو

<sup>522</sup> المرجع السابق، ص: 199 .

<sup>523</sup> سورة الروم، الآية: 24 .

<sup>524</sup> سورة يوسف، الآية: 111 .

<sup>525</sup> سورة العنكبوت، الآية: 43 .

إلى النظر والتدبر والتذكّر والبصر، وغير ذلك من الألفاظ التي تدور حول الوظائف العقلية، على اختلاف معانيها وخصائصها ووظائفها.

فالعقل في النظام المعرفي القرآني له أبعاد كثيرة توجّهه الرؤية العقدية، التي تعتبر الوجود شقّين: وجود عالم الشهادة وعالم الغيب، ومن ثم، فإنّ ذلك ينعكس بدوره على المعرفة، من حيث إنها معرفة بهذين العالمين؛ فعالم الشهادة وما يجري فيه من تفاصيل وإجماليات تجريبية يعرف بالملاحظة بالاستقراء والاستنتاج بتقديم معرفة عنه<sup>526</sup>، وعليه "فالعقل إذا كان مؤيداً بالنور الإلهي، يمكنه أن يفهم كل ما أمر به الشرع، أي يمكنه أن يعرف الصراط المستقيم، ويخلص نفسه من الشقاء والظلمات، ويبلغ إلى مقصوده"<sup>527</sup>.

العقل من أجلّ النعم إذا استخدمه الإنسان فيما خلق له، وأطلق له حرية التفكير في هذا الكون العظيم، وتدبر بديع صنع الله، فإذا كان العقل يستمد التفكير مما جاء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولم يكن منقاداً لهواه ولشهوته حتى يتم إدراك الحقائق وتدبر شؤون الحياة، فالقرآن والسنة النبوية المطهرة لها أثر في الطريقة التي يفكر بها العقل، ذلك لأن الصورة التي يحملها العقل عن الوجود إيماناً بالغيب أو نكراناً له حركته في التفكير، ومن خلال التصور الذي هو من أهم المعطيات المعرفية، فمن خلال القرآن الكريم والسنة النبوية يتم التأثير على العقل من جهة حركته المعرفية تأثيراً إيجابياً يرشد به تلك الحركة في إصابة الحقيقة، وفي توفيق الحياة إلى الخير والصلاح.

<sup>526</sup> عبد الحميد الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص: 437 .

<sup>527</sup> عباس نيكزاد، التوفيق بين الدين والعقل في مدرسة الحكمة المتعالية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط01، 2012م، ص: 26.

لقد فضل الله تعالى الإنسان بالعقل، وبه استحق خليفة الله في أرضه، وسخر له ما في البر والبحر بواسطة هذا العقل، وكلفه بعبادته اعتماداً على وجود العقل، "وكون العقل مصلحة عظيمة عليا، لا يماري في ذلك أحد، وجلب مصالح الدنيا والآخرة يحتاج إلى الشرع، لا يقوم إلا العقل؛ لأن العقل أساس التكليف ومناطه"<sup>528</sup>، "والبشرية اليوم بحاجة إلى العقل الذي يسترشد بالقرآن، ليعيدها إلى المسار الصحيح الذي ينبغي أن تسلكه، حتى تحافظ على وجودها من العبثية، فتدرك أن لوجودها غاية أسمى"<sup>529</sup>.

لقد أراد الله سبحانه وتعالى للإنسان أن يكون متميزاً بعقله على الوجود الكوني الصرف، وكان مناط هذا التميز هو النفخة الروحية الربانية التي جعلت الإنسان، الطيني الأصل، خلقاً آخر غير الخلق الطيني البحث الذي ينتسب لمادة الأرض، "بنفخة التكريم هذه كان التكليف الإلهي مصحوباً بحرية الاختيار المتصلة بالعقل، حيث يميز به الإنسان بين الخير والشر وبين الحق والباطل وبين الظلمات والنور"<sup>530</sup>.

إن العلاقة بين الوحي والعقل التي ينتج عنها البعد التعقلي؛ تتميز بالمنهج الواعي الذي يحقق الاستقامة المبصرة، وهو كذلك قاعدة متينة تحقق للإنسان إنسانيته، وهذه

---

<sup>528</sup> سوهيرين بن محمد صوالحين، صباح ميرغني عثمان محمد، مقاصد أعمال العقل في القرآن الكريم، من كتاب جماعي؛ الوحي والعلوم في القرن الواحد والعشرين: مقاصد القرآن والسنة والأنظمة والؤسسات المالية من منظور القرآن والسنة، تحرير: محمد أبو الليث الخير آبادي، عصام التجاني محمد إبراهيم، الجامعة دار الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا للنشر، ط 01، 1436هـ، 2015م، ص: 198.

<sup>529</sup> عبد الكريم نوفان عبيدات، الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، دار النفائس، القاهرة، ط1، 1420هـ، 2000م، ص: 05.

<sup>530</sup> محمد أمين جبر، الإنسان والخلافة في الأرض، ص: 246.

الإنسانية لا مجال فيها للتناقض أو الصراع، ولا مجال فيها للتمايز أو الاستعلاء والإفساد، منطلقها وأساسها قاعدة العلاج الصحيح من أمراض الهوى والعصبيات والاستكبار والإفساد.

ولما كان الأمر كذلك فقد وجب إدراك التوافق بين العقل والوحي؛ وذلك حتى يتم استهداء العقل بالوحي؛ يقول ابن تيمية: "لا يكفي مجرد العقل؛ بل كما أنّ نور العين لا يرى إلا مع ظهور قدامه، فكذلك نور العقل لا يهتدي إلا إذا طلعت عليه شمس الرسالة"<sup>531</sup>.

ولما كان العقل مطابقاً للوحي وموافقاً له فقد وجب التعامل مع الأمرين دون عزل لأحدهما عن الآخر؛ ويذكر ابن تيمية أن هناك نوعين من الناس في عزل الوحي عن العقل كلاهما مذموم وهما :

1\_ الذين جعلوا العقل هو الأصل والقرآن والسنة تابعين له.

2\_ الذين رأوا أن العقل ليس بشيء يعتد به في أمر الدين فتعاملوا مع الوحي والإيمان دون إعمال للعقل.

ومن الملاحظ أن الله تعالى سمى من يقرؤون الوحي دون فهم لمعانيه ومقاصده بالأميين، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّ ﴾<sup>532</sup>.

إن الوحي والعقل الصريح لا يمكن أن يتعارضوا، فحقائق الوحي موافقة للعقل وإن خفت عليه في بعض الأحيان، لا يمكن الاكتفاء بالعقل دون الوحي؛ إذ أن الوحي مصدر للمعرفة

<sup>531</sup> ابن تيمية، مجموع فتاوى، ج 1، ص: 06 .

<sup>532</sup> سورة البقرة، الآية: 76 .

والعقل وسيلة هذه المعرفة، فإذا عطلت ملكات العقل فإنه لا يمكن الاستفادة من الوحي، وكذلك الأمر إذا عزل الوحي عن العقل واعتد بهذا العقل دونه.

أما كيفية العلاقة بين عقل الإنسان والأشياء الخارجية التي تثمر المعرفة، والتي تتجلى فيها الأبعاد الإنسانية في الإنسان؛ فإنها تتم من خلال تطبيق العقل البشري مبادئه القبلية التي فُطر عليها، والقضايا التي أمامه، حيث يثمر ذلك المعرفة، ولهذا كان المولى عز وجل يدعو الذين لم يستجيبوا للحق حينما جاءهم أن يطبقوا هذه المبادئ ليصلوا إلى المعرفة الصحيحة به<sup>533</sup>، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾<sup>534</sup>.

والعقل الإنساني هو أداة الإدراك والفهم والنظر والتلقي والتمييز والموازنة، وهو وسيلة الإنسان لأداء مسئولية الوجود والفعل في عالم الشهادة والحياة، "والعقل بما أودع من فطرة إلى جانب أنه الوسيلة الأساسية للإدراك، فإنه يحوي في ذاته بديهيات المعاني والعلاقات بين الإنسان والحياة والوجود والكائنات، ويبني عليها منطقاً ومفاهيمه الأساسية في هذا الوجود، ودون العقل لا يوجد إنسان ولا يوجد إدراك ولا يوجد فهم ولا وعي ولا توجد مسئولية"<sup>535</sup>، "ودور العقل هو علم الشهادة بإدراك مقاصد الوحي من وجود الحياة والإنسان في عالم الشهادة، ودور العقل هو تفهم عالم الشهادة وما تحويه فطرة الكون من طبائع

<sup>533</sup> عبد الرحمن بن زيد الزبيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي: دراسة نقدية في ضوء الإسلام، ص: 91.

<sup>534</sup> سورة سبأ، الآية: 46 .

<sup>535</sup> عبد المجيد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ص: 119 .



وعلاقات وإمكانات، في ضوء معطيات الوحي بشأن غاية الحياة ومعايير حركتها، ودور العقل المسلم هو بناء عالم الشهادة والخلافة في هذا الكون على مقتضى توجيهات الإرادة الإلهية وغاياتها تكاملاً مع ما أودع الله في النفوس والكائنات من فطرة وسنن بلوغاً إلى سبل السلام وإلى الصراط القويم<sup>536</sup> .

العقل طاقة فعل ( قوة إدراكية )، "يتوصل بها للمعرفة والعلم من مصدرين الأساسيين: الوحي والكون، والوحي يُمثل دائرة المعارف الإسلامية، أما الكون فإنه يمثل المعجم والمختبر الذي يحوي مفردات هذه الدائرة، فيقوم الباحث المتعلم بالنظر في مفردات هذا المعجم، مسترشداً بما جاء في دائرة المعارف، كما أنه يستعين بما يكتشفه في هذا المختبر؛ على فهم ما يقرؤه في دائرة المعارف، فالكون في النظام المعرفي القرآني هو الجامعة المفتوحة، وفيها أنواع المختبرات والتجارب والمشاهدات التي لا تحصى"<sup>537</sup> .

العقل من خصائص الذات الإنسانية الفردية المستقلة التي تعتبر أيضاً القلب أو المركز للنشاط الفكري كله ذي الأساس الروحي الموهوب من الإله للإنسان، لكي يعرف الإنسان نفسه ويشهد فيها آيات الله، ويعرف الكون من حوله ويشهد فيه آيات الله، حتى يتبين الحق من خلالها ويتم الإيمان بالله عن طريق الشهود للآيات والعلم بمحتواها، بذلك يقوم الإنسان

<sup>536</sup> المرجع السابق، ص: 120 .

<sup>537</sup> محمود الرشدان، حول النظام المعرفي في القرآن الكريم، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد 10، 1997م، ص:

بدور الخليفة في الأرض وهو يملك مقومات أداء هذا الدور بما لديه من إمكانات لبلورة تصور إيماني في العلاقة بينه وبين الإله والكون<sup>538</sup>.

والحق أن العقل في المعرفة القرآنية وفي مدارات التفكير المنبثقة منها، متعددة ومركبة معانيه، ومشتقاته، ومرادفاته، "لتشمل أحوال استخدامه في أنشطة عملية، تتحقق بها وظيفية الإنسان الاستخلافية: فالعقل في المعرفة الشرعية ليس غاية في ذاته، ولا يمكن الاكتفاء به مرجعا معرفيا قائم الذات، وهو ما يثبت حاجته إلى الاتصال بمشغله، بل يحتاج إلى عاقل قادر على استخدامه والنظر به، للظفر بالدليل الهادي"<sup>539</sup>، "والقرآن الكريم يدعو إلى النظر والتفكر والعلم؛ لأن الحقيقة الدينية في الإسلام لا يمكن أن تناقض الحقيقة العقلية"<sup>540</sup>.

العقل المسلم "يستمد قوته وتوازنه وثبات خطواته واستقامته بما لديه من علم الوحي، وهو يعلم علم اليقين من علم الغيب بقدر ما لديه من علم الوحي، وهو عقل مؤمن راشد مطمئن غير مكابر ولا جاحد ولا مستكبر، ولا يترك اليقين إلى الظن، ولا يترك الهداية إلى الضلالة، وهو عقل مؤمن قادر منجز تستغرقه مسئولية خلافة الكون والحياة والإعمار والإصلاح على علم ونور ويقين، لا يستنفذ ولا يحير في قضايا الشك والظن والغيب بلا علم ولا نصير وسراج منير"<sup>541</sup>.

<sup>538</sup> محمد أمين جبر، الإنسان والخلافة في الأرض، ص: 79.

<sup>539</sup> نعيمة لبادوي، مفهوم التعارف بين تأويل المفسرين ورؤية المفكرين، التأويل سؤال المرجعية ومقتضيات السياق، أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، يومي 17 و18 شعبان 1434هـ، الموافق لـ 26 و 27 يونيو 2013م، الرباط، ط2، دار الأمان، ص: 623 .

<sup>540</sup> علي بن عبده بن شاکر أبو حميدي، تركية النفس في الإسلام وفي الفلسفات الأخرى، ص: 79.

<sup>541</sup> عبد المجيد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ص: 120 .

لقد احتقى القرآن الكريم بالعقل وأعماله، ونظر إليه نظرة إجلال وتكريم؛ لذا عملت التربية الإسلامية بالتفكير العلمي الذي يحرر العقل، ويزكيه من أوضاع الجهل، والخرافة، والظن، والهوى، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، ونبه إلى كل من يتكلم في قضية لا يملك فيها علماً صحيحاً، قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾<sup>542</sup>؛ أي: "ولا تتبع ما ليس لك به علم، بل تثبت في كل ما تقوله وتفعله، فلا تظن ذلك يذهب لا لك ولا عليك"<sup>543</sup>.

لقد فضل الله الإنسان بالعقل، وميّزه به عن سائر الحيوانات التي تشاركه في بقية المزايا، "وبهذا العقل صار الإنسان خليفة الله في أرضه، وسخر له ما في البر والبحر بواسطة هذا العقل، وكلفه بعبادته، وطاعته اعتماداً على وجود العقل"<sup>544</sup>.

يوضح القرآن الكريم إذاً "أهمية العقل فيمتدح العقلنة والفهم والتفكير، ثم يبين علامات العقلانية عند الإنسان، ثم يوضح مخاطر السفه وعدم الفهم، ويذم الجهل، ويبين الآثار الناتجة عن عدم العقلانية، من خلال بيان علامات تركها"<sup>545</sup>.

لقد أهتم القرآن الكريم ببيان طرق العقل وكيفية تحقيقه عملياً، وذلك "من خلال توجيهه وهدايته إلى كمال رشد، فقد حدد المؤشرات الداخلية ضمن التكوين الذاتي في الإنسان"<sup>546</sup>.

<sup>542</sup> سورة الإسراء، الآية: 36 .

<sup>543</sup> عبد الرحمان بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم في تفسير كلام المنان، ص: 457.

<sup>544</sup> يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص: 325.

<sup>545</sup> علي بيضون، العقل والعقلانية في القرآن الكريم، مجلة المعارف، العدد 162، 1434هـ، 2013م، ص: 202 .

<sup>546</sup> المرجع السابق، ص: 202 .

ونهي القرآن الكريم عن الذين يتبعون الظن والهوى، قال الله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾<sup>547</sup>.

واتباع الظن والهوى إذا أصاب مرة فإنه يخطئ عشرات المرات، وأما استخدام التفكير العلمي والبحث والتمحيص والاعتماد على الأدلة الشرعية وغيرها من الأدلة العقلية فهو الموصل لليقين، لذا ندد الشارع الحكيم بمن يستخدم الظن ويعرض عن منهج الحق، قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾<sup>548</sup>.

من خلال التمعّن في آيات كتاب الله، فإننا ندرك المكانة العظيمة التي منحها آيات القرآنية الكريم للعقل، من خلال رؤيته التركيبية للكون والحياة والإنسان والوجود، فالتأمل والبحث بين الأسباب والمسببات هو سبيل الوصول للصواب، لما امتاز به هذا "العقل الذي كرم الله الإنسان به وأودع فيه من القدرات والطاقات ما لا يقدر العقل نفسه أن يدركه، وبهذا العقل الذي تأهل به الإنسان لمعرفة خالقه والنظر في آياته"<sup>549</sup>، "والعقل بما يملكه من قدرة على الاكتشاف، وعلى الاستقصاء، وعلى التحليل والتركيب وعلى المقارنة والموازنة يقوم

<sup>547</sup> سورة النجم، الآية: 23 .

<sup>548</sup> سورة يونس، الآية: 36.

<sup>549</sup> نبيه عبد الرحمان عثمان، الإنسان الروح العقل والنفس، ص: 07.

بإبداع الخطط والنماذج والأدوات التي تتيح توظيف المنهج الرباني في حياة الناس على الوجه الأمثل<sup>550</sup>.

لقد ميّز الله عز وجل الإنسان عن غيره من المخلوقات بالعقل، وبه يُميّز الإنسان بين الصواب والخطأ، وبين الصالح والطالح، وبين الضارّ والمفيد، وبين ما فيه صلاح للإنسانية وما فيه خرابها؛ "فالعقل هو أعظم النعم التي أنعمها عز وجل على عباده؛ فمن تمّ عقله تمّ له كل شيء، ومن فقد عقله فقد كل شيء؛ فالعقل هو زينة الحياة للإنسان؛ إذ الحياة بلا عقل جحيم لا يُطاق، وعذاب لا نهاية له"<sup>551</sup>.

العقل الإنساني "أثمن ما منحه الله للإنسان، وبه يكون التكليف بحمل الأمانة، وبفقدانه ترتفع المسؤولية عن الإنسان، وبهذا العقل يقوم الإنسان بأعماله ويتحمل مسؤوليته من سعادة أو شقاء"<sup>552</sup>، وهو حين يختار العلم ينطلق من إنسانية دافعة إلى العمل، وينتهي من العمل بنتائج المترتبة عليه، "وإذا كان العقل كطريق للمعرفة لا يستطيع الاستقلال والإحاطة بعالم الشهادة، فلا بد من الاعتماد على طريق الوحي في معرفة حقائق فيما وراء عالم الشهادة، وإرشاد العقل إلى كيفية الانتقال من التأمل في هذا الكون إلى خالقه"<sup>553</sup>.

<sup>550</sup> سوهيرين بن محمد صوالحين، صباح ميرغني عثمان محمد، مقاصد أعمال العقل في القرآن الكريم، ص: 198 .

<sup>551</sup> راغب السرجاني، المشترك الإنساني: نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط 01، 1432هـ،

2011م، ص: 306.

<sup>552</sup> فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية، ص: 71.

<sup>553</sup> يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص: 226 .

يزخر القرآن بالآيات التي تدعو إلى النظر العقلي، بل وتأمّر به، يقول الله عز وجل:

﴿أُولَٰمَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>554</sup>، وقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>555</sup>.

كما يخاطب القرآن الكريم العقل لتدبر السنن الربانية التي تجري في حياة البشرية، ما يحقق للإنسان إنسانيته، "من أجل إقامة المجتمع الصالح الذي يستحق التمكين في الأرض بمقتضى الوحي الرباني"<sup>556</sup>، إن مقياس علو الإنسانية أو هبوطها إنما يكون بمدى التزامها بمنهج الله في الأرض، أو التكب عنه، ومن ثم فإنه حينما تتحقق للإنسان إنسانيته بهذه السنن الربانية، فإن ذلك يكون عوناً كبيراً للعقل على توجيه الإنسان إلى السلوك الناضج المستقيم، الذي يتحقق به الوجود الأعلى لإنسانية الإنسان.

القرآن الكريم يوسع أمام العقل مجال النظر إلى أكبر مدى ممكن، لذا فإن مفهوم عالم الغيب والشهادة في القرآن الكريم واضح وأبعاده واضحة في العقل المسلم، إذ من خلال هذا المفهوم يتحدد معنى الحياة والوجود والعلاقة بينهما "فالعقل البشري قوة وهبه الله للإنسان كي يسعد به ولم يخلق الحق هذا العقل كي يشقى به الإنسان، لكن الإنسان نفسه هو الذي

<sup>554</sup> سورة الأعراف، الآية: 185.

<sup>555</sup> سورة فاطر، الآية: 28.

<sup>556</sup> عبد الكريم نوفان عبيدات، الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، ص: 92.

يختار طريق الشقاء حين تحكم عقله أهواء وشهوات فانية ويشقى الإنسان بهذا العقل حين لا يستعمله للتفكير في آيات الله العظيمة التي توصله إلى طريق الهدى والنجاة<sup>557</sup>.

ويشير القرآن الكريم إلى العقل بمعانيه المختلفة، "مستخدماً لذلك كل الألفاظ التي تدل عليه، أو تشير إليه من قريب أو بعيد، فسمي: تذكراً ونظراً واعتباراً وتدبيراً واستبصاراً، وهذه المعاني متقاربة، تجتمع في شيء وتفترق في آخر"<sup>558</sup>.

العقل في القرآن الكريم ليس آلة، أو جزءاً مادياً، مثل العين أو الأذن، وإنما هو صفة تميز الإنسان عن غيره من الكائنات الحية، والأشياء غير الحية، وهو مناط التكليف البشري والمسؤولية، وذلك بإجماع أهل الملة، وظيفته تعقل العلوم والمعارف والوعي بها وإدراكها.

الملاحظ هنا أن القرآن الكريم الذي ميز الإنسان بخاصة التكليف، "هو الكتاب الذي امتلأ بخطاب العقل بكل قدرة من قدراته، فالعقل وازع يعقل صاحبه عما يأباه له التكليف، والعقل فهم وفكر يتقلب في وجوه الأشياء وبواطن الأمور، وعليه فهذا العقل بكل عمل من أعماله التي يناط بها التكليف حجة على المكلفين فيما يعنيه من أمر الأرض والسماء، ومن أنفسهم ومن أمر خالقهم، وخالق الأرض والسماء"<sup>559</sup>.

إن مهمة الوحي الأساسية هي "تأسيس الوعي بما لا طاقة للعقل والخبرة به ابتداء، ثم ترشيد العقل وتسديده وتنويره فيما يقع فيه تحت سلطان الغرائز والشهوات والوساوس، وكذلك

<sup>557</sup> المرجع السابق، ص: 97.

<sup>558</sup> المرجع السابق، ص: 10.

<sup>559</sup> سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص: 88.

رسم الكمالات أمامه، وشحذ قواه وأشواقه الروحية نحوها باستمرار، ثم يترك المجال للعقل والتجربة والخبرة البشرية المتنوعة، للسير قدماً في طريق الإبداع المفتوح على آفاق تلبية ضرورات الحياة وحاجياتها وتحسينياتها وجمالياتها الحضارية الراقية<sup>560</sup>.

فقدرة الإنسان على إعادة صياغة ذاته وبيئته مردّها إلى العقل "باعتباره وسيلة للإدراك والتمييز والحكم"<sup>561</sup>، كما جاء في القرآن الكريم توجيه معنى العقل إلى تلك الوظيفة المميزة في الإنسان التي تعرّفه بالحق والخير وتهديه إليهما، وبالباطل والشر وتبعده عنهما، إن العقل الذي نعنيه: "تلك القوة الإدراكية المعيارية في الإنسان التي على أساسها حمل أمانة الخلافة، والتي على أساسها خوطب بالوحي ليتحمّله فهماً وتطبيقاً"<sup>562</sup>.

إن القرآن الكريم أولى اهتماماً كبيراً لبيان حقيقة العقل ومراتبه وكيفية تأثيره وتأثره، ولكن عبر اهتمامه بالعقل العملي، وهو العقل القابل للتطور والاشتداد والترقي، الذي يؤدي إلى إدراك الحق الواجب اتباعه، وإدراك الباطل اللازم اجتنابه، فالعقل في القرآن الكريم يمثل الجانب التطبيقي في الوعي الإنساني، وهذا لا يعني إهمال العقل بوصفه ملكة للتفكير<sup>563</sup>.

لأن أهمية العقل تكمن في دوره الكبير في كسب المعارف والعلوم، وتحصيل الإيمان، وعبادة الله ومعرفته، والاستفادة من مكارم الأخلاق، وتجنب الذنوب والرذائل، وعليه فوجود

<sup>560</sup> الطيب البرغوث، المدخل السنني إلى خريطة المقاصد الكلية في القرآن الكريم، ص: 448 .

<sup>561</sup> فتحي ملكاوي، طبيعة النظام المعرفي وأهميته، ورقة قدمت إلى ندوة: نحو نظام معرفي إسلامي: حلقة دراسية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1420هـ، 2000م، ص 136 .

<sup>562</sup> عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط3، 1425هـ، 2005م، ص: 71\_72 .

<sup>563</sup> علي بيضون، العقل والعقلانية في القرآن الكريم، ص: 201\_202 .



العقل وحده لا يكفي في تأمين هذه الأهداف المهمة، بل يجب استخدام العقل والاستفادة منه<sup>564</sup> في علاقته التداخلية مع الوحي، وبهذا يتميز الكائن الإنساني عن سائر الخلائق في هذه الأرض بالعقل، "إنسانية إنفراد بها الإنسان وحده لم يشاركه فيها مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى"<sup>565</sup>، من خلال قيمة العقل وما تميز به مما ذكرنا آنفاً.

إن الله سبحانه وتعالى أكرم الإنسان بالقيام بالعمليات العقلية العليا، كالتفكير المجرد الذي يتعلق بأمور معنوية مجردة، والتأمل والتدبر في ظواهر الكون والتخيل والنظر العلمي بقصد الكشف عن الحقيقة، في موضوعية وتجرد من الهوى والمؤثرات الذاتية، "وذلك لتدبر وقبول الحقائق عن بصيرة وإرادة وقصد واقتناع، ولمعرفة الكثير عن نفسه وعن العالم من حوله وبالتالي معرفة ربه"<sup>566</sup>.

ويترتب على ما سبق ذكره؛ أن البعد التعقلي يتجلى بالأساس فيما أودع الله العقل من قوة مدركة للمعاني والأسباب، والوحي الذي أرسل الله به رسله يتكامل مع العقل في فهم الغايات والأسباب وعلاقتها في هذا الوجود كما فطره الله وسخره، فالوحي يوجّه العقل لفهم كليات الكون على حقيقتها التي يعلمها الله ليقوم العقل بدوره في توجيه مدركات الحواس وإضفاء المعنى عليها، مما يتجلى على تحقيق إنسانية الإنسان، وعلى هذا الأساس أقام

<sup>564</sup> إبراهيم الأميني، تركيبة النفس وتهديتها، ص: 53 .

<sup>565</sup> نبيه عبد الرحمان عثمان، الإنسان الروح العقل والنفس، ص: 41.

<sup>566</sup> علي بن عبده بن شاکر أبو حميدي، تركيبة النفس في الإسلام وفي الفلسفات الأخرى، ص: 79.

المسلمون صرح الحضارة الإسلامية بمعطياتها الروحية والمادية، وحققت للإنسان أقصى درجات إنسانيته.

## المطلب الثاني: البعد التكريمي

إن هذه المعاني الحاصلة في النفس الإنسانية بالفطرة متأتية من التركيب الإنساني المادّي والمعنوي ليست حاصلة في أيّ مخلوق من المخلوقات الكونية الأخرى، وهي بذلك تشكّل أحد العناصر الأساسية المكوّنة لمعنى الإنسانية في الإنسان، والفارقة بين حقيقة سائر المخلوقات، وهي بالتالي أحد العناصر الأساسية التي على أساسها تتحدد قيمة الإنسان وبها كرم الإنسان، "وفقدان التكريم هو بداية لفقد الإنسان ذاته، بل هو يفقد لكل قيمة إنسانية يكون مدارها الاستخلاف، فإن قيم القوة والغطرسة تفقد الإنسان قيمة حقيقية وجوهرية في حق الذات والغير معاً"<sup>567</sup>.

إن طبيعة البشر واحدة؛ "فهمهم من أصل واحد ومن أب واحد، لا اختلاف بينهم إلّا باختلاف اللون والجنس والدين، ومن هنا فكلُّ ما يتّصل بفطرة الإنسان، تتوافق عليه الإنسانية كلها، فنتحقق بذلك كرامته وما يتصل بشخصيته وعزّته؛ فكرامة الإنسان هي سرُّ وجوده في هذا الكون، كما هي سرُّ حياته وإنتاجه وإبداعه، وأساس كرامة الإنسان في حماية

<sup>567</sup> عبد المجيد عمر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص: 5.

حقوقه وممتلكاته، وعدم المساس بها أو الانتقاص منها؛ لأنها جزء لا يتجزأ من طبعه وخلقها وخلقها"568.

إن تكريم الإنسان في القرآن الكريم هو تكريم لذاته الإنسانية: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾<sup>569</sup>، "أي خلقكم في أحسن صورة بدليل أن الإنسان لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور، ومن حسن صورته أنه خلق منتصباً غير منكب"<sup>570</sup>، "فالإنسان أحسن المخلوقات صورة، وأبهاها منظرًا"<sup>571</sup>، وهو المخلوق المكرم في اعمار الأرض ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾<sup>572</sup>، "أي ابتداء خلقكم من الأرض بخلق آدم عليه السلام"<sup>573</sup>، "أي أذن لكم في عمارتها واستخراج قوتكم منها وجعلكم الله عمارها، وفي الأساس: استعمر عباده في الأرض : طلب منهم العمارة فيها"<sup>574</sup>، "واستعمركم فيها أي: جعلكم فيها عماراً تعمرونها"<sup>575</sup>.

وبهذا المعنى جاء في الدين الإسلامي أحكام كثيرة تلتقي كلها عند مقصد حفظ كرامة الإنسان للحفاظ على معنى الإنسانية فيه، أمراً بكل ما من شأنه أن يشعر بالعرّة والقوة النفسية، ومنعاً لكل ما من شأنه أن يشعر بالمدلّة والهوان فهو ممنوع، وفي ذلك كله حفظ

<sup>568</sup> راغب السرجاني، المشترك الإنساني: نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب، ص: 132.

<sup>569</sup> سورة التغابن، الآية: 03.

<sup>570</sup> القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص: 328 .

<sup>571</sup> عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: 866 .

<sup>572</sup> سورة هود، الآية: 61.

<sup>573</sup> البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج03، ص: 547 .

<sup>574</sup> الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ص: 3239 .

<sup>575</sup> ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 04، ص: 331 .

للكرامة، فكما يتلف الجسم بالجراح والقطع، فكذلك تُنتقص الإنسانية في نفس الإنسان بتصرفات التحقير والإهانة والاستنقاص قولاً وفعلاً؛ ذلك لأن الذات بتلك التصرفات تصاب بجراح قد تكون غائرة، فتؤثر في الإرادات والعزائم، فتتكشم النفس، وتنقلص ملكاتها، وتلتف على ذاتها تجترّ جراحها، فلا تستطيع جرّاء ذلك أن يثمر شيئاً، فإذا ما حفظت كرامتها بالعزة انطلقت في الإنجاز<sup>576</sup>.

لقد جاء التشريع الإسلامي "بحفظ كرامة الذات الإنسانية من حيث كونها ذاتاً إنسانية إلى آفاق بعيدة، إذ هي تجاوزت حدود العداوة والصدقة، وأحوال الحرب والسلام، واختلاف الشعوب والأمم لتنتهي إلى حدود الذات الإنسانية مجردة من كلّ الاعتبارات، فأياً ذات اندرجت ضمن الإنسانية فإنّ الشريعة جاءت لتحفظ كرامتها، ومنعت كلّ ما يستنقص منها"<sup>577</sup>.

وعليه فتكريم الله عز وجل للإنسان، ومنحه التقدير والاحترام والأمن ورفع كرامته وقيّمته، "يظهر جلياً فيما تضمنته الآيات القرآنية الكريمة وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فلو تأملنا الآيات الكريمة لأدركنا التوجيهات الإلهية لإقامة العلاقات الإنسانية في المجتمع المسلم، وذلك من خلال أهمية حسن المعاملة والدعوة إلى التآلف والمحبة وتقوية الروابط والتلاحم، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ

<sup>576</sup> عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: 98.

<sup>577</sup> المرجع السابق، ص: 100.

إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٧٨﴾<sup>578</sup>، وهذا من لطفه بعباده حيث أمرهم بأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال الموجبة للسعادة في الدنيا والآخرة<sup>580</sup>.

لقد ضمن الإسلام كرامة الإنسان من خلال تشريعاته، وجعل هذه التشريعات جزءاً من عقيدة المسلم، لا يكتمل إيمانه إلاّ بها، وربط ذلك بالثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، فلا يحيف أحد عنها إلاّ بقدر ما يحيف عن دينه وعقيدته، فليس في الإسلام فضل لأحد على أحد؛ فتعاليم الإسلام تكفل للإنسان - أي إنسان - حقوقه، مهما اختلف لونه وطبعه وجنسه ودينه. لأن الكرامة الإنسانية هي أوسع الكرامات وأعمها وأدومها، تلك الكرامة التي ينالها الفرد منذ ولادته، بل منذ تكوينه جنيناً في بطن أمه، كرامةً هي منحة من الله الذي منحه فطرته، والتي جعلت كرامته وإنسانيته صنوين مقترنين في شريعة الإسلام، وهي سياج ينشره قانون الإسلام على كل فرد من البشر، ذكراً أو أنثى، أبيض أو أسود، ضعيفاً أو قوياً، فقيراً أو غنياً من أي ملة أو نحلة، فكل إنسان له في الإسلام قدسية<sup>581</sup>.

فمظاهر التكريم في التكوين المعنوي للإنسان أعظم منها في تكوينه المادي؛ إذ هو مشتمل على نفخة من روح الله، يدلّ على عنصر تكويني في الإنسان زائدة على العنصر المادي، وهو عظيم القيمة رفيع الشأن، لأن من متعلّقات هذا العنصر "ما ركّب في الإنسان

<sup>578</sup> سورة الإسراء، الآية: 53 .

<sup>579</sup> زرار العياشي، إدارة العلاقات الإنسانية من منظور إسلامي، مجلة كلية للدراسات الإنسانية، العدد 06، 2016م، ص: 288.

<sup>580</sup> عبد الرحمان بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: 460 .

<sup>581</sup> إبراهيم البيومي غانم، الدين الواحد ومقصد تعدد الرسالات وعلمية الإسلام اجتهادات حديثة معاصرة في نور القرآن الكريم، مجموعة بحوث؛ مقاصد القرآن الكريم، تحرير محمد سليم العوّا، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط1، 1439هـ، 2018م، ص: 43.

من قوة العقل التي يعلو بها في سلّم الترقّي الذاتي، والترقي في استثمار الكون بحيث يحقق لنفسه العزة فيه، ومن متعلّقاته أيضاً النوازع الأخلاقية الفطرية التي تعلو مشاعره وأحاسيسه لتحفظ عزة الآخرين وكرامتهم في التعامل معهم، وجملة هذا التكريم في تكوين الإنسان بعناصره المختلفة يلخصه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>582</sup>، «أعدل قامة وأحسن صورة»، وذلك أنه خلق كل شيء منكباً على وجهه إلا الإنسان<sup>583</sup>، «وذلك إشارة إلى ما خص به الإنسان عن الحيوان من العقل والفهم وانتصاب القامة»<sup>584</sup>، «أي: يمشي قائماً منتصباً على رجليه، ويأكل بيديه - وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه - وجعل له سمعا وبصرا وفؤادا، يفقه بذلك كله وينتفع به، ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية»<sup>585</sup>، «فخلق الإنسان في أحسن هيئة وأعدلها مادياً وروحياً»<sup>586</sup>.

إن من أبرز مظاهر تكريم الله للإنسان، «أن جعل سبحانه الوحي في حالة اكتماله مستوعبا لكل طاقاته، ولكل قدراته، ولكل طموحاته وتطلعاته عبر سائر الأزمنة والأمكنة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾»<sup>587,588</sup>، فقد كرم الله سبحانه وتعالى

<sup>582</sup> سورة التين، الآية: 04 .

<sup>583</sup> النيسابوري، الكشف والبيان، دار إحياء التراث العربي، ط 01، 1422هـ، 2002م، ج 10، ص: 240 .

<sup>584</sup> أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ص: 418 .

<sup>585</sup> بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 05، ص: 97 .

<sup>586</sup> عبد المجيد عمر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص: 89 .

<sup>587</sup> سورة المائدة، الآية : 03 .

الإنسان، "وسخر له الوجود، وفضله على كثير من خلقه بالعقل والعلم والمنطق، والصورة الحسنة، والهيئة المعتدلة التي تميز بها عن سائر المخلوقات وعهد إليه عمارة الكون، واستخلفه فيه لتحقيق مرضاة الله سبحانه وتعالى ولينال شرف عبودية الاختيار له"<sup>589</sup>.

فتكريم الله تعالى للإنسان، جاء في سياق ما أعده لهذا الإنسان لأن أي شيء لا يمكن أن يتم إلا بأسبابه، ويكفي هذا الإنسان كرامة، مطلق الإنسان، أنه أعطى من نور الله تعالى، وآية التكريم ناظرة إلى هذا المعنى في الجوهر والمضمون، فهي تؤكد "أنه من تمام كرامة الإنسان من الله تعالى أنه لما خلقه في أول الأمر علّمه الأسماء كلها واستخلفه في الأرض وخصّه الملائكة حينما أمرهم بالسجود له"<sup>590</sup>.

لقد جاء الإسلام ليؤكد على أصالة الكرامة الإنسانية، وليرسّخ في الإنسان إحساسه بكرامته، وليقوّي تمسكه بها، وصونه لها، وذوده عنها، لأنها جوهر إنسانيته، ولبُّ بشريته، وأُسُّ ذاتيته، "فلقد راعت المبادئ الإسلامية في الإنسان أنه أكرم الخلق أجمعين، وأنه يحمل الأمانة العظمى، وأنه مستخلف عن الله سبحانه وتعالى في الأرض ليعمّرها، وليقيم الموازين بالقسط، وليعبد الله وحده لا يُشرك به أحداً، فكان الإسلام باعثاً للكرامة الإنسانية، وحافظاً

<sup>588</sup> أحمد عبادي، ورتل القرآن ترتيلاً، مجلة الترتيل، الرابطة المحمدية للعلماء المغرب، العدد 01، رجب 1434هـ، 2013م، ص: 09.

<sup>589</sup> محمد أحمد المبيض، مصلحة حفظ النفس في الشريعة الإسلامية، ص: 123.

<sup>590</sup> فرج موسى، الإنسان والحضارة في القرآن الكريم بين العلمية والعبودية، ص: 33.

لها، بما جاء به من مبادئ سامية تصون للإنسان حرمة، وترعى كرامته، وتُنزله المنزلة التي أنزله الله إياها، مكرماً مكفول الحقوق جميعاً<sup>591</sup>.

فمن خلال المنظور الإسلامي، الإنسان مكرمٌ بصرف النظر عن أصله وعرقه، دينه وعقيدته، مركزه وقيمه في الهيئة الاجتماعية، إن الله خلقه مكرماً، ولا يملك أحدٌ أن يجردَه من كرامته التي أودعها في جِبَلَّتِه وجعلها من فطرته وطبيعته، يستوي في ذلك المسلم الذي يؤمن بالقرآن كتاب الله وبمحمد بن عبد الله رسول الله ونبيّه، وغير المسلم من أهل الأديان الأخرى، أو من لا دين له، "فالكرامة البشرية حق مشروع يتمتع به الجميع من دون استثناء، وتلك ذروة التكريم وقمة التشريف"<sup>592</sup>.

لقد قامت مبادئ الإسلام وتعاليمه وقيمه كلها، على "احترام الكرامة الإنسانية وصونها وحفظها، وعلى تعميق الشعور الإنساني بهذه الكرامة، وما دامت الرسالة الإسلامية تبتغي في المقام الأول، سعادة الإنسان وصَلَاحُه، وتبتغي جلب المنفعة له ودرء المفسدة عنه، فإن هذه المقاصد الشريفة هي منتهى التكريم للإنسان، بكل الدلالات الأخلاقية والمعاني القانونية

<sup>591</sup> عبد العزيز بن عثمان التويجري، الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافية إيسيسكو، ط3،

1436هـ، 2015م، ص: 09.

<sup>592</sup> المرجع السابق، ص: 14.



للتكريم<sup>593</sup>، وعليه "كانت إنسانية الإنسان، بما تعنيه من خصائص وامتيازات لهذا الكائن، هي أول شيء يجب أن نحافظ عليه ونصونه، وننطلق منه في كل ما يتعلق بالإنسان"<sup>594</sup>.

إن تكريم الإنسان معناه: " جعله كريماً، أي غير منبوذ ولا ذليل"<sup>595</sup>، لأن من خواص "الكرامة الإنسانية ما يجده الإنسان في نفسه من وعي بذاته، وعياً يتضمن الإيمان بقيمته، والإحساس بعزته، واستشعاراً للاستعلاء على ما يحيط به من مكونات الطبيعة والنظر إليها على أنها مسخرة من أجله"<sup>596</sup>.

فالغاية والحكمة من هذا التكريم والتفضيل والاعتبار للإنسان "التعبير عن نور الله تعالى، الذي لا يحول ولا يزول عليه الأفل، إنه نور في الزمان، ولا نقول في الزمان المادي، بما هو زمان متميز بعنائه الوجودية من حيث هو ماض وحاضر ومستقبل"<sup>597</sup>.

لقد جاءت آيات القرآن الكريم تتحدث عن تكريم الله عز وجل للإنسان، حيث فضله على كثير من المخلوقات، "وذلك بما تميّز به عن باقي المخلوقات، وبما تمتع به من استعدادات عقلية وقدرات لم ينلها غيره من المخلوقات، ومن مظاهر تفضيل الله للإنسان

<sup>593</sup> المرجع السابق، ص: 15.

<sup>594</sup> أحمد الريسوني، إنسانية الإنسان قبل حقوق الإنسان، كتاب الأمة سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر، ط1، 01، 1423هـ، 2002م، ص: 53 .

<sup>595</sup> محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 15، ص: 156 .

<sup>596</sup> عبد المجيد النجار، أبعاد جديدة لمقاصد الشريعة: حفظ إنسانية الإنسان، ص: 127 .

<sup>597</sup> موسى فرح، الإنسان والحضارة في القرآن الكريم بين العالمية والعمولة، ص: 34 .

على بقية المخلوقات إسناد مهمة خلافة الأرض للإنسان، والخلافة تستلزم طاعة من استخلفه وتستلزم السيادة على الأرض بتسخير الأشياء للإنسان<sup>598</sup>.

الإنسان في القرآن الكريم هو خليفة الله في الأرض، وهو مخلوقه المكرم الذي أمر الملائكة فسجدت له، وسخر له الأرض ليبنى فيها ويعمر، هذه القيمة العظمى للإنسان في نظر الإسلام هي التي فرضت إحاطة مخلوق الله المكرم بسياج من الضمانات التي قررتها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لدرجة أن العدوان على الإنسان هو اعتداء على المجتمع بأسره، والصحة الجسمية في نظر القرآن الكريم ضرورة إنسانية وحاجة أساسية وليست ترفاً، أو أمراً كمالياً، ولحياة الإنسان حرمتها، ولا يجوز التفريط بها، أو إهدارها، قال تعالى: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾<sup>599</sup>.

لقد جعل القرآن الإنسان على رأس المخلوقات جميعاً "لما اختصه الله به من فضل وتكريم"<sup>600</sup>؛ ويعلن القرآن الكريم أن الإنسانية جمعاء تستحق التكريم من غير اختصاص بلون أو جنس، "فالإنسان مكرم في نظر القرآن الكريم لا للونه أو جنسه أو قبيلته أو ماله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ

<sup>598</sup> هشام بني خلف، المبادئ التربوية لطبيعة الإنسان في القرآن وانعكاساتها الأخلاقية، مجلة المعارف، العدد 162، 1434هـ، 2013م، ص: 56.

<sup>599</sup> سورة المائدة، الآية: 32.

<sup>600</sup> محمد العربي بوعزيزي، محمد إقبال فكره الديني والفلسفي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1460هـ، 1999م، ص: 365.

عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا<sup>601</sup> ، "وهذا من كرمه عليهم وإحسانه، حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فأكرمهم بالعلم والعقل وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة"<sup>602</sup>.

وصور التكريم للإنسان ومظاهره متعددة، منها ما "ينتظم في التكريم الجسدي ممثلاً في الهيئة البشرية القويمة، وما يتبع ذلك من التناسق في حركاته وسلوكه خلافاً لغيره من المخلوقات"<sup>603</sup>، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾<sup>604</sup>، وقوله سبحانه: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾<sup>605</sup> "فإكرام الله للإنسان أن أوجده بعدما لم يكن شيئاً مذكوراً، ولا يُعرف له أثر"<sup>606</sup>، ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾<sup>607</sup>، وبهذا المعنى يتضح "أنه كان جسداً مصوراً، تراباً وطِيناً لا يذكر ولا يعرف ولا يدري ما أسمه ولا ما يُراد به، ثم نفخ فيه الروح فصار مذكوراً"<sup>608</sup>.

<sup>601</sup> سورة الإسراء، الآية: 70.

<sup>602</sup> عبد الرحمان بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: 463 .

<sup>603</sup> الغوي الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، دار ابن حزم، بيروت، ط01، 2002م، ص: 749.

<sup>604</sup> سورة التغابن، الآية: 03 .

<sup>605</sup> سورة التين، الآية: 04 .

<sup>606</sup> عبد الحكيم درقاوي، الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم، مجلة المعارج، العدد 162، 1434هـ، 2013م، ص: 28.

<sup>607</sup> سورة الإنسان، الآية: 01.

<sup>608</sup> عبد الحكيم درقاوي، الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم، ص: 28.

الإنسان في القرآن الكريم كائن مخلوق استحق التَّكْرِيم والتَّفْضِيل، ومن أجل ذلك "سَخَّرت له نعم عديدة من أجل مساعدته على أنبل مهمّة كَلَّف بها الإنسان دون سائر المخلوقات كما تشير إلى ذلك آيات كثيرة في هذا الصّدّد"609.

منها ما ينتظمه التكريم المعنوي ممثلاً "فيما به الإنسان من قوة العقل والقدرة على التواصل بقوة البيان الذي علمه الله إياه، كما أخبرنا في قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>610</sup>، يضاف إلى ذلك إدراك المعرفة، وكل ذلك إنما هي أوصاف وأحكام تكوينية للنوع الإنساني، لا يستقل بها إنسان دون آخر لأي سبب من الأسباب، لأن الناس كرموا لأدميتهم قبل أن يتوزّعوا أديانا ومذاهب ومللاً ونحلاً، ولذلك حين وقف الرسول صلى الله عليه وسلم وقفة إجلال وتكريم لجنّاة يهودي، فلما قيل له في ذلك، قال: "أليست نفساً"611.

غير أن منبع كرامة الإنسان إنما تكمن في تحرره من عبودية غير الله تعالى، حتى لا يبتعد عن أصل تكريمه وتشريفه، كما أن الدخول في سلك العبودية لله تعالى صعوداً في مدارج التكريم، مصداقاً لقول ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأَكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>612</sup>.

609 محمد العربي بوعزيزي، محمد إقبال فكره الديني والفلسفي، ص: 365.

610 سورة الرجم، الآيات، 05\_04 .

611 البخاري، الجامع الصحيح، باب القيام للجنّاة، ج 03، رقم الحديث 2269، ص: 58 .

612 سورة الحجرات، الآية: 13 .

إن الله أكرم الإنسان وسخر له الله سبحانه وتعالى ما في السماء والأرض لكي يتمكن من أداء وظيفته كخليفة لله في الأرض ومن حيث إن الإنسان يكون من عناصر الأرض، فإنه الأجدر والأقدر على التعامل معها لأنه مخلوقاً منها"<sup>613</sup>.

صور التكريم للإنسان ومظاهره متعددة منها "ما ينظمه التكريم الجسدي ممثلاً في الهيئة البشرية القويمة، وما يتبع ذلك من التناسق في حركاته وسلوكه خلافاً لغيره من المخلوقات"<sup>614</sup>، مصداقاً لقوله الله تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾<sup>615</sup>، وقوله سبحانه: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾<sup>616</sup>، قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾<sup>617</sup>، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ \* لَتَسْتَبْشِرُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾<sup>618</sup>.

لقد ربط القرآن الكريم بين توظيف النعم والآيات وتسخيرها لصالح البشرية، وبين الشكر له والاعتراف بفضله ومنته سبحانه: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا

<sup>613</sup> علي بن عبده بن شاکر أبو حمیدی، ترکیبة النفس فی الإسلام وفي الفلسفات الأخرى: دراسة تحليلية، ص: 70 .

<sup>614</sup> محمد رفیع، القرآن وقيم المشترك الإنساني، مجلة المعارف، العدد 162، 1434هـ، 2013م، ص: 88.

<sup>615</sup> سورة التغابن، الآية 03.

<sup>616</sup> سورة التين، الآية 04.

<sup>617</sup> سورة المجاثية الآيتان: 12\_13 .

<sup>618</sup> سورة الزخرف، الآية 12\_13 .

تَأْكُلُونَ ﴿٦١٩﴾، "فبيان لنعمة أخرى من نعمه التي تتعلق بما سخره - سبحانه - لخدمة الإنسان من دواب، بعد بيانه قبل لكثير من النعم التي تتعلق بالليل والنهار، والسماء والأرض... إلخ، وقد جاءت السنة النبوية كذلك بعدد هائل من النصوص التي توجه الإنسان للاستفادة من النعم والخيرات، كما تدعوه لتجنب الإفساد والتخريب، لما يعود على الطبيعة والبيئة بالضرر وعلى الإنسان بالخراب والدمار"٦٢٠.

لقد خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وسخر له ما في السموات وما في الأرض، وأرسل رسله وأنبياءه هداةً ومبشرين ومنذرين، "يدلّون الناس إلى طريق الحقّ الذي يحقق لهم السعادة في الدنيا والفلاح في الآخرة، فالوحي الإلهي تكريم للإنسان، لأنه يهدف إلى ما فيه الخير لهذا الإنسان، وهو تفضيلٌ له على سائر المخلوقات، فكرامة الإنسان من تكريم الخالق جلّ وعلا، وهي أصيلة في الطبيعة البشرية، لا تُكتسب لتوافر عناصر أو لتضافر عوامل أو لتواتر أسباب، ولم يكرم دينٌ من الأديان بني آدم كما كرمهم الإسلام، على اختلاف أعراقهم وألوانهم"٦٢١.

الإنسان الذي كرمه الله وفضله على سائر المخلوقات، وصوره فأحسن تصويره، وخلقته على نحو يتكامل فيه الجسم والعقل والروح، بشخصية متميزة بخصائصها الإنسانية التي لا يشاركه فيها أي مخلوق آخر في هذه الحياة، قد خلقه الله في الوقت نفسه لحكمة جليلة

٦١٩ سورة غافر، الآية 79 .

٦٢٠ إبراهيم البيومي غانم، الدين الواحد ومقصد تعدد الرسالات وعلمية الإسلام، ص: 97 .

٦٢١ عبد العزيز بن عثمان التويجري، الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية، ص: 09.

سابقة في علمه جلّ وعلا، "ولتحقيق رسالة سامية في هذه الحياة، تتماشى مع ما منحه الله إياه من تكريم وتفضيل على سائر المخلوقات، ومن عقل يفكر به ويستفتيه وإرادة يتحرك بها كيفما شاء ويسيطر بها على غرائزه ودوافعه وشهواته ونزواته، فهذه الرسالة الجليلة السامية وتلك الحكمة البالغة اللتان من أجلهما خلق الإنسان في هذه الحياة يتمثلان في أمرين رئيسين اثنين، هما: تحقيق العبودية الكاملة والخضوع الكامل لله من ناحية، وتحقيق الخلافة الصالحة في الأرض من ناحية أخرى"<sup>622</sup>، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>623</sup>، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>624</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾<sup>625</sup>، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>626</sup>، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾<sup>627</sup>.

<sup>622</sup> عمر التومي الشيباني، مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي، ص: 161\_162.

<sup>623</sup> سورة البقرة، الآية: 30.

<sup>624</sup> سورة الأنعام، الآية: 165.

<sup>625</sup> سورة الأعراف، الآية 10.

<sup>626</sup> سورة النور، الآية: 55.

<sup>627</sup> سورة فاطر، الآية: 39.

الله عز وجل خلق الإنسان في أحسن تقويم وأكمل هيئة، حيث نفخ فيه من روحه سبحانه، وأسجد له ملائكته، وهذه الميزة في الحقيقة تمثل نوعاً من التشريف والتكريم لا يكاد يدركها عقل أو يستوعبها فكر، ولذلك جاء في الآية ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾<sup>628</sup>، ولا نعلم مخلوقاً آخر نفخ الله تعالى فيه من روحه ومنحه هذا الامتياز إلا الإنسان<sup>629</sup>.

غير أن مبنع كرامة الإنسان إنما تكمن في تحرره من عبودية غير الله تعالى، حتى لا يبتعد عن أصل تكريمه وتشريفه، فيما يناقض التكريم وينافي التشريف، كما أن الدخول في سلك العبودية لله تعالى صعوداً في مدارج التكريم<sup>630</sup>، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾<sup>631</sup>.

فكرامة الإنسان حقٌّ مكفول له منحه الله تعالى إياه، "وليست منة لأحد من خلقه على أحد؛ فالبشر سواء في التمتع بها واستحقاقها، والاعتزاز بامتلاكها، يتفق في ذلك جميع شعوب العالم، مع اختلاف ثقافتهم وحضاراتهم وموروثاتهم الاجتماعية والثقافية، فليس من

<sup>628</sup> سورة الإسراء، الآية: 85 .

<sup>629</sup> أحمد الريسوني، إنسانية الإنسان قبل حقوق الإنسان، ص: 47 .

<sup>630</sup> محمد رفيع، القرآن وقيم المشترك الإنساني، ص: 89.

<sup>631</sup> سورة الحجرات، الآية: 13.



معتقِدٍ من المعقدات أو حضارة من الحضارات أو ثقافة شعب من الشعوب تجعل كرامة  
البشر على هامش مبادئها وتقاليدها؛ إذ لا حضارة بلا كرامة<sup>632</sup>.

وفي هذه السياقات جميعاً لا تخرج الدلالة القرآنية عن إطار المعاني الثلاثة: التشريف  
والتفضيل والتذكير بالإنعام الإلهي، مما يرسّخ في الوجدان فكرة مؤدها: "أن الكرامة أصلٌ  
أصيل في النوع البشري، وهي عنصرٌ رئيس في تركيب الطبيعة الإنسانية منذ أن خلق الله  
آدم، فالدلالة القرآنية إذن، تؤكد بشكل قاطع، أن الكرامة الإنسانية هي من الفطرة، وأن لا  
تبديل لفطرة الله التي فطرة الناس عليها"<sup>633</sup>.

لقد كرم الله الإنسان، واصطفاه على سائر خلقه، وجعله سيداً في الأرض، وأمده  
بالوحي السماوي، والرعاية الإلهية، والشرع القويم، وأرسل له الأنبياء والرسل، وأنزل عليه  
الكتب، ليسير على الهدى السديد، والصراط المستقيم، وشرع له الأحكام لبيان الحقوق  
والواجبات<sup>634</sup>.

فالإنسان إذا كان يشعر في نفسه بالمهانة من جراء ما يعامل به من تحقير وإذلال  
وانتهاك للكرامة، فإنه يكون مكسور الإرادة، فلا يستطيع أن ينتج شيئاً، فضلاً عن أن يكون

<sup>632</sup> راغب السرجاني، المشترك الإنساني: نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب، ص: 132.

<sup>633</sup> عبد العزيز بن عثمان التويجري، الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية، ص 12.

<sup>634</sup> محمد الزحيلي، مقاصد الشريعة أساس لحقوق الإنسان، كتاب الأمة سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر،  
السنة الثانية والعشرون، ط 01، 1423هـ، 2002م، ص: 67.

في مقام الريادة والابتكار، ومن ثمّ "المهمة التعميرية التي هو مطالب بأدائها سوف يكون غير قادر على إنجازها على الوجه المطلوب"<sup>635</sup>.

ومن مظاهر تكريم القرآن الكريم للنفس البشرية أنها تضمنت أحكاماً تشمل الرعاية والعناية بالنفس البشرية من بداية تخلقها، إلى نهاية رسالتها في الحياة الدنيا، "وتعدى ذلك تكريم الجسد بعد الموت؛ من خلال أحكام تحظر الاعتداء عليه أيّاً كان هذا الاعتداء، سواء كان بالتمثيل به، أو امتهانه أو غير ذلك"<sup>636</sup>، "فالإنسان كائن عظيم ومفضل، وقد كرمه الله بجملة خصائص مميزة، فاق بها جميع الخلائق والكائنات، واعتلى في سلم المراتب والدرجات إلى القمة الرفيعة من التكريم والتفضيل"<sup>637</sup>.

إن الله تعالى قد كرم الإنسان وحباه بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، وفي هذا رفع لشأنه وتمييز له، وفضله على كثير ممن خلق بالعقل والصورة الحسنة والعلم والبيان والنطق، وتسخير الكون وما فيه لخدمته حتى يقيم بوظيفته التي خلق من أجلها وهي العبودية لله والاستخلاف في الأرض.

بل إن هذه الكرامة محفوظة لغير المسلمين في الدولة الإسلامية كذلك؛ "لأن لهم حقّ الإنسانية، والتعايش السلمي، وقد وردت النصوص تُنذر لمن يتعدّى حقوق المعاهدين من

<sup>635</sup> عبد المجيد النجار، أبعاد جديدة لمقاصد الشريعة: حفظ إنسانية الإنسان، ص: 127\_128 .

<sup>636</sup> محمد أحمد المبيض، مصلحة حفظ النفس في الشريعة الإسلامية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط01، 1425هـ، 2005م، ص:

123.

<sup>637</sup> أمير عبد العزيز، الإنسان في الإسلام، ص: 05 .

أهل الكتاب وغيرهم من أصحاب الملل المختلفة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً"<sup>638,639</sup>.

إن هذا التكريم الإلهي للإنسان، كما أسلفنا، لم يكن إلا لغاية سامية وحكمة بالغة، ألا وهي تحقيق العبادة والقيام بها في ضوء ما زود به الإنسان من عقل، وأنزل إليه من شرائع وأحكام وتعاليم إلهية، فالإنسان مخلوق مكرم، وهذه الكرامة لا تتأت للإنسان جزافاً ولا عبثاً، وإنما لها أسباب ودواعٍ حقيقية لا تتحصل إلا بها، فقوله تعالى: ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم ﴾<sup>639</sup> إنما يستشف منه أن الإنسان أعطي أسباب الكرامة، وترك للإنسان تحقيق ذاته وكرامته.

الكرامة الإنسانية هي الحرية والأمن والعدل والمساواة؛ إذ لا كرامة للإنسان إلا بالحرية، والمساواة تكون بين الناس في تمتّعهم بالحقوق المقرّرة لهم، وإقامة العدل تُحقّق المساواة بين الناس، والمساواة هي قمة العدل، فالإنسان هو أكرم خلق إذ ميّزه وكرمه بالإرادة والقدرة والتصرف والتسخير للكون والحياة، ووهبه العقل وما أودعه فيه من فطرة للإدراك والتدبير والتدبير وتصريف الحياة والمقدّرات وفق ما علمه من نواميسها وأسبابها ومسبباتها، فيعلو ويحسن طواعية بالتزام الحق، وينحط ويطغى ويفسد باجتناب الحق واتباع الهوى.

<sup>638</sup> أخرجه البخاري، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم، ج 03، ص: 1155، رقم الحديث: 2995 .

<sup>639</sup> راغب السرجاني، المشترك الإنساني: نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب، ص: 401.

إن الله تعالى أكرم الإنسان ونعمه وهداه إلى سبيل الكرامة والنعيم، "ومنحه القدرات والاستعدادات اللازمة لبلوغ أهدافه، ولكن ذلك كله يبقى مشروطاً بأن يأخذ الإنسان بالأسباب الحقيقية التي لا يمكن بلوغ الكمال إلا بها"<sup>640</sup>.

فالتشريع الإسلامي كلّ جاء يدعم هذا التكريم ويلزم بمعاملة الإنسان في كل الظروف معاملة كريمة يمنع فيها امتهان القيمة الإنسانية وابتذالها فيه، وفي هذا النطاق جاء "منع التعذيب والتشويه والمماثلة في أي نوع من أنواع الاعتداء على الجسم الآدمي احتراماً له وتكريماً"<sup>641</sup>.

وانطلاقاً مما تقدم نستطيع القول: إن الكرامة الإلهية للإنسان تتنافى مع الروح العدوانية له، سواء أكان هذا الإنسان ينتمي إلى الإسلام أو المسيحية، أو اليهودية، أو إلى أي مرجعية أخرى، لأنه مخلوق كرمه الله تعالى.

إذا كانت كرامة الإنسان هي حياته وإنسانيته، فإن الاعتداء عليها هو اعتداء على شرفه وبشريته، وهو ما لا يرضاه إنسان كامل الإنسانية لنفسه، وإن هذا الاعتداء من جانبه يُورث الكراهية والعداوة أبداً، حتى تُردَّ للإنسان كرامته.

<sup>640</sup> فرح موسى، الإنسان والحضارة في القرآن الكريم بين العلمية والعملية، ص: 45 .

<sup>641</sup> عبد المجيد عمر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص: 89.

## المطلب الثالث: البعد التصميري

إن أساس إنسانية الإنسان تتجلى في استنهاض الطبيعة البشرية من أجل الانتفاع الجادّ في مسار العمران، ولا يمكن أن تتم عملية الإعمار بنجاح إلا وفق نظرة كلية صحيحة لإنسانية الإنسان، في ضوء نصوص الوحي ومقاصده، ذلك من خلال إعداد الإنسان لنفسه وترتيب أولوياته ووضعه أمام مسؤولياته بما يحقق له إنسانيته، والتي تتحقق بها نهضته الحضارية، استجابة لنداء الحقّ جلّ جلاله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>642</sup>.

إن ما كلف الله به الإنسان عمارة الأرض، بكل ما تحمله معانيها من ترقى الإنسان في سلم الإنسانية فرداً ومجتمعاً، "وتعميراً مادياً باستثمار المقدرات المادية والانتفاع بها على أسس من العلم بما بُنيت عليه من القوانين والسنن"<sup>643</sup>، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾<sup>644</sup>؛ "وجعلكم عمّاراً فيها، فكان المعنى فيه: أسكنكم فيها أيام حياتكم"<sup>645</sup>، إن مفهوم العمران ليس مفهوماً مادياً بحثاً، وإنما هو أثر لقوة العلم والقيم وعمق الوعي بسنن التحضر والمدنية، وأكثر نصوص الوحي كانت لهذا البناء الإنساني أولاً، وإيجاد

<sup>642</sup> سورة الرعد، الآية 11.

<sup>643</sup> أحمد عثمان أحيدة، مقاصد القرآن في تربية وإصلاح الإنسان، من كتاب جماعي؛ الوحي والعلوم في القرن الواحد والعشرين: مقاصد القرآن والسنة والأنظمة والمؤسسات المالية من منظور القرآن والسنة، تحرير: محمد أبو الليث الخير آبادي، عصام التجاني محمد إبراهيم، دار الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا للنشر، ط 01، 1436هـ، 2015م، ص: 254.

<sup>644</sup> سورة هود، الآية: 61 .

<sup>645</sup> الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 15، ص: 368.

المستلزمات الضرورية لإصلاح المعتقد ونفي صور الانحرافات الشركية من عقله وسلوكه وتثقيته من رواسب الجاهلية وأخلاقياتها المادية"<sup>646</sup>.

فالبعد التعميري لإنسانية الإنسان في المنظور القرآني بمعناه الشامل؛ تشمل إقامة مجتمع إنساني سليم، وإشادة حضارة إنسانية شاملة، ليكون الإنسان بذلك مظهراً لعدالة الله تعالى وحكمه في الأرض، وعليه فمهمته تحقيق إنسانية الإنسان لها وقعها في سبيل النهوض "بعمارة هذا الكوكب الأرضي، العمارة الكلية الشاملة لكل ما تتسع له كلمة العمارة من المعاني المادية والعملية والاقتصادية"<sup>647</sup>.

على ضوء ذلك؛ يقوم البعد التعميري على مرتكزات حيث يُعد الأخذ بها سبيلاً للنهوض واجتباباً لأسباب الانتكاسة والخلود إلى الأرض، والدارسُ لأسباب نهضة الأمم يجد أن تغيير ما بقومٍ من حالة سلبية إلى حالة إيجابية يستدعي توفر مجموعة عناصر، منها إرادة التغيير، ويصنعها الفكر والإيمان، ومنها القدرة المادية والتمكين، وقد نبّه القرآن الكريم إلى أهمية اجتماع الإرادة والقدرة معاً لتحقيق التغيير الإنساني.

إنّ هذه الطاقة الهائلة في النفس البشرية، تتحوّل إلى قوة تدميرية عمياء، وطاقة هدم مرعبة، إذا ما نجمت فيها جرثومة التمرد، وعصفت بها رياح الهوى المحرّكة لنيران رغباتها المجنونة، وشهواتها العارمة، فتحرق هذه النار كلّ سبب يصلها بالله تعالى، فلا تلبث بعد

<sup>646</sup> مسفر بن علي القحطاني، الوعي المقاصدي: قراءة معاصرة للعمل بمقاصد الشريعة في مناحي الحياة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2008م، ص: 104.

<sup>647</sup> محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، ط1، 1982م، ص: 26\_27.

ذلك أن تتكرر لخالقها وبارئها، وتنزع إلى عصيانه، وترغب في الانفلات من مسؤوليات الإيمان، وتكالف الإسلام، "وظهر هذا واضحاً في ضوء نصوص الوحي في سلوك المنافقين والكافرين، فتدمير الإنسان فكراً وسلوكاً وقيماً وعقائد هو تدمير حقيقي للكون، وإعمار الإنسان بالإيمان أمان لعملية الإعمار وسلام لها"<sup>648</sup>.

إنما العمران حياة تحيياها الأمة حضوراً وفعلاً في الواقع والتاريخ، وحياة للبشرية إلى أن تنتهي الحياة الدنيا، "فالعمران إذن قيمة تحدّد فقه العمل في الحياة الدنيا، ولا سيّما عمل المجتمع، المتعلق بنظم الإدارة والرعاية لشؤون الناس بتيسير سبل الحياة لهم، ورفع الحرج والمشقة عنهم، وكما يتجلى فقه العمران في الجوانب المادية لحياة المجتمع"<sup>649</sup>، "من أبنية وطرق، وزراعة وصناعة، يتجلى كذلك في الجوانب المعنوية لحياة المجتمع في استتباب الأمن، وإقامة العدل"<sup>650</sup>؛ "ذلك لأن الإنسان وإن كان بطبعه ساعياً إلى كسب ما تقوم به حياته وهو الحد الأدنى من العمران، فإنه لو ترك إلى مجرد مقتضيات الطبع لوقف في التعمير عند حدّ الكفاف"<sup>651</sup>.

لقد جاء مفهوم العمران الذي أراده الله للإنسان من خلال البيان القرآني قصد الإستخلاف في الأرض وتعميرها، "وهذه المهمة العظيمة لا يستطيع النهوض بها أفراد من

<sup>648</sup> زياد خليل الدغامين، إعمار الكون في ضوء نصوص الوحي، مجلة إسلامية المعرفة، العدد 54، السنة 14، خريف 1926هـ، 2008م، ص: 28.

<sup>649</sup> فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم العليا التوحيد والتزكية والعمران، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1434هـ، 2013م، ص: 127.

<sup>650</sup> المرجع السابق، ص: 127.

<sup>651</sup> عبد المجيد النجار، دور المجتمع في بناء العمران مقصداً شرعياً، سلسلة المؤتمرات، الدين والحضارة حفظ العمران: مقصد شرعي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، القاهرة، ط1، 1440هـ، 2018م، ص: 136.

الناس ولا الجماعات الصغيرة منهم، ولذلك أوكل التكليف بها الأمة بأكملها، وهو ما يبدو جليا في توجّه الخطاب القرآن بالتكليف في هذا الشأن إلى مجموع الأمة بصفة صريحة أو ضمنية كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾<sup>652</sup>، أي: عدلا خيارا، وما عدا الوسط، فأطراف داخله تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة، وسطا في كل أمور الدين<sup>653</sup>، وقوله تعالى: ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>654</sup><sup>655</sup>.

إنّ بناء العمران من بداياته المعرفية إلى نهاياته الإنجازية هو في المنظور الإسلامي تكليف ديني، وهو تكليف للأمة لا يقف في الوجوب عند حدّ الأفراد، وإنما هو مسؤولية الجماعية تبوء فيه بالرضى والثواب إن تحمّلها، وتبوء فيه بالإثم والعقاب إن أخلّت بها؛ ولذلك فإنّ الخطاب القرآني الذي جاء في مقام التكليف بالبناء العمراني جاء في آية الاستعمار في قوله تعالى: ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾<sup>656</sup><sup>657</sup>، وذكر الألوسي أنّ معنى سبحانه: ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾<sup>658</sup>، أي: جعلكم عمّارها، وسكّانها، فالاستفعال بمعنى الأفعال، يقال: أعمرت الأرض واستعمرته إذا جعلته عامرها، وفوّضت إليه

<sup>652</sup> سورة البقرة، الآية: 143 .

<sup>653</sup> عبد الرحمان بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: 70 .

<sup>654</sup> سورة آل عمران، الآية: 104 .

<sup>655</sup> عبد المجيد النجار، دور المجتمع في بناء العمران مقصداً شرعياً، ص: 129.

<sup>656</sup> سورة هود، الآية: 61 .

<sup>657</sup> عبد المجيد النجار، دور المجتمع في بناء العمران مقصداً شرعياً، ص: 136.

<sup>658</sup> سورة هود، الآية: 61.



عمارتها، وفي هذا السياق، ذكر معنى آخر، وهو أنه أمرم بعمارة ما تحتاجون إليه من: بناء مساكن، وحفر أنهار، وغرس أشجار، وغير ذلك<sup>659</sup>.

فالعمران في المصطلح القرآني هو "عمران الأرض بحياة الإنسان، وعمران حياة الإنسان بالخير والعمل الصالح، والارتقاء بأسباب الحياة ومقوماتها بإنجازات عمرانية مادية ومعنوية، حيث يتعزز معنى العمران بمعرفة ما يقابله، فهو حياة مقابل الموت، وصلاح وبناء مقابل الخراب والدمار والهلاك، وكذلك يتعزز معنى العمران بمعرفة الأصل الذي يتفرع عنه، فالإيمان عقلاً وقلباً، وإقامة الحياة على أساس الهدى عملاً وتطبيقاً وهو الأصل، والعمران بالنعيم الدنيوي والأخروي"<sup>660</sup> نتيجة: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ \* وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾<sup>661</sup>، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>662</sup>.

العمران في القرآن الكريم؛ "يمثل إطاراً معرفياً ومنهجياً لمقاربة العمران البشري مقارنة سننية، وفق الرؤية القرآنية التوحيدية، ولعل الناظر في القرآن الكريم والمتفحص لرؤيته

<sup>659</sup> شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 12، بدون

طبعة وتايخ، ص: 88.

<sup>660</sup> فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم العليا التوحيد والتزكية والعمران، ص: 166.

<sup>661</sup> سورة المائدة، الآية: 65.

<sup>662</sup> سورة الأعراف، الآية: 96.

للإنسان والكون والتاريخ والعمران يقف على حقيقة كبرى تشكل حجر الزاوية في الخطاب القرآني حول التاريخ والاجتماع البشري، وهي حقيقة المنظومات السننية الحاكمة لحركة التاريخ والعمران الإنساني، والموجهة لمعتركات عوالم الابتلاء والتدافع والتداول والتجديد، وصيرورة الحركة الاستخلافية والفعل العمراني الراشد<sup>663</sup>.

يحدد فتحي ملكاوي دلالة العمران فيقول: "العمران في المصطلح القرآني هو عمران الأرض بحياة الإنسان، وعمران حياة الإنسان بالخير والعمل الصالح، والارتقاء بأسباب الحياة ومقوماتها بإنجازات عمرانية مادية ومعنوية، ويتعزز معنى العمران بمعرفة ما يقابله، فهو حياة مقابل الموت، وصلاح وبناء مقابل الخراب والدمار والهلاك، كما يتعزز معنى العمران بمعرفة الأصل الذي يتفرع عنه، فالإيمان عقلاً وقلباً، وإقامة الحياة على أساس الهدى وتطبيقاً، وهو الأصل، والعمران بالنعيم الدنيوي والأخروي نتيجة"<sup>664</sup>.

يؤسس ملكاوي فهمه للعمران اعتماداً على رؤية القرآن ومراد لفظ العمران فيه، ليستنتج تشكل معادلة العمران في النص القرآني من: الأرض والإنسان والإيمان والعمل الصالح، وعليه فإن تفاعل عناصر هذا المركب العمراني هو الذي يحقق حياة إنسانية إيجابية فاعلة منتجة لإنجازات مادية وعمرانية، بمقومات وأسس مستمدة من هدايات الوحي تجعل نتائج هذا العمران تتجاوز حدود الدنيا لتبلغ بمداهها الآفاق اللامحدودة لنعيم الآخرة<sup>665</sup>.

<sup>663</sup> عزيز البطوي، سنن العمران البشري في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1439هـ، 2017م، ص: 35.

<sup>664</sup> فتحي ملكاوي، العمران في منظومة القيم الحاكمة، مجلة إسلامية المعرفة، عدد 59، السنة 15، 1431هـ، 2010م، ص: 23.

<sup>665</sup> عزيز البطوي، سنن العمران البشري في السيرة النبوية، ص: 113.

لم يكلف القرآن الكريم الأمة ببناء العمران واجبا دينيا جماعيا ثم يتركها تتخبط دون وعي في الطريق الذي تسلكه للقيام بهذا الواجب، فلا يكون لها دليل يوجهها إلى كيفية الجماعة التي بها تقوم بواجب التعمير، "وإنما كما كلفها بهذا الواجب الثقيل أرشدها أيضا إلى المنهج الذي به تنهض بهذا التكليف، وهو منهج يقوم على مبادئ قيمية تتعلق بالبعد الاجتماعي في علاقته المعرفية والتنظيمية بالتعمير، كما يقوم على توجيهات إجرائية ذات صبغة عملية تسلكها الأمة في قيامها بهذه المهمة"<sup>666</sup>.

وتأكيد القرآن الكريم على محورية العمران<sup>667</sup> بوصفه نتيجة ومنفعة مادية، ربما يكون مدخلا لبعض النفوس التي تطمع في هذه النتيجة، "فإذا كان النظر العقلي والتحليل المنطقي مدخلين لإيمان بعض المؤمنين، فإنَّ الوعد ببركات السماء والأرض، وبكثرة مصادر الرزق ويسرها ربِّما يكون معرِّيا لنفوس أخرى كي تدخل في حضرة الإيمان، فإذا دخلت جاء الاطمئنان واليقين نتيجة أخرى لحلاوة الإيمان في النفوس، وإنَّنا لنجد القرآن الكريم ينوع في خطابه إلى الناس رحمة ورأفة بهم، وأملا بأن ينتفع الجميع؛ ذلك أن بين الناس فروقا تستدعي هذا التنوع في الخطاب"<sup>668</sup>، لأن "العمران هو شأن الإنسان في حياته الدنيا، في

<sup>666</sup> عبد المجيد النجار، دور المجتمع في بناء العمران مقصداً شرعياً، ص: 138.

<sup>667</sup> جاءت مادة عمر في القرآن الكريم خمساً وعشرين مرة؛ في ثلاث منها على صيغة اسم علم، وثلاث مرات اسماً منها لئسك العمرة التي في سائر أيام العام، مما يُبقي المسجد الحرام عامراً بالمعتمرين، ومعموماً بهم على مدار العام، على حين يأتي الحج مرة واحدة من العام، وجاءت في ثلاث مرات متعلقة بعمران المساجد وبنائها وخدمتها والإقامة فيها. وجاءت ثلاث مرات بمعنى الإقامة والاستقرار في الأرض وفلاحتها وبناء المساكن وتشيد القصور والأخذ بأسباب الحضارة والتخلي عن حياة التنقل والبادية، وما يقابل العمران في اللفظ القرآني هو: الفساد، والقتل، وسفك الدماء، والهدم، والتدمير، والخراب، إذ وردت جميع هذه الألفاظ في القرآن الكريم، في مقابل بقاء الحياة واستمرارها على السنن والقوانين الجارية، وبقاء المساجد عامرة بالعابدين الذين يذكرون الله، وانتظام الحياة على هدي الله سبحانه .

<sup>668</sup> عبد المجيد النجار، دور الإصلاح العقدي في النهضة الإسلامية، مجلة إسلامية المعرفة، العدد 01، السنة: 1995م، ص: 57.

هذه الأرض، ليتولى فيها العمران وليقوم بحمل الأمانة، وإذا كانت كل المخلوقات غير الإنسان تعبد الله وتسبحه، وتخضع لسننه غير مختارة، فإن الإنسان في حياته الدنيا يأتي بالعبادة اختياراً، مثلما يؤمن بالتوحيد اختياراً<sup>669</sup>.

وعلى هذا يأتي العمران في "اللفظ القرآني بعدد من المعاني المتداخلة التي تمثل حقلاً دلاليًا، تتكامل دلالاته، فهو يعني: حالة الحياة، والإقامة والسكنى والبناء في المكان، ويعني العمران المادي، والعمران الثقافي والفكري، وفي الفقرات الآتية بيان موجز لهذه الدلالات، وأمثلة عليها من آيات القرآن الكريم"<sup>670</sup>، إن العمران البشري بالمعنى القرآني "ينبني على مرتكزين، فهو من جهة عبارة عن قوانين ومبادئ عامة تقصد الوصول إلى طريق الصدق والصواب، والعمران من جهة أخرى هو الاجتماع الضروري للإنسان الذي يعبر عنه العلماء بقولهم؛ الإنسان مدني بالطبع"<sup>671</sup>.

لما خاطب القرآن الكريم مجموع الأمة بمسؤولية التعمير في الأرض "فإن هذه الجماعية في الخطاب تحدث في النفس شعورا بالمسؤولية، زائداً على الشعور الذي يحدثه الخطاب الفردي، إذ هذا الخطاب يؤسس في النفوس رابطة بين الأفراد تمتدّ فيها العقول إلى بعضها فتنشأ عقلية الجمع، وتلتقي فيها الإرادات فتنشأ الإرادة الجمعية"<sup>672</sup>.

<sup>669</sup> فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية، ص: 130.

<sup>670</sup> المرجع السابق، ص125

<sup>671</sup> جمال بامي، مقاصد العمران: مقارنة فلسفية تاريخية، مجلة الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء المغرب، العدد 36، جمادى الثانية 1433هـ،

2012م، ص: 138 .

<sup>672</sup> عبد المجيد النجار، دور المجتمع في بناء العمران مقصداً شرعياً، ص: 138.

إذ تظهر غاية الحق من الخلق في خلق الإنسان في أبعاده الوجودية التي تحقق مقاصد الخلافة في الأرض، "ولكي تتحقق هذه الخلافة جاء تمكين الإنسان فيها، فهي مسخرة له، والإنسان ليس غريباً عن الأرض فهو منها، ولذلك فإن الله طلب منه إعمارها: ﴿وَالِي ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ﴾<sup>673</sup>، "فقيامه بالإعمار إذن هو استجابة لدعوة الله لما فيه حياته الطيبة في الأرض، وحياته في جنات النعيم؛ وتلك هي العبادة بمعناها الأشمل، ولهذا فإن العبادة تظهر في نهاية المخطط، بوصفها التعبير الكلي عن المقصود بال عمران في الأرض"<sup>674</sup>.

لقد جعل ابن خلدون من مصطلح العمران "نمطاً عاماً لحياة الإنسان، يؤدي فيه وظيفته دون غيره من الكائنات، في إعمار الأرض، يتعاون فيها أفرادها على المعاش البشري وتوفير متطلبات الحياة الاجتماعية التي لا تتحقق إلا بهذا الاجتماع البشري"<sup>675</sup>، استجابة لأمره سبحانه، الذي يقول ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾<sup>676</sup>، "أي جعلناها لكم قراراً ومهاداً، وهياًنا لكم فيها أسباب المعيشة، والمعاش، أي ما يتعيش به من المطعم والمشرب وما تكون به الحياة"<sup>677</sup>، "فهذا تذكير بأن الله هو ولي

<sup>673</sup> سورة هود، الآية 61.

<sup>674</sup> فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم العليا التوحيد والتكسية والعمران، ص: 137.

<sup>675</sup> المرجع السابق، ص: 154.

<sup>676</sup> سورة الأعراف، الآية: 10.

<sup>677</sup> القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 07، ص: 167.

الخلق، لأنه خالقهم على وجه الأرض، وخالق ما به عيشهم الذي به بقاء وجودهم إلى أجل معلوم<sup>678</sup>.

يؤسس ابن خلدون تعريفه للعمران<sup>679</sup> على نزعة إنسانية "ورؤية مقاصدية ترى في العمران ضرورة إنسانية واجتماعية لا تتحقق المصالح ولا تشبع الحاجات الأساسية الفردية والجماعية إلا به، ويتعلق معنى العمران على اختلاف أحواله وعاداته وطبائعه عند ابن خلدون بالاستقرار المفضي إلى قيم التساكن والتساند والتعاون، سواء ارتبط بالمجال الجغرافي البدوي أو الحضري، ويحمل مفهوم العمران عبر صفحات مقدمة ابن خلدون أبعاداً اجتماعية وأنثروبولوجية وثقافية واقتصادية وقيمية وتاريخية تؤكد على أن العمران ليس مفهوماً مادياً طبيعياً، أو مجرد حالة ساكنة من الاجتماع البشري وإنما هو نظام وجودي دال على حركة التجربة الإنسانية في تفاعلها مع الدين والطبيعية<sup>680</sup>.

لقد بين ابن خلدون أن طبع الإنسان وفطرته ينزعان نحو الاجتماع والتعاون الإنساني لتحقيق حاجاته المختلفة، لأن "الفرد لن يستطيع أن يستغنى عن بقية أفراد جنسه لتلبية حاجاته الكثيرة، قال ابن خلدون: "الاجتماع الإنساني ضروري، ويعتبر عنه الحكماء بقولهم

<sup>678</sup> محمد طاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 08، ص: 33.

<sup>679</sup> العمران مصطلح اقترحه العلامة ابن خلدون في مقدمته؛ للدلالة على نمط من الحياة بوجه عام، جاعلاً إياه أحد الخواص التي تميز بها الإنسان عن سائر الحيوانات، وقد أخذ ابن خلدون المفهوم القرآني للعمران، وجعله علماً جديداً يدرس حياة الناس وما يطرأ على هذه الحياة من تحولات وتبدلات، وما ينشأ فيها من علاقات ومؤسسات، سمّاه علم العمران البشري، أو علم الاجتماع، أو حالة الحضارة. وقد أعلن ابن خلدون ولادة علم العمران، وتخطيط منهجيته، داعياً من يأتي بعد لاستكمال البحث في موضوعاته وقضاياها فهو يقول: "... عزمنا أن نقبض العنان عن القول في هذا الكتاب الأول الذي هو طبيعة العمران وما يعرض فيه ... ولعلّ من يأتي بعدنا ممن يؤيده الله بفكر صحيح وعلم مبین يغوص من مسائله على أكثر ما كتبنا، فليس على مستنبط الفحّ إحصاء مسائله، وإنما عليه تعيين موضوع العلم، وتنويع فصوله، وما يتكلم فيه، والمتأخرون يلحقون المسائل من بعده شيئاً فشيئاً إلى أن يكمل. والله يعلم وأنتم لا تعلمون، أنظر كتاب؛ مقدمة ابن خلدون .

<sup>680</sup> عزيز البطوي، سنن العمران البشري في السيرة النبوية، ص: 107.

الإنسان مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم، وبيانه: أن الله سبحانه خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهاداه إلى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله، إلا أن قدرته الواحدة من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء، وهي غير موفية له بمادة حياته منه<sup>681</sup>.

إن الله سبحانه وتعالى خلق الحياة الدنيا لعمارة الأرض على أساس منهجه ووفقاً لشريعته التي أرسل بها أنبياءه، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، "وخلق هذا الإنسان فيها ليعمرها ويستغل فيها ما منحه الله من خيراتها، من بركات السماء وكنوز الأرض"<sup>682</sup>؛ "ذلك لأن الإنسان وإن كان بطبعه ساعياً إلى كسب ما تقوم به حياته وهو الحد الأدنى من العمران، فإنه لو ترك إلى مجرد مقتضيات الطبع لوقف في التعمير عند حد الكفاف"<sup>683</sup>.

تحتل قضية عمارة الأرض في المنظومة الإسلامية منزلة مهمة، فالمتأمل في النصوص الشرعية يقف فيها على اهتمام كبير بعمارة الأرض والارتقاء بها، ويجد فيها إبرازاً مكثفاً لها، "فالنصوص تارة تشير إلى قضية خلافة الإنسان في الأرض وتارة تشرح حقيقتها ومتطلباتها، وتارة تستحث الهمم على امتثالها والمبادرة إليها، وتارة تشير إلى الأعمال المنافية للاستخلاف وعمارة الأرض، وتارة تذكر ذلك في سياق الامتنان والنعيم، فهذه الحضارة والاهتمام المتتالي يدل على أهمية هذه القضية في الشريعة الإسلامية وأنها ليست

<sup>681</sup> عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1979م، ص: 69 .

<sup>682</sup> عبد الله قادري الأهدل، الإسلام وضرورات الحياة، بدون وتاريخ، ص: 55 .

<sup>683</sup> عبد المجيد النجار، دور المجتمع في بناء العمران مقصداً شرعياً، ص: 136.

أمراً ثانوياً فيها؛ إذ إنها لا تبرز قضية بذلك الشكل إلا إذا كانت عالية الشأن كبيرة المقدار<sup>684</sup>.

إن العمران المادي للأرض هو الجانب المادي من الحضارة البشرية، ويتحقق نتيجة تراكم الخبرة، والتجربة، مع مرور الوقت، وتطور معرفة الإنسان واكتشاف السنن والقوانين التي تحكم الأشياء والظواهر، وملاحظة اطرادها، واستشراق وقوع الأحداث والظواهر وتوقعها، ومن ثمّ استغلال ما تُتيحُه من فُرص، وتجنُّب ما تُمثِّله من تحدّيات، "وبذلك تزدهر العلوم وتتطور تطبيقاتها، ويتحقق للإنسان بذلك التمكين في الأرض وتسخيرها، فيشيد فيها المباني والقصور، ويشق الطرق ويقم الجسور، ويبني المصانع، وينتج البضائع، ويطور وسائل الانتقال: من سيارات وقطارات على البر، وسفن في البحر، وطائرات في الجو وغير ذلك مما يكون فيه مظاهر العمران، وتمتلى به أنماط الحضارة التقليدية، وإضافة إلى ما وصلت إليه الحضارة الرقمية الافتراضية من اختراعات حديثة، تجعل الناس يلتقون ويتحدثون ويتبادلون العلوم والفنون والمنتجات، دون أن يغادر أحدهم فراش نومه"<sup>685</sup>.

<sup>684</sup> سلطان بن عبد الرحمن العميري، فضاءات الحرية: بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها وحدودها، ص: 126.

<sup>685</sup> فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية، ص: 132.



ولا ريب أن إعمار الأرض أوسع من أن يختص بالجانب المادي فقط، "فهو يشمل كل ما فيه تتميتها ورقبها ماديا كان أو معنويا أو روحيا، وهو أمر لا يتأتى إلا بإصلاح الإنسان نفسه المكلف بإصلاح الأرض وإعمارها"<sup>686</sup>.

إن تمييز الإنسان عن سائر المخلوقات في الخلقة والخصائص، في مزاياه المادية والروحية "لم يكن ذلك للإنسان بغاية الشكر فحسب، وإنما هناك غاية أخرى، وهي ما خص به الإنسان من دور ووظيفة في هذه الحياة، فإليه أوكلت مهمة عمارة الأرض"<sup>687</sup>، وفضلاً عن ذلك كله فهو خليفة الله في الأرض، وموضوع الخطاب الإلهي، وهذا الإنسان بمقدار ما يكون أهلاً للخطاب الإلهي ومؤهلاً له، بمقدار ما يكون له من التمايز والفاعلية في الحياة الدنيا"<sup>688</sup>.

يعتبر إعمار الأرض إعماراً لبرّها وبحرها، وقد جمع الله سبحانه وتعالى البرّ والبحر في حالة الفساد الذي أحدثه الناس في الأرض: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>689</sup>، ولتجنب هذا الفساد، لا بد من إعمار البحر، مثل إعمار البر، وما تقوم به بعض المجتمعات من دفن الفضلات النووية المشعة في البر والبحر إنما هو فساد، وما تتفنه المصانع والآلات من الملوثات إنما هو

<sup>686</sup> عبد الرحمن الكيلاني، مقاصد القرآن الكريم وأثرها في بناء المشترك الإنساني، مجموعة بحوث؛ مقاصد القرآن الكريم، تحرير محمد سليم العوا،

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط1، 1439هـ، 2018م، ص: 128.

<sup>687</sup> فرج موسى، الإنسان والحضارة في القرآن الكريم بين العلمية والعملة، ص: 28.

<sup>688</sup> المرجع السابق، ص: 28.

<sup>689</sup> سورة الروم، الآية: 41.

إفساد للجو كذلك إضافة إلى إفساد البر والبحر<sup>690</sup>، ومقصد عمارة الأرض يتحقق بالتزام المسلم بالخير والمعروف المادي والمعنوي، "على أساس هدى من الله تعالى، الذي لن يجده إلا في إخلاص وتوجيه العبادة لله عز وجل، وتحقيق مقاصد العمران الداعمة لخلق الحياة الطيبة على الأرض"<sup>691</sup>.

يتحقق إعمار الأرض باستصلاحها بالفلاحة والزراعة، وتنمية سبل الرزق حتى لا تبقى في الأرض مساحات معطلة من الإنتاج، ولا تبقى بين الناس أيدي معطلة عن العمل، ويكون إعمار الأرض بالبناء عليها، وتيسير سبل السعي فيها من طرق وأساليب في الانتقال والتواصل بين ساكنيها: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾<sup>692</sup>،<sup>693</sup>.

لقد تبين لنا أن العمران حالة من الإنجاز المادي والمعنوي ترافق مستويات الحياة في المجتمعات الإنسانية بقطع النظر عن مستوياتها من التحضر، أو الكسب الحضاري "وأن حالة التخلف التي تعاني الأمة الإسلامية اليوم منها، تفرض عليها أن تقدم للحضارة الإنسانية ما تحتاج إليه من رؤية للعالم، وتُرشد الإنجاز العمراني والحضاري المادي، وتوظفه في تحقيق مقاصد استخلاف الإنسان في الأرض، وهذا ما أكده ابن خلدون، في آراءه الكاشفة عن علاقة العمران بالسياسة والدولة، والتي تفيد في فهم صور الظلم الذي يؤدي

<sup>690</sup> فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية، ص: 133.

<sup>691</sup> النشاط صالح ونوار أم كلثوم، التنمية البشرية من منظور فقه عمارة الأرض، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2011م، ص: 11.

<sup>692</sup> سورة الروم، الآية: 09.

<sup>693</sup> فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية، ص: 132\_133.

بانهيار أنظمة الحكم، وشيوع الفوضى والخراب والدمار<sup>694</sup>، "ولما كان الإنسان مستخلفاً في الأرض ليعمرها ويعمل على صلاحها واتساع عمرانها وإقرار السعادة في نواحيها، ولا سبيل إلى قيامه بذلك إلا إذا تحصن وتسلح بثلاث:

1- العلم ليدرك به الخير من الشر والنافع من الضار.

2- الصحة ليكمل عقله ويسلم تدبيره وتتصل جهوده.

3- المال ليحفظ به حياته وينفذ ما يراه من وجوه الإصلاح والتعمير<sup>695</sup>.

لعلنا نجد من خلال التأمل والنظر أن من أهم مقصود الشارع في استخلاف الإنسان وغاية وجوده في الحياة تحقيق عمارة الأرض وحفظ نظام التعايش فيها، من خلال لزوم طاعته والقيام بعبادته، وإتباع شريعته في سائر معاملاته قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾<sup>696</sup>، "إن الإعمار هو كل عمل إنساني متصف بالصلاح والإصلاح، مادياً كان أو معنوياً، يهدف إلى تحقيق العبودية لله تعالى، والقيام بواجب الخلافة في الأرض"<sup>697</sup>.

فإعمار الأرض مرتبط ارتباطاً مباشراً بالحياة في هذه الأرض براً وبحراً وجوّاً، وحفظ حياة الأحياء في أوساط الحياة المختلفة، تجنب إنهاء الحياة بالقتل وإفساد أسباب الحياة

<sup>694</sup> فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية، ص: 168.

<sup>695</sup> محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام، دار الشروق، بيروت، 1983م، ط07، ص: 155 .

<sup>696</sup> سورة الأنعام، الآية: 165 .

<sup>697</sup> عزيز البطوي، سنن العمران البشري في السيرة النبوية، ص: 111.

ووسائلها، "فمعنى الإحياء الواردُ فيما سبق يتصل اتصالاً مباشراً بعمران الأرض وإحيائها، على مستوى التوظيف الصالح لكل ما استودعه الله فيها، في برّها وبحرّها وجوّها من الأشياء والظواهر والطاقات"<sup>698</sup>.

إن العمران هو شأن الإنسان في حياته الدنيا، في هذه الأرض، ليتولى فيها العمران وليقوم بحمل الأمانة، وإذا كانت كل المخلوقات غير الإنسان تعبد الله وتسبحه، وتخضع لسننه طائعة غير مختارة، فإن الإنسان في حياته الدنيا يأتي بالعبادة اختياراً، مثلما يؤمن بالتوحيد اختياراً<sup>699</sup>، "وكما أن الاستعمار هو طلب الإعمار، وفعلُ الإعمار والتعمير هو الصورة التي تتحقق بها الخلافة في الأرض، ما دامت الحياة على الأرض: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾"<sup>700</sup>، فإنَّ الوجه النقيض لفعل العمران وتحقيق الخلافة في الأرض، هو السعي فيها فساداً، وأشدُّ صور الفساد والإفساد هو قتل النفس وإنهاء حياتها"<sup>701</sup>، لأن غاية الخلق "تحقيق البقاء للإنسان وللأرض النماء، وهو ما يمنح الإنسان السيطرة وفق قوانين التدبير العمراني التي جعلها الله تعالى في الأرض خدمة للإنسان ومسخرة له، والمسلم يدرك هذا المعنى من خلال الوحي الذي أخبره بغايته في الحياة الدنيا، فكما أن العبادة غاية معلومة منصوصة، فإن غاية العمارة كذلك هدف مقصود لوجود الإنساني في الأرض، فقيام الإنسان باستغلال ما في الكون من أجرام وكائنات لغرض عمارة الأرض هو تحقيق لهذه

<sup>698</sup> فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية، ص: 126.

<sup>699</sup> المرجع السابق، ص: 137.

<sup>700</sup> سورة البقرة، الآية: 30.

<sup>701</sup> فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم العليا التوحيد والتزكية والعمران، ص: 132.

الغاية الربانية من خلال قاعدة التسخير التي أوجدها الله في المخلوقات وهياً الإنسان لاستثمارها<sup>702</sup>.

إنَّ قيام الفرد الإنساني بأمانة الخلافة في الأرض ومهمة العمران فيها، هي وظيفة تُعمر بها حياة الفرد حتى انتهاء عمره بالموت، وتمتدُّ لتعمير حياة غيره بعد موته، بالصدقة الجارية، والعلم النافع، والولد الصالح، وهذا ما أكدّه الحديث النبوي "إذا مات العبد انقطع عمله إلا ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"<sup>703</sup>، فضلاً عن عمران حياته الأبدية في الآخرة، وهي كذلك وظيفة ممتدة للنوع الإنساني، من جيل إلى آخر ومن أمة إلى أخرى، طوال عهد الإنسانية على هذه الأرض، وإذا اختل هذا العمران وتعطل بالفساد، تحوّلت معيشة الإنسان في الدنيا إلى ضلال وذنك، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾<sup>704</sup>، فالعمران حياة وفق هداية الله، وهي خير وبركة في الدنيا والآخرة، والفساد معيشة ضيق وذنك في الدنيا والآخرة<sup>705</sup>، إن "من حكمة الله سبحانه أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم؛ جسمي ونفسي، ومن ذلك أن سعي الإنسان في الدنيا في مجال العبادة والعمران سعي إلى تعلّم مطالب العبادة وما تتطلبه العبادة والعمران في شؤون الحياة الدنيا"<sup>706</sup>.

<sup>702</sup> مسفر على القحطاني، مقصد العمران الحضاري: رؤية علمية نقدية، سلسلة المؤتمرات، الدين والحضارة حفظ العمران: مقصد شرعي، مؤسسة

الفرقان للتراث الإسلامي، ط1، 1440هـ، 2018م، ص: 01.

<sup>703</sup> صحيح مسلم، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ص: 1016، رقم الحديث: 1631.

<sup>704</sup> سورة طه، الآية: 124.

<sup>705</sup> فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية، ص: 126\_127.

<sup>706</sup> المرجع السابق، ص: 228.

إن خلافة الإنسان في الأرض ليست مطلقة بل هي خلافة من الله إلى الإنسان غايتها تحقيق مقصد العبادة في الأرض وفق مراد الله في الأمر والنهي، ومن ثم فإن صفاته تعالى من العدل والعلم والقدرة والرّحمة وغيرها، وكذلك أمره سبحانه في فهم مقاصد الحياة وإقامة الحق والعدل وبتّ التّوحيد وإخضاع كل سعي لما يوجهه، كل ذلك قيم تتحكم في مجتمع الخلافة وأهداف الإنسان الخليفة الذي ينبغي له تحقيقها، وأن يخضع لها عند التّعامل مع الخالق والمخلوق، يقول عليه الصلاة والسّلام: "إن الله سائل كل راع عما استرعاه"<sup>707</sup>، "الوظيفة التي يضطلع بها الإنسان في الحقيقة إنما هي عمارة الأرض بمعناها الشامل العام، وهي تشمل إقامة مجتمع إنساني سليم، وإشادة حضارة إنسانية شاملة"<sup>708</sup>.

إن مراد الله في هذه الحياة إعمار الأرض بالعبادة وصلاح أحوال المستخلفين فيها وإقامة العدل بينهم وصولاً لاستقرار الحياة وحصول السّلم الاجتماعي بينهم، "وعمارة الأرض مقصد من أصل الخلق والتكوين، ومقصد من أصل الأمر والتشريع، فهي من مقاصد الخلق عنده سبحانه للناس بإيجاده لهم في الحياة، وهي من مقاصد الشرع لأن الله تعالى أراد من كتابه المنزل عمارة الأرض وتشبيدها وإصلاحها وتتميتها، وذلك عن طريق صلاح الإنسان المستخلف فيها والمكلف بإصلاحها"<sup>709</sup>، وهذا ما عبر عنه علّال الفاسي: "المقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض وحفظ نظام التعايش فيها، وصلاحها بصلاح

<sup>707</sup> سنن الترمذي، الباب الإمام، ج 04، ص: 208، رقم الحديث: 1705 .

<sup>708</sup> محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، ص: 20 .

<sup>709</sup> عبد الرحمن الكيلاني، مقاصد القرآن الكريم وأثرها في بناء المشترك الإنساني، ص: 127 .

المستخلفين فيها، وقيامها بما كلفوا به من عدل واستقامة ومن صلاح في العقل وفي العمل وإصلاح في الأرض واستتباط لخيراتها وتدبير لمنافع الجميع<sup>710</sup>.

فالعمران يقوم على إعمار الكون والاستفادة بكل ما اتاحه التسخير الإلهي من النعم الظاهرة والكامنة فيه، "وجعل كل شيء فيه داخلاً في دائرة التسبيح لله سبحانه، فالأرض حين تهمل فلا تزرع ولا تسكن تعد ميتة، وإحياءها يكون بوضعها على طريق عمرانها يجعلها حية معطاء، وكذلك كل شيء من المسخرات في هذا الكون"<sup>711</sup>.

وبعد إعمار الكون ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية، فلا بد للإنسان من أن يكتشف، ويخترع، من أجل تذليل العقبات التي تعترض طريقه، وتحول بينه وبين تحقيق ما يطمح إليه في سبيل العيش الآمن والحياة الكريمة، وهذا ابن عاشور في تفسير قوله عز وجل: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾<sup>712</sup>، يقول: " وهذا استدعاء لأهل العلم والحكمة لتتوجه أنظارهم إلى ما في الكون من دقائق الحكمة، وبديع الصنعة، وهذا من العلم الذي أودع في القرآن ليكون معجزة من الجانب العلمي"<sup>713</sup>، " أي أن اعمار الكون يمثل عملية بناء محكمة للإنسان

<sup>710</sup> علال الفاسي، مقاصد الشريعة ومكارمها، ص: 41\_42 .

<sup>711</sup> زينب العلواني، مراجعات في تطور المنهج المقاصدي عند المعاصرين، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص: 16 .

<sup>712</sup> سورة النمل، الآية: 88.

<sup>713</sup> محمد طاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 20، ص: 48\_49.

والحياة، مهتدية بهدايات الوحي قرآنا وسنة، وهادفة إلى معرفة الله ومرضاته، ومحقة لمهام  
الإنسان في هذا الوجود<sup>714</sup>.

على ضوء ما سبق ذكره يمكن القول؛ إن العمران حركة تفاعلية لمكونات الأمة  
والمجتمع مع الطبيعة والوجود وما يحكم ذلك الوجود العمراني من سنن ناظمة ومنتظمة  
لظواهره وأحواله، وقد تبين لنا أن العمران حالة من الإنجاز المادي والمعنوي ترافق مستويات  
الحياة في المجتمعات الإنسانية، فالعمران إذن قيمة إنسانية ولا سيما عمل المجتمع، المتعلق  
بنظم الإدارة والرعاية لشؤون الناس بتيسير سبل الحياة لهم، ورفع الحرج والمشقة عنهم، وكما  
يتجلى فقه العمران هذا في الجوانب المادية لحياة المجتمع في استتباب الأمن، بذلك يكون  
البعد التعميري في المنظور القرآني منهج تستقيم به النفوس بذلك تستقيم الحياة.

---

<sup>714</sup> زياد خليل، الدغامين، إعمار الكون في ضوء نصوص الوحي، ص: 36.



## المبحث الثاني: البعد الاستخلافي وعلاقته بالقيم الإنشائية في القرآن الكريم

خصت هذا المبحث لتحليل البعد الاستخلافي وعلاقته بالقيم الإنشائية في القرآن الكريم؛ فأيات القرآن الكريم تبين القيم الإنشائية وأبعادها الاستخلافية، من أجل تنظيم حياة الإنشائية في جميع مجالاتها، وعليه نجملها في مطلبين.

### المطلب الأول: الحرية قيمة للبعد الاستخلافي

تعد قضية الحرية من المفاهيم الكبرى التي تحكم وعي الإنسان وتؤثر فيه تأثيراً بليغاً، وهي من أوسع المصطلحات انتشاراً وشيوعاً، حيث "يواجهها الباحث في مجالات وعلوم متعددة، ومن أقوى ما يساعد على فهم مثل هذه النوعية من المفاهيم، ويعين على ضبط حدودها ومساراتها، سبك مفهوم صحيح وواضح لها"<sup>715</sup>، "من أبرز آثار الغموض والاضطراب المخيم على مصطلح الحرية هو عزوف كثير من الخائضين في غمار بحثها عن تقديم مفهوم شمولي، وجل المنظرين للحرية اتضح إفلاسهم في تقديم مفهوم لها"<sup>716</sup>.

مفهوم الحرية<sup>717</sup> كما أسسته الفلسفة الحديثة التي عرفت أوروبا منذ عصر النهضة وفلسفة الأنوار، حيث ركزت على الذات الفردية التي تتمتع بنوع من الاستقلالية وبالقدرة على التصرف بشكل حر؛ "فالإنسان عند ديكارت هو كائن الاختيار الحر، وهو عند كانط مملكة

<sup>715</sup> سلطان بن عبد الرحمن العميري، فضاءات الحرية: بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها وحدودها، ص: 13.

<sup>716</sup> المصدر السابق، ص: 35.

<sup>717</sup> تعني مفهوم الحرية من حيث الدلالة اللغوية والإصطلاحية؛ تميز الإنسان عن غيره، من خلال منحه السلطة في التصرف والأفعال، عن إرادة دون إجبار أو إكراه، أو قسر خارجي، وذلك بإعمال العقل والتفكير في الأسباب والنشائج، والوسائل والغايات، لأن الإنسان يختار أفعاله عن قدرة واستطاعة على العمل أو الامتناع عنه، دون ضغط خارجي، فالحرية هي حرية الإنسان تجاه أخيه الإنسان من جهة، وبما يصدر عنه اختياره من جهة أخرى .

الحرية، كما أن هيغل يعتبر أن حرية التفكير والقرار هي السمة الأساسية المميزة للإنسان في العصور الحديثة، وأن الحق في الحرية الذاتية يشكل النقطة الحاسمة والمركزية التي تجسد اختلاف الأزمنة الحديثة عن العصور القديمة، كما اعتبر روسو الحرية صفة أساسية للإنسان وحقاً غير قابل للسلب وغير قابل للتصرف<sup>718</sup>.

الحرية الفردية المرتبطة بالمنفعة المباشرة، هي حرية تعتمد على المبنى الحسي عند الإنسان بحيث تجعل من حريته الغريزية أساساً لها، حتى في السلوك العام، "إضافة لثوابتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وهذا هو بتبسيط شديد للمعنى الليبرالي لهذه الحرية، ثم تقيد بحدود الأخلاق قصد عدم التصادم وفق قانون الاعتراف بالصراع مع الإبقاء عليه مقتناً بالدستور واللوائح"<sup>719</sup>، "في المجتمع الليبرالي، تقيد حرية الفرد إلى أخلاق المنفعة الذاتية، فالإنسان هو كائن منتج ثم مستهلك فقط، ويتطور بدافع الإشباع المادي، فليس لدى هذا النوع من المجتمعات سوى منع التعارض مع حرية الغير بنفس المعادلة"<sup>720</sup>.

إذا أردنا أن نتحدث عن المنظور الصحيح للإنسان من خلال مفهوم الحرية يمكن القول؛ الإنسان وُجد لغايات تم توجيهه لها، وخلال إدراكه لها تستقيم تصوراتهِ وتصلح وجهته، وهي غايات أسست على تكريم الإنسان بإعطائه حرية الاختيار ومسؤولية المصير الذي يعتبر شيئاً داخلياً، لا يمكن سلبه بالإكراه، فالإكراه الظاهر لا يغير من اختيارات

<sup>718</sup> للمزيد حول موقف هؤلاء المفكرين من مفهوم الحرية يمكن الرجوع إلى: جان جاك شوفالبييه، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة محمد عرب صاصيلا،

المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر، 1985م .

<sup>719</sup> محمد أبو القاسم حاج حمد، حرية الإنسان في الإسلام، ص: 45.

<sup>720</sup> المرجع السابق، ص: 45.

الضمان: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾<sup>721</sup>، "وأعظم من كل ذلك ما جاءت به الشرائع السماوية من إشارة إلى الحرية هي أعلى ما يمتلكه الإنسان، وأنها من الحقوق الفطرية الطبيعة التي فطره الله عليها، وأنها لا تُنتزع منه حتى موته، فلا تَسَلُّط ولا استعباد ولا تكبُّر لإنسان على إنسان، ما داموا في الإنسانية والحرية سواء، ولعلَّ من أعظم الأهداف التي من أجلها أرسل الله رسله هو تحقيق الحرية التي سلبها المستبَدُّون المتجَبِّرون في الأرض؛ ومن ثمَّ فقد جعل الله عز وجل الحرية سبيلاً لإدراك الوجدانية الإلهية، من خلال إعمال العقل والتفكير السليم، ليقود العقل إلى الإيمان بالله الواحد الأحد"<sup>722</sup>.

تُعتبر النزعة إلى الحرية والتخلُّص من القيود والأغلال لدى الإنسان، من النزعات الأصلية العميقة في وجوده الطويل، وتُعتبر حياة الإنسان السوي كلها، بحثاً مستمراً عن معنى الحرية المتأصل في وجوده وكيانه، والمتجذِّر في مختلف مستويات تجربته الإنسانية، النفس البشرية بحاجة إلى الحرية التي لا غنى عنها للتنمية الشخصية الإنسانية، وبدون الحرية قد يفقد الفرد نزعة المبادرة والدافع اللازم للابداع والابتكار، وبالتالي لا تتحقق التنمية أو الفلاح الإنساني، ولما كان البشر مستخلفين من قبل الله عز وجل على الأرض ينبغي ألا يتذلَّلوا لغيره، ومن ثم فقد كان تحرير البشر من القيود والأغلال التي كانت تكبلهم من أهم مهام الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ

<sup>721</sup> سورة النحل، الآية: 106.

<sup>722</sup> راغب السرجاني، المشترك الإنساني: نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب، ص: 402.

عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴿٧٢٣﴾، وبناء على ذلك فإن

الاستعباد من أي نوع، وبصرف النظر عن كونه اجتماعياً أو سياسياً أو اقتصادياً يُعد أمراً

مناقضاً للتعاليم الإسلامية، وبالتالي فليس ثمة حق لأحد، في إلغاء الحرية.

إن القاعدة المرجعية التي يقوم عليها مفهوم الحرية في الإسلام هو الوحي الإلهي

المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ومقتضى هذا؛ "فالمسلم في قضايا الحرية يلزمه

الرجوع أولاً إلى المبادئ والأسس التي جاءت بها الشريعة ويجعلها نصب عينيه ليبنى مواقفه

وتصوراته"724.

وليس هناك من شك في أن الهدف الأعلى الذي شرعت الحرية من أجله في الإسلام

وأقرت أحقيته هو "تحقيق العبودية لله تعالى على أكمل وجه، والبلوغ إلى هذا الهدف يعد

هدافاً جوهرياً في كل تعاليم الإسلام، وهو الروح السارية في كل أنظمتها وأحكامها"725، بل هو

محور إنسانية الإنسان في الإسلام من خلال؛ "التأكيد على مبدأ الحرية، في إقامة العلاقات

بين الدول والشعوب على أسس متينة من الاحترام المتبادل المؤدي إلى التعاون الفعلي

والتواصل العملي؛ بما يحقق أمن وسلام وتقدم العالم"726.

723 سورة الأعراف، الآية: 157 .

724 سلطان بن عبد الرحمن العميري، فضاءات الحرية: بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها وحدودها، ص: 63.

725 المصدر السابق، ص: 70 .

726 محمد الناصري، العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 01، 1430هـ، 2009م،

ص: 75.

إن الحرية كقيمة للبعد الإستخلافي تتأسس؛ من التعرف على الإنسان بما يحقق إنسانته، ذلك من خلال قراءة واعية للهوية البشرية الشخصية بكل ما تحمل من دلائل وأبعاد ومضامين تدل على عظمة الخالق جل وعلا، بذلك يضع الإنسان على الطريق الصحيح في فهم المعاني القريبة والبعيدة من أجل تحقيق مهمة الإستخلاف في الأرض، فالله سبحانه وتعالى لا يريد لهذا الإنسان الذي ميزه بالعقل والإرادة والاستطاعة أن تنقيد إنسانته، "لذلك كانت حكمته جل وعلا في إعطاء كل الشرح والتفصيل في تعريف الإنسان على ذاته، تشمل معرفة الكل لا الجزء، وتتطلق من البداية في الخلق والتكوين والإنشاء، لتصل إلى المنتهى، ولا تترك شيئاً من الصفات والطبائع والقدرات الإنسانية، إلا كانت لها شارحة مفصلة موضحة"<sup>727</sup>، "وحيثما تنتهك حرية الإنسان، بأن تلغى بأي وجه من وجوه الإلغاء، فإن ذلك يعدّ استنقاصاً من إنسانيته، وبعدّ بالتالي هدرًا لقدرته على أداء مهمته التي من أجلها خلق خلافةً في الأرض وتعميراً فيها"<sup>728</sup>.

وإذا كانت قيمة الحرية قد علت في تعاليم اليهودية والمسيحية؛ فإنها في التشريع الإسلامي قد وصلت إلى مكانة كبرى ومنزلة عالية، فالحرية الإنسانية بالمعنى الفردي والجماعي في الإسلام، واحدة من أهم الضرورات، وليس فقط من الحقوق اللازمة، النفس الإنسانية مسئولة عن تحديد سلوكها، فهي تمتلك من القدرات والملكات العقلية والأحاسيس والانفعالات ما يمكنها من ذلك، من هنا جاءت مسؤوليتها مسؤولية خاصة عن نفسها وعن

<sup>727</sup> حورية يونس، الإسلام ومفهوم الحرية، ص: 45.

<sup>728</sup> عبد المجيد النجار، أبعاد جديدة لمقاصد الشريعة: حفظ إنسانية الإنسان، ص: 133 .

أفعالها وتصرفاتها خير أم شر، إن "من أهم العناصر المكوّن لإنسانية الإنسان حرية الإرادة، فكل الموجودات الكونية خلقت مسوّقة مصائرهما على سبيل الحتم، إلاّ الإنسان فقد خلّق بإرادة حرّة يختار بها مصيره"<sup>729</sup>.

إن الله سبحانه وتعالى منح النفس الإنسانية حرية الاختيار في قبول الطريق القويم الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لها؛ " لتحقيق الغاية من خلقها، أو اختيار واتباع طريق الضلالة المخالفة لهذه الغاية"<sup>730</sup>، قال تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾<sup>731</sup>، لقد "أهم الله سبحانه وتعالى النفس الإنسانية سبيل الخير وسبيل الشر، وجعل لها حرية الاختيار بينهما؛ فإما أن تختار سبيل الخير والتقوى فتفوز يوم الميعاد، وإما أن تختار سبيل الشر والفجور فتكون من الخاسرين في ذلك اليوم العظيم"<sup>732</sup>، "ومفهوم حرية الإرادة الإنسانية وحرية القرار الإنساني ينطوي على عدة جوانب وأبعاد لا يستقيم فهم معناها دون فهمها والتمييز بينها، وهذه الجوانب تتلخص في أبعاد هي: بُعد حرية الفكر، بُعد حرية الأداء الاجتماعي"<sup>733</sup>.

<sup>729</sup> المصدر السابق، ص: 104.

<sup>730</sup> وليد رفيق العياصرة، مفهوم النفس في القرآن الكريم وانعكاساته على المنهاج التربوي في المجتمع المسلم، ص: 378 .

<sup>731</sup> سورة البقرة، الآية: 256 .

<sup>732</sup> وليد رفيق العياصرة، مفهوم النفس في القرآن الكريم وانعكاساته على المنهاج التربوي في المجتمع المسلم، ص: 379 .

<sup>733</sup> عبد المجيد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ص: 140.

وباستقراء نصوص القرآن الكريم \_ المرتبطة بهذا الموضوع \_ نخلص إلى أن "الحرية في القرآن الكريم مسألة مقدسة من مقاصد الشريعة، ولعل من أهم الأدوار التي يقوم به الإيمان والتوحيد خاصة، هو تحرير الإنسان من عبادة العباد ومن الخرافة الوثنية ووصله بالله تعالى"<sup>734</sup>، عند استقراء آيات القرآن الكريم تتجلى حرية الفكر والاعتقاد بوضوح في أكثر من مائتي آية، "وقد نزل القرآن الكريم بهذا العدد الكبير من الآيات ليؤكد على حرية الإنسان خاصة في اختيار ما يعتقد، وعدم جواز إكراهه على تبني أي معتقد، أو تغيير معتقد اعتقده إلى سواه، وعلى بيان العقيدة كشأن إنساني خاص بين الإنسان وربه، فليس لأحد أن يكره على اعتقاد أو تغيير اعتقاده تحت أي ظرف من الظروف"<sup>735</sup>.

كما قرر القرآن الكريم حرية الإنسان وإرادته المستقلة ومسئوليته عن أفعاله، وهذا يعني "تكريمه بعدم خضوعه وإخضاعه لإرادة خارجة عن ذاته، بل إن قضية الهداية والإيمان متروكة لإرادة الإنسان واختياره، ولا دخل لأحد فيها بالإكراه"<sup>736</sup>، أما طرق عرض القرآن الكريم لموضوع الحرية؛ فقد أكد القرآن على مبدأ الحرية من خلال إثباتها وتأكيدا، ونفى الإكراه من جهة أخرى، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ﴾<sup>737</sup>، أي "مأخوذة بعملها"<sup>738</sup>، "من أعمال السوء وأفعال الشر رَهِيْنَةٌ بها موثقة بسعيها، قد ألزم عنقها، وغل

<sup>734</sup> محمد الناصري، العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، ص: 60.

<sup>735</sup> طه جابر العلواني، لا إكراه في الدين، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2006م، ص: 90.

<sup>736</sup> أحمد بوعود، الإنسان في القرآن: دراسة فلسفية مقارنة، ص: 92.

<sup>737</sup> سورة المدثر، الآية: 38.

<sup>738</sup> الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج24، ص: 35.

في رقبته<sup>739</sup>، فهذه الآية ترتب التكليف والمسؤولية على حرية الإرادة في هذه المسائل التي لا يستطيع أن يتحمل المسؤولية فيها إلا الإنسان نفسه، ويبلغ من قدسية الحرية الإنسانية أن الله سبحانه وتعالى لا يريد أن يكره الإنسان حتى على الإيمان، فهو يخاطب رسوله الكريم قائلاً: ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>740</sup>؛ "أي: تلزمهم وتلجئهم، أي: ليس ذلك عليك ولا إليك، بل إلى الله"<sup>741</sup>، "وليس في إمكانك، ولا قدرة لغير الله"<sup>742</sup>، ويقول: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾<sup>743</sup>؛ "وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان واحترام إرادته، وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد، وتحميله تبعه عمله وحساب نفسه، وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني"<sup>744</sup>.

يخبر تعالى أنه لا إكراه في الدين لعدم الحاجة إلى الإكراه عليه، لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفية أعلامه، غامضة آثاره، أو أمر في غاية الكراهة للنفوس، وأما هذا الدين القويم والصراط المستقيم فقد تبينت أعلامه للعقول، وظهرت طرقه، وتبين أمره<sup>745</sup>، ويقول: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾<sup>746</sup>؛ "لو شاء الله لهدى الناس جميعاً"<sup>747</sup>، فمشيئته سبحانه وتعالى أن يكون الإنسان حراً، حرية تتأسس على فطرته وعقله وعلى إدراكه

<sup>739</sup> عبد الرحمان بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج 01، ص: 897 .

<sup>740</sup> سورة يونس، الآية: 99 .

<sup>741</sup> تفسير ابن كثير، ج 04، ص: 298 .

<sup>742</sup> عبد الرحمان بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: 374 .

<sup>743</sup> سورة البقرة، الآية: 256 .

<sup>744</sup> محمد الناصري، العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، ص: 67.

<sup>745</sup> عبد الرحمان بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: 110.

<sup>746</sup> سورة السجدة، الآية: 13 .

<sup>747</sup> الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 20، ص: 176.



لمصالحه وغايات وجوده في هذا العالم، وهذا أيضاً هو معنى قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾<sup>748</sup>، "قال أكثر المفسرين: طريق الخير والشر، والحق والباطل، والهدى والضلالة"<sup>749</sup>، أي أنه سبحانه زوده بالعقل والتمييز وأعدّه بحيث يتمكن من ممارسة حرية الاختيار هذه دون سائر المخلوقات التي تقودها غرائزها، وتقود طبائع حاجاتها.

إن حرية الإرادة شرط أساسي وضروري للاختيار، "فلو أقر الهدى الرباني إكراه الناس على الإيمان لألغى بذلك دور العقل وإمكانية الاختيار وحرية الإرادة، ولن تكون هنالك حاجة أو جدوى للتفكير والنظر في الظواهر والآيات، والاعتبار من الأمثال والقصص، ومن ثم التوصل بعد فهم معانيها ومدلولاتها إلى الإيمان، إذ يكفي آنذاك وضع أمر مباشر"<sup>750</sup>، "إن حرية الإنسان يمكن أن تظل كل ما يقع ضمن حدود قدرته واستطاعته، وهذا ما يجعل هذه الحرية مطلقة بهذا المعنى لأنها حرية في حدود الإمكان، أما تحميل الحرية بمعان تذهب بها إلى حدود ألا ممكن، ولنا أن نقف أمام أية فلسفة وضعية، لنرى إلى أي مدى يمكن أن تذهب بالحرية، إذا تعرفنا على هذه الوسائل التي خلقها الله للإنسان لتحقيق حريته"<sup>751</sup>.

إن التصور الإسلامي للحرية لا ينطلق من مرجعية إنسانية تثبت له بذاتها من حقوقه الطبيعية كما يدعي الفكر الغربي، وإنما الحقيقة الكبرى التي ينطلق منها ويرتكز عليها في كل شيء هي؛ "أن الله هو الخالق لكل ما في هذا الكون، وهو مالكة ومدبره، وهو العالم بكل

<sup>748</sup> سورة البلد، الآية: 10 .

<sup>749</sup> الغوي الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، ج 08، ص: 481 .

<sup>750</sup> حامد العطية، نظام المعرفة ومنهج البحث في القرآن الكريم، ص: 45.

<sup>751</sup> علي محمد الصلابي، الحريات من القرآن الكريم حرية التفكير والعبير والاعتقاد والحريات الشخصية، بدون طبعة وتاريخ، ص: 40.

ما فيه، فهو إذن المشرع الأعلى فيه، ووحيه هو المرجعية التي تتأسس عليها الحقوق الواجبات وغيرها مما يكون بين البشر<sup>752</sup>، "فالإسلام يمنح الحرية الفردية في أجمل صورها، والمساواة الإنسانية في أدق معانيها، لكنه لا يتركها فوضى، فللمجتمع حسابه، وللإنسانية اعتبارها، ولأهداف الدين قيمتها، لذلك يقرر مبدأ التبعية الفردية في مقابل الحرية الفردية، ويقرر إلى جانبها التبعية الجماعية التي تشمل الفرد والجماعية بتكاليها، وهذا ما ندعوه بالتكافل الاجتماعي<sup>753</sup>."

وقد حرص الإسلام على تطبيق مبدأ الحرية في هذه الحدود وبهذه المناهج في مختلف شؤون الحياة، وأخذ به جميع النواحي التي تقتضي كرامة الفرد وأن يأخذ به في شؤونها وهي النواحي المدنية والدينية، حيث بلغت الشريعة الإسلامية فيه شأنًا رفيعًا لم تصل إلى مثله شريعة أخرى من شرائع العالم، والحرية في الإسلام لا تعني الفوضى وارتكاب الموبقات والمنكرات باسم الحرية واستباحة محارم الله تعالى، والانغماس في الشهوات المحرمة "فالحرية التي تبيح هذه المحظورات هي فوضى، وتصور خاطئ للحرية، وقد صحح الإسلام هذا التصور الخاطئ، وقرر حرية الناس منذ ولادتهم، وأنه لا يجوز استعبادهم كما لا يجوز تقييد حرياتهم، وكل حق لهم، وما يقابله واجب عليهم ليكون هناك توازن في الحياة والتعايش مع الآخرين<sup>754</sup>."

<sup>752</sup> سلطان بن عبد الرحمن العميري، فضاءات الحرية: بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها وحدودها، ص: 63.

<sup>753</sup> علي محمد الصلابي، العدالة من المنظور الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1436هـ، 2015م، ص: 192\_193.

<sup>754</sup> ناصر بن سعيد بن سيف السيف، أسس الحرية في الفكر الغربي، شبكة الألوكة، ط1، 1438هـ، 2017م، ص: 17.

إن مفهوم الحرية من المنظور الإسلامي لا يتحقق إلا من خلال "الحقوق والواجبات باعتبارهما وجهين لعملة واحدة، لأن الحقوق من دون أن تُقيد بالواجبات تجعل الفرد غير مرتبط بالآخرين يعرف حقوقه ولا يعرف حقوق الآخرين ويصبح مقصراً في أداء واجباته"<sup>755</sup>، "إن الحرية في المفهوم الإسلامي قيمة كبرى تحتل من سلم المقاصد الدينية الدرجات العليا وهي قيمة ثابتة تتصف بالديمومة في الزمان والمكان"<sup>756</sup>.

وجاء الإسلام ليكفل الحرية الدينية للإنسان، وليس للمسلمين أو المؤمنين به فحسب، بل ليحافظ على الحرية الدينية لكل شخص، سواء كان مسلماً أو غير مسلم، "لبيقى التوازن الفكري والعقلي والنفسي بين عقيدة الإنسان وفكره وسلوكه، وثبتت الحرية الدينية في الإسلام بنصوص قطعية في القرآن الكريم"<sup>757</sup>، "فالإسلام جاء باحترام الشخصية الإنسانية، والشخصية الإنسانية لا تكون إلا مع الحرية، حرية الإقامة وحرية الانتقال، وحرية التدين، وحرية الفكر والرأي، ولذلك كان الإسلام والتحكم نقيضين لا يجتمعان، فليس لإنسان أن يتحكم في غيره"<sup>758</sup>، "والإسلام دين الحياة؛ إن الإسلام جعل الحرية حقاً من الحقوق الطبيعية للإنسان، فلا قيمة لحياة الإنسان بدون الحرية، وحين يفقد المرء حريته، يموت داخلياً، وإن كان في الظاهر يعيش ويأكل ويشرب، ويسعى في الأرض"<sup>759</sup>.

<sup>755</sup> محمد عبد اللطيف صالح الفرفور الحسني، مناهج الحرية في الحضارة الإسلامية الحرية الدينية، بدون طبعة وتاريخ، ص: 12.

<sup>756</sup> عبد المجيد النجار، مراجعات في الفكر الإسلامي، ص: 169.

<sup>757</sup> محمد الزحيلي، الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية أبعادها وضوابطها، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 27، العدد 01،

2011م، ص: 370.

<sup>758</sup> محمد أبو زهرة، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط3، 1401هـ، 1971م، ص: 257.

<sup>759</sup> ناصر بن سعيد بن السيف، أسس الحرية في الفكر الغربي، ص: 05.

ولما كانت القاعدة المرجعية الأولى للحرية في الإسلام هي وحي الله المنزل فإنه قد ترتبت على ذلك آثار عدة منها؛ أنه لم تعد الحرية مجرد إعطاء حق وإعلانه، وإنما غدت داخله في النطاق التكليفي، وأمست مشمولة بالأحكام التكليفية الخمسة المعروفة، فالحرية في الإسلام من الأهمية، والمكانة والقدسية ما لأحكام الشريعة الأخرى، لأنها أصبحت جزءاً حكيماً، فلا يملك أحد تعطيلها أو نسخها، "ويجب على الأمة أفراداً وجماعات، رعايتها والحفاظ عليها والدفاع عنها والوقوف ضد من ينتهكها أو يخل بها، كما يجب عليهم أن يحافظوا على سائر الأحكام الشرعية الأخرى"<sup>760</sup>.

وفي سبيل حفظ حرية الإنسان من الاستبداد والتسلط جاءت الشريعة بأحكام كثيرة تلقت في معرض تعددها وتنوعها عند الإلزام بتوفير الحرية للإنسان، ومنع أيّ ضرب من ضروب التسلط عليها واهدار طاقاته، وقد بلغت هذه الأحكام من الاستفاضة بحيث أصبحت تفيد على وجه القطع أن حفظ الحرية مقصد شرعي من المقاصد العامة، وهو مقصد يندرج ضمن مقصد أعلى منه هو مقصد حفظ إنسانية الإنسان، باعتبار أنّ الحرية من أعظم مكوناتها، "ولا بد من التأكيد هنا على أن الشريعة الإسلامية لم تلغ اعتبار المعاني الإنسانية، بل بالغت جداً في احترامها، ولكنها في الوقت نفسه لم تقتصر على معنى الإنسانية وحده في

<sup>760</sup> سلطان بن عبد الرحمن العميري، فضاءات الحرية: بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها وحدوده، ص: 64.

تشريع الأحكام، بل جعلت للحقوق معياراً يستوعب معنى الإنسانية بصورة أكمل وأعمق، وهو معيار العدل، الذي يحقق معنى الإنسانية ويرفع عنها الظلم والجور<sup>761</sup>.

ولعل جامع الأحكام الشرعية التي وضعت لتحقيق مقصد حفظ الحرية، هي تلك الأحكام المتعلقة بالرق، فهي أحكام تنتهي في جملتها إلى التضييق في مداخله وأسبابه حتى حرم على الإنسان أن يتنازل عن حريته في ذاته ليصبح بمحض إرادته رقيقاً، والتوسيع في مخارجه حتى جعل فك الرقبة عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى، والمقصد من كل ذلك هو الوصول إلى وضع ينتهي فيه استعباد الإنسان للإنسان، وذلك تحرير أبدي للنفس الإنسانية من عبودية لم تخل منها حضارة من الحضارات القديمة قبل الإسلام، وإنما شرعت هذه الأحكام حفظاً لإنسانية الإنسان أن تكون مكتملة بحفظ الحرية<sup>762</sup>، "وحرية العمل، وحرية التنقل، والحرية الشخصية في المأكل والملبس والمنزل، وما إلى ذلك من سائر ما يندرج تحت مسمى الحرية، فقد جاءت التشريعات المختلفة ملزمة بحفظها، وإن يكن وفق ضوابط لا تؤول معها الفوضى التي قد تؤدي إلى انحراف النظام الاجتماعي، فتؤول إلى عكس المقصود منها"<sup>763</sup>.

وحيثما تطرأ على النفس عوامل الاستبداد، فإنها تفقد قدرتها على الانطلاق فيما تريد لتبدع في الفكر أو في القول والعمل، وتنكمش على ذاتها مترقبة أوامر وتوجيهات المستبد

<sup>761</sup> المرجع السابق، ص: 87.

<sup>762</sup> علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ص: 242 .

<sup>763</sup> عبد المجيد النجار، أبعاد جديدة لمقاصد الشريعة: حفظ إنسانية الإنسان، ص: 133 .

عليها ليرسم لها الطريق ويسوقها فيه، فإذا هي تذهب فيه كما هو مرسوم، وهذا الوضع النفسي "يعوق الإنسان عن أن يقوم بما هو مطلوب منه من تعمير لا يكون إلا بالمبادرة والابتكار والانطلاق في التجارب الحرّة التي تعدّل مسارها ذاتياً، وتحقّق تقدّمًا إلى الأمام، وأمّا الارتهان النفسي لإرادة خارجية فإنّه لا يثمر من ذلك شيئاً، وهو أحد مقتضيات قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾<sup>764</sup>، فهذا الذي ضُرب به المثل عاجز لا يقدر على فعل شيء إنّما سبب عجزه هذه العبودية التي سلبته حرّيته، فصار بذلك ضعيف النفس عاجزاً عن الفعل"<sup>765</sup>.

وفي سبيل حفظ حرية الإنسان من الاستبداد والتسلط، جاءت الشريعة بأحكام كثيرة تلتقي في معرض تعددها وتنوعها، عند الإلزام بتوفير الحرية للإنسان، ومنع أي ضرب من ضرب التسلط عليها والإهدار لها، وبلغت هذه الأحكام من الاستفاضة بحيث أصبحت تقيد على وجه القطع، أن حفظ الحرية مقصد شرعي من المقاصد العامة، وهو مقصد يندرج ضمن مقصد أعلى منه، هو مقصد حفظ إنسانية الإنسان، باعتبار أن الحرية من أعظم مكوناتها، وقد كان محمد الطاهر بن عاشور سابقاً حينما عقد فصلاً في كتابه عن مقاصد الشريعة، بيّن فيه أن حفظ حرية الإنسان مقصد أصلي من مقاصد الشريعة، وقال فيه: "إن

<sup>764</sup> سورة النحل، الآية: 75 .

<sup>765</sup> عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: 105.

استواء أفراد الأمة في تصرفهم في أنفسهم، مقصد أصلي من مقاصد الشريعة، وذلك هو المراد بالحرية<sup>766</sup>.

وحيثما يكون تقييد الحرية عقوبة مشروعة يقتضيها العدل قصاصاً أو دفعا للعدوان بمثله فإن الشريعة قد نظمته بأحكام منضبطة، حيث حذرت أن ينتهي الأمر إلى الإسراف فيه، ولذلك فقد عهدت الشريعة بتقييد الحرية عقاباً إلى المجتمع ممثلاً في السلطان، ولم توكله إلى الأفراد، ومن ذلك أن عقوبة الحبس على سبيل المثال لا يمكن أن ينفذها إلا وليّ دون الأفراد.

إنّ هذه التشريعات المتعدّدة المختلفة إنّما شرعت لتحقيق الحرية تأسيساً لها ودفعا للاعتداء عليها، وإنّما حظيت الحرية بمثل هذه التشريعات التي تثبت على وجه القطع أن حفظ الحرية مقصد أساسي من مقاصد الشريعة؛ لأنّ الإنسان إذا لم تُحفظ حرّيته فإنه يفقد أهم مقوم من مقومات حقيقة الإنسانية فيه، وهي الحرية التي تُميز بها عن سائر المخلوقات، وتنفد بذلك حياته الشطر الأكبر من معناها، وإذا به قد تعطلت ملكاته عن الانطلاق من أجل الفعل المنتج، وأصبح الإنسان بحكم ذلك التسلّط لا يقدر على شيء كما جاء في التعبير القرآني، فانتهى الأمر إذن إلى أن الشريعة جاءت تعمل على حفظ الحرية مقصداً شرعياً ينتهي إلى حفظ إنسانية الإنسان مقصداً أعلى، كما ينتهي إليه حفظ الفطرة، وحفظ الكرامة، وحفظ غائيّة الحياة، إذ هذه كلّها تمثّل العناصر الأساسية لمعنى تلك الإنسانية في

<sup>766</sup> طاهر ابن عاشور، مقاصد الشريعة، ص: 309 .

الإنسان، وإذا حُفِظت إنسانية الإنسان، وانضمَّ ذلك إلى حفظ دينه، فإن الأمر ينتهي إلى حفظ الحياة الإنسانية بأكملها من أجل أن تكون لها قيمتها التي أرادها لها الله تعالى<sup>767</sup>.

إن الإنسان هو رهين حريته إذ لا يمكن أن تتحقق إنسانيته بدون حريته، الحرية في الإسلام لا تعني التخلي عن المبادئ والانفلات من الآداب وارتكاب المنكرات واستباحة محارم الله، "إذ الحرية التي تبيح هذه المحظورات هي ليست بحرية، بل هي تصور خاطئ للحرية، وقد صحح الإسلام هذا التصور الخاطئ وقرر حرية الناس على أساس الحقوق والواجبات"<sup>768</sup>، وعلى هذا "فالحرية ضرورة لقيام الحياة البشرية على الأرض، وليست حقاً يمكن التنازل عنه من الفرد أو الجماعة؛ فبالحرية يستقيم معنى الحياة، وإذا كان العدوان على الحياة من صاحبها بالانتحار، أو من الآخرين بالقتل جريمة كاملة ومؤثمة، فكذلك العدوان على أي من الضرورات اللازمة لتحقيق جوهر هذه الحياة"<sup>769</sup>.

وكما أن حياة الإنسان لا تستقيم إلا بحريته، كذلك لا تستقيم إلا بحفظ كرامته؛ "فالعلاقة بين الحرية والكرامة علاقة تلازم؛ فالإنسان غير الحر لا يمكن أن يعيش كريماً، ومن فقد حريته فقد كرامته؛ لأنها تتبع من نفسه أولاً"<sup>770</sup>، "فمن خلال هذه المكانة العلية التي يتبوها الإنسان بين سائر المخلوقات تأتي رعاية لوازم حريته الشخصية وكرامته الإنسانية، فلا ينبغي لأحد أن يضيق عليه أو يحد من حريته أو ينال من كرامته، ذلك أن الإنسان ليس

<sup>767</sup> عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: 108.

<sup>768</sup> محمد عبد اللطيف صالح الفرفور الحسني، مناهج الحرية في الحضارة الإسلامية الحرية الدينية، ص: 13.

<sup>769</sup> محمد عمارة، الإسلام وحقوق الإنسان، ص: 15.

<sup>770</sup> راغب السرجاني، المشترك الإنساني: نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب، ص: 402.



جسداً مادياً فحسب، ولكنه أيضاً كيان معنوي روحي نفسي فحفظه لا يكون إلا بحفظ هذه الجوانب جميعها"<sup>771</sup>، فهو جسد حسي ملموس، وكيان معنوي مشهود، ولكل جانب حقه في الحفظ لتكتمل جميع صور العناية، وضرورات الرعايَّة لهذا الكائن المركب من الجسد والروح، فوجب صونه وفق توجيهات الشرع الحكيم الذي نظم كل شؤون حياته.

من خلال ما استعرضناه يتبين لنا أن الحرية كقيمة للبعد الاستخلافي؛ قيمة مهمة وغاية عظيمة، لأن قيمة الحرية من القيم الإنسانية لا يمكن للإنسان أن يستغني عنها، الحرية مطلب إنساني مهم، وضرورة ملحة، وقيمة نفسية، "وحق ثمين من حقوق الإنسان، وهي ليست مجرد أمر ثانوي لدى الإنسان، فلا تكتمل إنسانية الإنسان إلا بالحرية، لأن الإنسان بدونها يتحول إلى كائن آخر مسير كما هو حال بقية مخلوقات الله تعالى من الحيوان والنبات والجماد"<sup>772</sup>، وبه يمكن أن نفسر؛ حيِّز الحرية في القرآن الكريم باعتباره حيِّزا كبيرا يتجاوز مائيتي آية، وهو حيِّز مساوٍ وموازٍ للحيِّز الذي خصه القرآن الكريم للأحكام الشرعية كلها، كل ذلك يؤكد أن الحرية غطت مساحة كبيرة من آيات القرآن الكريم، وأن هذه التغطية القرآنية للحرية، تغطية شاملة لحرية الاعتقاد، وحرية الرأي والتعبير، وحرية الفعل والعمل، وأن القرآن الكريم ثبت وأكد على هذه القيمة من جانب الوجود، وكذلك من جانب العدم، كل ذلك يبين الأبعاد الاستخلافية من خلال مفهوم الحرية في القرآن الكريم.

<sup>771</sup> جمال الدين عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص: 143 .

<sup>772</sup> صهيب مصطفى ثاميدى، حرية المعتقد بين القرآن الكريم والفقه الإسلامي، مجلة جامعة التنمية البشرية، العدد 03، 2017م، ص: 536.

## المطلب الثاني: العدل قيمة للبعد الامتخاني

العدل من المفاهيم العالمية التي لم يختلف معناه باختلاف الزمان والمكان، "فمفهوم العدل لم يتغير تعريفه ووجوب تطبيقه باختلاف الشعوب والأمم، لأنه لا يستغنى عنه مجتمع مهما تطور، فهو ضروري لبقاء النظام في المجتمع قويا يؤدي وظيفته بحيوية واستقرار"<sup>773</sup>، "إن العدل دستور الحياة به قامت وعليه ارتكزت كل مظاهرها، وأينما وجد العدل وجدت الحياة الطيبة، وحيثما غيَّب العدل فقدت الحياة مسوغاتها ومعناها، وأصبح الموت أهناً منها، لهذا كله فقد أمر الإسلام بالعدل في كل شيء ومع كل شيء، بل إن كلمة الله في الأرض سبحانه وتعالى قامت على العدل فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾<sup>774</sup>،<sup>775</sup>.

إن العدل يكتسب مفهوماً عاماً وشاملاً تتعدد مجالاته، ويقوم على أساسان رئيسيين هما، الأول؛ العدالة النفسية التي تعني أن يقدر الإنسان لنفسه من الحقوق بمقدار ما يُقدر لغيره، ولا يُؤثر نفسه دون الناس بالحق، بل قد يفرض عليها زيادة في الواجب، لا في الحقوق، وهذه العدالة النفسية يجب الاتصال المستمر بها، ويجب تقوية بناء المجتمع عليها، والأساس الثاني هي التي تُنظِّمها الدولة، وهو تنظيم يقف عند حد الظاهر، ولا يمكن أن يُنفذ كاملاً إلا إذا كان قائماً على العدالة النفسية عند الحاكم والمحكوم على سواء.

<sup>773</sup> محمد أحمد مصطفى الكرنز، العدالة: تعريفها مكانتها في الشريعة الإسلامية وأهم أنواعها، بدون طبعة وتاريخ، ص: 03.

<sup>774</sup> سورة الأنعام، الآية: 115.

<sup>775</sup> محمود عيدان أحمد، العدل في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، مجلة العلوم الإسلامية، العدد 08، 1432هـ، ص 01.

إنَّ إقامة مجتمع متماسك تسود بين أفرادهِ الأخوة والتآلف والمودة والرَّحمة، وتتعدم فيه الجريمة، ويسعى كل فرد منه لتحقيق الخير والمساواة وكفِّ الشرِّ عنه من الأهمية بمكان، إذ إنَّ المجتمع المتكاتف والمتعاون مادياً ومعنوياً والمتصف بالخيريَّة، والذي يمتلك مناعة قوية ضدَّ كل ما يزعزع استقراره، ويشقِّ صفه، ويثير الصراعات الأهليَّة فيه هو المؤهل لقيادة الأمم الأخرى نحو الفضيلة والقيم النبيلة، والقادر على دعوتهم إلى السَّلم والسَّعادة والرِّخاء، ولا يتم ذلك إلا بتبني العدالة المجتمعية التي لا تعرف المحاباة ولا تختص بأحد دون آخر، ولا فئة دون غيرها.

إذا فقد العدل؛ تُسلب كرامة الإنسان، ويهدر حقه في التفكير والرأي والعبادة ويحطم كيانه الإنساني، لأن الحق والعدل إذا غابا غاب مع غيابهما كل حق للإنسان في هذه الحياة، وتصبح الحياة تعيسة لا تطاق ويصبح باطن الأرض خيراً من ظاهرها، فالإنسان الذي كرمه الله تعالى، وشرفه بعبادته وحده وجعله سيداً في هذا الكون لا سلطان لأحد عليه إلا سلطان شرع الله الذي لا يظلم معه أحد، وبدونه تسلب منه كل مقوماته، ويستعبد لغير الله تعالى<sup>776</sup>، العدل يمثل نموذجاً مطلقاً محددًا سلفاً، ومطلوب من الإنسان السعي حتى يقترب من هذا النموذج.

قيمة العدل في بعده الاستخلافي، باعتباره مطلق ورباني غرس الله محبته في نفوس أصحاب الفطرة السوية والعقول الراجحة الذكية التي تنبذ الظلم والجور والتعسف، وهو بهذا

<sup>776</sup> عبد الوهاب بن لطف الديلمي، منهج الكتاب والسنة في الدعوة إلى إقامة العدل، ص: 41 .

له معنى محدود غير قابل للتبديل أو التعديل، وله أيضاً قواعد وشروط محدودة"<sup>777</sup>، تتجلى في شعور كامن في أعماق النفس، ويكشف عند العقل السليم، ويوصي به الضمير المستتير لإعطاء كل ذي حق حقه، ولكن مع هذا "فالعدالة لا تقتصر على مجرد الامتناع عن إيقاع الضرر بالغير وعلى إعطاء كل ذي حق حقه، وإنما تتطوي فوق كل ذلك على شيء أعمق وأبعد وهو التوازن بين المصالح المتعارضة بغية توفير النظام الضروري لسكينة المجتمع الإنساني وتقدمه"<sup>778</sup>.

إن إقامة العدل مطلب إنساني واستخلافي، يتجلى من خلال أن الحياة لا تستقيم لأحد إلا بإقامة العدل، وقد ربط الله سبحانه ذلك بإنزال الكتب الإلهية، والآيات الباهرة، وكلها تتآلف على غاية واحدة، هي إقامة العدل، لأن الظلم من أقبح الأمور التي اتفقت الشرائع على تحريمها"<sup>779</sup>، إن من أهم صور العدل التي ينبغي تحققها في العصر الراهن، تحقيق العدل الإنساني في بعده الاستخلافي، فالعدل نور لصحابه في الدنيا والآخرة، والظلم ظلمات يوم القيامة.

إن العدل هو ميزان الله في الأرض الذي يؤخذ به للضعيف من القوي، وللمُحِق من المبطل، "والعدل إعطاء كل ذي حق حقه، وهو المساواة بين الناس جميعاً في إعطاء الحقوق والمساواة في المكافأة، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، والعدل هو الذي يتبع أمر الله،

<sup>777</sup> علي محمد محمد الصلابي، العدالة من المنظور الإسلامي، ص: 08.

<sup>778</sup> أبو بكر علي، العدالة مفهومها ومنطلقاتها، ص: 32.

<sup>779</sup> عبد الوهاب بن لطف الدبلي، منهج الكتاب والسنة في الدعوة إلى إقامة العدل، ص: 07.

بوضع كل شيء في موضعه دون إفراط أو تفريط، أي: القسط في الشيء وأداء حقوق الله وحقوق العباد<sup>780</sup>.

قامت جميع الشرائع السماوية على العدل والقسط، فالعدالة شريعة كل الأنبياء والمرسلين، وفي الشريعة الخاتمة تتخذ صورة أكبر، فكان تصرف الإنسان أن ينبني على العدل، "والشرائع السماوية كلها تشترك في مبدأ، بالعدل قامت السماوات والأرض، وبه تستقيم أمور الحياة وبالظلم تنهار الحضارات والأمم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾<sup>781,782</sup>.

فمن جهة النصوص المرجعية، "يعدُّ العدل في القرآن أحد القيم المركزية الإيجابية، فهو يردُّ في الخطاب القرآني في سياقات متنوعة تدور في مجملها على محورين: الأول: الأمر العام به، وكونه صفة لفعل الله عز وجل وأقواله وشرائعه وكتبه المنزلة، وما يدخل في ذلك من مسائل المبدأ والمعاد ومسائل النبوات وآيات الأنبياء والثواب والعقاب، وأنه المقصد من بعث الرسل وإنزال الكتب، المحور الثاني: الأمر التفضيلي بالعدل في الحكم بين الناس، والشهادة لله، وعند الخصومة، وفي القضاء، وفي الشهود، وفي القيام بشؤون اليتامى، وبين الزوجات وفي كتابة الدين إلى غير ذلك"<sup>783</sup>.

<sup>780</sup> علي محمد محمد الصلابي، العدالة من المنظور الإسلامي، ص: 07.

<sup>781</sup> سورة النحل، الآية: 90 .

<sup>782</sup> نور الدين قراط بن حمادي، التعايش الإنساني في التصور الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط01، 1440هـ، 2019م، ص: 83.

<sup>783</sup> معتز الخطيب، العدل في التفكير الإسلامي: المفاهيم والسياقات، مجلة التفاهم، السنة الثالثة عشرة، العدد 47، 1436هـ، 2015م، ص: 12.

تنوعت أساليب القرآن الكريم في التوجيه إلى العدل فالتأمل في كتاب الله تعالى يجد أنه تارة يوجه إلى العدل بذكر قيام الله جل وعلا بالقسط مما يدعو إلى القيام بأوامره، والانتهاز عن نواهيه، التي تحقق العدل والإنصاف طمعاً في الثواب، وخوفاً من العقاب، وتارة بتحريم الظلم، والنهي عنه وذمه، وبيان ما يترتب عليه من العواقب الوخيمة، والمفاسد العظيمة في الدنيا والآخرة، وتارة بالدعوة الأكيدة للظالمين إلى التوبة الصادقة، وترغيبهم فيها؛ لتركوا ما هم فيه من الظلم والعدوان، ويعودوا إلى دائرة العدل والإنصاف، وتارة بذكر الوعيد الشديد على الظلم وانتقام الله تعالى من أهل الظلم والإجرام، كل هذه أساليب ربانية كريمة تهدف إلى تحقيق العدل وإقامة الحياة على دعائمه، وتطهير المجتمعات من الظلم والفساد، وقد أدان الرسول صلى الله عليه وسلم الظلم بصورة واضحة، وساوى بينه والظلمات في يوم القيامة؛ وظلمات يوم القيامة ليست سوى انعكاس لما يقترفه الإنسان من ظلمات في هذه الدنيا عن طريق الظلم، وهذه الظلمات كفيلة بإحباط كل الجهود الرامية إلى تحقيق إنسانية الإنسان، وجدير بأن تؤدي في النهاية إلى عدم الرضا والتوترات والصراعات والانهيال.

إن تحقيق العدل بين الناس في الحكم مصدقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾<sup>784</sup>، فيها إشارة تتجلى منها "النظرة القرآنية لإنسانية الإنسان ورفيها، إن

<sup>784</sup> سورة النساء، الآية : 58.

المطالع لجلّ الدساتير الوضعية يلمس أنها نادت بهذا المبدأ، وربما كان ذلك في أوائل المواد التي يطرحها الدستور، ولكن الإسلام امتاز عن هذه الدساتير بخصوص هذه المسألة بأمرين اثنين: أما الأول: فهو السبق للمناداة بذلك، أما الأمر الثاني: فهو اقتران هذا النداء بالتطبيق الأمر الذي تخلو منه المجتمعات غير المحتكمة لشرع الله تعالى، ولعل الواقع خير دليل على ذلك<sup>785</sup>.

العدل مقصداً قرآنياً عاماً، ذلك أنه لا يختلف اثنان في أن صلاح المجتمع والأمة من أعظم المقاصد التي رعاها الإسلام وحثّ عليها القرآن الكريم، ولا ريب في إتيان الشريعة بالنهي عن الفساد كله، والعدل هو الذي يحقق منع الفساد، فهو مقصود لذاته ومقصود لغيره، فأما أنه مقصود لذاته فبيانه "أن القرآن والسنة متظاهران على الأمر بإيتاء كل ذي حق حقه، وعلى تحريم العدوان، وردّه إن وقع، بإعادة الحق إلى صاحبه أو بتعويضه عما لحقه من ضرر، وأما أنه مقصود لغيره فبيانه أن صلاح العالم لا يكون إلا به، وما يقتضيه المقصود الشرعي بحيث لا يتحقق إلا به، حيث يكون مقصوداً كذلك إلا إذا تناقضت أدلة الشرع، وهذا عبث ينزهه الشارع سبحانه وتعالى"<sup>786</sup>.

وأمر الناس بالعدل في كثير من الآيات، وفي مواضع مختلفة، وفي مناسبات متباينة، ليكون العدل سلوك حياة للمجتمع المسلم، مهما تعددت أجناسه، وتباينت، ليكون العدل سلوكاً، ونمطاً للمجتمع المسلم، مهما تعددت أجناسه، وتباينت أعراقه، وتفاوتت ظروفه،

<sup>785</sup> عماد عادل أبو مغلي، العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم، ص: 139.

<sup>786</sup> أحمد الريسوني، مقاصد المقاصد، الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة، ص: 122.

وتنوعت ثقافته، واختلط مع غيره؛ "لذا جعل الله سبحانه وتعالى العدل ونشره بين الناس غرضاً من أغراض بعث الرسل، فالهدف من إرسال الرسل، وتعزيزهم بآيات بينات مفصّلات، وإنزال الكتب والميزان الذي هو رمز العدل هو إقامة القسط بين الناس أقوالاً وأفعالاً، وإيفاء واستيفاء، وحقوقاً وواجبات؛ ليعيشوا عيشة كريمة هادئة مطمئنة بعيدة عن الظلم وما يرافقه من تعسف وهموم وأحزان ومنغصات"<sup>787</sup>.

لقد اشترط الله العدل في القول على الناس جميعاً، وعلى المسلمين بشكل خاص، لما في مجانبة العدل في القول من الأثر السيئ على جميع مرافق الحياة، وقد تنوعت صيغ هذا الشرط الرباني، "وتعددت ألفاظه بما يشعر بأهميته، فجاء مرة بلفظه العدل، وبصيغة الجملة الشرطية فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾"<sup>788,789</sup>.

للعدل وجوه في القرآن الكريم، وهي عبارة عن مدلولات واستعمالات جاءت في سياق الآيات وما اقتضته من معنى ومن هذه الوجوه: "العدل بمعنى الإنصاف: ومنه قوله تعالى : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾"<sup>790</sup>، أي إن خفتم ألا تتصفوا فلا تعددوا في الزوجات، ﴿وَلَنْ

<sup>787</sup> محمد على عمر شيدو، العدل وأثره في تحقيق السلم الاجتماعي: دراسة دلالية في آيات العدل، مجلة جامعة مقديشو، العدد 02، 2016م،

ص: 102.

<sup>788</sup> سورة الأنعام، الآية: 152.

<sup>789</sup> محمود عيدان أحمد، العدل في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، ص 11.

<sup>790</sup> سورة النساء، الآية: 03.



تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴿٧٩١﴾، والعدل بمعنى القيمة: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ 792 793.

العدل الإلهي في معاملة الإنسان، ومن مظاهر هذا العدل إن الله تعالى لا يظلم أحداً يوم القيامة ولو مثقال ذرة، "وقد بين الله هذا في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ 794 795، ومن مظاهر العدل الإلهي أن الله لا يؤاخذ العباد إلا بعد قيام الحجة الرسالية عليهم، برغم قيام البراهين الكونية، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ 796. منها أن الله تعالى: لا يُحْمَلُ نفساً أخرى، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ 797 798.

من خلال دراسة آيات العدل في القرآن الكريم، مستخدماً المنهج الاستقرائي التحليلي، لاستنباط صور العدل الماثورة في القرآن الكريم، من خلال دراسة سياق الآيات وتأمل تناسق فقراتها وترباطها، وتضافر دلالتها ومن ثم تحليل مضمونها، نستنتج أن: شمولية الإسلام تتجلى في حرصه على العدل، لضمان الاستقرار المجتمعي، وتتعدد صور العدل لتشمل المسلم وغيره، والأقارب والأبعد، والصديق والخصم، حيث "يرسم القرآن ميزان العدالة الذي يحاسب

791 سورة النساء، الآية: 129 .

792 سورة المائدة، الآية: 95 .

793 علي محمد محمد الصلاحي، العدالة من المنظور الإسلامي، ص: 18.

794 سورة النساء، الآية: 40 .

795 المرجع السابق، ص: 21.

796 سورة الإسراء، الآية: 15 .

797 سورة فاطر، الآية 18 .

798 علي محمد محمد الصلاحي، العدالة من المنظور الإسلامي، ص: 21.

كل فرد على ما اجترح ولا يدع المجرم يمضي ناجياً إذا ألقى جرمه على سواه، وفي الوقت ذاته يفتح باب التوبة والمغفرة على مصراعيه، ويضرب موعداً مع الله سبحانه في كل لحظة للتائبين المستغفرين الذين يطرقون الأبواب في كل حين، بل يلجونها بلا استئذان فيجدون الرحمة والغفران<sup>799</sup>.

أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالعدل المطلق الذي لا يميل ميزانه مع المودة والشنان، ولا يتأثر بالقرابة أو المصلحة أو الهوى في حال من الأحوال، العدل المنبثق من القيام لله وحده بمنجاة من سائر المؤثرات والشعور برقابة الله وعلمه بخفايا الصدور، ومن ثم فهذا النداء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾<sup>800</sup>، "والقرآن الكريم هو الذي أنبت جذور العدل في القلوب ورعاها وأوجد في الأرواح فكرة العدل في الأمة الإسلامية، سواء في الجانب الفكري أو الجانب العلمي والاجتماعي، إن القرآن الكريم هو الذي طرح مسألتى العدل والظلم بمظاهرها المتعددة"<sup>801</sup>.

للعدل مساحته الواسعة في العلاقات الإنسانية، من الكلمات والمواقف، ففي كل موقع من مواقع الحياة عدل وظلم، ولم يؤكد الإسلام على شيءٍ كما أكد على العدل، فقد اعتبره الهدف الكبير لجميع الرسالات الإلهية، وقد تحدث عنه في الكلمة العادلة التي لا تحابي

<sup>799</sup> السيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص: 756 .

<sup>800</sup> سورة المائدة، الآية 08 .

<sup>801</sup> علي محمد الصلابي، العدالة من المنظور الإسلامي، ص: 25.

أحداً حتى لو كان ذا قرى، وفي الموقف العادل، حتى إذا كان لمصلحة العدو ضد الصديق، العدل لكل إنسان، وفي أي موقف، بعيداً عن صفته الدينية وموقعه الاجتماعي، وانتمائه الجغرافي والقومي والعرقى، ذلك أن المرجع الوحيد في هذا الشأن هو الحق الذي يمتلكه صاحبه.

ومما وقف القرآن أمامه في النفس البشرية بقصد إصلاحه، هو وجود الهوى في النفس، الحامل على الجور ومجانبة العدل، فعمد إلى تهذيب النفس من ذلك الهوى، لأن القرآن يريد أن يصل بالمؤمنين به إلى حقيقة راسخة بالنفوس، وهي: أنه لا مناص من إقامة العدل، تحت كل الظروف، رغم تبدل الزمان والمكان، وأن نجات المؤمنين يوم القيامة مرتبطة بمساحة تحقيق العدل في الحياة عكسا وطردا، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾<sup>802</sup>.

القرآن الكريم دستور الأمة ومصدر تشريعها؛ لذا بين الله سبحانه فيه جُلّ المبادئ والقواعد المنظمة لحياة المجتمع الآمن، ما يبرز شمولية الإسلام وملاءمته لكل بيئة وزمان وأناس، واهتم بما يسهم في استقرار المجتمع المسلم ويعزز تماسكه، وأوله إرساء القسط وتطبيق العدالة، لأنّ العدل مفتاح السّلم المجتمعي، فعندما يسود السّلم يستقر المجتمع، وإثر

<sup>802</sup> محمود عيدان أحمد، العدل في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، ص: 18.

استقراره يسعى للتنمية، ويفكر في التطور، وعقب ازدهاره تعمّ الرفاهية، ولكي يضمن القرآن العيش الكريم للمجتمع المسلم ذكر صوراً من العدل في آيات عديدة وفي سور مختلفة<sup>803</sup>.

مما نلاحظه أن العدل من العناصر الأساسية في حياة الأمم والجماعات، لأنه يدعم المحافظة على استمرار الحياة، وترقية الشعوب وازدهارها، وتجنب الخلافات وبث المحبة والوئام والسعادة بين الأفراد والأمم ولذلك يجب المحافظة عليه، والدفاع عنه لاستمراريته وتقويته.

ولما كان الإنسان أكثر المخلوقات حيلة بما اكتسب من صفات العقل والنطق والخيال وحرية الإرادة، وغيرها من النعم التي ائتمن الله عليها، "فقد كانت صفة الظلم والعدوان فيه أقوى من غيره، ولعل هذا ما يفسر صيغة المبالغة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾<sup>804</sup>805".

وانطلاقاً من هذه المرتبة الراقية لمسألة العدل في القرآن الكريم خاصة والشريعة عامة، قرر ابن قيم الجوزية أن الشريعة "عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن دخلت فيها بالتأويل"<sup>806</sup>، "ومن كمال الشريعة الإسلامية

<sup>803</sup> محمد علي عمر شبدو، العدل وأثره في تحقيق السلم الاجتماعي: دراسة دلالية في آيات العدل، ص: 102.

<sup>804</sup> سورة إبراهيم، الآية: 34 .

<sup>805</sup> علي محمد الصلابي، العدالة من المنظور الإسلامي، ص: 85.

<sup>806</sup> ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج 03، ص: 254.

وانضباطها في أحكامها أنها عدت العدل قيمة مطلقة، وبنيت عليه أحكامها وأنظمتها<sup>807</sup>،

فالشريعة بهذا المقتضى تمتلك وحدها القدرة على بناء العدالة الإنسانية.

ولقد رسّخ الإسلام قيمة العدل بين سائر البشر، ليشمل كل طبقات المجتمع دون تمييز أو انحياز؛ لأنه أساس الملك، وطريق سعادة الأمم، وسر أمنها واستقرارها، وسبب بقائها ودوامها، غير أن الإسلام جعل إقامة العدل وتحقيقه مسئولية مشتركة بين الحاكم والرعية، من خلال التزام كل إنسان بالقيام بمسئوليته، فإن المسئولية في تحقيق العدالة تقع على كل من ولاه الله أمر مجموعة من الناس في أي مجال من المجالات.

ولكي يطبق العدل لا بد من إيجاد رابطة تربط بين الحاكم والمحكوم وهي المصلحة العامة، والروح الإنسانية، والإحساس بالهدف المشترك، وعلاقة الانتساب إلى الوطن الواحد، و"ذلك يؤدي إلى التعاون الحسن المتبادل من أجل الدفاع على المكتسبات الإنسانية المشتركة بطرق إيجابية وعادلة بين الحاكم والمحكوم كل في اختصاصه، دون تجاوز المهام المنوطة بكل عنصر من عناصر الأمة، وبذلك تصير علاقة التعامل متجهة نحو عدل الإنسان مع نفسه، يكون ذلك بعدم إيرادها موارد التهلكة، بارتكاب الفواحش والمنكرات، أو الغلو في ممارسة الشعائر والعبادات... إلخ، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾<sup>808</sup>، ومنها عدل الإنسان مع غيره، وهذا له عدة صور، منها: العدل بين المتخاصمين في القضاء، والشهادة ونحوهما، بدون تمييز أحد على حساب أحد، وبدون

<sup>807</sup> سلطان بن عبد الرحمن العميري، فضاءات الحرية: بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها وحدودها، ص: 70.

<sup>808</sup> سورة الطلاق، الآية: 01 .

محاباة لأحد دون أحد، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾<sup>809</sup>.

العدل في الإسلام لا يتأثر بحُبِّ أو بُغْضٍ، فلا يُفَرِّقُ بين حَسَبٍ وَنَسَبٍ، ولا بين جاهٍ ومالٍ، كما لا يُفَرِّقُ بين مسلم وغير مسلم، بل يتمتعُ به جميعُ المقيمين على أرضه من المسلمين وغير المسلمين، مهما كان بين هؤلاء وأولئك من مودَّةٍ أو شنانٍ، " يُعَدُّ العدل من القيم الإنسانية الأساسية التي جاء بها الإسلام، وجعلها من مُقَوِّمَاتِ الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية والسياسية، حتى جعل القرآن إقامة القسط - أي العدل - بين الناس هو هدف الرسالات السماوية كلها، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾<sup>810</sup>، وليس ثمة تنويه بقيمة القسط أو العدل أعظم من أن يكون هو المقصود الأول من إرسال الله تعالى رُسُلَهُ، وإنزاله كتبه؛ فبالعدل أُنزِلَتِ الكتب، وُبِعِثَتِ الرسل، وبالعدل قامت السموات والأرض"<sup>811</sup>.

العدل أهم مبادئ الإسلام، التي جاء القرآن بتقريرها والدعوة إليها، " وإقامة العدل أحد مقاصد القرآن العظمى التي صرح بها ونص عليها القرآن، فجعل الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب تحقيق مبدأ العدل، وجعل العدل دليلاً على التقوى، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا

<sup>809</sup> سورة النساء، الآية: 58 .

<sup>810</sup> سورة الحديد، الآية: 25 .

<sup>811</sup> يوسف القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص: 133.

يَعْظُمُ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٨١٢﴾، " فالإسلام يأمر بالعدل والإنصاف مع جميع الناس وليس مع المسلمين فقط، فإذا كان ذلك كذلك فالى أي مدى نحن مطالبون بالتعامل بالعدل فيما بيننا نحن المسلمون؟" <sup>813</sup>

الإسلام وحده هو المنهج الفريد في إقامة العدل بين الناس، "لأنَّ الإسلام يهدف من خلال تشريعاته إلى إسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة، وبالعدل تصلح شؤون الناس، وتستقيم علاقاتهم الفردية والجماعية، وتحفظ الحقوق، وتسان الأعراض والدماء، ويرتدع أرباب الظلم والجور وتنتشر الألفة والمحبة بين الناس، ويعم الأمن الاستقرار" <sup>814</sup>، "وإذا كان الإسلام قد حث على العدل بصور متعددة من الترغيب فيه والتحذير من العدول عن إقامته، والوعيد للظالم إلى غير ذلك، فإنه لا يقف عند هذا الحد، بل يُرشد إلى الفضل الذي هو أعلى درجة من العدل، فإذا كان العدل يعني الإنصاف، وإعطاء الحق لأهله دون إفراط ولا تقريط، فإن الفضل يعني: التسامح والعفو والصفح، والتنازل عن الحق الشخصي، وإلى هذا أشارت كثير من الآيات والأحاديث من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ <sup>815</sup>.

وبهذا يكون الإسلام قد قرر مبدأ العدل، وجعله الأساس في العلاقة بين الناس جميعاً، سواء علاقة الأفراد، أم الجماعات، أم الأسرة، أم الحاكم مع المحكوم، "ولذلك جاء الأمر بالعدل مطلقاً غير مقيد بحال دون حال، أو بأصناف معينة من الناس، وذلك في مثل قوله

<sup>812</sup> سورة المائدة، الآية 08 .

<sup>813</sup> محمود عيدان أحمد، العدل في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، ص: 13.

<sup>814</sup> عبد الوهاب بن لطف الديلمي، منهج الكتاب والسنة في الدعوة إلى إقامة العدل، ص: 07.

<sup>815</sup> سورة البقرة، الآية 237.

تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ  
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾<sup>816</sup> ، "إن العدل في الإسلام مطلق صرف لا يخضع  
للعواطف والأهواء والمؤثرات، ولا يتغير مهما كانت الدوافع والأسباب، فالعدل هو العدل  
والقيمة الكبيرة له في أنه نهائي في تعريفه وبعده ومرماه، ولا يسمح أن يغير الإنسان المسلم  
من طبيعته خضوعاً لعاطفة من الكره أو الحب، ولا خضوعاً لخوف أو إكراه، كما لا يسمح  
أن يأخذ العدل غير مجراه مع فلان لأنه صديق قريب، أو مع فلان لأنه عدو غريب"<sup>817</sup>،  
قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾<sup>818</sup> .

وبقدر ما أَمَرَ الإسلام بالعدل وحثَّ عليه، "حَرَّمَ الظلم أشدَّ التحريم، وقاومه أشدَّ  
المقاومة، سواء ظلم النفس أم ظلم الآخرين، وبخاصة ظلم الأتقياء للضعفاء، وظلم الأغنياء  
للفقراء، وظلم الحكَّام للمحكومين، وكلَّما اشتدَّ ضعف الإنسان كان ظلمه أشدَّ إثمًا"<sup>819</sup>،  
وحقيقة العدل في الإسلام، أنه ميزان الله على الأرض، به يُؤخَذُ للضعيف حَقُّه، ويُصَفُّ  
المظلومُ ممن ظلمه، ويُمكنُ صاحب الحقِّ من الوصول إلى حَقِّه من أقرب الطرق وأيسرها،  
وهو واحد من القيم التي تتبثق من عقيدة الإسلام في مجتمعه؛ فلجميع الناس في مجتمع  
الإسلام حَقُّ العدالة وحقُّ الاطمئنان إليها، "والخلاصة أن العدل هو من أهم مقاصد القرآن،  
وهو الغاية من إرسال الرسل والكتب، وهو المبدأ الذي لا يدخل فيه الاستثناء، ولا يخضع

<sup>816</sup> سورة النحل، الآية: 90.

<sup>817</sup> عطية عدلان، الأحكام الشرعية، ص: 105.

<sup>818</sup> سورة المائدة، الآية: 08 .

<sup>819</sup> يوسف القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص: 135.



للضرورات، فجاء الأمر به عاماً ليعم العدل في كل المجالات<sup>820</sup>، "إن قيمة العدل في الإسلام شاملة لكل ميادين الحياة كقيمة عليا أساسها التعامل في المجتمع الإسلامي في مختلف أوجه المعاملات والعلاقات، وكونه قوام الدولة ونظام الحكم فيها، وأساس ولاية القضاء وولاية المال العام وغيرها من الولايات"<sup>821</sup>.

إن فضيلة العدل من الصفات الكريمة التي دعا إليها الإسلام، فديننا الإسلامي يدعو إلى الالتزام بالعدل في شتى الأقوال والأفعال والسلوك، فالعدل هو وظيفة الرسل الكرام - عليهم الصلاة والسلام- كما أنه غاية الرسالات السماوية.

على ضوء ما سبق ذكره يمكن القول: إن من أغراض بعث الرسل إقامة القسط بين الناس أقوالاً وأفعالاً، يتجلى ذلك في أن الله أمر نبيه والمؤمنين بالعدل، وجعله شرطاً من شروط الاستخلاف، فالعدل في الإسلام يسع جميع الخلق، البشر وغير البشر، من يؤمن به ومن لا يؤمن به، حيث "ركّز القرآن على العدل في مواقف بعينها، مثل العدل في الحكم وعند القضاء، والعدل للخصم، والعدل في المعاملات، والعدل في القول، والعدل عند الإصلاح، والعدل لغير المسلم"<sup>822</sup>، وهذا ما يثبت "الأهمية البالغة للعدل، الذي يعتبر الركن الأساسي لإقامة الحياة الآمنة المطمئنة، وأنه لا غنى لأي فرد، أو أسرة، أو جماعة، أو

<sup>820</sup> وفاء بنت دخيل الله بن عابد الخطابي، مقاصد القرآن العامة، ص: 219.

<sup>821</sup> علي محمد الصلابي، العدالة من المنظور الإسلامي، ص: 26.

<sup>822</sup> محمد علي عمر شبذو، العدل وأثره في تحقيق السلم الاجتماعي: دراسة دلالية في آيات العدل، ص: 102.

دولة، من العناية به، والالتفات إليه وإعطائه المرتبة السامية التي يستحقها في سلم

الحياة"<sup>823</sup>.

ولعل أهمية تأكيد القرآن الكريم على العدل كقيمة إنسانية إستخلافية، أنه يريد للإنسان أن يعيش العدل في نفسه كإحساس وشعور، وأن يرفض التعاطف مع الظالم وإعانتة، لأنه يسعى لإدخال العدالة في التركيبة الشخصية للإنسان المسلم التقي الذي يصنعه، لذا فهو يرفض الظلم كإحساس كما يرفضه كموقف، ذلك لأن أهداف الكرامة الإنسانية واحترام الذات والأخوة والمساواة الاجتماعية وفلاح الجميع تبقى مفاهيم جوفاء ولا معنى لها إذا لم تستند إلى العدالة الاجتماعية والاقتصادية، لذا فقد جعل القرآن الكريم العدل هو الأقرب للتقوى؛ من حيث أهميته في تحقيق إنسانية الإنسان.

---

<sup>823</sup> عبد الوهاب بن لطف الديلمي، منهج الكتاب والسنة في الدعوة إلى إقامة العدل، ص: 63.

**الفصل الثاني :**  
**الأبعاد المقاصدية لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم**

إن مفهوم مقاصد الشريعة الإسلامية مفهوم واسع جداً، يستوعب كل ما تقتقر إليه الحياة البشرية من إمكانات معرفية وتسخيرية متنوعة، إن من أهم مقاصد القرآن الكريم بناء المجتمع الإسلامي الذي تختفي منه الرذائل، وتسود فيه القيم الفاضلة من خلال تحقيق إنسانية الإنسان، فالإنسانية الصالحة هي الغرض من مقاصد القرآن الكريم، وهي الإنسانية التي تتأسس على الهدى الإلهي في سبيل إصلاح الإنسان.

على ضوء ذلك عمدت في الفصل الثاني من هذا الباب؛ إلى تحليل الأبعاد المقاصدية لإنسانية الإنسان؛ وقد بينت آيات القرآن الكريم هذه الأبعاد المقاصدية مع بيان المصالح المرجوة منها والمفاسد المنهي عنها، باعتبار القرآن الكريم المصدر الأول للأبعاد المقاصدية الكلية لإنسانية الإنسان، التي جاء بها القرآن الكريم لتفسير وتأطير حركة الاستخلاف البشري في الأرض، بالشكل الذي يمكن الإنسان من فهم طبيعة الإنسانية خاصة، وحركته في الوجود الكوني عامة.

## **البحث الأول: مقصد حفظ إنسانية الإنسان في منظومة المقاصد الكلية**

إن القرآن الكريم له مقاصد كلية للإنسان والحياة والكون، وهذه المقاصد مؤطرة للضرورة الوجودية للإنسان، فمقاصد القرآن الكريم هي الكاشفة لحقائق إنسانية الإنسان، وهي المرشد إلى معانيه وقيمه، فالضروريات الخمس من حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، التي اقتصرنا في ذكرها ما يحقق الغرض من البحث في بيان حفظ الدين والنفس والعقل مما يوضح بعض معالم إنسانية الإنسان في القرآن الكريم.

## **المطلب الأول: مقصد حفظ إنسانية الإنسان وعلاقته بحفظ الدين**

إنّ واقعا المعاصر الذي أصبحت تتسع فيه دائرة بعض الفلسفات المادية الإلحادية مما نتج عنه من انتهاكات كبيرة لمعنى إنسانية الإنسان، ولقيمة هذا المعنى وعناصر تكوينه، إذ قد انتهكت فطرته بمذاهب لا ترى فيه فطرة ثابتة، وإنما الإنسان هو الذي يصنع هويته بنفسه كما في الفلسفة الوجودية، وانتهكت كرامته، فتعرض للظلم والقهر، "وانتهك معنى الغائية في حياته، فظهرت فلسفات عدمية تقوم على اعتبار الحياة الإنسانية قائمة على العبيثية، حيث انتهكت حرّيته بالاستبداد والقهر السياسي، وهكذا فإنّ الإنسان أصبح يفقد إنسانيته شيئا فشيئا بالرغم مما يدّعيه بعض المتشركين من أنّ هذا العصر هو عصر حقوق الإنسان، أي احترام إنسانية الإنسان، فهذا شعار تكشف الأحداث يوما بعد يوم عن مقدار كبير من المبالغة فيه.

ما آل إليه الوضع الإنساني اليوم من اعتداء سافر على إنسانية الإنسان، سواء على المستوى الفلسفي الثقافي، أو على المستوى العملي الواقعي، فمن الفلسفات العدمية والعبثية التي تهدر الغاية من الوجود الإنساني من أصله، إلى الوجودية التي تهدر معنى الثبات في الماهية الإنسانية وتدّعي إمكان التغيير المستمرّ فيها، "إلى التشريعات التي تلغي الفروق بين الجنسين وتشرع بناء على ذلك الزواج المثلي، إلى الهندسة الوراثية التي تسعى إلى الاستنساخ البشري، فهلا يكون من الواجب إذن أن نبرز الحفاظ على إنسانية الإنسان مقصدا شرعيا سياسيا من مقاصد الشريعة الإسلامية، نتوقف عليه الحياة الإنسانية ومعناها وقيمتها وغاية وجودها؟"<sup>824</sup>.

وإذا كان الأمر كذلك فهل لا يكون من الواجب أن يُبرز في "مقاصد الشريعة هذا المقصد الضروري منها متمثلاً في حفظ إنسانية الإنسان بعناصرها المختلفة، وأن يُجمّع في سبيل ذلك ما ورد في الشريعة من أحكام تنتهي كلّها إلى ما يثبت أن هذا المقصد هو مقصد كلّ ضروري من مقاصدها، وإقرارا لما هو ثابت في الشريعة فعلا من هذا المقصد"<sup>825</sup>.

إنّ للنفس البشرية نوازع طبيعية تنزع بها إلى إشباع الشهوات ومدافعة الضوابط التي تضبطها والحدود التي تحدّها، ولو أرسلت تلك النوازع دون ضبط لأصبح الإنسان شبيها بالحيوان في إشباع غرائزه غاية لوجوده، وفي التدافع بين أفراده ليأكل القويّ الضعيف، وإنّما جاء الدين ليضبط نوازع الإنسان ارتقاء به من حضيض الحيوانية إلى أفق الإنسانية؛ ولذلك

<sup>824</sup> عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: 85.

<sup>825</sup> المرجع السابق، ص: 52.

قال الشاطبي: "المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبداً لله اختياراً، كما هو عبد الله اضطراراً"<sup>826</sup>.

إن للشرائع السماوية مقاصد ارتضاها الله تعالى لسكان العالم المعمور، يقول الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾<sup>827</sup>، وقد جاءت هذه الشرائع الإلهية السماوية متسلسلة من آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم، متدرجة وفق تطور مدارك الإنسان حيث اكتملت مع ختم النبوة؛ قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>828</sup>، وواكب اكتمال الدين تعقل مقاصد الشريعة"<sup>829</sup>، لما تقرر أن للشريعة مقصداً عاماً هو حفظ مصالح الخلق في الدارين، كان لزاماً أن نتعرف على قصد الشارع في إيفهام المكلفين هذه الشريعة، وهي ضرورة للوجود كله لإعطائه معناه، وانسجام مكوناته وقضائيه، "وقد جاءت الشرائع السماوية كلها والشريعة الإسلامية خاصة لرفع الحرج عن الناس، ودفع الضرر عنهم، وتحقيق مصالح العباد، ولتحل لهم الطيبات وتحرم عليهم الخبائث وتضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، ولتصلح شؤونهم في العاجل والأجل، في مقدماتها ونتائجها"<sup>830</sup>.

<sup>826</sup> الشاطبي، الموافقات، ج 02، ص: 547.

<sup>827</sup> سورة المائدة، الآية: 48 .

<sup>828</sup> سورة المائدة، الآية: 03 .

<sup>829</sup> نور الدين مختار الخادمي، حقوق الإنسان مقاصد الشريعة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، ط01، 1432ع، 2011م، ص:

06.

<sup>830</sup> يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص: 02.

إن كل شريعة شرعها الله سبحانه للناس، لا بد أن تكون أحكامها المشروعة ترمي إلى مقاصد مرادة لمشرعها الحكيم سبحانه وتعالى، فهو سبحانه وتعالى لم يخلق الخلق عبثاً: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾<sup>831</sup>، وإذا كانت مقاصد الشريعة جاءت ممحصّة لما فيه خير الإنسان، وشاملة في تحقيق ذلك الخير لكل أوجه حياته وفي جميع ما يكون عليه من أوضاع، فإنه قد يحسن أن تُدرج المقاصد الكلية؛ "ضمن الرؤية الشمولية للإنسان التي جاءت بها الشريعة، فقد جاءت هذه الشريعة تقصد إلى تحقيق مصلحة الإنسان في دوائر موسعة تبتدئ بقيمة وجوده، والغاية من حياته باعتباره نوعاً، وتمر بوجوده فرداً، وبوجوده مجتمعاً، لتنتهي إلى وجوده كائناً في محيط مادّي"<sup>832</sup>.

وتهدف هذه الشريعة إلى تحقيق السعادة للإنسان في الدنيا لتحقيق خلافته في الأرض، فجاءت أحكامها لتأمين مصالحه، وهي جلب المنافع له، ودفع المضار عنه، فترشده إلى الخير، وتهديه إلى سواء السبيل، وتدله على البر، "وتأخذ بيده إلى الهدى القويم، وتكشف له المصالح الحقيقية، ثم وضعت له الأحكام الشرعية لتكون سبيلاً لتحقيق هذه المقاصد والغايات، وأنزلت عليه الأصول والفروع لإيجاد هذه الأهداف، ثم لحفظها وصيانتها، ثم لتأمينها وضمانها وعدم الاعتداء عليها"<sup>833</sup>.

831 سورة المؤمنون، الآية: 115 .

832 عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: 85.

833 مضر علي النعيمي، محمد يوسف ذو الكفل، علي علي ساجد، نظرة عامة في مقاصد الشريعة للطب الوقائي في سورة المائدة، ص: 172.



لقد جاءت الشريعة الإسلامية في أصولها وفروعها بمقاصد تشريعية عظيمة، تنظم الحياة الإنسانية في جميع مجالاتها، ليعيش المسلم في هذه الدنيا آمناً مطمئناً يعمل لدنياه وآخرته، ويعيش المجتمع المسلم أمة واحدة متماسكة كالبنيان يشد بعضه بعضاً، كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى<sup>834</sup>، "لقد عُنيَ الإسلام بالإنفس الإنسانية، ووضع لها من التشريعات ما يحقق لها جميع المصالح في جميع الأطوار من غذاء، وكساء، ومسكن، وما يمنع عنها الاعتداء بأي صورة، وشرع من العقوبات ما يكون زاجراً ورادعاً لمن يعتدي عليها"<sup>835</sup>، "البعد الإنساني يعد مهما في الشريعة الإسلامية، وقد كان حاضراً في عهد النبوة وفي وقت الصحابة والجيل الأول من أجيال الأمة الإسلامية، ويكفي أن نعرف أن تسع عشرة آية قرآنية تنادي الخلق جميعاً {يا أيها الناس}، سوى الآيات التي تنادي الإنسان {يا أيها الإنسان}<sup>836</sup>.

تعتبر إنسانية الإنسان داخل الفكر المقاصدي في المنظور القرآني، أساساً مركزياً في المرجعية الإسلامية حيث يمثل الإنسان قطبا في سؤال محوري مفاده؛ ما هي الأسس التي تحقق للإنسان إنسانيته في الرؤية المقاصدية القرآنية؟ تعود استنتاجات هذا السؤال المركزي؛ إلى مصالح معتبرة هي التي أنزلها الشارع للإنسان لتحقيق جوهر وجوده الكوني، كما يتأسس ذلك من خلال القول؛ بأن الشريعة الإسلامية نظام شامل لجميع شؤون الحياة وسلوك

<sup>834</sup> المرجع السابق، ص: 162.

<sup>835</sup> يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص: 571.

<sup>836</sup> محمد شهيد، من مقاصد القرآن في بناء الأمة الشاهدة على البشرية، مجموعة بحوث؛ مقاصد القرآن الكريم، تحرير محمد سليم العوّا، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط1، 1439هـ، 2018م، ص: 83.

الإنسان، وأحكام صالحة لجميع البشر في كل زمان ومكان؛ وسبب ذلك أن روح الشريعة الإسلامية هي جلب مصالح العباد وتكميلها، ودفع المفسد عنهم وتقليلها، في دينهم ودنياهم، حيث "يزخر بها النص القرآني باعتباره نصا متكاملا بنائيا وموضوعيا، في مفرداته ودلالاتها وتراكيبها وسياقاتها ومقاصدها"<sup>837</sup>.

لقد أفاض القرآن الكريم في بيان العلل والأحكام وبيان المصالح المرجوة والمفسد المنهي عنها، كما احتوى على أصول المقاصد من ضروريات وحاجيات وتحسينيات، بالإضافة إلى العديد من المقاصد العامة والخاصة والجزئية، فكان بذلك المصدر الأول في معرفة المقاصد والرشد إلى أنواع المصالح من أجل تحقيقها، وأنواع المفسد من أجل اجتنابها"<sup>838</sup>، وذلك مرده إلى أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتربية والإصلاح، والمعرفة والفقهاء، إذ هو المهمين على سائر المراجع التشريعية، وهو حجة الله على العالمين في الدنيا والآخرة، وهو القول الفصل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وبذلك "تمثل مقاصد القرآن الكريم المدخل السليم للتعرف بالدين الإسلامي تعريفاً صحيحاً لا يشوبه التشويه، وبيانه بيانا سليماً لا يعتريه الخلل، وتوضيحه توضيحاً كاملاً لا يرد عليه النقص أو الزلل"<sup>839</sup>.

<sup>837</sup> عبد الرحمن العضراوي، النص الشرعي وبناء مفهوم التأويل، ص: 79 .

<sup>838</sup> عبد الكريم حامدي، المدخل إلى مقاصد القرآن، مكتبة الرشد ناشرون، القاهرة، ط01، 2007م، ص : 12 .

<sup>839</sup> عبد الرحمن الكيلاني، مقاصد القرآن الكريم وأثرها في بناء المشترك الإنساني، ص: 121 .

وبناء على ذلك فإن القرآن الكريم بلا شك له مقاصد كلية في الحياة، منظومة في خريطة معرفية كلية متكاملة، "مستوعبة للرؤية الكونية المفسرة والمؤطرة للصيرورة الوجودية عامة، وللصيرورة الحضارية لحركة الاستخلاف البشري في الأرض خاصة"<sup>840</sup>، "وذلك أن منهج القرآن الكريم قد اتسم بالربط بين الأسباب ومسبباتها، والوسائل وغاياتها، في كل مناحي الحياة، وهذا الربط هو الذي أعطى المقاصد القرآنية هذه السمة البارزة، فإن العباد لم يطالبوا بما يستحيل عليهم تحصيله، وإنما طُلبوا بما في مقدورهم وما تقدر عليه نفوسهم"<sup>841</sup>.

المقاصد الكلية في القرآن الكريم هنا، معالم المنظومة السننية الكونية الكلية، "التي جاء بها القرآن الكريم لتفسير وتأطير حركة الاستخلاف البشري في الأرض، بالشكل الذي يمكن الإنسان من فهم طبيعة وحركة الوجود الكوني عامة، وطبيعة وحركة الوجود البشري فيه خاصة، ويساعده على تحقيق مهمته الوجودية بالأصالة والفعالية والكفاءة النوعية التكاملية المطلوبة من ناحية أخرى"<sup>842</sup>، باعتبار القرآن الكريم المرجعية الأم للمعرفة والحياة معا، فهو كما يقول الشاطبي: "كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره"<sup>843</sup>.

<sup>840</sup> الطيب البرغوث، المدخل السنني إلى خريطة المقاصد الكلية في القرآن الكريم، ص: 433 .

<sup>841</sup> علي البشر الفكي التجاني، مقاصد القرآن الكريم وصلاتها بالتدبير، بدون طبعة وتاريخ، ص: 16 .

<sup>842</sup> الطيب البرغوث، المدخل السنني إلى خريطة المقاصد الكلية في القرآن الكريم، ص: 433 .

<sup>843</sup> الشاطبي، الموافقات، ج1، ص: 457 .

وبناء على ذلك فإن القرآن الكريم بلا شك له مقاصد كلية للإنسان والحياة والكون، وهذه المقاصد؛ مؤطرة للصيرورة الوجودية عامة والاستخلاف البشري في الأرض خاصة، فإن واقعية مقاصد القرآن الكريم، تستوحي أصولها من المجالات الثلاثة التي يدور عليها النظام الإنساني، في العقيدة والتشريع والأخلاق، "ولذلك كان هو أساس قوة الإسلام وانتشاره، لأنه تحقيق ما يتناسب مع جميع الخلق، وذلك لرسوخ اعتداله، واستقامة منهجه، وتلبيته لحوائج كل البشر، ومعالجته لجميع مشكلاتهم، بشتى صورها، فلا غرو أن ينعقد التدبر على مثل هذا المفهوم، وينطلق منه لتجلية حقائق القرآن ومحاسن الإسلام، في أبهى حللها وأحسن صورها"<sup>844</sup>.

إن مفهوم المقاصد الشرعية التي أرساها القرآن مفهوم واسع جدا، يستوعب كل ما تقتقر إليه الحياة البشرية من إمكانات معرفية وتسخيرية متنوعة، لكي تتوازن وتتكامل وتعظم فعاليتها ويؤمن مصيرها الأخرى، ولذلك فإن حصر مفهوم ووظيفة "المقاصد في استنباط الأحكام الفقهية الجزئية من أداتها التفصيلية المتمحورة حول نصوص الكتاب والسنة خاصة، تضيق لدائرة المفهوم والوظيفية معا"<sup>845</sup>.

إن من أهم مقاصد القرآن الكريم؛ بناء المجتمع الإسلامي الذي تختفي منه الرذائل، وتسود فيه القيم من خلال تحقيق إنسانية الإنسان، فالإنسانية الصالحة هي الغرض من

<sup>844</sup> علي البشر الفكي التجاني، مقاصد القرآن الكريم وصلاتها بالتدبر، بدون طبعة وتاريخ، ص: 18 .

<sup>845</sup> الطيب البرغوث، حركة المداولة الحضارية وشبكة القوانين الكلية المؤثرة فيها، مجموعة بحوث؛ مقاصد القرآن الكريم، تحرير محمد سليم العوا، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط1، 1439هـ، 2018م، ص: 464 .

مقاصد الشريعة، وهي الإنسانية التي تتأسس على الهدى ليكون الشرع هاديا لها في سبيل إصلاح الوجود والعيش فيه، ولمفهوم الإنسانية الصالحة علاقة كلية بالدين، التي تعني الوحدة بين الأغراض الإنسانية والأغراض الإلهية، هذه الوحدة هي أساس استقامة الفعل الإنساني ونيل ثمار الصلاح في الدنيا والآخرة، "والإسلام بما أنه يتضمن شريعة منظمة للحياة، بل هو أوسع وأشمل شريعة تغطي بالبيان كافة مجالات الحياة، فقد جاءت شريعته تلك تهدف أيضا إلى تحقيق مقصد محدد، هو الذي أراده الله أن يكون هدفا ينتهي إليه وضع الإنسان في حياته الفردية والجماعية"<sup>846</sup>.

مقصد حفظ إنسانية الإنسان وعلاقته بحفظ الدين يتجلى في أن مقاصد القرآن الكريم هي الكاشفة لحقائق إنسانية الإنسان، وهي المرشد إلى معانيه وقيمه، وهي الهادية إلى أسراره وغاياته، والتعريف العام لإنسانية الإنسان؛ إنما يعتمد ابتداء على التصور الصحيح لمقاصد القرآن الكريم نفسه، إدراكا لغاياته ومعانيه، ومعرفة أهدافه ومراميه، وهذا يعني أنه إذا كانت المعرفة بمقاصد القرآن الكريم صحيحة وسليمة كانت معرفة إنسانية الإنسان صحيحة وسليمة، وإذا كانت المعرفة بمقاصد القرآن ضعيفة ومختلفة كانت المعرفة بإنسانية الإنسان نفسه ضعيفة ومختلفة كذلك.

القرآن الكريم يؤسس لمنظور يوحد بين المصدر الغيبي والبعد الإنساني، ليكون هذا المنظور هو القانون الإنساني الكلي الذي مفاده غائية تتحدد في قيمة الصلاح، وهو المعنى

<sup>846</sup> عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: 05.

الذي يحيل إليه المقصد القاعدي لمقاصد الشارع، إذ الشارع قد قصد من وضع الشريعة ابتداء صلاح الخلق في العاجل والآجل، ويبدو أن مسلمة الشاطبي الأساسية في أن الشارع قد قصد من وضع الشريعة ابتداء لأجل صلاح الخلق، قد أدت وظيفة تشريعية في اعتبار المصلحة دليلاً شرعياً، وفي اعتبار الشريعة علم مبني على معقولة المصلحة بوصفها القانون الذي إليه تسعى الأفعال لتحقيقها، غير أن مثل هذه المسلمة لم تنتقل إلى التشريع إلا بعدما أسست تصوراً عقدياً يفسر حركة الأفعال ويبين غايتها ويحدد منطقتها، ويدل على القانون المرجعي الذي يكفل فعل الله للصلاح لأجل عباده، وهنا تتألف مرجعية معقولة نظرية الصلاح، ولتقوم بديلاً عن خواء العدمية الذي يلف عصر الحداثة.

تتجلى هذه الفكرة بشكل أوضح، في أن المقاصد الكلية في القرآن الكريم هنا، معالم للمنظومة السننية الكونية الكلية المتكاملة، يُستمد الشمول في مقاصد القرآن الكريم من شموليته لكل مناحي الحياة؛ في الاعتقاد والتعبد والتعامل، وتتضح هذه الشمولية كذلك في مخاطبة هذا القرآن الكريم للإنسان<sup>847</sup>، حيث "خاطب عقله بالتدبر والتأمل، وخاطب قلبه بالموعظة والتذكير، وخاطب جوارحه بتعليمها ما أراد الله عزَّ وجلَّ منها، من البصر وغيضه، والسمع وكفَّه عن الحرام، وفي هذا القرآن نكَّرَ للجبال، والألسن الذاكرة، كلُّ ذلك مذكورٌ في كتاب الله عزَّ وجلَّ، فهو شاملٌ لكل شيءٍ في حياة الإنسان"<sup>848</sup>، فإذا كانت مقاصد الكتاب

<sup>847</sup> علي البشر الفكي التجاني، مقاصد القرآن الكريم وصلاتها بالتدبر، بدون طبعة وتاريخ، ص: 16 .

<sup>848</sup> طه جابر العلواني، أفلا يتدبرون القرآن، ص: 220 .

العزير بهذه المثابة في شموليتها لجميع المناحي في حياة الإنسان، فمراعاة الشمول في المقاصد القرآنية أمر مهم.

إن من أعظم نعم الله عز وجل على الإنسانية أن أنزل عليهم شرائع متضمنة مصالح أخروية آجلة، ومصالح دنيوية عاجلة، "وجعل تحقيق هذه المصالح مقاصد شرعية، فالمصالح الأخروية لا تدرك إلا بالنص عليها، وأما المصالح الدنيوية فيمكن إدراكها بالعقول والتجارب، وطلب الشارع من المكلفين المحافظة على الضرورات الخمس"<sup>849</sup>، وهي التي تقوم عليها حياة الناس الدينية والدنيوية، ويتوقف عليها وجودهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة، وإذا فقدت هذه المصالح الضرورية اختل نظام الحياة، وفسدت مصالح الناس، وعمت فيهم الفوضى، وتعرض وجودهم للخطر والدمار والضياع والانهيار، وضاع النعيم في الآخرة، وحل العقاب"<sup>850</sup>، وهذه المصالح الضرورية هي الأساس لإنسانية الإنسان، وهي السند لها، والركيزة التي تعتمد عليها، والكوكب الذي تشع منه، وبذلك تتضح معالم المقاصد الأساسية لإنسانية الإنسان.

لقد جاء الإسلام بالمحافظة على الضروريات الخمس، وهي: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسب؛ لأنه لا بد منها في قيام إنسانية الإنسان، ولا تستقيم الحياة إلا بها، فإذا اختلت آلت إنسانية الإنسان إلى فساد وتلاش، المقاصد الضرورية الخمسة متفاوتة في

<sup>849</sup> توفيق عبد الرحمن سالم العكايلة، أثر مراتب المقاصد الثلاثة في استنباط الأحكام الشرعية، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد السادس والعشرون، العدد الخامس، 2011م، ص: 125 .

<sup>850</sup> محمد الزحيلي، مقاصد الشريعة أساس لحقوق الإنسان، ص: 79 .

الترتيب فيما بينها، فقد رتبها الغزالي ومن وافقه من الأصوليين على الشكل التالي يقول رحمه الله: " ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم"<sup>851</sup>، وقد اعتبر الإمام الشاطبي أن حفظ هذه الضرورات من المقاصد الأصلية للشرعية الإسلامية، ولكل الشرائع التي سبقتها، حيث قسم مقاصد الشريعة إلى مقاصد أصلية ومقاصد تابعة، وعرف المقاصد الأصلية بأنها " الضروريات المعتمدة في كل ملة"<sup>852</sup>.

تجتمع المقاصد الضرورية في الدين والنفس والعقل والمال والنسل، وهي كلها مقاصد مرتبطة بالدين وتستمد شرعيتها منه، وهي مقاصد قائمة على حفظ الدين، والدين هو أساس الأمر والنهي وهو مرتكز على كل القيم الإنسانية، "وبما أنّ الدين هو قوام الحياة من حيث إنه هو الذي يوجّهها نحو غايتها، وهي غاية وجود الإنسان، فإن حفظ الدين كان هو المقصد الأعلى ضمن درجات المقاصد العامّة؛ ولذلك فإن علماء المقاصد حينما يذكرون المقاصد الضرورية، وهي كليات المقاصد الشرعية نجدهم يضعون حفظ الدين في المرتبة العليا منها، ويأتي بعده حفظ النفس والعقل والمال والنسل، وفي ذلك إشارة إلى أنّ حفظ الدين هو الدرجة الأعلى في سلم الكليات الضرورية"<sup>853</sup>.

<sup>851</sup> أبو حامد الغزالي، شفاء الغليل، ص: 160 .

<sup>852</sup> الشاطبي، الموافقات، ج 01، ص: 176.

<sup>853</sup> عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: 66.



إن أهمية القرآن الكريم باعتباره المصدر الأساسي للتشريع، في إدراك مقاصد الشريعة الإسلامية؛ يثبت لنا "أن الله عز وجل إنما أنزل القرآن لتحقيق مصالح الناس في الدين والدنيا"<sup>854</sup>، فكل ما جاءت به الشريعة الإسلامية من أحكام إنما شرع لمصالح الناس، فما من شيء أمر به الشرع إلا وبه مصلحة، وما من شيء نهى عنه إلا وفيه مضرة ومفسدة، ثم إن المصلحة ليست مجرد جلب منفعة ودفع مضرة، وإنما هي: "المحافظة على مقصود الشرع ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول، فهو مفسدة، ودفعها مصلحة"<sup>855</sup>، "ولقد جاء الإسلام والشرائع السماوية قاطبة بالأمر بالمحافظة على الضروريات الخمس وصيانتها لأن بها صلاح المجتمعات"<sup>856</sup>.

فالإسلام منهج حياة ينظم للإنسان "علاقاته مع ربه، ومع نفسه، ومع المسلمين، ومع الناس أجمعين، ويحدد له إجمالاً كيف يعيش في هذا الكون الفسيح بسلام"<sup>857</sup>، أكمل الله بدين الإسلام كل الأديان، وختم كل كتبه بما أنزله رسوله على محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم، ورضي للناس كلهم هذا الدين، ولم يقبل دينا سواه من أحد من الإنس

<sup>854</sup> صالح بوبشيش، التفسير المقاصدي عند الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ص: 45 .

<sup>855</sup> أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ج1، ص: 416-417 .

<sup>856</sup> رابعة بنت ناصر السيارى، الأمن الداخلي في ضوء مقاصد الشريعة والقضايا المعاصرة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ط01،

1432هـ، 2011م، ص: 111 .

<sup>857</sup> عمر سالم الخطيب، تقييم كتب الثقافة الإسلامية للمرحلة الثانوية في الأردن في ضوء الأهداف التي تحقق الضرورات الخمس، مجلة جامعة الملك

سعود، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، العدد 03، 1433هـ، 2012م، ص: 934.

والجن ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾<sup>858</sup>، ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾<sup>859</sup>، ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>860</sup>.

فالإسلام دين شامل لكل جوانب الحياة، هو عصب الحياة والوئد الذي يجتمع عليه أمر الإنسان، جاء لينظم للناس أمور حياتهم، بما يعود عليهم بالخير في دنياهم وآخرتهم، وليكفل لهم حياة الأمن والاستقرار، ويحقق لهم الحياة الكريمة السعيدة بعيدا عن حياة التعب والشقاء، "فجاءت الشريعة الإسلامية بمقاصد لها أحكاما خاصة، وقواعد عامة، تهدف من خلالها إلى المحافظة على الدين والنفوس والعرض والعقل والمال"<sup>861</sup>، فكان لها أهمية كبرى والدور العظيم في تحقيق مقصد إنسانية الإنسان.

الدين الذي قصدت الشريعة المحافظة عليه والذي يعتبر ضرورياً للحياة هو الدين الصحيح، دين الإسلام، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾<sup>862</sup>، قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>863</sup>، وهذا المقصد معناه المحافظة على الدين الإسلامي والعمل على صيانتته وسلامته بالعمل على فهمه

<sup>858</sup> سورة المائدة، الآية: 03 .

<sup>859</sup> سورة آل عمران، الآية: 19 .

<sup>860</sup> سورة آل عمران، الآية: 85 .

<sup>861</sup> مضر علي النعيمي، محمد يوسف ذو الكفل، علي ساجد، نظرة عامة في مقاصد الشريعة للطب الوقائي في سورة المائدة، ص: 162.

<sup>862</sup> سورة آل عمران، الآية: 19 .

<sup>863</sup> سورة آل عمران، الآية: 85 .

وتطبيقه ونشره وبثه واقعا في النفوس وواقعا في الحياة، وبالعامل على مواجهة ومحاربة ما يرد لمنع وجوده وانتشاره والاحتكام إليه والتعويل عليه، "إن الدين بمعنى الوحي ضروري لهداية العقول، وإن الدين بمعنى الإيمان بالله ضروري لحياة الإنسان الفردية لإيجاد النفس المطمئنة المستقرة البعيدة عن الجزع والاضطراب والقلق فضلاً عن الانهيار العصبي أو التخلص من الحياة بالانتحار، وضروري لحياة الجماعة لأنه يضمن تنفيذ التشريع بدقة، ويقضي على كل الأمراض التي تفسد علاقات المجتمع"<sup>864</sup>.

لقد جاء الإسلام لبيان أهمية الدين في الحياة حيث يلبي النزعة الإنسانية في عبادة الله، كما يمد الإنسان بالأسس الإيمانية وتجلياتها العملية، كما يقوى في نفسه من عناصر الخير والفضيلة، وما يضيف على حياته من سعادة وطمأنينة، وبذلك يعتبر "حفظ الدين أكبر الكليات الخمس، ومعناه أركان الدين وأحكامه في الوجود الإنساني والحياة والكونية، وكذلك العمل على إبعاد ما يخالف دين الله ويعارضه، ومن أجل حفظ الدين شرع الإيمان والنطق بالشهادتين، والصلاة والزكاة والصيام والحج، وسائر الأعمال والأقوال التي تحقق الدين في النفوس والحياة، كالأذكار والقربات والوعظ والإشاد والنصح وبناء المساجد والمدارس وتبجيل العلماء والمصلحين والدعاة وغير ذلك"<sup>865</sup>.

إن الهدف الأعظم والأعم للشرعة الإسلامية هو "المحافظة على الدين باعتباره رسالة رحمة لعموم الخلق، ودعوة لهداية البشرية حيث يعتبر مبدأ التوحيد مشروع خلاص وعناية

<sup>864</sup> يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشرعة الإسلامية، ص: 226.

<sup>865</sup> نور الدين الخامي، علم المقاصد الشرعية، ص: 81 .

بالإنسان، فهو الذي يحدد هويته، ويبين وظيفته، وفوق ذلك يحفظ عليه نفسه وعقله ونسله وماله<sup>866</sup>، "فالدين الحق ضرورة لحياة الإنسان الحاضرة، وأشد ضرورة لحياته المستقبلية، ضرورة للفرد ليطمئن ويسعد ويرقى، وضرورة للمجتمع ليستقر ويتماسك ويبقى، وضرورة للإنسانية كلها، قصد المحافظة على مكتسباتها في شتى شؤون الحياة"<sup>867</sup>.

حفظ الدين مقصد من المقاصد العليا للشريعة الإسلامية، بل هو المقصد الأعلى في سلم المقاصد الكلية العامة، إذ هو متعلق بحقيقة الوجود الإنساني وقيمه على المعنى الذي شرحناه، فإذا ما تحقق هذا المقصد كان ذلك أساساً لتحقيق معنى الحياة وقيمتها، وينتهي الأمر إلى تحقق المقصد الأعلى من الشريعة وهو قيام الإنسان بمهمة الاستخلاف في الأرض، حيث "يشغل حفظ الدين المرتبة الأولى، من بين الضرورات الخمس، التي هي مقاصد الشارع ومصالح العباد، ولذلك شرع الله عز وجل الأحكام من أجل المحافظة على الدين، ومن أجل ذلك، شرع العبادات حتى يؤمن الإنسان بالله عز وجل، وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وطلب من الإنسان إخلاص العبودية لله"<sup>868</sup>.

يعد الدين في ذاته حاجة فطرية للإنسان من حيث هو إنسان، ومن هنا فهو كائن متدين، لأنه الكائن الوحيد من بين الكائنات الذي يميل إلى التدين بطبعه، فالتدين خاصية

---

<sup>866</sup> إحسان مير علي، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار الثقافة للجميع، القاهرة، ج1، 01، 1430هـ، 2009م، ص:

. 211

<sup>867</sup> المرجع السابق، ص: 222 .

<sup>868</sup> أحمد حسن الربابعة، عدنان محمد الربابعة، أسامة حسن الربابعة، دور مقاصد الشريعة في تحقيق الاقتصادية، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية،

عدد 02، 1435هـ، 2014م، ص: 27 .

من خواص الإنسان، فإذا تحدثت الشريعة الإسلامية عن ضرورة حفظ الدين وحمايته فإنها لا تتطلق من فراغ، بل تركز على نزعة إنسانية أصيلة في نفس الإنسان، وهي نزعة لا تستقيم حياة الإنسان بدونها، "إن القرآن الكريم يحدد قيمة الحياة الإنسانية على هذا النحو، فتكون مرتفعة أو نازلة في سلم القيمة بقدر ما يأخذ الدين فيها من مكانة موجهة في الفكر والسلوك، وربما ذهبت مذاهب وفلسفات أخرى إلى نقيض هذا التصور، إلا أن التاريخ يثبت يوماً بعد يوم صحة الرؤية الإسلامية من حيث دور الدين في تحديد قيمة الحياة الإنسانية"<sup>869</sup>.

إن الدين في صورته السماوية السامية نور وهداية ربانية يُعدُّ ضرورة عقلية ويلبي حاجة بشرية، ويمثل الفطرة الإنسانية، "يغدو الدين محققاً للمصالح البشرية تأسيساً وتنظيماً وتهذيباً، حيث يؤول تطبيقه إلى تحقيق أقصى سعادة ممكنة في الدارين، " وإذا كان الدين الحق بهذه المثابة من المصلحة والأهمية والضرورة لحياة النوع البشري كلّهُ؛ فلا بد من المحافظة عليه والعناية به أشدَّ ما تكون المحافظة، وهذا ما يُكوِّن قمة هرم المقاصد العامة للشريعة الإسلامية"<sup>870</sup>.

إن الدين بمعنى الأحكام المشروعة ضرورة لتوفير قواعد العدل، والمساواة بين الناس، وحفظهم من مزلق الأهواء والشهوات، وهذا فضلاً عما أعد للمؤمنين من نعيم مقيم في الدار

<sup>869</sup> عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: 62.

<sup>870</sup> إحسان مير علي، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار الثقافة للجميع، عمان، ج1، 01، 1430هـ، 2009م، ص:

الآخرة، فمصالح الدنيا وحدها كافية لضرورة الدنيا في حياة الأفراد والجماعة، "وإن العالم إن اغتر اليوم بالعلم سيعود غدا إلى الدين مهما كانت الأحوال، لأنه لن يجد ملجأ إلا تحت ظله، ولا منقداً لحياة الإنسان فرداً كان أو جماعة إلا به"<sup>871</sup>.

الدين ضرورة أساسية في حياة الإنسان، وليس هناك أمة بدون دين سواء كان هذا الدين صحيحاً أو باطلاً، لكن الدين الذي أمرنا بالمحافظة عليه هو الدين الإسلامي، الذي أرسل الله به محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، قال سبحانه ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>872</sup>، "فهو دين اليسر والسماحة والعدالة والألفة والمحبة، ودين الكمال والشمول، فكله من محاسن ومصالح"<sup>873</sup>.

جاء الدين شاملاً بالبيان لكلّ وجوه الحياة، فيما يتعلّق بالفرد والمجتمع، "فإن حفظ الدين بالمعنى الذي بيّناه يكون أيضاً شاملاً لكل تلك الوجوه، وذلك على معنى أنّ الأحكام التي جاءت لمقصد حفظ الدين جاءت تتعلّق بتيسير التدين، ودفع العوائق دونه في جميع وجوه الحياة"<sup>874</sup>، حيث تتمثل المقاصد العالية للشريعة في تحقيق عبادة الله، والخلافة عنه، وعمارة الأرض، من خلال الإيمان ومقتضياته: من العمل الصالح المحقق للسعادة في الدنيا والآخرة، والشامل للنواحي المادية والروحية، والذي يوازن بين مصالح الفرد والمجتمع، والذي

<sup>871</sup> يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص: 226 .

<sup>872</sup> سورة آل عمران، الآية: 85 .

<sup>873</sup> رابعة بنت ناصر السبياري، الأمن الداخلي في ضوء مقاصد الشريعة والقضايا المعاصرة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ط01،

1432هـ، 2011م، ص: 123 .

<sup>874</sup> عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: 65.

يجمع بين المصلحة القومية الخاصة والمصلحة الإنسانية العامة، وبين مصلحة الجيل الحاضر ومصلحة الأجيال المستقبلية، كل ذلك بالنسبة للإنسان والأسرة والأمة والإنسانية جمعاء<sup>875</sup>.

وبناء على ذلك فكم جاء التشريع الإسلامي يجعل في أعلى مقاصده حفظ الدين الذي به تتحدّد حقيقة الحياة وقيمتها، فقد جاء أيضاً يجعل في أعلى تلك المقاصد حفظ إنسانية الإنسان، إذ هي أساس التكليف بالدين: "وقد قدّم الأنبياء والرسول مثلاً علياً إنسانية واقعية، وقدوات بشرية ممتازة، ونماذج من كَمَل الناس استطاعت أن تجعل من القيم ومكارم الأخلاق، وفضائل النفوس والأحوال، وصالح الأقوال والأعمال، حقائق واقعية، وتجسيّدات مرئية للناس، لا مجرد أفكار في بعض الرؤوس أو أماني في بعض النفوس، أو نظريات في الكتب والدروس"<sup>876</sup>، وذلك لتحقيق معاني الإنسانية في الإنسان، حيث "إن إنسانية الإنسان، بما تعنيه من خصائص وامتيازات لهذا الكائن، هي أولى من غيرها بالمحافظة وبذلك يجب أن ننطلق منها في كل ما يتعلق بالإنسان"<sup>877</sup>، "وهكذا تتبين بكل وضوح من جراء هذه المعالجات الواقعية والشاملة التي جاءت بها الشريعة أن مقصودها الأعظم حفظ الدين بكل أصوله وفروعه، ولكن من أجل العناية بالإنسان ذاته أيضاً بكل شؤونه وشجونه"<sup>878</sup>.

<sup>875</sup> جمال الدين عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص: 104 .

<sup>876</sup> إحسان مير علي، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ص: 222 .

<sup>877</sup> أحمد الريسوني، إنسانية الإنسان قبل حقوق الإنسان، ص: 53 .

<sup>878</sup> إحسان مير علي، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ص: 225 .

مقصد حفظ إنسانية الإنسان يتأسس في مراعاة مقصد حفظ الدين باعتباره مصلحة ضرورية للناس، لأنه ينظم علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الإنسان بنفسه، وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان ومجتمعه، والدين الحق يعطي التصور الرشيد عن الخالق، والكون، والحياة، والإنسان، وهو مصدر الحق والعدل، والاستقامة، والرشد، الذي يمثل الحصن الذي يحفظ ويصون إنسانية الإنسان، ويدفع عنها الخلل والضياع، والارتقاء بها إلى أعلى الدرجات في سلم قيمتها.

حفظ الدين سبيل لإشباع الطباع الإنسانية إشباعاً يستوفي شروط الصلاح بما يؤلف أركان الإنسانية الأخلاقية، وهي إنسانية تتحرك في واقع يتجلى عبر جدلية الصلاح والفساد، وبالتالي فهي بحاجة إلى الدين، إذ الاستغناء عن الدين سقوط لإنسانية في شقاء العدمية، وهو شقاء يؤول بالإنسان إلى مفاصد جمة على صعيد تدبر حالة الكون، وعلى صعيد الفعل الأخلاقي الإنساني.

لذلك كان حفظ هذا الدين الضرورة الأولى التي لا حياة بدونها للبشر، وبدونه تصبح حياة ضنك وشقاء، فالدين الإسلامي رجوع للفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهو الدين الذي يحقق للإنسان إنسانيته، فترتاح به النفوس، ويغرس فيها مراقبة الله وخشيته، وذلك نتيجة تربية الإنسان وتهذيب نفسه وتطهير معتقده، وهو السبيل لمنع وقوع الانحرافات الإنسانية، فمقاصد العبادات الإسلامية كلها تربية للإنسان وتهذيب لنفسه وخلقه وروحه، بذلك يكون مقصد حفظ إنسانية الإنسان لا ينفصل عن مقصد حفظ الدين.



## المطلب الثاني: مقصد حفظ إنسانية الإنسان وعلاقته بحفظ النفس

النفس البشرية مكنون عميق ليس من السهل استجلاء كل بواطن الخفاء والتعقيد في جوانبها المحيرة والمدهشة، "ومنهج الله دائما يتعرض إلى مواجهة الإنسان بحقائق عن تكوينه النفسي، خاصة ما كان خافيا في مكنونها وأسرار انفعالاتها، وما زال الإنسان يجهل الكثير عن تركيب هذه النفس، فالنفس البشرية هبة من الله للإنسان كرمه بها"<sup>879</sup>، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّاهَا﴾<sup>880</sup>، "يتناول القرآن الكريم النفس الإنسانية من خلال نظرتة العامة للإنسان باعتباره كائنا مكرما ومفضلا على كثير من خلق الله تفضيلا"<sup>881</sup>.

لقد أوجد الله النفس البشرية لمقصد سام، وخلقها لغاية عظمى وهي عبودية الواحد الأحد الفرد الصمد، "لكي يتحقق الدين في الوجود ويطبق، لا بد من نفس تقوم به وتعمل وتتحاكم إليه، لذا كان خلق الإنسان لهذه المهمة الشريفة"<sup>882</sup>، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>883</sup>، نظرا لأن حفظ النفس البشرية تُعد أحد أهداف الشريعة الخمسة، فإن من اللازم بيان كيفية تحقيق حفظها، لأن هذا الحفظ يؤسس للمكون الأساسي في تحقيق إنسانية الإنسان؛ ولهذا الغرض لا بد من بيان حفظ النفس باعتباره مقصدا من مقاصد الشريعة

<sup>879</sup> عبد الرحمن عثمان، الإنسان الروح العقل والنفس، ص: 126.

<sup>880</sup> سورة الشمس، الآيات: 10\_09\_08\_07 .

<sup>881</sup> محمد أمين جبر، الإنسان والخلافة في الأرض، ص: 138.

<sup>882</sup> محمد بكر إسماعيل حبيب، مقاصد الشريعة تأصيلاً وتفعيلاً، سلسلة دعوة الحق، العدد 213، 1427هـ، ص: 314.

<sup>883</sup> سورة الذاريات، الآية: 56 .

الإسلامية، ليس فقط لرفع مستوى تنمية وفلاح النفس واستدامتهما، وإنما لتمكينها أيضاً من أداء الاستخلاف على الأرض بفاعلية، وهذه الحاجات التي يمكن الاصطلاح عليها بالحاجات التابعة للهدف الأساسي المتمثل في تقوية النفس البشرية، وردت الإشارة إليها على نحو صريح أو ضمني في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وفصلها الفقهاء في أعمالهم، وقد يتيح ضمان إشباع هذه الحاجات رفع المستوى الأخلاقي والبدني والعقلي، وتعزيز القدرات التقنية للأجيال الحاضرة والقادمة، من خلال تعزيز المبادئ الإنسانية في النفس البشرية.

حفظ النفس الإنسانية من الهلاك والإزهاق، ليس مختصراً فقط على الأقوال والقوانين الوضعية المكتوبة فحسب، وإنما ما يترتب على تلك القوانين من نتائج ملموسة على أرض الواقع، وذلك من خلال سن التدابير الوقائية التي تمنع حدوث جريمة الاعتداء على النفس الإنسانية قتلاً أو اعتداءً، أو تشريع العقوبات الرادعة التي تمنع أي مستهتر أو مستهين بالروح البشرية من إزهاقها أو الإضرار بها، ناهيك عن الوسائل والأدوات الأخرى الناجعة، التي تساهم في حفظ النفس الإنسانية من كل سوء أو مكروه.

وقد أجمعت الشرائع السماوية على جملة كبيرة من القيم والمبادئ الإنسانية، من أهمها: حفظ النفس البشرية، وقد وجّه الله تعالى: ﴿ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾<sup>884</sup>، "وحرّم الله قتل النفس بغير حق، أو

<sup>884</sup> سورة المائدة، الآية: 32 .

التعدي عليها بأي نوع من الاعتداء، أو التفريط في حفظها<sup>885</sup>، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا  
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ  
إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾<sup>886</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ  
قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾<sup>887</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا  
فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾<sup>888</sup>.

لا شك أنّ حفظ النفس من الأصول الكلية المعلومة من مجموع النصوص الشرعية  
الدالة على وجوب حفظها، حيث إن حفظ النفس أمر واجب ومبدأ راسخ في الإسلام، وبذلك  
"يعد مقصد حفظ النفس المقصد الأساسي الثاني من المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، فقد  
وردت نصوص كثيرة تؤكد أهميته، ولزوم الحفاظ عليه"<sup>889</sup>، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى﴾<sup>890</sup>، إن  
"حفظ النفس يكون من جانب الوجود ومن جانب العدم، فمن جانب الوجود يكون بوضع  
الضمانات لوجود الإنسان، واستمراره، وبيان المصالح والمضار له في تحصيل مطالبه وبيان  
حالات الضيق والسعة، والانتقال من العسر إلى اليسر بمقتضى ما وضع له من مبادئ

<sup>885</sup> جبريل بن محمد البصلي، حفظ النفس في الكتاب والسنة: دراسة مقاصدية، من كتاب جماعي؛ الوحي والعلوم في القرن الواحد والعشرين: مقاصد

القرآن والسنة والأنظمة والمؤسسات المالية من منظور القرآن والسنة، تحرير: محمد أبو الليث الخير آبادي، عصام التجاني محمد إبراهيم، الجامعة دار  
الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا للنشر، ط 01، 1436هـ، 2015م، ص: 146 .

<sup>886</sup> سورة الإسراء، الآية: 33 .

<sup>887</sup> سورة الإسراء، الآية: 31 .

<sup>888</sup> سورة النساء، الآية: 93 .

<sup>889</sup> صالح بوبشيش، التفسير المقاصدي عند الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، مجلة الإحياء، العدد السابع، 1424هـ، 2003م، ص: 58 .

<sup>890</sup> سورة البقرة، الآية: 178 .

وقواعد في الشريعة الإسلامية، ومن جانب العدم يكون بتجريم الاعتداء على الأنفس، والأطراف، ومشروعية القصاص في الأنفس ونحو ذلك<sup>891</sup>.

وحفظ النفس مقصدا من مقاصد الشريعة يتعلّق بمجمل الكينونة الإنسانية بعناصرها المختلفة، ومعنى هذا الحفظ هو توفير أسباب القوة للذات الإنسانية، ودفع أسباب الضعف عنها، بحيث تكون على أمثل ما يمكن من وضع لتقوم بأداء مهمّتها؛ ولذلك فقد جاءت أحكام شرعية كثيرة غايتها حفظ النفس على هذا المعنى، وهي أحكام بلغت من الكثرة والتنوّع مبلغا يفيد اليقين بأن حفظ النفس هو كلیة من کلیات الشريعة، ومقصد عامّ من مقاصد الدين، ولعلّ هذه الأحكام هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾<sup>892</sup>.

ولا تكون النفس سويّة قويّة إلا إذا نعمت بالطمأنينة والأمن، "حينئذ تسترسل قواها لتمتدّ امتدادها الطبيعي دون أن يعطلّها عامل الخوف بما يشوّش عليها سيرها، فإذا هي تتطلق مطمئنة في أداء وظائفها تفكيراً وإرادة وقدرة على التنفيذ؛ ولذلك فإن القرآن الكريم يقترن فيه الخوف غالبا بحال الاضطراب والوهن النفسي كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾<sup>893</sup>، كما يقترن فيه الأمن

<sup>891</sup> الشاطبي، الموافقات، ج 02، ص: 08 .

<sup>892</sup> سورة البقرة، الآية: 195 .

<sup>893</sup> سورة الأحزاب، الآية: 19 .

بحال القوة وحسن الأداء كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ

خَوْفٍ﴾<sup>894</sup>.

وعليه يكون حفظ النفس "بتوفير الأمن لتوقي الاعتداء عليها، وتحريم قتل الغير والاعتداء عليه، والانتحار، وإنزال عقوبة القصاص على المعتدي عمداً، والدية للمعتدي خطأ زجراً له ولغيره عن الاعتداء"<sup>895</sup>، "وتوفير كفاية النفس مما يحتاجه الجسد من طعام وشراب ( والأخذ بالرخص للمضطر)، ولباس، ومسكن، ووقاية من الأمراض السارية والمخاطر التي تؤدي بالنفس كالحريق والغرق، والتسمم وحوادث السيارات، والآلات والكهرباء، والإشعاعات بأنواعها المختلفة، وعلاج ما يصيبه من أمراض وحوادث، وهذه كلها من الوسائل التي لا يتم حفظ النفس إلا بها فتأخذ حكم المقصد الضروري"<sup>896</sup>، ومن تلك المسالك في حفظ النفس كذلك "منع الأسباب التي تلحق بها الضرر من الأشربة والأطعمة، فأیما طعام أو شراب يلحق الأذى بالجسم الإنساني فإنّ الشريعة جاءت بتحريمه، وهو مقتضى قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾<sup>897</sup>، والخبائث هي كل ما فيه ضرر للإنسان مثل الخمر والميتة والخنزير وما شابهها، ممّا يثبت معه أنه يلحق الضرر بالصحة الجسمية

<sup>894</sup> سورة قريش، الآية: 04 .

<sup>895</sup> جمال الدين عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص: 143.

<sup>896</sup> المرجع السابق، ص: 143.

<sup>897</sup> سورة الأعراف، الآية: 157.

أو النفسية، وقد جاءت الشريعة الإسلامية تحرم هذه الخبائث مسلكا من المسالك التي بها يكون حفظ النفس<sup>898</sup>.

ومما يكمل هذا المقصد - مقصد حفظ النفس - توفير الحرية الشخصية والكرامة للإنسان تحقيقاً لمعنى إنسانية الإنسان التي "اختص الله بها الإنسان تمييزاً له عن الحيوان الذي يحتاج لحياته كالإنسان إلى الطعام والشراب"<sup>899</sup>، "ذلك أن الإنسان ليس جسداً مادياً فحسب، ولكنه أيضاً كيان معنوي روحي نفسي، فحفظه لا يكون إلا بحفظ هذه الجوانب جميعها، فتأخذ حكم المقصد الضروري كذلك"<sup>900</sup>.

لما كان مدلول النفس في هذا المقام هو حقيقة الذات الإنسانية، وحقيقة هذه الذات تشمل عنصراً مادياً هو الجسم، وعنصراً معنوياً هو الروح، فإنّ حفظ النفس الذي جاء مقصداً شرعياً من شأنه أن يكون متّجهاً إليهما معاً، فحفظ النفس إنّما هو كما أشرنا إليه من أجل كفاءة الأداء لمهمة الخلافة، وهذا الأداء لا يكون بالجسم وحده أو بالروح وحدها، وإنما يكون بكيونة الذات الإنسانية المكوّنة منهما، فحفظ النفس يكون إذن بحفظ مادّي وبحفظ معنوي، وقد جاءت أحكام الشريعة التي مقصدها حفظ النفس موزعة بين هذين النوعين من الحفظ<sup>901</sup>.

<sup>898</sup> عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: 119.

<sup>899</sup> طاهر ابن عاشور، مقاصد الشريعة، ص: 130.

<sup>900</sup> جمال الدين عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص: 143.

<sup>901</sup> عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: 115.

إنّ النفس التي نحن بصدد البحث في حفظها هي كما أشرنا إليه سابقا تتكون من جسم وروح، وكما أن للجسم أسباب يكون بها ضعفه ووهنه وهلاكه، وأسباب تكون بها نقائص ذلك، فإن للروح أيضا أسبابا بها تقوى وأخرى بها تضعف، وكما أنّ لضعف الأجسام ووهنها أثره في قصورها عن أداء الإنسان لمهمّة التعمير، فجاءت الشريعة تحفظه بأسباب القوّة التي فصلنا بعضا منها آنفا، "فإنّ لضعف الأرواح أثره في القصور عن أداء تلك المهمّة، وهو ما اقتضى أن تأتي الشريعة أيضا بأحكام تقصد إلى حفظ الأرواح بأسباب تقويها، وهي أسباب تختلف عن الأسباب التي تحفظ النفوس من الناحية المادّية لاختلاف الطبيعة بين العنصرين، فللجسم أسباب حفظه المادّية، وللروح أسباب حفظها المعنوية"<sup>902</sup>.

وبناء عليه؛ يستطيع المنظور الديني في التصور الإسلامي القيام بذلك من خلال جعل الحياة ذات معنى وغرض، وتصويب الجهد الإنساني نحو الوجهة الصحيحة، وتحويل الأفراد إلى صنف أفضل من البشر عبر تغيير سلوكهم، وأنماط حياتهم، وأذواقهم، وخياراتهم، ومواقفهم عبر تغيير سلوكهم إلى الأفضل.

وإذا كان حفظ النفس بأسباب البقاء والقوّة مكفولا بواجب مترتب على الإنسانية كلّها إزاء كل نفس بشرية، فإنه قبل ذلك هو واجب مترتب على كلّ نفس في حق ذاتها، فقد جاءت أحكام شرعية كثيرة تؤكد هذا الواجب، فمن الواجبات الشرعية على كل إنسان في حق نفسه أن يتعاطى من المأكل والمشرب والملبس والمسكن ما يحفظ وجوده على الوجه الذي

<sup>902</sup> المرجع السابق، ص: 121 .

يكون به قوياً لأداء مهامه في الحياة، وكل تقصير في ذلك يؤدي إلى خلل في ذلك الأداء بيوء صاحبه بإثمه، وليس للإنسان في ميزان الإسلام أن يعدّب نفسه بقطع أو بجرح أو بتجويع أو بغير ذلك، وليس له أن يضع حدّاً لحياته بالقتل كما هو عند كثير من المذاهب والفلسفات، بل تلك في شريعة الإسلام جريمة من أكبر الكبائر، القرآن الكريم كتاب أنزله الله سبحانه لهداية النفس البشرية، فهو يخاطب النفس ويوجهها، وفي سبيل هذا التوجيه يكشف للإنسان عن بعض أسرار نفسه وخصائصها وصفاتها المحمودة والمذمومة.

لقد أودع الله سبحانه في النفس الإنسانية خصائص القدرة على إدراك الخير والشر والتمييز بينهما، والاستعداد لهما<sup>903</sup>، ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾<sup>904</sup>، وقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح، ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ أي: أخفى نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعها وإخفائها، بالتدنيس بالردائل، والذنو من العيوب، والافتراق للذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها<sup>905</sup>، "فالله منح الإنسان هذه القوة الواعية القادرة على الاختيار والتوجيه، والاستعدادات الفطرية القابلة للنمو في حقل الخير وفي حقل الشر سواء، فهي حرية تقابلها تبعية، وقدرة يقابلها تكليف، ومنحة يقابلها واجب"<sup>906</sup>، قال عز وجل: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾<sup>907</sup>، "حيث هداه سبحانه وبين له تعالى

<sup>903</sup> أنس أحمد كرزون، منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، ص: 28 .

<sup>904</sup> سورة الشمس، الآيتان: 08\_07 .

<sup>905</sup> عبد الرحمان بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج 01، ص: 926 .

<sup>906</sup> السيد قطب، في ظلال القرآن، ج 08، ص: 48 .



شأنه إن سلكه نجا إن سلكه غيره هلك ولا يتوقف الامتتان على سلوك طريق الخير<sup>908</sup>، قال سبحانه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾<sup>909</sup> وهو دليل حصول المعرفة بالطريقين، طريق الشكر وطريق الكفر<sup>910</sup>.

إن هذه الآيات الكريمة تشير إلى أن طبيعة الإنسان قابلة للخير والشر، وأنه مزود باستعدادات لعملها، وقادر على التمييز بينهما، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر، وهو مسئول ومحاسب بما منحه الله من عقل فيه القوة الواعية القادرة على الاختيار والتوجيه<sup>911</sup>، ولذلك اتصفت النفس بأن لها أحوالاً، فهي تارة تسول وتوسوس وتغوي، وتارة تلوم صاحبها على فعل الشر وتأمره بالخير، وتارة تكون في حالة بين هذا وذاك.

غير أن المهم هنا بيان الطبيعة الإنسانية التي تجعله يميل أحياناً لشهوات الجسد، وينطلق أحياناً من هذه السيطرة مستجيباً لنداء الروح "فيعود إلى فطرته الحقّة، ووضعه الطبيعي الذي ميّزه الله به على سائر المخلوقات"<sup>912</sup>.

ولو شاء الله سبحانه لجعل لجميع النفوس طريقاً واحداً، وهو طريق الهدى، "لكن إرادة الله اقتضت أن لا يكون الإنسان مجبوراً على فعل شيء بل جعل فيه طبيعة خاصة يملك

<sup>907</sup> سورة البلد، الآية: 10 .

<sup>908</sup> شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج22، ص: 449 .

<sup>909</sup> سورة الإنسان، الآية: 03 .

<sup>910</sup> الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، ص: 434 .

<sup>911</sup> السيد قطب، في ظلال القرآن، ج 2، ص: 793، بتصرف .

<sup>912</sup> أنس أحمد كرزون، منهج الإسلام في تركية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، ص: 28 .

معها الهدى والضلال، ويؤدي دوره في هذا الكون بهذه الطبيعة الخاصة التي فطره الله عليها<sup>913</sup>، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾<sup>914</sup>.

لقد جاءت نصوص الكتاب والسنة بتحريم الاعتداء على النفس، وعدّ ذلك من كبائر الذنوب، إذ ليس بعد الإشراف بالله ذنب أعظم من القتل، "وقد توعد الله سبحانه وتعالى النفس بالعقاب العظيم، والعذاب الشديد في الآخرة"<sup>915</sup>، فمن النصوص التي ورد فيها تحريم الاعتداء على النفس: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾<sup>916</sup>، وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>917</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾<sup>918</sup>، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾<sup>919</sup>، وقوله صلى الله عليه وسلم: " لا يحل دم امرئ مسلم يشهد

<sup>913</sup> السيد قطب، في ظلال القرآن، ج 5، ص: 2811 .

<sup>914</sup> سورة السجدة، الآية: 13 .

<sup>915</sup> محمد سعيد أحمد بن مسعود البيوي، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1418هـ،

1998م، ص: 212.

<sup>916</sup> سورة النساء، الآية: 93 .

<sup>917</sup> سورة الأنعام، الآية: 151 .

<sup>918</sup> سورة الإسراء، الآية: 33 .

<sup>919</sup> سورة الفرقان، الآية: 68 .

أن لا إله إلا الله وإني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة"<sup>920</sup>، وقوله صلى الله عليه وسلم: " أكبر الكبائر الإشراك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقول الزور"<sup>921</sup>.

لذا جاء الإسلام بالمحافظة على الأنفس تعظيماً لها، ولم يبح إهدارها إلا إذا هي أصرت على أن لا تكرم أو تصان، بالإصرار على الشرك والمحاربة، أو العودة إليه بعد الإسلام ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾<sup>922</sup>.

كما حرص الإسلام على حفظ النفس من خلال إباحته للمسلم جميع أنواع المعاملات الخالية من الإضرار، كالبيع والقرض والإجارة والشركة والوكالة والوصايا والهبات وغيرها، وأباح له تناول جميع أنواع الحلال الطيب ما لم يثبت إضراراً به، وحرّم عليه الميتة والدم ولحم الخنزير ونحو ذلك مما حرم تحريماً صريحاً واضحاً بأدلة شرعية، كما حفظ النفس بتخفيف الله عليه ببعض الرخص الشرعية دفعاً للمشقة كإبدال الوضوء والغسل بالتيمم، والقيام في الصلاة بالعقود، والصيام بالإطعام، وتأخير صوم المسافر والمريض وغير ذلك.

وفي سبيل حفظ النفس أجازت الشريعة الإسلامية الترخّص لاقتراف بعض المحرّمات لمن غلب ظنّه أن حياته تتوقّف عليها، كما أجازت الشريعة في سبيل ذلك الترخّص في بعض العبادات الأساسية، مثل الترخيص في التيمّم لمن يخاف المرض أو زيادته باستعمال

<sup>920</sup> صحيح البخاري، باب قول الله تعالى، ج 06، ص: 2521، رقم الحديث: 6484 .

<sup>921</sup> صحيح البخاري، باب قول الله تعالى ومن أحيائها، ج 06، ص: 2519، رقم الحديث: 6477 .

<sup>922</sup> سورة الحج، الآية: 18 .

الماء، والترخيص في الفطر لمن أجهده الصوم بما يؤثر على صحته، بل قد منعت الشريعة بأن يأتي الإنسان من العبادات ما يكون له الأثر السلبي على صحة الجسم، وحق النفس في هذا المقام هو أن لا تكون العبادة مؤثرة على صحة الجسم.

عدّ الإسلام إيذاء النفس البشرية بالقتل جريمة موجهة إلى الإنسانية جمعاء، لأنه اعتداء على حق الحياة - الذي يتمتع به المجتمع من جهة، وهو إرهاب للأحياء الأمنين من جهة أخرى، ﴿ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾<sup>923</sup>، "كما أن الإنسان إذا أسلم نفسه لله عز وجل فإنها تحصن ولا يجوز المساس بها إلا بحق الإسلام، وحال اعتدائها على غيرها اعتداء يوازي قتلها، بأن قتلت نفساً معصومة، أوزنت بعد إحصان"<sup>924</sup>.

وفي سبيل حماية النفس، حرم الإسلام الانتحار، لأنه اعتداء على النفس الإنسانية، "وشرع القصاص في النفس والأعضاء والجروح لحماية النفس، وإبقائها على أحسن صورة خلقها الله تعالى عليها، ونص القرآن الكريم على الحكمة من القصاص، فقال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾<sup>925</sup>، "وبذلك صار الإسلام ينظر للإنسان كنفس مكرمة، ولو كان واحداً فقيراً معدماً أو عاجزاً أو غنياً، فالمعتدى على النفس يعتدى عليه بمثل ما اعتدى ويفتص منه بمثل ما اقتص ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ

<sup>923</sup> سورة المائدة، الآية: 32 .

<sup>924</sup> محمد بكر إسماعيل حبيب، مقاصد الشريعة تأصيلاً وتفعيلاً، ص: 315.

<sup>925</sup> سورة البقرة، الآية: 179 .

<sup>926</sup> محمد الزحيلي، مقاصد الشريعة أساس لحقوق الإنسان، ص: 96.

بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنِ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفِ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ  
تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٢٧﴾<sup>927</sup>، فكل  
التدابير التي شرعت في ذلك إنما هدفت لوقاية النفس وحمايتها من كل أنواع التلّف الجزئي  
أو الكلي الذي يؤدي إلى فقدان الحياة بصورة كاملة، وتتعدد أوجه حماية النفس ورعايتها في  
الشرع لتشمل وقايتها من كل شيء يعرضها للأذى أو يصيبها بمخاطر بسيطة أو جسيمة  
سواءً كانت حسيّة، أو معنويّة.

لقد حث الإسلام على البعد عن كل ما فيه هلاك محقق للجسم، أو خطر محقق، أو  
ضرر منتظر، "وحرّم كل ما يضرّ بالجسم، أو يوهنه، أو يضعفه واتخذ جميع الوسائل لحفظ  
الحياة، وبذل الطاقة في صيانتها وسلامتها، والعناية بكمال الصفات، وكمال البدن، وحرّم  
لحم الخنزير والميتة والدم، لضررها بالجسم وفساد تركيبها، وحذّر من الأمراض، خاصة  
المعدية منها"<sup>929</sup>، وكذلك "ضمن الإسلام حفظ النفس من خلال ضمان حق النفقة للأبناء  
والزوجية، لقوله صلى الله عليه وسلم "خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف"<sup>930</sup>، وتتضمن النفقة  
المأكل والمشرب، والملبس والعلاج، ونفقة التربية والتعليم.

النفس الإنسانية صانها الإسلام صيانة لا نظير لها في التشريعات الأرضية، حتى أنه  
جعل اعتداء الإنسان عليها أشنع الجرائم، وتوعد من يفعل ذلك بالعقاب فقد قال تعالى: ﴿يَا

<sup>927</sup> سورة المائدة، الآية 45 .

<sup>928</sup> عبد الله الزبير عبد الرحمان، السلام في القرآن، ترجمة صادقة لقيام المجتمع الراشد، دار الشريعة للنشر والطباعة، بيروت، ط 01، ص: 26\_27.

<sup>929</sup> محمد الزحيلي، مقاصد الشريعة أساس لحقوق الإنسان، ص: 96.

<sup>930</sup> صحيح البخاري، باب من أجرى أمر الأمصار، ج 02، ص: 768، رقم الحديث: 2097 .

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا  
 أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٩٣١﴾، "ولسلامة النفس وعافيتها وأمنها اهتم الإسلام بطهارة  
 ونظافة كل ما يتصل بها من مأكَل، ومشرب، وملبس، ومسكن، ودعا إلى سلامة البيئة  
 ونقائها، فالبيئة كل ما يحيط بالإنسان من هواء يتنفسه، وزرع يأكله، وماء يشربه، وتربة  
 يمشي عليها، إنَّها كل شيء ينتفع به الإنسان من المخلوقات في هذه الحياة، فالبيئة هي  
 جميع العوامل الحيويَّة التي تؤثر في الكائن الحي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في أي وقت  
 من تاريخ حياته"<sup>932</sup>.

لقد عنيت الشريعة الإسلامية بالنفس الإنسانية عناية فائقة، "فشرعت من الأحكام ما  
 يجلب المصالح لها، ويدفع المفسد عنها، وذلك مبالغة في حفظها وصيانتها، ودرء الاعتداء  
 عليها، لأنه بتعريض الأنفس للضياع والهلاك يُفقد المكلف الذي يتعبد لله سبحانه وتعالى،  
 ذلك بدوره يؤدي إلى ضياع الدين"<sup>933</sup>، "لقد عنيت الشريعة الإسلامية بحفظ النفس البشرية  
 من كل سوءٍ وضررٍ يلحق بها، كما أن النفس البشرية قد نالت منزلة عظيمة لم يحظ بها  
 غيرها من المخلوقات على وجه الأرض، ومن ذلك تكريم الله للإنسان وتفضيله على  
 غيره"<sup>934</sup>.

<sup>931</sup> سورة النساء، الآية: 29

<sup>932</sup> عبد الرحمن جبرة، الإسلام والبيئة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، ص: 40 .

<sup>933</sup> محمد سعيد أحمد بن مسعود البيوي، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، ص: 211.

<sup>934</sup> رابعة بنت ناصر السيارى، الأمن الداخلي في ضوء مقاصد الشريعة والقضايا المعاصرة، ص: 127 .

قد جاء تحريم قتل النفس لما في ذلك من اعتداءٍ على حق الله تعالى، 'فجريمة القتل لا يقتصر أثرها على المقتول فحسب، بل يتجاوزها إلى أوليائه وأقاربه، حيث تترتب على ذلك آثار عظيمة؛ وتفقد الأسرة عائلها، ومن حق المجتمع أن ينعم بالطمأنينة، فالجريمة أياً كان نوعها تهز الطمأنينة وتسبب الخوف والرعب، وتجعل المجتمع في اضطراب وخوف لما يحدث فيه من جرائم تزعزع كيانه'<sup>935</sup>.

لقد نهى الله تعالى عن قتل الإنسان لنفسه، بما يُسمى ( الانتحار ) فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾<sup>936</sup>، وجاءت الشريعة بحفظ روح الإنسان، وألا يلقي بنفسه إلى التهلكة، فقال تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>937</sup>، ونهى الله تعالى عن قتل المسلم لأخيه المسلم، فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾<sup>938</sup>، إن الحق في الحياة أصل لكل الحقوق والمقاصد الإنسانية، ولا مجال لحقوق أخرى إذا أنكرنا على الإنسان هذا الحق، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾<sup>939</sup>.

<sup>935</sup> محمد بن عبد الله الزاحم، آثار تطبيق الشريعة الإسلامية في منع الجريمة، دار المنار، القاهرة، ط1، 1992م، ص: 37 .

<sup>936</sup> سورة النساء، الآية: 29 .

<sup>937</sup> سورة البقرة، الآية: 195 .

<sup>938</sup> سورة النساء، الآية: 92 .

<sup>939</sup> سورة الإسراء، الآية: 33 .

وبناء على ذلك فقد جاءت الشريعة تحكم بما يوفرّ للنفوس الأمن ويدفع عنها الخوف، قصداً في ذلك إلى حفظها بما يتيسّر لها من أسباب القوّة متمثلة في الأمن، وما يدفع عنها أسباب الوهن متمثلاً في الخوف، وقد جاءت أحكام كثيرة تهدف إلى تحقيق هذا المقصد، مقصد حفظ النفس حفظاً معنوياً، وذلك سواء فيما يتعلّق بالنفس في حال الأفراد أو فيما يتعلّق بالنفس في حال الجماعة، وكلّ ذلك إنّما هو لغاية أن تكون النفوس قويّة بالأمن، قادرة على أداء مهامّها بكفاءة<sup>940</sup>.

إن أحكام الشريعة إنّما وضعها الشارع لتحقيق مقصد حفظ النفس حفظاً مادياً وروحياً، وذلك بالحفاظ على صحّة الجسم وفاعليته، والعمل على تقويته وتنشيطه والرفع من كفاءة أدائه، وذلك سواء بتوفير أسباب النماء والقوّة والنشاط، أو بدفع أسباب الضعف والوهن والتلف والهلاك، وكلّ ذلك يجمعه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾<sup>941</sup>، وكلّ تقصير في توفير الأسباب ودفع العوادي إنّما هو ضرب من الإلقاء بالنفس إلى التهلكة نهي الله تعالى عنه نهي الوجوب حفظاً للنفس<sup>942</sup>.

فالمتنبّع للشريعة الإسلامية في مختلف توجيهاتها وأحكامها يتبيّن له مدى ما كانت تلزمه وتقرّره وتثبته من بناء فطرة الإنسان على هذا التوازن، ومدى ما كانت تلزم به من وجوب عليه قائماً في الفطرة، ومن منع التدخّل فيه بما يفضي إلى اختلاله واضطرابه، إذ

<sup>940</sup> عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: 122 .

<sup>941</sup> سورة البقرة، الآية: 195 .

<sup>942</sup> عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: 120 .



ذلك من شأنه أن ينتقض من معنى الإنسانية في الإنسان، فيؤدّي ذلك الانتقاص إلى أثر سلبي على تحمّل أمانة التكليف وهو غاية الحياة.

لأجل ذلك صان الإسلام الوجود الإنساني بما شرعه من شرائع تكفله وتحفظه، فأوجب على المجتمع رعاية الضعيف وتأمين ضرورياته من سكن وطعام وشراب ولباس، وغيرها من ضروريات الحياة، وشرع في تأمين ذلك الزكاة الواجبة والصدقات المندوبة التي تتدرج ضمن منظومة واسعة من شرائع التعاون على البر والتقوى بين أفراد المجتمع ومؤسساته، بغية تحقيق التكافل الاجتماعي داخل المجتمع.

كما شرع الله الأحكام الحاجية والتحسينية لحفظ النفس، والحفاظ الكامل على الذات الإنسانية، فشرع الكسب للرزق الحلال الطيب، وأباح الطيبات من المطعومات والثمار، واهتم برعاية الجسم رعاية كاملة، فدعا إلى النظافة والطهارة، وندب إلى الرياضة، واعتبر الجسم السليم والقوة الجسدية ميزة في الأشخاص، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، "والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: ما قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان"<sup>943</sup>.

على ضوء ما سبق ذكره يمكن القول؛ مقصد حفظ إنسانية الإنسان وعلاقته بحفظ النفس في المنظور القرآني راسخة معانيه، حيث بينت آيات القرآن الكريم حفظ النفس بأفضل

<sup>943</sup> أخرجه مسلم، باب في أمر بالقوة وترك العجز، ج08، ص: 56، رقم الحديث: 6956 .

الطرق من خلال منع الانتحار، والاعتداء عليها، وأوجب القصاص على العدوان العمد، وقرر حق الحياة لكل إنسان حتى للجنين، وأباح المحظورات للضرورة عند الحفاظ على النفس، وحرّم إفناء النوع البشري بأية وسيلة تدميرية، الحياة الإنسانية هبة الله للإنسان، وليس لأحد أن يعتدي على هذا الحق، ولا الإنسان نفسه، فإله خلق الإنسان وكرمه، ليحقق واجب الاستخلاف في الأرض وعمارتها، وليبطله ويظهر مدى تحقيقه العبودية لله رب العالمين.

كل ذلك من أجل إعداد الشخصية الإنسانية المؤمنة بالله - عز وجل - إعداداً يتمثل بتكوينها وبنائها من خلال عمليات: التنشئة على الاستعدادات والقدرات الفطرية، وتنمية القدرات بأنواعها المختلفة.

### **المطلب الثالث: مقصد حفظ إنسانية الإنسان وعلاقته بحفظ العقل**

إن الإسلام هو الدين الذي نظر إلى الإنسان نظرة شاملة متوازنة في تكوينه على أنه مادة وروح وعقل، فلا يطغى فيها جانب على جانب، ذلك أن العقل هو الذي يقود صاحبه إلى الخير والرشاد، وهو الذي يهتدي به إلى ما يصلح دنياه وآخرته، وبالتالي ينال رضوان الله تعالى ويفوز بجنته، وسر حياته منوط بوجود عقله وسلامته، وبه تطورت الحياة، فما نراه من مخترعات وابتكارات وحضارة وتقدم إنما هو إبداع من العقل، فكما أعمل الإنسان عقله أبداع وأنجح، فالإسلام إذن هو دين البحث والنظر والفكر، وعقيدته تربط العقل بالنقل لأنهما أساسان لبناء الجانب الإيماني، فلا تعارض بينهما لأن كلا منهما منحة من الله،

ومنح الله لا تتعارض، كما أن المتأمل في سور القرآن لا يكاد يجد سورة من السور تخلو من هذه الدعوة.

حفظ العقل يعتبر تابعاً لحفظ النفس؛ لأنه جزء من النفس، وهي أصل له، ولأن ما يفضي إلى فوات النفس يؤدي إلى فوات العقل مطلقاً، أما ما يؤدي إلى فوات العقل مطلقاً كشراب الخمر، لا يفضي إلى فوات النفس مطلقاً، لذا كانت المحافظة على النفس أولى من المحافظة على العقل، حيث يكون به فوات العقل دون النفس، فكان ما يحفظ به مقصودين أولى مما يحفظ به مقصودا واحداً، ولذلك "جعل الإسلام للعقل مكانة كبيرة، وحرص على حفظ العقل من خلال الدعوة إلى أعمال الفكر والنظر في الكون والآنفس للوصول إلى الحق والابتعاد عن التقليد الأعمى، وعدم اتباع الخرافات والأساطير، كما شرع الإسلام حد الخمر لحفظ العقل كذلك"<sup>944</sup>.

جاءت الشريعة بأحكام وتوجيهات كثيرة تعمل على تنشيط حركة العقل، وعلى الحيلولة دون عوامل تعثره وإرباكه، وفي ذلك حفظه المعنوي فحررته الشريعة من قيود داخلية تتأسس في ذات الإنسان، كالعادات والتقاليد الفاسدة التي يسلطها المجتمع على أفرادها، فتحول دون انطلاق فكره بحرية، أو بسبب سطوة خارجية تتسلط عليه من أن يتجه فكره الاتجاه الصحيح، العقل جعله الله فارقاً بين الإنسان وبين الحيوان، بما أودع فيه من طاقة للحكم

<sup>944</sup> عمر سالم الخطيب، تقييم كتب الثقافة الإسلامية للمرحلة الثانوية في الأردن في ضوء الأهداف التي تحقق الضرورات الخمس، ص: 942.

على الأمور، واستخلاص النتائج من مقدماتها، والغوص إلى معرفة الحقائق الكونية والاستدلال بها على عظمة الخالق سبحانه، وكمال قدرته وحكمته.

الحفاظ على العقل يختلف عن الحفاظ على النفس، ويختص بوسائل خاصة، فشرع الإسلام أحكاماً للحفاظ على العقل، مع أحكام الحفاظ على النفس، "فدعا الإسلام إلى الصحة الكاملة في الجسم، لتأمين العقل الكامل، فالعقل السليم في الجسم السليم، وحرّم الإسلام الخمر وجميع المسكرات التي تضر سائر الجسم، ثم تزيل العقل خاصة، وتلغي وجوده، وتؤثر عليه"<sup>945</sup>.

فمقصد حفظ إنسانية الإنسان وعلاقته بحفظ العقل؛ يتجلى في ما يملكه من طاقات إدراكية وأدعها الله فيه، حيث يقوم بدور مهم في تحقيق إنسانية الإنسان، فالعقل له دور مهم وأساسي، باعتباره مبنى من مباني إنسانية الإنسان يؤسس للقواعد العامة التي تستشرف مقاصد ومصالح إنسانية مادية ومعنوية يعبر عنها بالحاجات، ومن ثم كان العقل أداة وصل في تحقيق إنسانية الإنسان بقضايا الواقع، "بمنهج علمي مقصده الأساس إبراز تفاعلية الوحي مع العقل بقاعدة أن العقل ليس بشارع، وأن الوحي مدخله البيان والاستنتاج والفاعلية العقلية التي يدعو إليها الأمر الكوني والقدري، بالتدبر والنظر في النص الشرعي والإنسان والكون"<sup>946</sup>.

<sup>945</sup> محمد الزحيلي، مقاصد الشريعة أساس لحقوق الإنسان، ص: 106 .

<sup>946</sup> عبد الرحمن العضاوي، مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي، ص: 07 .

إنَّ المكانة السامية للعقل في الشريعة الإسلامية اقتضت أن يكون الحفاظ عليه أحد المقاصد الشرعية الكلية الكبرى الخمس، "فإذا بلغت هذه الكليات مرتبة مقاصد الشريعة الضرورية، فلأنها القيم الأساسية للحياة الإنسانية"<sup>947</sup>، والأصول المحقق لإنسانية الإنسان "التي تجدها مرعية في كل ملة، بحيث لم تختلف فيها الملل، كما اختلفت في الفروع، فهي أصول الدين، وقواعد الشريعة، وكليات الملة"<sup>948</sup>.

لذا فما يضر بالعقل من المسكرات والمخدرات يعتبر من الضرر الواجب إزالته ومنعه، فيحرم تعاطي تلك المفسدات وزراعتها أو التجارة فيها، وكلما عظم إفساد تلك المواد للعقل عظمت حرمتها، "والمقصود بحفظ العقل هو تشريع أحكام من شأنها أن تحفظ للعقل قوته التي بها يقدر على أداء مهمته، وذلك سواء بتيسير عوامل القوة له، وهي العوامل التي تنميهِ وتزكيهِ وترفع من طاقته في الإدراك الدقيق والحكم الصحيح، أو بدفع عوامل الضعف عنه، وهي تلك العوامل التي تعطلّ نموّه وتشلّ طاقته، وبما أنّ العقل هو طاقة ذات بعدين مادّي ومعنوي فإنّ حفظه لا يكون إلاّ بحفظ هذين البعدين فيه، ولذلك جاءت أحكام الشريعة تقصد إلى حفظه بحفظهما معا"<sup>949</sup>.

إن العقل الذي ميز الله به الإنسان عن غيره هو من أجل النعم، إذ به يتحكم الإنسان بتصرفاته فهو أداة التفكير، ووسيلة الإنسان إلى تدبر شؤون الحياة، لذا فإنّ ذهابه يؤدي إلى

<sup>947</sup> محمد بن محمد رفيع، المنهج القرآني في المشترك الإنساني، ص: 129 .

<sup>948</sup> أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ج 01، ص: 278.

<sup>949</sup> عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: 128.

الطيش والسفه والاعتداء على الآخرين بالسرقة والقتل، وكل ما تباه النفوس السوية، وهذا ما يشكل خطراً على أمن المجتمع، "ومن أجل ذلك فقد حافظ الإسلام على نعمة العقل، وحرّم كل ما يؤدي إلى تعطيله أو إفساده، ورتب العقوبات الرادعة للحفاظ عليه"<sup>950</sup>.

الحفاظ على العقل مقصد شرعي كلي؛ فالآيات القرآنية الكريمة تَضَعُ العقلَ في أرفع مكانة ضمن النعم الإلهية على الإنسان، فلا عجب إذاً أن يكون الحفاظ على العقل أحد المقاصد الشرعية الكلية الكبرى الخمس، التي لا يتصور صلاح الإنسان بدون صلاحها، يقول محمد الطاهر بن عاشور: "إذا نحن استقرينا موارد الشريعة الإسلامية الدالة على مقاصدها من التشريع، استبان لنا من كليات دلائلها ومن جزئياتها المستقرة أن المقصد العام من التشريع فيها هو حفظ نظام الأمة، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمين عليه، وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاحه صلاح عقله، وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه"<sup>951</sup>، "العقل نعمة عظيمة أنعم الله بها على الإنسان وميزه به عن الحيوان، فإذا فقد الإنسان عقله أصبح كالبهيمة يساق إلى حتفه وهو لا يشعر، وينفرط عليه أمره، وتفسد عليه مصالحه"<sup>952</sup>.

إن حفظ العقل مقصد عظيم في الشريعة لأن يفقده يختل منهج الحياة الإنسانية "ما يؤدي إلى عدم انضباط تصرف أصحابها، وبذلك راعت الشريعة في مجموع أحكامها حماية

<sup>950</sup> رابعة بنت ناصر السيارى، الأمن الداخلي في ضوء مقاصد الشريعة والقضايا المعاصرة، ص: 136 .

<sup>951</sup> محمد الطاهر ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص: 273 .

<sup>952</sup> محمد سعيد أحمد بن مسعود اليوبي، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، ص: 212.

العقل من الزوال مثل: منع الشخص من السكر، ومنع الأمة من نقشي السكر والمفسدات بين أفرادها<sup>953</sup>، "مما يدل على عناية الشريعة الإسلامية بحفظ العقل أنها حرمت كل ما شأنه إفساد العقل وإدخال الخلل عليه"<sup>954</sup>.

فمراد الشارح الحكيم ومقصوده في حفظ العقل المسلم أن يكون وعاء معرفيا لعلوم الوحي، والمعارف الإنسانية، والخبرات البشرية التراكمية، التي نتجت عبر السير في الأرض، والتأمل في هذا الكون الفسيح حفظاً لمسيرة الإنجاز والكسب الطويل، فالأمر بالتدبر والتذكر في الكتاب المجيد، والتفكير، والنظر، فيما حوله من العوالم المبنوثة والآيات ليعمل وينتج العقل المسلم، ويبدع ويضيف كل نافع جديد مما يعود على البشرية بالنفع والخير العميم: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>955</sup>، لأنه فيه خير كثير، وعلم غزير، فيه كل هدى من ضلالة وشفاء من داء، ونور يستضاء به في الظلمات، وقد شمل كل حكم يحتاج إليه المكلفون، وفيه من الأدلة القطعية على المطلوب، ليدبروا آياته وهذه هي الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد أخرى، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، "وأن القراءة المشتملة على التدبر، أفضل من سرعة التلاوة، التي لا يحصل بها هذا المقصود، وليذكر أولوا الألباب

<sup>953</sup> إسماعيل الحسني، نظرية المقاصد عند عاشور، ص: 239.

<sup>954</sup> محمد سعيد أحمد بن مسعود البوي، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، ص: 212.

<sup>955</sup> سورة ص، الآية: 29 .

أي: أصحاب العقول الصحيحة، ويتذكرون بتدبرهم لها على العلم المطلوب، فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان وعقله، يحصل له التذكر والانتفاع، بهذا الكتاب المجيد<sup>956</sup>.

إن أهمية الخطاب القرآني تأتي بالدرجة الأولى في توجيه العقل وترشيد الفكر، "ولكي يؤدي العقل وظيفته في غير انحراف في نظر الغزالي يجب أن يتجرد الإنسان عما يتصل بالبدن من المحسوسات من المتع والشهوات، حيث "إن القلب إذا تطهر عن علاقة البدن المحسوس، وتجرد للمعقول انكشفت له الحقائق"<sup>957</sup>، "وتمكين العقل الإنساني من رصد مقاصد الوحي وظواهر الكون ومعرفة قوانينها وحقائقها، باعتبار النظام المعرفي الإسلامي هو مجموع العلاقات التي حددها الإسلام بين الله عز وجل والكون والإنسان"<sup>958</sup>.

المحافظة على العقل تتحقق أيضا بما تكون به المحافظة على النفس من غذاء وكساء ومسكن، فالعقل السليم في الجسم السليم، وقد دعا القرآن الكريم إلى تنمية العقل البشري، لمساعدته على إطلاق القدرات الكامنة التي أودعها الله تعالى فيه، وهذا لا يكون إلا بحثه وصقله بالعلم والمعرفة العلمية، ومن هنا نجد الدعوات والنداءات القرآنية المرشدة للعقل الداعية إلى القراءة والتفكير والتدبر والتعقل والنظر.

لقد فضل الله الإنسان بالعقل، وميّزه به عن سائر الحيوانات التي تشاركه في بقية المزايا، "وبهذا العقل صار الإنسان خليفة الله في أرضه، وسخر له ما في البر والبحر

<sup>956</sup> عبد الرحمان بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: 712 .

<sup>957</sup> محمود حمدي زقزوق، المنهج بين الغزالي وديكارت، دار المعارف، بدون طبعة وتاريخ، ص: 07 .

<sup>958</sup> عبد الرحمن العضراوي، مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي، ص: 52 .



بواسطة هذا العقل، وكلفه بعبادته، وطاعته اعتماداً على وجود العقل<sup>959</sup>، "فالعقل أسمى شيء في الإنسان، وأبرز ميزة وصفة تميزه عن بقية المخلوقات، وهو أعظم منحة من رب العالمين للإنسان، ليرشده إلى الخير، ويبعده عن الشر، ويكون معه مرشداً ومعيناً"<sup>960</sup>.

جاءت النصوص القرآنية دالة على التعقل والاستبصار، تشجع على استخدام العقل، فالخطاب القرآني لم ينكر النظر العقلي كطريق لتحقيق إنسانية الإنسان، لأن المتأمل في مخلوقات الله وملكوته يعد من الوسائط التي تقرب الإنسان بخالقه، "فآيات الكتاب العزيز خاطبت العقول وتوجهت إلى الضمائر هادفة لاستقرار الدين، والخير في النفوس ليكون مهيمناً على العقول، ومرشداً لسبيل الرّشاد، ووسيلة للإنسان للتعرف على الإسلام هي: عقله، وحواسه، وعلى قدر سلامتها وطاقاتها يتم استيعابه وتلقيه وتأثيره بتعاليم الدين الحنيف"<sup>961</sup>، "فآيات الكتاب العزيز خاطبت العقول وتوجهت إلى الضمائر هادفة لاستقرار الدين، والخير في النفوس ليكون مهيمناً على العقول، ومرشداً لسبيل الرّشاد، ووسيلة للإنسان للتعرف على الإسلام هي: عقله، وحواسه، وعلى قدر سلامتها وطاقاتها يتم استيعابه وتلقيه وتأثيره بتعاليم الدين الحنيف"<sup>962</sup>.

فالمتدبر لكتاب الله تعالى يجد أنه لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم، والاعتماد عليه في التدبر والتفكير والاستنباط وعمران الأرض، وبالعقل تهيأ الإنسان للقيام بالخلافة في

<sup>959</sup> يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص: 320

<sup>960</sup> محمد الزحيلي، مقاصد الشريعة أساس لحقوق الإنسان، ص: 106 .

<sup>961</sup> أنور الجندي، معلمة الإسلام، المكتب الإسلامية، دمشق، ط 02، 1982م، ص: 149.

<sup>962</sup> المرجع السابق، ص: 149.

الأرض وحمل الأمانة، وقد انتقد القرآن الكريم مراراً وبشدة ما يقع فيه كثير من الناس من تعطيل لعقولهم والانسحاق والتبعية لغيرهم، دون تفكير ولا تمييز، وفي ذلك نقراً قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانُوا آبَائُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾<sup>963</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانُوا آبَائُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾<sup>964</sup>.

إن العقل هو من أهم ما ميز الله به الإنسان عن غيره من المخلوقات، فهو نعمة عظيمة؛ "إذ يُميز بين الهدى والضلال، وبين الفضائل والردائل، وبين الخير والشر، وهو مناط التكليف حيث يفهم به الإنسان خطاب الله له، ويتمكن من الامتثال لأوامر خالقه"<sup>965</sup>.

وقد اعتنى الإسلام بالعقل عناية لم يسبق لها مثيل، وقد ورد ذكر العقل في كتاب الله تعالى ما يقارب خمسين مرة في آيات ومواضع عديدة، ولا يوجد دين كرم العقل والفكر ومدح أولي الألباب والعقول كما هو في الإسلام، "وحين تتم العودة إلى مرجعية الوحي قرآناً وسنة، يستطيع المسلم اكتشاف خصائص الإسلام، خصائص العالمية والخيرية والوسطية والشهادة، ويكيّف فكره وفقهه ويصوغه بمقتضياتها"<sup>966</sup>.

العقل في الإسلام منزلة كبرى فهو مناط المسؤولية وبه كرم الإنسان وفضل على سائر المخلوقات، ولذلك سن من التشريعات ما يضمن حيويته وسلامته فمن ذلك: أنه حرم كل ما

<sup>963</sup> سورة البقرة، الآية 170 .

<sup>964</sup> سورة المائدة، الآية: 104 .

<sup>965</sup> رابعة بنت ناصر السيارى، الأمن الداخلي في ضوء مقاصد الشريعة والقضايا المعاصرة، ص: 135 .

<sup>966</sup> محمد الناصري، مسألة الآخر في الفكر الإسلامي: نحو تجاوز لإشكال النسخ في فقهاء الموروث، مكتبة الإسكندرية، ط1، 01، 2017م، ص: 06.

من شأنه أن يؤثر على العقل أو يضر به أو يعطل طاقته فحرم كل مسكر ومخدر ومفتر، قال صلى الله عليه وسلم؛ " كل مسكر خمر وكل خمر حرام"<sup>967</sup>، "وقد جعل الإسلام للعقل مكانة كبيرة، وحرص على حفظ العقل من خلال الدعوة إلى أعمال الفكر والنظر في الكون والأنفس للوصول إلى الحق والابتعاد عن التقليد الأعمى، وعدم اتباع الخرافات والأساطير، كما شرع الإسلام حد الخمر لحفظ العقل"<sup>968</sup>.

لقد صان الإسلام العقل بحفظه؛ فحرم كل ما يذهبه وفرض حدا يزر به من يجرؤ على إفساد عقله هروبا من الواقع، ويقام هذا الحد في جماعة حتى تعم فائدة الزجر وبس المجتمع بواجب المحافظة على العقل.

إن مدار التكليف والمسؤولية الإنسانية على مباشرة الأسباب وتسخير النواميس والقوانين الإلهية التي تحكم حركة الوجود، وابتغاء آثارها ونتائجها لتحقيق مهمة الاستخلاف وأداء حق الأمانة بإعمار الكون وتنظيم الحياة، وفق المنهج الذي رسمه خالق الإنسان والكون والحياة سبحانه، والمضي لذلك إلى الأجل المسمى الذي حدده جل شأنه لهذا الوجود "معرفة مقصد الشارع من الحكم كمعرفة قصد المكلف من الفعل، والأسباب اللازمة لتحقيق الفعل في الوجود، كل هذه العناصر تشكل أجزاء أساسية في منظومة العقل المسلم"<sup>969</sup>، من المهم توعية الناس بكون العقل أمانة ربانية، وميزة للإنسان يجب عليه أن يقابلها بشكر الله

<sup>967</sup> رواه مسلم، باب بيان أن كل مسكر خمر، ج 06، ص: 101، رقم الحديث: 5339 .

<sup>968</sup> عمر سالم الخطيب، تقييم كتب الثقافة الإسلامية للمرحلة الثانوية في الأردن في ضوء الأهداف التي تحقق الضرورات الخمس، ص: 942.

<sup>969</sup> يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص: 04.

تعالى والإنابة إليه، والحفاظ على نعمته بتميمتها بالتفكير وحسن التقدير، وحمايتها من كل ما يفسدها.

أبرز معالم العقل المسلم الذي صنعه الإسلام أنه عقل غائي تعليلي مقاصدي يدرك أنه ما من شيء في هذا الوجود فضلاً عن أحكام الحياة وتنظيماتها، إلا له حكمة وعلّة وسبب، فلا مكان للمصادفة في هذا الوجود، ولا مجال لانتفاء الأسباب، بل لقد تفرد الإسلام بذلك التوازن البديع بين الإيمان بالسنن والنواميس والعلل والأسباب، وارتباط النتائج بها، والإيمان بوجود الخالق الفرد الواحد في صفاته وفي ذاته وفي أفعاله، "وأنه الخالق للسنن والأسباب لنتائجها ومسبباتها في الوقت نفسه، والقادر على خرقها إن شاء لتحقيق حكمة أو غاية أو مقصد ما"<sup>970</sup>، "فغاية العقل أن يدرك بالإجمال حُسن ما أتى الشرع بتفصيله، أو قبحه، فيدركه العقل جملة، ويأتي الشرع بتفصيله، وهذا كما أن العقل يدرك حسن العدل، وأما كون هذا الفعل المعين عدلاً أو ظلماً، فهذا مما يعجز العقل عن إدراكه في كل فعل وعقد، وكذلك يعجز عن إدراك حسن كل فعل وقبحه"<sup>971</sup>.

مما يبرز لنا صور المحافظة على مقصدية إنسانية الإنسان من خلال حفظ العقل؛ يتجلى من خلال تغذيته بالعلوم والمعارف النّافعة، وإكسابه أعلى الرّتب السّاميّة، بتدريبه على جملة من المهارات اللّازمة التي ترتقي به في سلم الكمال المعرفي، ولما كان مفتاح المعرفة بشتى صورها ومقاماتها لا تتم إلا بالقراءة التي هي السّبيل الأوفى لحصول العلم،

<sup>970</sup> المرجع السابق، ص: 03.

<sup>971</sup> أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فريجينيا، 1416هـ، 1995م، ص: 277.

والمعرفة؛ كانت الدّعوة إليها والأمر بها في أولى مفاتيح الوحي للذكر الحكيم المنزل على الرسول الكريم عليه أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم، فأول ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾<sup>972</sup>، فكانت النّقلة الإسلامية، تحول معرفي عمل في صميم العقل من تشكيله بالصّبغة التي تمكنه من التّعامل مع الكون والعالم والوجود، وليس عبثاً أن تكون كلمة ( إقرأ ) هي الكلمة الأولى في كتاب الله، وأن تتكرر مرتين وأن ترد كلمة ( علم ) ثلاث مرات وأن يشار إلى القلم: الأداة التي يتعلم بها الإنسان، وعبر المدى الزّمني للتّنزيل ينهمر سيل النّداء اقرأ، تفكر، إعمل، تدبر، تفقه، أنظر، تبصر... إلخ، ليجد العقل المسلم نفسه ملزماً بمنطق الإيمان بأن يتحول ويتشكل من جديد ليلائم التّوجه المعرفي الذي أراده له هذا الدّين<sup>973</sup>، وها هنا في توجيه الحق المعرفي تمكن الإسلام من خلق هذه البيئة فبعث أمة من النّاس لا يزال عقلها يعمل ويكد ويتوهج حتى أنار الطّريق للبشريّة، إن التّهار الذي أطلّعه حضارة الإسلام ما كان له أن يطلع لولا الشّعلة التي مست عقل كل مسلم ودفعته إلى التّعلق وهو ينطلق لتعزيز يقينه الجديد<sup>974</sup>.

أبرز معالم حفظ العقل في الشريعة الإسلامية، المسلم الذي صنعه القرآن الكريم بما يحفظ فطرته وإنسانيته؛ على ضوء ذلك يمكن القول؛ إن المقصد العام للشريعة الإسلامية هو

<sup>972</sup> سورة العلق، الآيات: 01\_02\_03\_04\_05 .

<sup>973</sup> عماد الدين، حول تشكيل العقل المسلم، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، القاهرة، ط 05، 1995م، ص: 55 .

<sup>974</sup> المرجع السابق، ص: 61 .

جلب المصالح ودرء المفسد، فلا يصلح المجتمع الإنساني إلا بهما ولا تستقيم الحياة إلا بهما، وتكمن أهمية المقاصد الشرعية باعتبارها مدخلاً منهجياً للتعامل مع الواقع المعاصر، من جهة أخرى فإن كل ما جاءت به الشريعة الإسلامية من أحكام جاءت لضبط سلوك الفرد المسلم، في جميع جوانبه: الفكرية، والنفسية، والروحية... إلخ، كما جاءت من أجل الأمة المسلمة لتحقيق نهوضها في كل مجالات الحياة: الاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية، وغيرها، وما إلى ذلك من أهداف وغايات الإنسانية العليا.

إن مقصد حفظ إنسانية الإنسان من خلال حفظ العقل كمصلحة عليا، تستحق المحافظة عليها، فمما تقدم ذكره في البحث من خصائص ميزت الإنسان عن سائر المخلوقات، حيث فضّله الله على كثير من خلقه، وهذا التكريم والتعظيم لا بد له من طرق يحافظ بها الإنسان على إنسانيته من جانب الوجود ومن حيث العدم، إن هذا المقصد العظيم يحفظ كيان الإنسان، ويحقق ذاته: لما كفله الله تعالى للإنسان في التشريعات قصد الاعتراف بما أودعه الله تعالى في الإنسان من دوافع فطرية، بعيداً عن مصادمتها، أو كبتها، والاعتراف كذلك بجوانب الضعف في الطبيعة الإنسانية، وعدم تحميلها فوق طاقتها، لذلك كان أساس التكليف في الإسلام الاستطاعة فلا تكلف نفس إلا وسعها.

مما سبق بيانه نخلص في هذا المبحث بالقول؛ إن الضروريات الخمس من حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، الذي اختصرنا حديثنا فيها على بيان حفظ الدين والنفس والعقل مما يوضح بعض معالم إنسانية الإنسان في القرآن الكريم، وقد تبين لنا أن قصد

الشرع من عبادة الله هو الالتزام بها ورعايتها، حتى أطلق عليها عند العلماء مقاصد الشريعة، وذلك لأن بذهابها يخسر الإنسان دينه ودنياه، والمتأمل لمقاصد الشريعة يجد أنها تؤكد على تحقيق الذات الإنسانية، والاعتراف ببشرية الإنسان، التي هدفها وغايتها تربية وإصلاح البشرية، فإنسانية الإنسان إذن قائمة على حفظ هذه المقاصد.

## المبحث الثاني: إنسانية الإنسان والمشاركة الإنساني في القرآن الكريم

إن البحث في المشترك الإنساني يتجاوز منطق الخصومة والصدام، ويؤدي إلى التلاقي واحترام مساحات التشابه بين الأمم والشعوب على مستوى الفكر، للوقوف على أرض صلبة ورؤى متجانسة يحكمها ذلك التقارب، لذلك يعتبر موضوع المشترك الإنساني من الموضوعات التي تكتسي أهمية كبرى في الوقت الراهن، ولا شك أن رسالة الإسلام رسالة عالمية، جاءت لجميع البشرية، فكان المشترك الإنساني مبدأ من مبادئها وقاعدة من قواعدها، أصله القرآن الكريم وبينه.

### المطلب الأول: إنسانية الإنسان والتأسيس للمشارك الإنساني

لا شك أن البشرية جمعاء في حاجة إلى تأكيد أهمية تحقيق إنسانية الإنسان من خلال مدخل التنوع الحضاري والثقافي، والانطلاق للعيش معاً من خلال المشترك الإنساني بين البشر جميعاً، وتأكيد أن هذا التعايش هو من صميم رسالة الأديان جميعاً، على أن الحق سبحانه وتعالى، قد كرم الإنسان على إطلاق إنسانيته من دون تفرقة بين البشر، فقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>975</sup>.

الإنسانية لها أصل واحد، وتعيش مستخلفة في أرض واحدة وتستنشق نفس الهواء وتعيش على نفس الخيرات وتتقاسم ذات المصالح والحاجيات، ولما كانت تستشرف

<sup>975</sup> سورة الإسراء، الآية: 70 .



مستقبلاً متأخياً ينقلها إلى وضعٍ أحسن مما هي عليه، يخلصها من المظالم التي تطالها، ويؤسس لعالم التواصل والتعاطف والتآخي، فإن المطلوب من جميع الأطراف هو استيعاب القواسم المشتركة بين الأمم والشعوب والعمل على تميمتها والحفاظ عليها، وتنظيم الاختلاف المحيط بها، "إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من نفس واحدة وخلق منها زوجها، لتكون سكوناً له، وعونا وطمأنينة له، وجعل منهم النسل وعمارة الأرض، وأسس لهذه المنظومة أسساً وقواعد على أساس مصلحة الآخرة والدنيا"<sup>976</sup>.

يعتبر موضوع المشترك الإنساني<sup>977</sup> من الموضوعات التي تكتسي أهمية كبرى لدى جميع الثقافات، في الوقت الراهن وفي المستقبل المنظور، نظراً لفشل الخطابات العنصرية والقومية وانفصاح الفلسفات المحرّضة على الكراهية والصراع وتذويب الثقافات، في مقابل تكاثر النداءات العالمية التي تستحسن القيم العالمية المشتركة، "إن البشرية بحكم اجتماعها في هذا الكوكب الذي لا مستقر لها سواه، وبحكم اكتشافها عدداً من الإمكانيات الهائلة التي

---

<sup>976</sup> جبريل بن محمد البصلي، حفظ النفس في الكتاب والسنة: دراسة مقاصدية، من كتاب جماعي؛ الوحي والعلوم في القرن الواحد والعشرين: مقاصد

القرآن والسنة والأنظمة والؤسسات المالية من منظور القرآن والسنة، تحرير: محمد أبو الليث الخير آبادي، عصام التجاني محمد إبراهيم، الجامعة دار الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا للنشر، ط 01، 1436هـ، 2015م، ص: 166.

<sup>977</sup> يقصد بالمشترك الإنساني، تلك النقط التي يتقاسمها جميع بني البشر باختلاف ألوانهم، وألسنتهم، ومعتقداتهم، وهذا المشترك بين البشر قائم وموجود منذ وجود الإنسان على وجه هذه البسيطة، وقد أكد القرآن الكريم وجود هذه القواسم المشتركة، ودعانا إلى اكتشافها، فالغاية التي جعل الله الناس لأجلها شعوباً وقبائل ليست التنافر والتنازع، ولكنها التعارف والوثام، وأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطبائع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فهو تنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يفضي إلى التعاون والحوار، بالإضافة إلى ذلك تمثل الضرورات مصلحة كلية التي تكون ركيزة أساسية في البناء القيمي الإنساني المشترك بما يحقق إنسانية الإنسان

تقرب المسافات وتطوي الزمان وتيسر التأثير، أصبحت أزماتها كونية عالمية ولم تعد محلية<sup>978</sup>.

فالبحث في مفهوم المشترك الإنساني بحث في المبادئ والقيم الخلقية المشتركة بين الناس، على اختلاف انتماءاتهم الحضارية والمذهبية والثقافية والدينية، "من أجل بناء أسس للتواصل بين مختلف الحضارات والثقافات الإنسانية، وفتح مدخل واسع للتعاون في القضايا المشتركة، وتدبير هوامش الاختلاف، فمن تمام حسن تدبير الاختلاف بين الناس الكشف عن المؤتلف بينهم، الذي غالباً ما تصرفه حدة الاختلاف، حتى كأن المختلفين لا ينظمهم ناظم ولا يربطهم رابط"<sup>979</sup>، "إذا تقررت وحدة البشرية، فإن ما يضمن لهذه البشرية إنسانيتها ويحفظها هو واحد أيضاً، فما تستلزمه الإنسانية من حياة كريمة، واحترام وعدل ومساواة وتكامل بين الأفراد والمجتمعات، هو شيء مشترك لا فرق فيه بين الشمال والجنوب، ولا بين الشرق والغرب ولا بين الأبيض والأسود"<sup>980</sup>.

إن البحث عن المشترك يتجاوز منطق الخصومة والصدام، ويؤدي إلى التلاقي واحترام مساحات التشابه بين الأمم والشعوب على مستوى الفكر والإبداع للوقوف على أرض صلبة ورؤى متجانسة يحكمها ذلك التقارب، وغالبا ما يظل المشترك ضامنا لاحترام الخصوصية والهوية الذاتية لكل أمة دون التضحية بثرواتها وتاريخها أو تراثها الإنساني، قال الله تعالى

<sup>978</sup> نعيمة ليداوي، مفهوم التعارف بين تأويل المفسرين ورؤية المفكرين، ص: 613 .

<sup>979</sup> محمد بن محمد رفيع، المنهج القرآني في المشترك الإنساني، ص: 116.

<sup>980</sup> نعيمة ليداوي، مفهوم التعارف بين تأويل المفسرين ورؤية المفكرين، ص: 606 .

في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>981</sup>، "هذا الكوكب المشترك الذي تعيش عليه البشرية بجميع ألوانها وأجناسها، هذه الأرض التي استخلف الله فيها الناس واستعمرهم فيها؛ ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾<sup>982</sup>.

على ضوء ذلك؛ فالاختلاف سنة إلهية كونية؛ لأن الإنسانية التي خلقها الله من نفس واحدة، تنتوع إلى شعوب وقبائل وأمم وأجناس وألوان، وهذا التنوع والاختلاف في الثقافة واللون والأفكار والعقول، إنما هو آية من آيات الله عز وجل يقول سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>983</sup>، "فقد شاءت حكمة الله عز وجل أن يجعل الناس مختلفين، ولو شاء سبحانه لجعلهم على نمط واحد مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾<sup>984,985</sup>.

قد كان من الممكن أن يجعل الله سبحانه وتعالى، الناس كلهم أمة واحدة ومن ثم حضارة واحدة، ولكن التسابق النشيط في الخيرات بين الجماعات الدينية والثقافية المختلفة

981 سورة الحجرات، الآية: 13 .

982 سورة هود، الآية: 61 .

983 سورة الروم، الآية: 22 .

984 سور هود، الآية: 118 .

985 نعيمة لبدوي، مفهوم التعارف بين تأويل المفسرين ورؤية المفكرين، ص: 603.

هو الذي يتيح للبشر جني ثمار الحضارة، "إن التنوع الاختلاف حقيقة كونية وواقع إنساني من الخصائص الواضحة في تكوين الاجتماع البشري"<sup>986</sup>.

لقد أجمعت الشرائع السماوية على جملة كبيرة من القيم والمبادئ الإنسانية، من أهمها: حفظ النفس البشرية، وقد وجّه الله تعالى: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لُمُسْرِفُونَ﴾<sup>987</sup>.

القيم التي أجمعت عليها الشرائع السماوية كلها: العدل والتسامح، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، والصدق في الأقوال والأفعال، الكلمة الطيبة، "بيان مقصد تعدد الرسالات ووحدة الدين، هو: التدرج في الوصول إلى كمال وحدة الدين، وتمازج وحدة الإنسانية"<sup>988</sup>.

لا شك أن رسالة الإسلام رسالة عالمية، جاءت لجميع البشرية، فكان المشترك الإنساني مبدأ من مبادئها وقاعدة من قواعدها، أصله القرآن الكريم وبينه، وحد حدوده ومنهجه، وإن منهج الإسلام في المعاملة الإنسانية لا يفرق بين الناس في الدين والعقيدة، لذلك أوجب إقامة العدل بين جميع الناس، ومنع الظلم عامة، وحمى الدماء والأبدان والأموال والأعراض للمسلمين ولغير المسلمين، وأمر بالإنصاف ولو مع العداوة واختلاف الدين، قال

<sup>986</sup> محمد الناصري، العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، ص: 08.

<sup>987</sup> سورة المائدة، الآية: 32.

<sup>988</sup> إبراهيم البيومي غانم، الدين الواحد ومقصد تعدد الرسالات وعالمية الإسلام اجتهادات حديثة متعاصرة في نور القرآن الكريم، ص: 37.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>989</sup>.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ظلم معاهداً، أو انتقصه حقاً، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة"<sup>990</sup>؛ وكانت هذه المعاملة الأدبية الإنسانية مع غير المسلمين سبباً رئيساً في ترغيب الناس في الإسلام، ودخولهم في العقيدة ومشاركتهم في الدين، وانضوائهم تحت راية الإسلام"<sup>991</sup>.

نتيجة لذلك عاش غير المسلمين في ظلال الخلافة الإسلامية، وفي أحضان المجتمع الإسلامي طوال الأحقاب والقرون، وكانوا ينعمون بالأمن والأمان، والعدل والإحسان، والحرية الدينية، والمشاركة في شؤون الحياة المالية والعلمية"<sup>992</sup>، من مقاصد الشريعة حفظ نظام التعايش بين الناس في الأرض؛ لأن الإسلام رسالة رحمة للعالمين، ولا يتم التواصل والتفاعل الإيجابي مع هذه الرسالة إلا بانتفاء عوامل التوتر والإكراه والحروب، التي تفتن الإنسان وتصرفه عن سماع الخطاب الرباني، وسيادة الأمن والوئام، ولذلك فالقرآن الكريم يرسى قواعد السلام والأمن بين الناس جميعاً، ويلزم بالدخول ابتداء في السلم قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً﴾<sup>993</sup>.

<sup>989</sup> سورة المائدة، الآية: 08 .

<sup>990</sup> سنن أبي داود، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا، ج 03، ص:136، رقم الحديث: 3054 .

<sup>991</sup> محمد الزحيلي، مقاصد الشريعة أساس لحقوق الإنسان، ص: 93\_94.

<sup>992</sup> المرجع السابق، ص:94.

<sup>993</sup> سورة البقرة، الآية: 108 .

تتصف دعوة الإسلام بالعالمية والإقرار بالوحدة الإنسانية، "فالله عز وجل رب العالمين وليس رب العرب أو رب المسلمين فحسب، كما عند اليهود لهم ربهم وللآخرين أربابهم، وهو إله الناس جميعاً: ﴿إِلَهَ النَّاسِ﴾<sup>994</sup>، والقرآن الكريم هدى للناس: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾<sup>995</sup>، خاطب الله جل جلاله للناس جميعاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾<sup>996</sup>، ونسبهم إلى أبيهم آدم عليه السلام: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ انْتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>997</sup>.

الله سبحانه بين أن الناس خلقوا من نفس واحدة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾<sup>998</sup>، وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة<sup>999</sup>، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم مبعوث للعالمين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>1000</sup>، ومرسل للناس كافة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>1001</sup>، الناس في المنظور الإسلامي شعوب وأمم خلقوا ليتعارفوا ويتآلفوا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ

<sup>994</sup> سورة الناس، الآية: 03 .

<sup>995</sup> سورة البقرة، الآية: 185 .

<sup>996</sup> سورة البقرة، الآية : 21 .

<sup>997</sup> سورة الأعراف، الآية: 35 .

<sup>998</sup> سورة النساء، الآية: 01 .

<sup>999</sup> سورة الأنعام، الآية: 98 .

<sup>1000</sup> سورة الأنبياء، الآية: 108 .

<sup>1001</sup> سورة سبأ، الآية: 28 .

ذَكَرِ وَأَنْتَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

خَبِيرٌ ﴿1002﴾ .

وانطلاقاً من هذه الآيات الكريمة، نرى أن القيم الإنسانية المشتركة التي يراها الإسلام ضرورية في جانب الدين التشريعي، كما في جانب الإنسان الاعتقادي والسلوكي، مؤسسة لفقه التعايش الإنساني، باعتبارها ضابطاً لتنظيم مسيرة الفرد والمجتمع في شتى شؤون الحياة، وهي التشريعات العملية المختلفة التي ترسي قواعد العدالة والمساواة والحرية والتكافل الاجتماعي، وتبين حقوق الأفراد وواجباتهم، وبغير تلك التشريعات الخاصة بالمشترك الإنساني لا تستقر حياة الأفراد والجماعات لفقدانها التشريع والمنهج الذي ينظم حركة الإنسان في الحياة.

المؤاخاة والأخوة من القيم الإنسانية التي أرساها الإسلام للمحافظة على كيان المجتمع، حيث التقى أهل مكة بأهل يثرب لا يجمع بينهم إلا الدين، فكان أروع منظر لسultan الدين شهده التاريخ، وكان الأوس والخزرج لم ينفضوا عنهم غبار حرب، ولا تزال سيوفهم تقطر دماء، فألف الإسلام بين قلوبهم، ثم آخى رسول صلى الله عليه وسلم وبينهم وبين المهاجرين.

فالإنسانية على امتداد الزمان والمكان، واختلاف الألسن والأعراق والألوان، تؤول بمقتضاها إلى أصل واحد، وهي النفس التي منها تناسلت فروعها، ويجمع بين هذه الفروع

<sup>1002</sup> سورة الحجرات، الآية: 13 .

الإنسانية علاقة أصيلة ثابتة، اقتضاها الأصل الموحد، وهي علاقة الرحم الآدمية، بغض النظر عن الدين والعرق واللون والحضارة، وينبغي النظر إلى هذه العلاقة بما تستوجبه من حقوق تتعين مراعاتها، تحت طائلة الحساب الأخروي<sup>1003</sup>، "فقد بين لنا القرآن الكريم أن الناس مهما تعددت أجناسهم وألوانهم فإن أباهم جميعاً هو آدم عليه السلام"<sup>1004</sup>.

فأصلة هذا المفهوم الذي هو المشترك الإنساني ثابتة في وحي الله المسطور وكونه المنظور، ذلك أننا إذا تتبعنا منهج القرآن الكريم في بناء المشترك الإنساني، ألفيناه في غاية الوضوح والشمول مع العمق، حيث حظي مفهوم المشترك الإنساني ببناء متين على قاعدتين كليتين: إحداهما: تكوينية، "تمثل قصد الله الكوني الناظم لحركية نظام الكون المطردة، وثانيهما تشريعية تعبر عن قصد الله الشرعي الناظم لحركية الفعل الإنساني الاختيارية"<sup>1005</sup>.

إن القرآن المجيد قد أوجد ضوابط وقواعد لتأسيس فهم المشترك بين البشر، "وفسر بها كل التجارب التاريخية التي تناولها، كما أن القواعد المشتركة تؤدي إلى تأسيس إطار عالمي للفكر الإنساني تصب فيه جهود الإستخلاف والتسخير"<sup>1006</sup>.

أكد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على وحدة الأصل الإنساني، ولكن مع الإقرار بمبدأ الاختلاف، ورتبا على ذلك ضرورة التفاهم والتعارف والتعاون بين الناس، وتبادل

<sup>1003</sup> محمد بن محمد رفيع، المنهج القرآني في المشترك الإنساني، ص: 119.

<sup>1004</sup> نور الدين قراط بن حمادي، التعايش الإنساني في التصور الإسلامي، ص: 67.

<sup>1005</sup> محمد بن محمد رفيع، المنهج القرآني في المشترك الإنساني، ص: 140.

<sup>1006</sup> محمد الناصري، المنهج التوحيدي للمعرفة وتأسيس الإستمولوجيا المعاصرة، ص: 163 .



المنافع بين الأجناس وأمر بالعدل بين الناس عامة بغض النظر عن عقيدتهم، وهذا ما يؤكد ضرورة التعايش مع الآخرين، "من خلال النظر في المشتركات الإنسانية العامّة، التي تمثّل مساحات الالتقاء البشري، كانت ثمة علاقة قوية تظهر دائماً بين كون العنصر من المشتركات الإنسانية العامّة، وبين ضراوة وشراسة الأزمة أو الحرب التي تشتعل، إذا ما تمّ انتهاك هذا المشترك العام"<sup>1007</sup>، "إن مبدأ وحدة العنصر البشري القرآني جاء ضدّاً على كل عنصرية بغيضة أو تمييز عرقي مقبوت"<sup>1008</sup>.

تنص آيات القرآن المجيد وأحاديث النبي الكريم صلى الله عليه وسلم على أن البشر جميعاً ينتسبون إلى أب واحد وأم واحدة، "ويجمع علماء الإسلام على هذه الحقيقة، ويعتبرونها مُسَلِّمةً من المسلمات الراسخة غير قابلة للدحض عند نوي الفطرة السليمة، وبخاصةً عند المرجعية الإسلامية المستندة إلى القرآن الكريم والسنة"<sup>1009</sup>، "وإن الناظر في آيات الكتاب الكريم يجد أن جملة مقاصده العامة، ببناء المشتركات الإنسانية الواحدة التي يمكن أن تكون جسوراً للتواصل والتفاعل بين الشعوب وأممها، على اختلاف أعراقهم وألوانهم ومذاهبهم وانتماؤاتهم الدينية والفكرية"<sup>1010</sup>.

قد حفل القرآن الكريم بالعشرات من الآيات التي توضح وحدة الخلق البشري وطبيعتها والغاية من هذا الخلق الواحد، "وضّحت الآيات أن البشر خلقهم الله جميعاً، يعودون إلى

<sup>1007</sup> راغب السرجاني، المشترك الإنساني: نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب، ص: 306.

<sup>1008</sup> محمد الناصري، العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، ص: 08.

<sup>1009</sup> إبراهيم البيومي غانم، الدين الواحد ومقصد تعدد الرسالات وعالمية الإسلام اجتهادات حديثة معاصرة في نور القرآن الكريم، ص: 19.

<sup>1010</sup> عبد الرحمن الكيلاني، مقاصد القرآن الكريم وأثرها في بناء المشترك الإنساني، ص: 122 .

أصل واحد، وجنس واحد أساسه الذكر والأنثى<sup>1011</sup>، " والناظر في صيغ الخطاب القرآني، يجد أنها تؤكد وحدة الأصل الإنساني، فكثيراً ما تتكرر في القرآن الكريم صيغ النداء ب {أيها الناس} و {بيني آدم}، مما يشير إلى أن الله سبحانه كرّم هذا الإنسان وفضّله على كثيرٍ من خلقه، مُعلنًا بذلك مبدأ المساواة بين البشر، فلا فضل لجنس على آخر باعتبار اللون والعنصر والنشأة، ويرتقي بهذا الإنسان حين يعلن أن أساس الثواب والعقاب يرتكز على النيات والأعمال، لا على الظواهر والأشكال<sup>1012</sup>.

إنّ القرآن الكريم حافل بالآيات الكريمة التي تؤكد الاختلاف والتنوع، وقد أكد كتاب الله والسنة النبوية الشريفة على وحدة الأصل الإنساني، ولكن مع الإقرار بمبدأ الاختلاف، ورتبا على ذلك ضرورة التفاهم والتعارف والتعاون، وتبادل المنافع بين الأجناس والأديان المختلفة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾<sup>1013</sup>.

وهذا واضح في آيات كثيرة من كتاب الله الكريم، كما في قوله الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>1014</sup>، وقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>1015</sup>، "إلى

<sup>1011</sup> حسن الباش، منهج التعارف الإنساني في الإسلام: نحو قواسم مشتركة بين الشعوب، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية الجماهيرية العظمى،

طرابلس، 2005م، ط01، ص: 05.

<sup>1012</sup> نور الدين قراط بن حمادي، التعايش الإنساني في التصور الإسلامي، ص: 66.

<sup>1013</sup> سورة هود، الآية: 118.

<sup>1014</sup> سورة الحجرات، الآية 13.

<sup>1015</sup> سورة الممتحنة، الآية: 07.

غيرها من الشواهد القرآنية الكثيرة التي تؤكد على أن القرآن الكريم قاصد إلى إيجاد الروابط الإنسانية المشتركة التي يمكن أن تتسع لجميع شعوب الأرض وأممها ومجتمعاتها، وقاصد لتحقيق التعاون بين الناس، من أجل بناء القيم الإنسانية الواحدة التي يمكن أن يلتقي عليها الجميع<sup>1016</sup>.

إن الخطاب القرآني يعد المنظومة القيمية من خلال؛ العلاقات بين الأمم والحضارات، وأنها تحتوي على الضمانات التي تحول دون الفساد والإفساد لطبيعة الإنسان وفطرته، ولعلاقات الناس بعضهم ببعض، "ولما كانت هذه الغاية الربانية موجهة للبشر جميعاً، كان لا بد أن نعود إلى منهج القرآن الكريم في برهانه على وحدة الجنس البشري"<sup>1017</sup>.

إذا كان القرآن الكريم قد اهتم ببناء العلاقات الإنسانية على المستوى الإنساني العام، "فهو في الوقت نفسه لم يغفل عن أهمية بناء هذه العلاقات في مستوياتها الداخلية، بدءاً بالعلاقة القائمة بين الزوجين، ومروراً بالأسرة والأقارب والجيران حتى المجتمع"<sup>1018</sup>، "بما يحفظ مصالح الجماعة الإنسانية، ويلغي أسباب الصراع بين البشر، كفكرة استعلاء جنس على جنس"<sup>1019</sup>.

<sup>1016</sup> عبد الرحمن الكيلاني، مقاصد القرآن الكريم وأثرها في بناء المشترك الإنساني، ص: 123 .  
<sup>1017</sup> حسن الباش، منهج التعارف الإنساني في الإسلام: نحو قواسم مشتركة بين الشعوب، ص: 05.  
<sup>1018</sup> نور الدين قراط بن حمادي، التعايش الإنساني في التصور الإسلامي، ص: 67.  
<sup>1019</sup> عبد الله إبراهيم زيد الكيلاني، علاقة الانتماء بالعمران والحضر الإنساني فقه الانتماء إلى المجتمع الأمة، تحرير: فتحي حسن ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط 01، 1432هـ، 2012م، ص: 106.

فالقُرآن الكريم يُؤكد وحدة أصل الناس وصلة القُربى بينهم، "باعتبارهم أخوة ينحدرون من أصل واحد، فإنّ هذا التوحّد في الأصل والمنشأ، حريٌّ به أن يقود الناس إلى التعاون والتفاهم والالتقاء على الخير والمحبة"<sup>1020</sup>، "ولذلك فإن أي تعايش ينبغي أن يكون بعيداً عن الضغوط أو الإكراهات أو فرض ثقافة ما باعتبارها ثقافة الأكثرية، وبعيداً كذلك عن أي ممارسة على الجانب الأضعف بغرض تخليه عن ثقافته وعاداته، وبعيداً أيضاً عن التمييز في المعاملة بسبب اختلاف في الدين أو اللغة، أو العادات واللون"<sup>1021</sup>.

تحقيق مقصد التعارف والتعاون والتبادل بين مختلف الثقافات والحضارات والمجتمعات، هو الآن مطلب مشترك لشعوب العالم، "ينبغي أن يسعى الجميع صدقاً، وعلى رأسهم المسلمون، بما يملكون من قيم خلقية سامية، ومبادئ حضارية عالية، تفتقر إليها مجتمعات الإنسانية، لإنهاء حالات التوتر والحروب التي تجري الآن في مختلف مناطق العالم"<sup>1022</sup>.

تقترن وحدة الإنسانية بوحدة الحياة البشرية في الدنيا، فكما كانت هناك لحظة بدء للحياة البشرية على الأرض، "فإن ثمة لحظة نهاية لها عند انتهاء هذه الحياة وبدء الحياة الآخرة، وبين اللحظتين، بشر يولدون فتبدأ حياتهم، وآخرون يموتون فتنتهي حياتهم: ﴿وَاللَّهُ

<sup>1020</sup> نور الدين قراط بن حمادي، التعايش الإنساني في التصور الإسلامي، ص: 66.

<sup>1021</sup> المرجع السابق، ص: 160.

<sup>1022</sup> محمد بن محمد رفيع، المنهج القرآني في المشترك الإنساني، ص: 140.

يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴿ 1023 ، وعند الله سبحانه أجل مسمى لكل أمة، وأجل مسمى لكل نفس ﴿ إِنَّ  
أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ 1024 .

محددات وضوابط لسلوك الناس، تُمَيِّزُ النوع الإنساني عن غيره من المخلوقات، "ولذلك  
فإنها ترتبطُ بمتطلبات الاجتماع الإنساني والعيش المشترك، كما ترتبط بالكرامة الإنسانية  
وتقع قضايا القيم في القلب مما شرعت له الأديانُ والفلسفات المختلفة منذ بدء الحياة  
الإنسانية" 1025 .

لقد بين الله تعالى أن الهدف من جعل؛ "الناس شعوباً وقبائل، هو أن يتعارفوا  
ويتحاوروا بالطريقة التي تؤدي بهم إلى أن يكونوا أمة واحدة، في توجهاتهم وعباداتهم وفي  
طريقة وصولهم إلى الله تعالى" 1026 ، "وبعد أن بين لنا القرآن الكريم وحدة الأصل الإنساني،  
فإنه يبين لنا في سياق آخر أن الأصل تفرعت عنه الشعوب والقبائل والأمم، وأن الهدف من  
هذا التنوع بين الناس هو الاتصال والتفاهم والتعارف فيما بينهم.

بناء على هذا الإدراك فإن التعارف اليوم، قد تجاوز كونه مجرداً اختيار ليغدو ضرورة؛  
ولاسيما أن البشرية اليوم قد أصبحت أقدر في مجالات التدمير منها في كل العصور التي  
مضت، "الإنسان يمتلك من القنابل النووية والذرية والهيدروجينية وغيرها، ما يستطيع به  
تدمير الأرض آلاف المرات وليس مرة واحدة، ويكفي تسلسل قناعة مظلمة إلى عمق

1023 سورة آل عمران، الآية: 156 .

1024 سورة النوح، الآية: 4 .

1025 فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية، ص: 178 .

1026 فرج موسى، الإنسان والحضارة في القرآن الكريم بين العالمية والعولمة، ص: 132 .

الإنسان، فتستقر فيه، لكي يدمر هذا الكوكب الذي ليس لنا ملجأ سواه؛ فلا أرض راهناً، سوى هذه الأرض يمكن أن نُقل النوع البشري"<sup>1027</sup>.

المحرّك الرئيس لهذه المشتركات البشرية العامة هي الفطرة الإنسانية، ومن ثمّ لا يمكن أن نتصوّر حياة البشر بدون مشترك من المشتركات، فهي الضرورات الأولية والأساسية لقيام الإنسان وتحقيق إنسانيته، وهي مناط البشرية ومدارها، وعليها تقوم، وبها نستكمل مسيرة البناء، وبدونها تنعدم الحياة، والاعتداء عليها اعتداء مباشر على الإنسان مادياً ومعنوياً.

تناول المشتركات الإنسانية العامة يهدف إلى أن تلك المشتركات تُعبّر بصورة من الصور عن فطرة الإنسان وجزئته، فالتعرّض لهذه المشتركات هو تعرّض للإنسان ذاته، فهي الضرورات التي لا يستطيع الإنسان أن يحيا بدونها، أمّا المشتركات الإنسانية الخاصة فهي التي تُعبّر بكل وضوح عن هوية الإنسان وإنسانيته، "وانتفاء هذه المشتركات أو الاعتداء عليها يجعل الحياة البشرية تعيسة نكدة، قد لا يستطاع تحمّل مشاقّها، وهذه المشتركات في الوقت ذاته من أكبر المحفزات على التواصل والتعايش بين الأمم والشعوب، والرابطة على هذه المشتركات قد تكون أقوى من المشتركات العامة"<sup>1028</sup>.

على أن الحق سبحانه وتعالى، قد كرم الإنسان على إطلاق إنسانيته من دون تفرقة بين بني البشر، إن البشرية جمعاء في حاجة إلى تأكيد منظومة القيم الإنسانية، والإيمان

<sup>1027</sup> نعيمة لبدوي، مفهوم التعارف بين تأويل المفسرين ورؤية المفكرين، ص: 612 .

<sup>1028</sup> راغب السرجاني، المشترك الإنساني: نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب، ص: 402.

بالتنوع الحضاري والثقافي، والانطلاق للعيش معاً من خلال المشترك الإنساني بين جميع الناس، وتأكيد التعايش هو من صميم رسالة الأديان جميعاً، وترسيخه هو من صميم رسالة الأديان السماوية جميعاً، حتى لا يستغل الدين لمصالح سياسية أو أطماع اقتصادية، فيحدث القتل والتدمير والتخريب باسم الدين وتحت صيحات التكبير والتهليل.

وهكذا يظهر جلياً أن القرآن الكريم يرسّي قواعد بناء السلم العالمي ويؤسس نظام التعايش على الأرض بين خلق الله أجمعين، لأنه شرط أساس في تحقيق إنسانية الإنسان، وهو الآن مطلب مشترك عزيز لشعوب العالم، وينبغي أن يسعى الجميع صدقاً على تحقيقه، ويدخل ضمن المشترك الإنساني كلاً من حب الخير للجميع، وتقدير الخيرية في كل شيء، والعدل والإيمان بالمساواة، وإنصاف المظلوم، وتحقيق الحرية وكرامة الإنسان؛ أي كل ما من شأنه الحفاظ على إنسانية الإنسان، وتأمين حاجاته المختلفة من القيم المشتركة التي لا تختص بها أمة، ولا حضارة، ولا دين، ولا ملة من الملل السماوية.

وبالتالي فالمرجعية القرآنية تحفظ المشترك الإنساني، وتؤسس له عبر خطابٍ يعترف بالآخر المخالف دينياً ويمد له يد التعارف والتعاون والتآخي، وهذا ما يتيح لأتباع جميع الرسائل السماوية أن تتعاون في بناء المشترك الإنساني، وحفظ التنوع الطبيعي والثقافي لينهضوا جميعاً بأمانة أداء مهمة الاستخلاف في الأرض.

وفي الختام، نخلص إلى أن إشاعة ثقافة التعارف والقواسم الإنسانية المشتركة كفيل بأن يزيل فتيل التوتر بين الدول، ويقلل من النزاعات والحروب بين الأمم، ويعمل على تنمية

حوار الحضارات، وتعدد أشكال عمارة الأرض، ولا يجري التواصل والتفاعل الإيجابي مع هذه الرسالة، إلا بانتفاء عوامل التوتر والإكراه والصراع الحضاري.

إن حقيقة مفهوم المشترك الإنساني تمثل حاجة إنسانية حقيقية لتحقيق إنسانية الإنسان التي تتجلى في المروءة والقيم الخلقية والمبادئ الحضارية، منشؤها الفطرة الإنسانية ومستندتها الشرائع السماوية، وفي مقدمتها شريعة الإسلام الخاتمة، ولا ينبغي أن يشوش على هذه الحقيقة للمشارك الإنساني، التوظيف العولمي للمفهوم الهادف إلى محو الخصوصية الثقافية للشعوب وتمييع القيم الخلقية الإنسانية.

### **المطلب الثاني: العلاقة مع الآخر في ضوء إنسانية الإنسان**

لقد احتل مفهوم العلاقة مع الآخر مساحة كبيرة في مجال الدراسات المعاصرة؛ وذلك لأهميته بالنسبة للإنسان في أغلب المجالات التي يتعرض لها في مختلف نواحي الحياة، وأصبح للعلاقات الإنسانية مكانة كبيرة في جميع أوجه النشاط البشري.

ذلك لأن أهداف إنسانية الإنسان تتجلى في احترام الذات والآخر، غير أنه لا بُدَّ من التنبيه على أن المصلحة المقصودة في القرآن الكريم من خلال العلاقة مع الآخر، هي المصلحة بمعناها الإنساني الواسع؛ ولذا فهي في أعماقها تعبير عن التعارف والتعايش الذي يحقق المنفعة للجميع.

إن الإنسان في تعامله مع أخيه الإنسان لم يكن أمامه إلاَّ طريق من اثنين لا ثالث لهما؛ فأما الطريق الأول فهو طريق الأسوياء؛ "وهو التعارف مع غيره من البشر والتعاون



معهم للوصول إلى مصلحة مشتركة لكل الأطراف المتعاونة، وهذا يُحَقَّق منافع لا يمكن حصرها، والطريق الثاني هو طريق الأشقياء، وهو التصادم مع الشعوب الأخرى المالكة لبعض ما يُكمل عجز الآخر المعتدي، وهنا يتصرف الإنسان المعتدي بأنانية وغرور ليُحَقِّق مصلحته الشخصية دون النظر إلى مصالح الآخرين<sup>1029</sup>، "وإذا كان حضور الإنسان وتمايزه فيما خص به من لدن الله تعالى يشكل تعبيراً حياً وصادقاً عن مكانة الإنسان، فإن هذا التعبير الصادق لا يميز الإنسان في سياق ما خص به وحسب، إنما يفيد أمراً آخر هو التجلي الحقيقي للإنسان من حيث هو إنسان"<sup>1030</sup>.

فالإنسان أخ الإنسان من جهتين، "والإنسان أخ الإنسان مرتين، مرة وهي الأساس، لأن الرب واحد، ومرة ثانية لأن الأب واحد، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>1031</sup>، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>1032</sup>1033.

<sup>1029</sup> راغب السرجاني، المشترك الإنساني: نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب، ص: 132.

<sup>1030</sup> فرج موسى، الإنسان والحضارة في القرآن الكريم بين العالمية والعولمة، ص: 07.

<sup>1031</sup> سورة النساء، الآية: 01 .

<sup>1032</sup> سورة الحجرات، الآية: 13 .

<sup>1033</sup> أبو الحسن الندوي، الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، دار الصحوة للنشر، القاهرة ط 01، 1406هـ، 1986م، ص: 31.

فمفهوم ( الأنا ) هو الذي ولّد مفهوم ( الآخر ) "الذي يستحيل دخوله في ذلك ( الأنا )، وقبل ذلك كان كل ( أنا ) مفتوحاً على ( أواخره ) بدرجةٍ ما، وإمكانية التمازج وإرادة على الدوام بما أن ناظم العلاقة بينهما هو إنسانية الإنسان"<sup>1034</sup>، "وفي الوقت نفسه قادرة على الإفادة مما عند ( الآخر )، وممارسة التبادل الثقافي والمعرفي... إلخ"<sup>1035</sup>.

تكاد إشكالية ( الأنا والآخر ) أن تكون حاضرة بشكل مباشرة أو ضمني في كل الدراسات المتعلقة بالتفاعلات الإنسانية بمستوياتها وأشكالها كافة في كل زمان ومكان"<sup>1036</sup>، و"بذلك تتحدد معالم الإنسانية الكامنة في كل البشر، وبذلك ينشئ جسور التواصل مع الإنسان الآخر في أي منطقة على هذه الأرض، مهما كانت البيئة والثقافة؛ لأنه صادق في التعبير عن المشترك وهو الإنسان وهمومه"<sup>1037</sup>.

تشكل الكرامة واحترام الذات والأخوة الإنسانية والمساواة الاجتماعية جانباً مهماً في تحقيق إنسانية الإنسان، والمنظور القرآني يتناول هذا الجانب من خلال التصريح بأن الطبيعة الإنسانية الأصيلة ( الفطرة ) سليمة وخالية من أي عيب روعي، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>1038</sup>، ومن واجب البشر الحفاظ على طبيعتهم الحقيقة أي سلامتهم

<sup>1034</sup> السيد عمر، الأنا والآخر من منظور قرآني، ص: 116.

<sup>1035</sup> محمد عبد الفتاح الخطيب، قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديد، ص: 09 .

<sup>1036</sup> السيد عمر، الأنا والآخر من منظور قرآني، ص: 33.

<sup>1037</sup> راغب السرجاني، المشترك الإنساني: نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب، ص: 551.

<sup>1038</sup> سورة الروم، الآية: 30 .

الأصيلة ( الفطرة )، إضافة إلى ذلك فإن الخالق رب هذا الكون قد خص البشر بالكرامة والشرف، بغض النظر عن العرق واللون والجنس والعمر، إذ يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾<sup>1039</sup>.

يتمثل هذا التشريف للبشر بجعلهم خلفاء الله سبحانه وتعالى على الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>1040</sup>، وأي شرف للبشر أكبر من جعلهم خلفاء للخالق الأعظم نفسه؟ وبما أن البشر كافة خلفاء لله سبحانه وتعالى ينبغي أن يكونوا متساوين جميعاً وإخوة لبعضهم البعض، ومن ثم لا بد أن يكون هنالك تعايش سلمي فيما بينهم، مع قدر كبير من قبول الآخر والاهتمام المتبادل، وذلك لتعزيز الفلاح الإنساني الشامل من خلال الاستخدام الكفء والأمثل لجميع الموارد التي استأنمهم عليها الخالق سبحانه وتعالى.

إن المجتمع الإنساني هو شبكة معقدة من العلاقات بين مكونات متعددة فيه، فعلاقات بين الأفراد، "علاقات بين الفرد والهيئة الاجتماعية العامة، وعلاقات بين الفرد وبين القيادة العليا للمجتمع متمثلة في الدولة أو ما يقوم مقامها، وعلاقات بين الفرد وبين المؤسسات الاجتماعية مثل الأسرة وغيرها، وكلّ هذه العلاقات تتنوع إلى علاقات روحية أخلاقية، وعلاقات قانونية تنظيمية، وينتظم من كلّ ذلك بناء متكامل"<sup>1041</sup>، "وهو ما نطلق عليه في

<sup>1039</sup> سورة الإسراء، الآية: 70 .

<sup>1040</sup> سورة البقرة، الآية: 30 .

<sup>1041</sup> عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: 157.

هذا المقام اسم الكيان الاجتماعي، وإذا كان هذا الكيان الاجتماعي يمثل معنى عاماً يشتمل على عناصر عدة، فإن من أهم عناصره التي لا يكون له حفظ إلا بحفظها عنصرين أساسيين: المؤسسة الاجتماعية، والعلاقات الاجتماعية<sup>1042</sup>.

الإسلام دين الإنسانية يحثنا على العمل الإنساني للبشرية جمعاء، دون أن يقتصر عمل الخير عند المسلم على الأخوة في الإسلام، ليتعدها إلى الأخوة الإنسانية، والعمل الخيري أو الإنساني هو العمل الذي لا يعتمد على تحقيق أي مردود مادي أو أرباح؛ بل يعتمد على تقديم مجموعة من الخدمات الإنسانية للأفراد المحتاجين لها، "فالإسلام قد ظهر في زمن عدم الاعتراف بالآخر دينياً وحضارياً، فالحضارات التي سبقت الإسلام ( الفرعونية، والإغريقية، والرومانية ) وبقدر ما قدمت من نفع للإنسانية على المستوى المادي، بقدر ما أكدت في المجال الاجتماعي على مبادئ الاستعباد التي حكمت على الآخر بالدونية والاحتقار والإلغاء"<sup>1043</sup>.

ف تحرير الوجدان الإنساني وتحويله إلى رقيب ذاتي بالإيمان وتهذيب السلوك بتنقية البيئة الصغرى ( الأسرة )، والبيئة الكبرى ( المجتمع )، تحقيق التكافل التام في مواجهة

<sup>1042</sup> المرجع السابق، ص: 158.

<sup>1043</sup> محمد الناصري، مسألة الآخر في الفكر الإسلامي: نحو تجاوز لإشكال النسخ في فقهاء الموروث، ص: 06

المنكر والتشجيع على المعروف وتضافر النظم الإسلامية كلها على تكوين الفرد والأسرة والمجتمع<sup>1044</sup>.

لقد أكد ديننا الإسلامي على أهمية العلاقات الإنسانية بين الأفراد، "لما تحدثه من رفع المعنوية للأفراد وزيادة الإنتاج، وكان للإسلام الفضل في إرساء مبدأ العلاقات الإنسانية"<sup>1045</sup>، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾<sup>1046</sup>، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>1047</sup>.

كما دعا الإسلام إلى الرقي القائم على الإنسانية في التعامل مع الإنسان: الغني مع الفقير، والسيد مع الخادم، والمقيم مع المسافر، والجار مع الجار، والقريب مع ذوي القربي واليتامي وعبر ذلك مما يصرح به القرآن الكريم، وتحفل به السنة من الشفافية التي تخطت مرحلة الحقوق إلى مراحل بعيدة المنال مما هو معروف في حضارة التعامل ورقيه في الإسلام.

يجد الباحث في الدين الإسلامي الحنيف أن التشريع الإسلامي قد اشتمل على نظام شامل ينظم جوانب حياة الإنسان كلها، "فلم يقتصر في تشريعه على جانب العبادات، من

<sup>1044</sup> طه جابر العلواني، الفكر المقاصدي من العليل إلى المقاصد القرآنية، أعمال ندوة تطور العلوم الفقهية المقاصد الشرعية، المنعقدة خلال عام،

1427هـ، 2006م، لوزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط 02، 1433هـ، 2012م، ص: 151.

<sup>1045</sup> زرار العياشي، لإدارة العلاقات الإنسانية من منظور إسلامي، ص: 288.

<sup>1046</sup> سورة الإسراء، الآية: 53 .

<sup>1047</sup> سورة القلم، الآية: 04 .

صلاة وصوم وزكاة وحج فقط، بل نظم أنواع العلاقات الإنسانية كافة فيما يتعلق بعلاقة الفرد بالفرد، والفرد بالمجتمع وعلاقة الحاكم بأفراد الشعب<sup>1048</sup>.

ولا ريب أن التعارف المتوازن المتوازي القائم على الاحترام المتبادل سيؤدي إلى كثير من النتائج والآثار، فسلوك الفرد أي فرد، سيتغير باتجاه أخيه الإنسان وسلوك المجتمع هو سلوك إيجابي للأفراد، وبهذا "فإن أي مجتمع يفتح على الآخرين لا بد أن يضبط سلوكياته باتجاه الإيجاب، وليس باتجاه السلب وهكذا ينطبق هذا الحال على المجتمعات الإنسانية"<sup>1049</sup>.

إذا كان الإسلام يركّز على العلاقة الإنسانية في دائرة التعارف الحيوي في الحاجات، فإنه يثير الجانب الحركي في هذه العلاقة، ليدعو المؤمنين والمؤمنات إلى التعاون على البر والتقوى، بحيث يتكامل الجميع في تحقيق هذين العنوانين الكبيرين في الواقع، اللذين يمثلان الخير كله في علاقة الإنسان بالإنسان، وفي المفاهيم الأصيلة في الإيمان والعدل والتكافل الاجتماعي.

يتأسس ذلك على المراقبة المنفتحة على الله في دائرة السلوك الفردي والاجتماعي للإنسان على أساس الضوابط الروحية والعملية، وليبعدهم عن التعاون على الإثم والعدوان اللذين يمثلان الشر في نطاقه الفكري والحركي، وقهر الإنسان الآخر في كل أبعاده

<sup>1048</sup> زرار العياشي، لإدارة العلاقات الإنسانية من منظور إسلامي، ص: 288.

<sup>1049</sup> حسن الباش، منهج التعارف الإنساني في الإسلام: نحو قواسم مشتركة بين الشعوب، ص: 11.

وأوضاعه، لقد "حرص الإسلام على الدعوة إلى التمسك بكل الوسائل التي من شأنها أن تؤثّق عرى الأخوة والمودة بين الناس، ومن هنا نجد أنّ القرآن الكريم عني بالتوجيهات التي تحث على الأدب في التعامل مع الآخرين"<sup>1050</sup>، "المستمدة من القرآن الكريم، والتي تمثل الإطار المرجعي الواجب على الأمة الإسلامية تبنيه والالتزام به في علاقاتها مع الآخر"<sup>1051</sup>.

إن تحليل العلاقة بين الأنا والآخر في المنظور القرآني "يستوجب تحديد الرؤية الكونية الإسلامية التي يمكن من خلالها تحديد هذين المفهومين المحوريين وبناء شبكة العلاقات بينهما، فضلاً عن تحديد أنماطهما"<sup>1052</sup>، ومن أهمها العدل والأخوة الإنسانية اللذان يتطلبان معاملة جميع الأفراد بتقدير واحترام بغض النظر عن الانتماء القبلي واللون والعمر والجنس والجنسية، واقتسام ثمار التنمية بالعدل بين الجميع، ولا يقلل هذا أهمية عن ذلك النمو الروحي والأخلاقي الذي يستخدم كأداة انطلاق ليس فقط لتحقيق العدل بل ولإشباع جميع الحاجات الأخرى، وهو من المتطلبات الأخرى التي لا تقل أهمية مما تقدم لتحقيق الفلاح الإنساني، والتي تحظى بالاعتبار عموماً.

فالقرآن الكريم أصل مرجعيّ له خصوصيته، يسري نحو واقع مفتقر إلى مقتضيات الرُّشد، ويلزم في استخدام منهجية التحليل السياقي في بناء منظور للأنا / الآخر، التمييز

<sup>1050</sup> زرزار العياشي، لإدارة العلاقات الإنسانية من منظور إسلامي، ص: 301.

<sup>1051</sup> محمد الناصري، العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، ص: 08.

<sup>1052</sup> السيد عمر، الأنا والآخر من منظور قرآني، ص: 33.

بين المنطلق المادي المعرفي الوضعي، والمنطلق المعرفي التوحيدي المتبلور حول: "علاقة الخالق بالخلق، والإنسان بالحق، والمنطلق الأخير وحده هو الذي يعصم هذه المنهجية من الوقوع في فخ الأطر الواقعية الاختزالية المثقلة ببذور الصراع والثنائيات المستقطبة، والتي تقتعل قطعية بين النص والواقع، أو تجعل الواقع حكماً على النص، أو تقلب الموازين بتحويل المطلق إلى نسبي، والنسبي إلى مطلق"<sup>1053</sup>.

أما علاقة الإنسان بأخيه الإنسان فإنها تمثل أساس إنسانية الإنسان في القرآن الكريم لأنها منطلقة من خالقه، وقائمة على تفضيله وتكريمه، وقائمة على استخلافه وهي جزء مهم في علاقته بالخلق، فإذا كانت علاقة الإنسان مع الخلق بتلك العظمة وذلك الرقي، فإن علاقته مع أخيه الإنسان لا بد أن تقوم على الأساس الأكمل والأمثل.

لعل أول أصل يطالعنا في ذلك هو مراعاة كمال خلقه، والحفاظ عليه كما خلقه الله كاملاً جسماً وعقلاً وروحاً ومشاعراً وأحاسيس، لقد حرم الله الاعتداء على جسم الإنسان، لأنه خلقه في أحسن تقويم فشرع القصاص في الروح والدم والأعضاء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾<sup>1054</sup>، فذمته حرام إلا بحق الإسلام، والقصاص مفروض حتى في أقل أجزاء البدن ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾<sup>1055</sup>، كما منع الإسلام المساس بعقل الإنسان فحرم

<sup>1053</sup> المرجع السابق، ص: 33.

<sup>1054</sup> سورة الإسراء، الآية: 33 .

<sup>1055</sup> سورة المائدة، الآية: 45 .



ما يذهبه، ومنع المساس بمشاعره وتدميره وجدانه بالكلمة السيئة الخبيثة، وحظر اطلاق اللسان بالكلمة الخبيثة ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾<sup>1056</sup>، وبالمقابل حُب الإسلام في الكلمة الطيبة والتعامل الراقي بين بني البشر.

إن السيرة النبوية تحتوي على العديد من المبادئ والقيم التي تتعلق بكافة المجالات المختلفة، خاصة في مجال العلاقات الإنسانية، حيث "أوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم، من خلال أحاديثه ومعاهداته وحواراته وسلوكه النبوي مبدأ بين الناس، وعلم أمته كيف تحاور بصدق دون مواربة أو خبث أو التواء، فكسب أصحابه الأولون ودّ الناس، وجعلوا أمماً في الأرض تُقبل على دين الله الحنيف دون إكراه أو ضغط أو إجبار، وسار المسلمون على هذا النهج حتى عندما ضعفوا، وضعفت دولتهم، لم يكن دعاة الإسلام في آسيا وأفريقيا يتوقفون عن الدعوة، ويقدمون للشعوب والأمم نماذج راقية في السلوك والعمل والحوار"<sup>1057</sup>.

إن الإسلام دين إنصاف يرتكز على العدل، بصرف النظر عن الحب أو البغض اتجاه الآخرين، فالمسلم ينبغي أن يتعامل مع من يخالفه في الدين انطلاقاً من مرجعية الدين ومن قاعدة العدل، وقاعدة الحق، فلا يليق بمسلم أن يسيء إلى غير المسلم أو يحتقره أو يؤذيه أو يظلمه؛ لأن الإسلام حرم الإساءة إلى الآخر أيّاً كان مذهبه أو دينه أو جنسه.

<sup>1056</sup> سورة إبراهيم، الآية: 26 .

<sup>1057</sup> حسن الباش، منهج التعارف الإنساني في الإسلام: نحو قواسم مشتركة بين الشعوب، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية الجماهيرية العظمى، طرابلس، ط01، 2005م، ص:09.

المسلم يجمع بين كثير من الصفات كالصبر والحلم، وسعة الصدر والقول الطيب  
والمعاملة الطيبة والأمانة وتحمل المسؤولية، وهذه الصفات التي جمعها الله في رسوله محمد  
صلى الله عليه واله وسلم فتحت له الطريق بإذن الله كي يصل إلى قلوب عشيرته وأهله،  
يهداهم إلى الحق بعد ما كانوا يعبدون غير الله، ويتضح ذلك في العديد من الآيات الكريمة  
"والأحاديث الشريفة التي تدعو لتقوية العلاقات الإنسانية بين المسلمين مع بعضهم بعضاً  
على اختلاف أنواعهم وأشكالهم ومناطقهم بصرف النظر عن البيئة التي ينتمون إليها، أو  
مستواهم الاقتصادي والاجتماعي"<sup>1058</sup>.

لقد أبرز آليات التعارف تحقيق المصلحة المشتركة: الحوار، ولسنا نعني هنا الحوار  
التقليدي؛ الذي هو مجرد تبادل الكلمات بين الطرفين، وإنما نقصد "الحوار المثمر، الهادف  
إلى تحقيق نتائج عملية متمثلة في المصلحة المشتركة، حتى لو كانت هذه المصلحة مجرد  
معرفة بالشعوب الأخرى، وسماع تعريفها لنفسها، فهذا في حد ذاته مصلحة للإنسانية  
كلها"<sup>1059</sup>.

يؤكد القرآن الكريم على مبدأ "الكلمة سواء" باعتبارها أساساً للحوار، الذي تغيب فيه  
صيغة الغالب والمغلوب، والمستكبر والمستضعف، والقاهر والخاضع، وتتساوى فيه الإنسانية

<sup>1058</sup> زرار العياشي، لإدارة العلاقات الإنسانية من منظور إسلامي، ص: 295.

<sup>1059</sup> راغب السرجاني، المشترك الإنساني: نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب، ص: 551.

بأدميتها الخلقية، فكانت تلك الكلمة الجامعة أرضية أخلاقية لتنظيم الاختلاف والتعدد، قال

الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾<sup>1060</sup>.

إن الحوار قضية عقدية من صميم دعوة القرآن الكريم، حيث يؤكد مقصد التوحيد الذي جاءت الرسالات الإلهية بالدعوة إلى استيعابه والعمل وفق مقتضياته، والكلمة السواء ليست "سواء ذاتية" متحيزة لجهة ما استعلاء واستكباراً وأناوية، وإنما هي "سواء بينية" بين ذاتين أو أكثر، وسط مشترك بين طرفين مختلفين؛ على أساسها بناء مشترك جامع، لا عبودية فيه إلا للخالق ولا اعتداء فيه على المخلوق.

دعوة القرآن الكريم للتعارف تعني تماماً "إيجاد القواسم المشتركة بين بني البشر، فهي دعوة تنبيه واضح لهذا المخلوق، حتى يدرك طبيعته العقلية والنفسية أولاً، ثم طبيعته الإنسانية الشمولية ثانياً، ثم دوره في الاستخلاف والتعمير ثالثاً"<sup>1061</sup>، "لقد بين الله سبحانه، لأمة الإسلام مبدأ التعارف، باعتباره قانوناً إلهياً راسخاً"<sup>1062</sup>، "والتعارف في أبسط تجلياته يعني اعتراف كل طرف بالطرف النقيض له عقدياً، واحترام خصوصياته وعقائده، وإن كانت باطلة في نظرنا، وعدم اللجوء إلى القوة لمنعهم من ممارسة معتقداتهم، تحت أي ظرف من الظروف"<sup>1063</sup>.

<sup>1060</sup> سورة آل عمران، الآية: 60 .

<sup>1061</sup> حسن الباش، منهج التعارف الإنساني في الإسلام: نحو قواسم مشتركة بين الشعوب، ص: 05 .

<sup>1062</sup> المرجع السابق، ص: 08.

<sup>1063</sup> محمد الناصري، العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، ص: 08.

لقد أكد ديننا الإسلامي الحنيف على أهمية العلاقات الإنسانية بين الأفراد، نظرا لما تحدثه من رفع للروح المعنوية للأفراد وزيادة الإنتاج، وكان للإسلام الفضل في إرساء مبدأ العلاقات الإنسانية، حيث يتجلى ذلك من خلال بناء ذات الإنسان وتدريبه على مجاهدة النفس ومحاربة أطماعها ونزواتها، وتحريرها من الأنانية وحب الذات والرغبة في التسلط، ولعلّ من أهم وجوه الإحسان على مستوى الفرد ما تعلق بالإيثار، والتحرّر من التعصب والكراهية والاستهتار بمعتقدات الآخرين.

إننا اليوم بحاجة إلى تفعيل خطابنا الحضاري الإسلامي الإنساني على مستوى العالم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، يوم أن وضع للبشرية قانوناً شاملاً للعدالة والمساواة؛ فنحن مطالبون اليوم ببيان القيم الإنسانية العليا التي باتت ضرورة لا غنى عنها لكل البشر، وواجبنا - نحن المسلمين - أن نقرّبها إلى الناس في عصر طغيان المادة وتجاهل المثل العليا وضياع معنى الفضيلة والأخلاق.

على ضوء ما سبق بيانه؛ "فمفهوم (الأنا / الآخر) في المنظور القرآني مفهوم مفتاحي بكل معنى الكلمة، يصلح للاستخدام كوحدة تحليلية لأنماط العلاقات الإنسانية في وضعها الكلي، وفي فرعياتها، من منظور يتسع في الزمان والمكان ليشمل: الحياة الدنيا والآخرة"<sup>1064</sup>، ويتسع في أطراف العلاقة ليشمل: العلاقة بين الخالق والكون بكل ما فيه، والعلاقة بين الإنسان والإنسان، وبينه وبين الخالق وكافة المخلوقات، ولا تتحقّق للإنسان هذه

<sup>1064</sup> السيد عمر، الأنا والآخر من منظور قرآني، ص: 133.

الكرامة إلا من خلال تعامله مع غيره من بني البشر، فتحقيق إنسانية الإنسان هي خلاصة العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وذلك من خلال تعاملاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ... إلخ.

### **المطلب الثالث: إنسانية الإنان والكونية الحضارية**

عرفت البشرية عبر التاريخ حضارات متعددة، غالبيتها على أسس عرقية، قومية تستهدف السيطرة المادية لتحقيق السيادة والرفاهية لهذا العرق على حساب غيره من البشر، إلا الحضارة الإسلامية التي قامت على أسس إنسانية أخلاقية كونية تستهدف سعادة البشر في الدنيا والآخرة، إنها ليست حضارة قوم بعينهم ولكنها حضارة جامعة شاملة إنسانية وكونية.

الرسالة الإسلام رسالة إنسانية وكونية ذات هدف عالمي شامل كان الرسول صلى الله عليه وسلم مأمورا أن يخاطب بها الناس على وجه العموم، ومن أجل ذلك كانت رسالة الحضارة الإسلامية يشترك في تحقيقها العملي وبنائها التطبيقي كل الناس باختلاف أعراقهم وألسنتهم وألوانهم ... إلخ، " لأن دين الإسلام في أساسه نظرة شمولية للإنسان والحياة والكون، وعليه يرتكز تحديد العلاقات المختلفة التي تحكم حركة الحياة فيه، فهو الذي يحدد علاقة الإنسان بالكون"<sup>1065</sup>.

<sup>1065</sup> عبد العليم عبد الرحمن خضر، الإنسان في الكون بين القرآن والعلم، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الكويت، ط01، 1403هـ، 1983م، ص:

إن معنى أن تكون الرسالة الإسلامية، رسالة عالمية وكونية؛ هو أن تكون متجاوزة لكل المقاييس التي اصطلح عليها البشر عصبية القبيلة أو الجنس أو العرق أو الدولة، وغير ذلك لأنها تخاطب الإنسان من وراء كل الظروف والبيئات والأزمنة، لأنها تخاطب الإنسانية في الإنسان.

تستهدف إنسانية الإنسان في المنظور القرآني للحضارة في بعدها العالمي والكوني إلى تحقيق الخير للإنسان في الدنيا والآخرة، والرحمة به والحفاظ على كرامته، لذلك "فإن الحضارة الإسلامية أسهمت في إقامة صرحها عباقرة جميع الأمم والشعوب، فأبو حنيفة، ومالك، والشافعي وأحمد بن حنبل والكندي، والغزالي والفارابي وابن خلدون ممن اختلفت أصولهم، وتباينت أوطانهم، ليسوا إلا عباقرة قدمت فيهم الحضارة إلى الإنسانية أروع نتاج الفكر السليم"<sup>1066</sup>.

إنسانية الإنسان هي مبعث كل تحضر إنساني، وكل فعل يقوم به الإنسان، سواء أكان في النظر أو في العمل، إن مهمة الإنسان المكلف بها من الله عمارة الأرض تعميراً معنوياً يرتقي الإنسان في سلم الإنسانية فرداً ومجتمعاً، وتعميراً مادياً باستثمار المقدرات المادية والانتفاع بها على أسس من العلم بما بُنيت عليه من القوانين والسنن، وعلى أسس من

<sup>1066</sup> مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، ص: 105\_107 .

الاقتصاد في خيراتها يحفظ بقاءها للأجيال، ولا يستأثر بها جيل مسرف كما هو الآن، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾<sup>1067</sup>.

إن تحقيق إنسانية الإنسان هو أساس وجوهر كل تحول حضاري إنساني، من خلال المنظور القرآني، يبدأ مع خروج الإنسان عن ذاته، بدليل قوله تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾<sup>1068</sup>، لأن النفس هي موطن كل تحول نحو الخير أو الشر، وما لم يحصن الإنسان داخلياً، ويتحول رباً وموافقاً لأمر الله ونهيه.

إن النزعة الإنسانية في الإسلام تعلي من قيمة الإنسان وتعتبر حرته وإرادته شرطاً لصحة عقيدته الإيمانية كما أن الإسلام لا يهمل الحياة الدنيا والتمتع بخيرها، ولكن كل هذه القيم، تتم وفق القيم العقدية الإسلامية وليس بمعزل عنها، هذا بخلاف "النزعة الإنسانية والمذاهب الإنسانية وفق التصورات الغربية التي تجعل من العقل الإنساني وحده هو المشرع والموجه لحركة الإنسان الحضارية، بعيداً عن القيم الدينية الأصلية"<sup>1069</sup>.

بحيث يكون للإنسانية فيه منتهى التعبير عن حضارة، فالحضارة ليست تعبيراً خاضعاً لتاريخ وزمان ومكان للإنسان فقط، وإنما هي انعكاس لذاته وتحولاتها، "وقد بعث الله الأنبياء والرسل لأجل إثارة دفائن النفوس والعقول وترشيدها باتجاه كدح حقيقي يؤول في نهاياته إلى

<sup>1067</sup> سورة هود، الآية: 61 .

<sup>1068</sup> سورة العاديات، الآية: 10 .

<sup>1069</sup> سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، ص: 70.

تشكلات ثقافية وحضارية، يتجلى فيها الإنسان بتجلياته النهائية، ويكون له فيها الدور الملائم والموافق للفطرة ولكل ما جاء به الأنبياء والرسل من تعاليم ومبادئ وقوانين إلهية<sup>1070</sup>.

منذ أن بدأ الإنسان في عمارة الكون وتكوين الحضارة الإنسانية، وهو يعتبر الإنسان محور هذه المعرفة وهدفها بوصفه الكائن الوحيد في هذا الكون القادر على امتلاكها، إن أهم ما يميز الله تعالى به الإنسان قدرته على إدراك المعارف وتطوير العلوم بما يمكنه من حسن استغلال موارده البشرية والطبيعية، وهذا هو مضمون تسخير الله تعالى الكون لجنس البشر مظهرا لتكريمهم، فكرامتهم هي قدرته على الفعل وعدمه، وقدرتهم هي إرادتهم اتجاه الفعل والكف وإرادتهم تتشكل باختيارهم الحر، الذي هو أساس تكليفهم ومستند مسؤوليتهم.

الإنسان هذا المخلوق المكلف، المتميز بالعقل، الذي يمنحه القدرة على الاختيار، هو "محور الحضارة، ووسيلتها، وهدفها، ومعيارها، وإنما تقاس الحضارات، بمدى قدرتها على تحقيق إنسانية الإنسان، وتنمية مواهبه، وإطلاق ملكاته، وتحقيق وعيه بذاته، وانسجامه مع الكون والحياة، والارتقاء به، ليحسن القيام بدوره في البناء الحضاري"<sup>1071</sup>، "ومن الجدير بالذكر أن كل حضارة إنسانية تتبثق عن مفهوم للوجود، وتصور للإنسان؛ يحدد موقعه في الوجود وعلاقته بالكون وبما وراء الكون، وتتطلق من عقيدة يؤمن بها الإنسان (صانع الحضارة)"<sup>1072</sup>.

<sup>1070</sup> فرج موسى، الإنسان والحضارة في القرآن الكريم بين العالمية والعولمة، ص: 10.

<sup>1071</sup> محمد الفاضل بن عاشور، روح الحضارة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط 01، 1412م، 1992م، ص: 01.

<sup>1072</sup> عبد الحلیم عويس، الحضارة الإسلامية؛ إبداع الماضي وآفاق المستقبل، الصحوة للنشر والتوزيع، ط 1، 1431هـ، 2010م، ص: 37.



المهمة التي كُلف الإنسان بأدائها وهي الخلافة في الأرض لا يمكن أن يؤديها إلا في محيط مادي يتيسر معه ذلك الأداء، متمثلاً في "بيئة كونية تسمح بمقدرات أرضها واعتدال مناخها واستقرار توازنها، بأن يقوم فيها من الأموال ما ينمي ذلك التعمير ويرقيه ليلبغ مداه في الإنجاز الحضاري، بمعناه الحقيقي الشامل الذي هو تعبير عن مهمّة الخلافة في الأرض"<sup>1073</sup>.

فالإنسان لا يؤدي دوره في الحياة ولا يقر قرار نفسه وضميره إلا بالفعل والقرار الدائب في إدارة الكون وتسخيره ورعايته وأداء مطالب الوجود والخلافة في الأرض، ولذلك فالعمل مطلب للإنسان، والقرار مطلب للإنسان، والعلم مطلب للإنسان، ومنطلق الخلافة لدى العقل المسلم يحدد غاية هذه المطالب الفطرية ويرشدها، فتصبح بذلك مطالب سعي إلى الخير وإلى الرعاية وإلى الإعمار ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾<sup>1074</sup><sup>1075</sup>.

فالإنسان مخلوق حضاري منذ وطأت قدماء الأرض، وإليه أوكلت مهام عمارة الأرض، وكذلك مهام الكشف عن آيات نفسه والعالم، "باعتبار أن الإنسان قد خص بالذكر والعلم وصيرورة التحول نحو خالقه، وهذا التحول لا بد أن يأتي في سياق تعبير الإنسان عن ذاته

<sup>1073</sup> عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: 183.

<sup>1074</sup> سورة المؤمنون، الآية: 115 .

<sup>1075</sup> عبد المجيد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ص: 130 .

وعالمه، لأنه لا طفرة في عالم التحول، ولا عبثية في تحقيق الوجود الإنساني من حيث ما له من تمايزات وتحولات خاصة به : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾<sup>1076</sup>،<sup>1077</sup>.

الإنسان كائن متفاعل مع بيئته بشكل تلقائي أو مقصود، وهو قابل للتعلم، واكتساب الخبرة والتكيف، كما أن العقل يكتسب الخبرات من البيئة، ويسجل الخبرات الجديدة إلى الخبرات القديمة حيث تتفاعل بعضها مع بعض، ويعاد تركيبها بشكل مستمر، والإنسان محايد وقابل لتعلم الخير والشر سواء حسب تأثير المجتمع، وما يمكن تعلمه قد يصعب تعلمه.

فالإنسان كاشف عن ماهية ذاته، وعن صيرورة نفسه، وهذا هو أول معنى حضاري في العالم، "لأن الإنسان بدأ بنفسه أولاً ثم تجاوزها إلى العالم، ويكفي أن نشير لتأكيد هذا المعنى إلى ما ذكره الحكماء من أن معرفة النفس الإنسانية هي أول الطريق نحو الحضارة الإنسانية"<sup>1078</sup>.

لقد جاء الإسلام لتعزيز مكانة الإنسان وتوجيهه وإرشاده إلى التي هي أقوم، بحيث يكون له الامتداد في الزمان والمكان والتاريخ، إذ أن أي امتداد في هذا كله يبقى بحاجة إلى

<sup>1076</sup> سورة البلد، الآية: 04 .

<sup>1077</sup> فرح موسى، الإنسان والحضارة في القرآن الكريم بين العالمية والعولمة، ص: 171.

<sup>1078</sup> المرجع السابق، ص: 173.

"أن يعبر الإنسان عن معناه الحضاري بحريّة تامّة ومسؤولية كاملة، وإلا استحال عليه أن يمتد ويتحقق في أي مجال من مجالات الحياة"<sup>1079</sup>.

إن الإنسان في القرآن الكريم يتجلى نهائياً في الرسالة النهائية باعتباره مخصوصاً بالذكر، ومؤهلاً لتخصيص ذاته بما يجعله أكثر قدرة على تجاوز عالم الشهادة إلى عالم الغيب، لأن الإيمان بالغيب هو من تعبيرات حضارة في القرآن الكريم، ويستحيل على من لا يؤمن بالغيب أن تكون له حضارة متوازنة، فضلاً عن أن تكون إنسانية متكاملة في أبعادها.

إن الإنسان هو العنصر الأساسي في كل تقدم حضاري، والقرآن الكريم هو الإطار العريض المنظم لحياة الإنسان الفردية والاجتماعية المتوازنة جسداً وروحاً بما يتلاءم مع الإنسان في أي مستوى حضاري، "ولما كانت الحضارة المعاصرة ذات التركيب المادي لا تلائم طبيعة التركيب الثنائي للإنسان العضوي الروحي، فإنه يكون من الواجب علينا أن نجدد نظرتنا إلى واقع هذه الحضارة من خلال القرآن الكريم، وتوجهاته لبنني واقعا الحضاري على أساس هذه التوجيهات التي تبني أولاً فرداً متوازناً مؤمناً حراً كريماً يحترم العقل ويدرك قيمة العلم ودور الأخلاق في أي نهضة"<sup>1080</sup>.

الحضارة الإنسانية العالمية في القرآن الكريم، المتمثلة في التجربة الإسلامية تتجلى باعتبارها الرسالة النهائية في عالم الوجود، هذا فضلاً عن أنها تستوعب تاريخ وزمان

<sup>1079</sup> المرجع السابق، ص: 244.

<sup>1080</sup> محمد أمين جبر، الإنسان والخلافة في الأرض، ص: 17.

الإنسان من حيث ما له من أسبقية على خلق الإنسان كما قال تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾<sup>1081</sup> ، يقول محمد سعيد رمضان البوطي: "إن الحضارة يمكن أن تُعرَّف انطلاقاً من هذا الأساس بأنها: ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة"<sup>1082</sup>.

فالحضارة هي تطبيق تلك المفاهيم والمبادئ والقيم الإنسانية، وهي أيضاً تفاعل الإنسان بالكون عبر زمان محدود أو أزمنة متعاقبة، وهي تنظيماً لشئون الحياة المختلفة<sup>1083</sup> ، "فالحضارة هي انعكاس لصورة النفس وما يخلج فيها، وما لم تتحقق هذه النفس بالهدى الإلهي وتأخذ به، فإنها لن تستقر دون الهلاك والخوف والحزن، وغير ذلك مما يستتبع على قواعد وقوانين الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها"<sup>1084</sup>.

إن الحضارة هي انعكاس لصورة النفس وما يخلج فيها، وما لم تتحقق هذه النفس على النحو الذي يجعلها مستقرة في سعيها وصيرورتها نحو الوجود والخلود، وبه "فإن الحضارة من حيث هي فعل إنساني تبقى غير متوازنة ما لم يصلح الإنسان"<sup>1085</sup> ، "لما تقوم حضارة ما على رؤية للإنسان يشوبها الاستنقاص لذاته أو لجزء من ذاته، أو تقوم على تفرقة في أصل الخلقة بين نوع من الناس يتَّصف بالشرف وبين آخر يتَّصف بالخسة"<sup>1086</sup> ، فإن ذلك يفضي

<sup>1081</sup> سورة الرحمان، الآيات: 04\_03\_02\_01.

<sup>1082</sup> محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، ص: 19 .

<sup>1083</sup> سيف الدين عبد الفتاح، مقصد حفظ العمران الحكم الراشد، ص: 240.

<sup>1084</sup> فرج موسى، الإنسان والحضارة في القرآن الكريم بين العالمية والعولمة، ص: 174.

<sup>1085</sup> المرجع السابق، ص: 174.

<sup>1086</sup> عبد المجيد عمر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص: 90.

لا محالة إلى مسلك حضاري لا يبالي كثيراً بإنسانية الإنسان، فيقع السقوط في انتهاك الذات الإنسانية وابتذالها وسلبها حقوقها.

إن المنظور الحضاري الإسلامي كمنظور من شأنه أن يصوغ فكراً جديداً مبدعاً يتسم بالحيوية والإنشاء "ويتسم بقبالة لتحقيق قدر من التنوع والانفتاح على منافذ متعددة ومتجددة عند الواقع الحضاري، بالإضافة إلى طبيعة هذا المنظور من حيث كونه يتجاوز إطاراً للرؤى التشخيصية إلى رؤية حضارية إصلاحية تكوينية"<sup>1087</sup>.

بالإضافة إلى أن الحضارة الإسلامية هي حضارة العقل والتفكير، وحضارة السلام الداخلي والخارجي، وحضارة المحبة والصفاء، وحضارة المحافظة على حقوق الإنسان، وغير ذلك من الخصائص والصفات الكثيرة التي لا مثيل لها في أي حضارة أخرى، في كل الأزمنة والأمكنة.

حيث إن الإسلام أحدث تحولاً في الرؤية للوجود والعالم والإنسان، وأحداث تحولاً في بنية العلاقات الاجتماعية وتركيبية المجتمع، "وأحداث تحولاً في مركزية الاهتمام، ويمكن لمن يتفحص التاريخ أن يلاحظ ذلك التحول الذي أحدثه النبي صلى الله عليه وسلم في البناء الاجتماعي وفي العلاقات الاجتماعية"<sup>1088</sup>.

<sup>1087</sup> سيف الدين عبد الفتاح، مقصد حفظ العمران الحكم الراشد، ص: 316.

<sup>1088</sup> بدران مسعود بن لحسن، دور الدين في تحقيق العمران الاجتماعي، ص: 92.

لقد دعا الإسلام إلى إقامة الحضارة العالمية على أساس القرآن الكريم، انطلاقاً مما ميّز به الإنسان من طاقات ومؤهلات وقدرات لبلوغ العالمية الإنسانية، إن الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية تعتمد على حركة الإنسان المهتدي بهدايات الخالق العظيم، وهي حركة في اتجاهين متوازيين متكاملين، "حركة في داخل الإنسان نفسه من أجل تنمية وتطهيره والصعود به في مراتب الكمال ومدارج الخير، وحركة في الأرض والطبيعة لاستثمارهما والتفاعل معهما، بعيداً عن الرؤية الصادرة عن المادة، والتي تجعل الإنسان سلعة خاضعة لمقاييس الاستخدام والاستغلال، في دنيا منفصلة عن الآخرة"<sup>1089</sup>.

نستطيع أن نعرف الحضارة الإسلامية بأنها: "كل حضور، يسعى إلى تحريك الحياة وفق رؤية الإسلام للإنسان والكون والحياة، ومقاصده في تحريك الحياة، ومن خلال نموجه المعرفي الخاص به، والقائم على: وصل الإنسان بربه، وكذلك وصل الإنسان بأخيه الإنسان، ثم الاستقامة في التعامل مع مفردات الكون، انتفاعاً واستثماراً وائتمناً"<sup>1090</sup>.

إنها حضارة قائمة بالوحي ومستمرة به، وبمقدار ما تكون هذه الحضارة حية بالوحي وموافقة له بمقدار ما تكون عالمية، "لأن الوحي فيما جاء به من نظرة شاملة في العقيدة والشريعة ونظام الحكم، هو عالمي بنص القرآن الكريم ومن شأن العمل به والصدور عنه أن يحقق العالمية للإنسان"<sup>1091</sup>.

<sup>1089</sup> محمد عبد الفتاح الخطيب، قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة، ص: 54.

<sup>1090</sup> المرجع السابق، ص: 125 .

<sup>1091</sup> فرج موسى، الإنسان والحضارة في القرآن الكريم بين العالمية والعولمة، ص: 186.

إن الحضارة في تصور القرآن الكريم يمكن استكشاف ملامحها من خلال صيرورة الإنسان الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، "وقد أرشد القرآن الكريم إلى هذه الملامح من خلال الإشارة للأمم وما تحولت إليه في مساراتها، وما انتهت إليه من مصير رغم كل ما آلت إليه من تطور وعمارة وقوانين وفنون ومعارف"<sup>1092</sup>.

لقد تميز القرآن الكريم عن الرسائل السابقة فيما جاء به من منطق حضاري، حيث "إنه جاء بالقواعد والأسس التي تساعد الإنسان على تحقيق ذاته أولاً، هذا فضلاً عن أنه أرشد إلى المنهجية القويمة التي تساعد الإنسان على التحرك باتجاه آفاق واضحة وأهداف سامية"<sup>1093</sup>.

فإذا أردنا أن نضع مقياساً لدرجة الازدهار الحضاري في الرؤية القرآنية، ونجعل هذا المقياس هو مدى تحقيقه لمصالح الناس وتمكينهم من الوصول إلى السعادة والنمو والرخاء، فلا يشك عاقل أنّ المقاصد التي أنزلها الشارع الحكيم في تشريعاته هي في أعلى وأرقى درجات هذا المقياس؛ لأنها تهدف إلى جعل تصرفات المكلف محققة للمصالح الإنسانية، وفي سبيل تحضرها وتقدمها من جميع الجوانب المادية والروحية، "وفي ظل هذه الرؤية فإن الحضارة بهذا المعنى تتكون من عناصر عدة يقع على رأسها الإنسان بكلياته، فهو صاحب

---

<sup>1092</sup> المرجع السابق، ص: 174.

<sup>1093</sup> المرجع السابق، ص: 179.

التفاعل لما يملك من أنشطة وطاقات وقدرات عقلية وجسدية وروحية توجهها مجموعة المفاهيم والتصورات عن الحياة"<sup>1094</sup>.

إن الحضارة في القرآن الكريم تبقى فعلاً إنسانياً أولاً وأخيراً ولهذا؛ "فالوحي الإلهي قد أرشد إلى السبل الكفيلة بتحقيق النفس على النحو الذي يجعلها مستقرة في سعيها وصيرورتها نحو الوجود والخلود، إن الحضارة من حيث هي فعل إنساني تبقى غير متوازنة ما لم يصلح الإنسان"<sup>1095</sup>، "ومن هنا فالحضارة تبدأ عندما يمتد نظر الإنسان إلى أفق أعلى من يومه وعن حقبته التي يعيشها"<sup>1096</sup>.

إننا حينما نتأمل القرآن الكريم كما يقول مالك بن نبي: " يبدو الدين ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته، كما تحكم جاذبية المادة، وتتحكم في تطورها، والدين على هذا يبدو وكأنه مطبوع في النظام الكوني، قانون خاصا بالفكر، الذي يطوف في مدارات مختلفة، من الإسلام الموحد"<sup>1097</sup>، "فالقرآن الكريم فيه توجيه العقول لمعرفة الله تعالى، والاستدلال على وحدانيته ووضع مادة الاستدلال، فيه دعوة إلى النظر المستمر في الأشياء وفي الأحياء، وإلى أصل الكون ودراسته"<sup>1098</sup>، "إن الله سبحانه هو خالق الكون والإنسان والحياة، وهو الذي استخلف الإنسان في الأرض وأوكل إليه مهمة إعمارها، فما يجري في الأرض هو حاصل

<sup>1094</sup> سيف الدين عبد الفتاح، مقصد حفظ العمران الحكم الراشد، ص: 240.

<sup>1095</sup> فرج موسى، الإنسان والحضارة في القرآن الكريم بين العالمية والعولمة، ص: 174.

<sup>1096</sup> بدران مسعود بن الحسن، دور الدين في تحقيق العمران الاجتماعي، ص: 75.

<sup>1097</sup> مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1984م، ص: 300.

<sup>1098</sup> محمد أبو زهرة، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، ص: 32.



هذه العلاقة بين الله تعالى الخالق المستخلف وبين الإنسان المستخلف والكون المسخر الذي هو ميدان الخلق الإلهي والتسخير والإرادة والعمران<sup>1099</sup>.

القرآن الكريم يحث على التأمل والتفكير في مظاهر الكون وسنن الحياة، بهدف الاستفادة منها وتوظيفها في مجال النهوض الحضاري، والتفكير السليم هو الذي يكون مبنياً على معلومات وحقائق علمية ينتج عنها "عمارة الكون وفق أسس صحيحة، تحقيقاً لمظهر الاستخلاف الذي كلف به الإنسان، وهذا يعني أن تكون حركة البحث العلمي متواصلة ومستمرة دون انقطاع للوصول إلى أسرار الكون وتسخير ما خلقه الله للإنسان فيما يفيد الإنسانية"<sup>1100</sup>، "تتمحور القوامة المعرفية للمنهج القرآني حول قراءة الوحي وقراءة الكون، وهما قراءتان تتأسس أحدهما على الأخرى، لكن الأمر بينهما دائماً ما يستلزم نوعاً من الاعتدال والموضوعية والتوازن ولا يتطلب طغيان إحداهما على الأخرى"<sup>1101</sup>.

إن "المتأمل في آيات القرآن الكريم التي تهتم بالكون وتشير إليه يلاحظ تنوع أسلوبها، فأحياناً تستلقت النظر إلى آثار قدرة الله، وأحياناً تعدد نعم الله على الإنسان في هذا الكون البديع ليرتبط به، فيتعرف أسراره وأحواله، وفي مجالات أخرى نجدها تهدد الجاحد الكفور

<sup>1099</sup> عبد الرحمن العضراوي، مدخل تأسيس في الفكر المقاصدي، ص: 338 .

<sup>1100</sup> هاشم بن علي الأهدل، أصول التربية الحضارية في الإسلام، أصل الكتاب رسالة دكتوراه، ط1، سلسلة الرسائل الجامعية، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ص: 266، وما بعدها .

<sup>1101</sup> محمد الناصري، المنهج التوحيدي للمعرفة وتأسيس الإستيمولوجيا المعاصرة، ص: 170\_171.

بسلب هذه النعم، وكأن الآيات في مجموعها تمثل نداء جهيراً للناس أن افتحوا عيونكم وأيقظوا أفئدتكم، وتأملوا ملياً في خلق الله لكم<sup>1102</sup>.

إن الآيات القرآنية هدفت إلى إنشاء أمة متميزة موصلة بالله الواحد، زكية بتعليماتها وإرشاداتها، مستثمرة خيرات الكون في ترقية الحياة الإنسانية وتبليغها للبشرية عرباً وعجماً، وشرقاً وغرباً، فعلى الأمة وهي تعد نفسها لتحمل هذه المسؤولية الحضارية أن تتمسك بمقاصد القرآن الكريم، كمقصد التوحيد، والكون الدال على خالقه، والتزكية للإنسان بأبعاده الحضارية المنشودة، وبناء الأمة الشهيدة على البشرية، وتعمير الأرض معنوياً ومادياً، "النص الشرعي وتلقيه من لدن الإنسان ضمن رؤية تصورية كلية جامعة لقوانين إدراك علاقة الوحي الإلهي بالوجود الإنساني، وفهم جدليته مع الواقع التاريخي"<sup>1103</sup>.

وهكذا نجد الكثير من الآيات القرآنية التي دعت إلى قضايا النظر وضرورة التأمل وإدامة التفكير في الكون الفسيح، بغية الوصول إلى كمال مقام المعرفة وحصول الصّلاح وتمام سلامة الفكر وصواب الرّأي؛ لأن ذلك هو السبيل في حسن إعمال العقول واستثمارها فيما يعود على الفرد والمجتمع بالهداية، "ومن الوظائف التي يتميز بها النص القرآني وتنشئ حركية لدى المتلقي في فهم علاقته بالكون وبالواقع الإنساني ثم الاسترشاد بها في صياغة تاريخه وبناء حضارته"<sup>1104</sup>.

<sup>1102</sup> عبد العليم عبد الرحمن خضر، الإنسان في الكون بين القرآن والعلم، ص: 133.

<sup>1103</sup> عبد الرحمن العضراوي، النص الشرعي وبناء مفهوم التأويل، التأويل سؤال المرجعية ومقتضيات السياق، ص: 77.

<sup>1104</sup> المرجع السابق، ص: 78.

إن الكون بسمائه وأرضه وما حواه من مصنوعات ومخلوقات يعتبر الآية الكبرى والمسرح الحقيقي للتأمل والتدبر في حقيقة الموجود له ولمصنوعاته، وللوقوف على مدى عظمة الخالق وقدرته وحكمته، "فهذا الكون الهائل بكل ما فيه من نعم مسخر للإنسان: السموات ينزل منها الماء، والأرض تتلقاه، والثمار تخرج من بينها، والبحر تجري فيه الفلك بأمر الله مسخرة، والأنهار تجري بالحياة والأرزاق في مصلحة الإنسان"<sup>1105</sup>، "بحيث تعتبر كل السنن التي يزخر بها الكون الفسيح منسجمة مع سنن التخاطب في بيان رسالة غائية دافعة للعبثية والسردية عن انسجام السنن الكونية، وتوازنها بما يحقق مقتضيات أحوال التخاطب الناطقة والصامتة في إيجاد المصالح المترتبة"<sup>1106</sup>.

الموجودات الكونية كلها "ليست إلا مظهرا من مظاهر تكريم هذا الإنسان وإعلاء شأنه وإشعاره برئاسته لهذا العالم المحسوس، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>1107</sup> 1108، "فمفهوم النص الشرعي باعتباره من جهة أولى، مركبا معرفيا جامعا لقوانين اشتغال النظم القرآني في مستوياته اللغوية الصوتية والدلالية والتركيبية والتداولية والحضارية، ومن جهة

<sup>1105</sup> حامد صادق قنبي، الكون والإنسان في التصور الإسلامي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 01، 1400هـ، 1980م، ص: 94.

<sup>1106</sup> عبد الرحمن العضراوي، النص الشرعي وبناء مفهوم التأويل، ص: 77 .

<sup>1107</sup> سورة الإسراء، الآية: 70 .

<sup>1108</sup> حامد صادق قنبي، الكون والإنسان في التصور الإسلامي، ص: 100.

ثانية مستلزما تكاملا تدبريا بين منطق أصول الشرع، ومنطق نظام اللغة، ومنطق التدبر العقلي، ومنطق سنن الكون<sup>1109</sup>.

إن الكون بكل عناصره مصدر أساس من مصادر المعرفة الإسلامية، والدليل على ذلك تلك الآيات الكثيرة في القرآن الكريم، التي تحت على التأمل والتدبر والتفكر في خلق السماوات والأرض وما بث الله في ثناياها من آيات دالة على عظمة خالقها وانفراده بالتدبير، وما يجدر ملاحظته أن الكون هو منشأ الظواهر الطبيعية والاجتماعية، وهي مجال دراسة الإنسان من خلال وسيلتي السمع والبصر.

الكون بما فيه من موجودات لم يخلق ذاته ولم تجده الصدفة ولم تحدثه الطبيعة بل هو مخلوق لله تعالى بحكمة وتدبير، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾<sup>1110</sup>، "والإنسان مخلوق ذو طابع خاص متميز بين مخلوقات الله منذ نشأته الأولى، حيث خصه الباري عز وجل بجملة نعم هيأته ليتبوأ مركزاً مهماً في المجتمع الإنساني بل وفي الكون"<sup>1111</sup>.

فلما كان الإنسان يشترك مع الكون في وحدة التركيب المادي، فإنه يكون بذلك مهياً لأن يتفاعل معه تفاعلاً تاماً، إذ التجانس شرط في هذا التفاعل، "ولما كان الإنسان أرفع من الكون شأنًا وأعلى قيمة، فإنه سيكون هو المنتفع منه وسيكون الكون مهياً لذلك النفع، ولذلك

<sup>1109</sup> عبد الرحمن العضراوي، النص الشرعي وبناء مفهوم التأويل، ص: 79 .

<sup>1110</sup> سورة النمل، الآية: 88.

<sup>1111</sup> عماد عادل أبو مغلي، العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم، ص: 45.

جاءت التعاليم القرآنية تؤكد أن الكون كله مسخر للإنسان، مذل له في سبيل استثماره واستغلال مرافقه، وقد جاءت هذه التعاليم مبينة لهذا التسخير مفصلة له في مظاهر ومستويات متعددة ومختلفة<sup>1112</sup>.

لأن طبيعة التصورات الكونية لدى الإنسان، هي التي تحكم موقفه من نفسه ومن المجتمع والعالم والكون والله، وتؤطر علاقته بذلك كله بشكل جذري، "هذا ما ينبه إليه القانون الكلي العام الناظم للسيرورات الحضارية لحركة الاستخلاف البشري في الأرض"<sup>1113</sup>، والوارد في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>1114</sup>، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾<sup>1115</sup>.

إنَّ الكون وما فيه ليس مستقلاً عن الإنسان ووجوده، بل "إنَّ الكون لم يوجد إلا من أجل الإنسان، فهو قد أعدَّ لاستقباله، واستمرار وجوده تبعاً لذلك رهين الوجود الإنساني، وبينهما وحدة في التكوين؛ فالإنسان متكون من العناصر نفسها التي تتكون منها الموجودات الجامدة والحسية، وبينهما كذلك وحدة الكيفية والتركيب؛ إذ ركبت الموجودات كلها بكيفية التزواج، كما يثبتته قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رُجُجِينَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>1116</sup>.

<sup>1112</sup> عبد المجيد عمر النجار، الإنسان والكون في العقيدة الإسلامية، مجلة المسلم المعاصر، القاهرة، العدد 77، 1995م، ص: 23.

<sup>1113</sup> الطيب البرغوث، المدخل السنني إلى خريطة المقاصد الكلية في القرآن الكريم، ص: 420 .

<sup>1114</sup> سورة الأنفال، الآية 53 .

<sup>1115</sup> سورة الرعد، الآية 11 .

<sup>1116</sup> سورة الذاريات، الآية: 49.

الكون بعناصره المتنوعة هو المسرح الذي يمارس عليه الإنسان مهمة الاستخلاف، وهو في ذات الوقت يحقق إنسانية الإنسان حيث يتجلى ذلك في البعد الحسي أساساً وفي البعد الروحي أيضاً، "فالإنسان يحيا على وجه الأرض حياة تحكمها إلى حد كبير ظروف الطبيعية، فتحدد نشاطها، وتوجه سيرها، ولكنه مع ذلك بما أوتي من الإرادة والعقل يعاكس ذلك التحكم في جوانب متعددة، ويستخدم عناصرها لترسيخ تلك الحياة وتمييزها، فإذا الحضارة ثمرة في وجه من وجوها لعلاقة الإنسان بالكون، وأثره من آثارها"<sup>1117</sup>، وقد جاء التعبير القرآني رائعاً في دلالاته على الوحدة الجامعة بين الإنسان والكون في الترابط التكويني بينها؛ إذ يقول تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾<sup>1118</sup>.

لما كانت مقومات المجتمع الإسلامي تعود في أصلها لرب هذا الكون وخالقه كان المجتمع الإسلامي ربانياً، ولما كان "الإنسان واحداً من مخلوقات الله في هذا الكون وبقية المخلوقات فيه مسخرة له لغاية سامية، فإن الله عز وجل راعي في تشريعاته فطرة هذا الإنسان وبذلك صار المجتمع الإسلامي إنسانياً، ولما كان الله متصفاً بصفات الكمال وكان الإنسان المنشئ للمجتمع الإسلامي لا يزال بفطرته السليمة التي خلقه الله عليها كان لا بد لهذا المجتمع الرباني الإنساني أن يكون أخلاقياً"<sup>1119</sup>.

<sup>1117</sup> عبد المجيد عمر النجار، فقه التخصير الإسلامي، ص: 125.

<sup>1118</sup> سورة نوح، الآية: 17.

<sup>1119</sup> عماد عادل أبو مغلي، العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم، ص: 139.

فعلاقة الإنسان إذن بُنيت على توافق وانسجام مع الكون، فلا يحق له الإساءة إلى الكون وتدميره، فالجانب الأقصى الذي شرعه الإسلام وهو العقوبات والحدود، أو حتى الجهاد في سبيل الله، كان للمحافظة على عمارة الأرض واستقرارها، وقطع يد العابثين بها وبأمن الناس فيها من المفسدين، فكلّ أولئك وسائل للمحافظة على عمارة الكون.

علاقة الإنسان بالكون ليست علاقة مادية فحسب، وإنما هي علاقة روحية أيضاً؛ وذلك لأنه من جهة يبلغ نوع التعامل المادي بين جسم الإنسان وبين عناصر الكون المادية غذاء وهواء واحتماء، درجة من العمق يتعدى بها التأثير في المادة الجسمية إلى التأثير في العنصر الروحي لشدة الترابط بينهما، ولأنه من جهة أخرى "ليس الكون بعداً مادياً أصم خالصاً من كل معنى روحي، بل إنه وإن لم يشتمل على روح من نوع الروح الإنسانية، فإنه لا يخلو من تلبس على نحو من الأنحاء بمعان ذات طبيعة روحانية، أليست تتجلى في كل ذرة منه، وفي كل كيفية من كفياته قدرة الله وعلمه وحكيم صنعته ونظامه"<sup>1120</sup>، وعلى أساس جدلية التكامل بين المنطلق الشرعي والمنطلق الكوني "وما يستمد منهما من منهج معرفي كوني قادر على تفسير الوجود والقيم والمعرفة، يمكن دراسة مناهج التلقي للنصوص الأدبية والاجتماعية والكونية في العلوم الإنسانية والاجتماعية والكونية"<sup>1121</sup>.

الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يبحث عن الغرض من وجوده في الكون، فهو الكائن الوحيد القادر على إعادة صياغة ذاته وبيئته بحسب وعيه الإنساني، وهو الكائن القادر على

<sup>1120</sup> عبد المجيد عمر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص: 138.

<sup>1121</sup> عبد الرحمن العضراوي، النص الشرعي وبناء مفهوم التأويل، ص: 112.

ارتكاب الخطيئة والذنوب، وقادر على التوبة والعودة، وهو قادر على البهيمية والملائكية، فممارسة ليست انعكاساً بسيطاً أو مركباً لقوانين الطبيعة والمادة، فهو مختلف كفيفاً وجوهرياً عن الظواهر الطبيعية، هو مركز الكون وسيد المخلوقات.

هناك علاقة وطيدة بين الكون والإنسان والتبادل المنتظم بينهما، "قد وُلد علاقة أوثق وهي في القرآن أكثر صراحة ودلالة على ما بين الإنسان والكون من روابط، علاقة التسخير وهي الإطار لعمارة الأرض"<sup>1122</sup>، لذلك كان على الإنسان التفاعل مع هذا الكون بما فيه من أدوات لصالح الإقلاع الحضاري، وفي النشاطات والاستثمارات التي تؤدي إلى ازدهار حياة البشر ورفي حضارتهم من جميع الجوانب، وذلك سعياً وراء تحقيق سعادة العاجل والآجل.

الإنسان والكون مخلوقان لله تعالى، والإنسان مطلوب منه عمارة هذا الكون ليعينه على تكاليف العبادة، والكون مسخر لهذا الإنسان، فعلاقة الإنسان بالله تعالى علاقة عبادة، وعلاقة الإنسان بالكون علاقة تسخير، وهذا الكون مصدر معرفة للإنسان؛ لذلك كانت الدعوة للتفكير والتدبر والتفقه والنظر في ملكوت الله باعتبار أن ذلك يمثل مدخلاً للإيمان بالله تعالى، "إن الكون الذي هو تعبير عن إبداع الخالق، تشده قوانين واحدة وأسباب واحدة،

<sup>1122</sup> مسفر على القحطاني، مقصد العمران الحضاري: رؤية علمية نقدية، ص: 01.



ونواميس واحدة تصدر عن إرادة واحدة، ولن يتحقق فهمه أبداً ما لم يُنظر إليه من خلال رؤية تعرف كيف تجمع وتلم، وتقارن وتختزل وتركب وصولاً إلى الحقائق التي تبغيها<sup>1123</sup>.

حث الله الإنسان في آيات كثيرة إلى النظر والبحث والملاحظة كي يهتدي إلى آياته وسننه ونواميسه في الكون، فتبين للإنسان من خلال النظر والتدبر في آيات الله أن الله هو الحق وهو الخالق المبدع، وإن ما يدعون من دونه هو الباطل، قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخُلُقَ ﴾<sup>1124</sup> "1125"، فلو اتخذت النفس الإنسانية الهدى الإلهي مرشداً لها، وجعلت منه سبيلاً إلى عالمها، الذي تتكون فيه ملامح الحضارة الأولى، لأدى طريقه في شق طريقها باتجاه عالم الواقع الإنساني المحقق للمقاصد الإنسانية في الوجود.

لقد دعا القرآن الكريم إلى التبصّر بحقيقة وجودهم وارتباطاتهم الكونية عن طريق النظر الحسي إلى ما حولهم، ابتداء من مواقع أقدامهم وانتهاء بأغوار النفس وآفاق الكون، وأعطى للحواس مسؤوليتها عن كل خطوة يخطوها "الإنسان في مجال البحث والنظر والتأمل والتعلم والتجريب، وناداه أن يمعن النظر إلى ما حوله، إلى خلقه وإلى طعامه وشرابه، وإلى الملكوت من حوله، وإلى التاريخ والنواميس الاجتماعية، وإلى الطبيعة والعالم، وإلى الحياة

<sup>1123</sup> عماد الدين خليل، صفحات من حضارة الإسلام، العلوم التطبيقية: دراسة في المعطيات وعوامل الازدهار والتوقف، ص: 135 .

<sup>1124</sup> سورة العنكبوت، الآية: 20 .

<sup>1125</sup> نبيه عبد الرحمان عثمان، الإنسان الروح العقل والنفس، ص: 24 .

الأولى كيف بدأت، وكيف نمت وارتقت، ودعاه أن يحرك سمعه باتجاه الأصوات لكي يعرف ويميز، وبصره باتجاه الظواهر والأشياء لكي يعاين ويبصر<sup>1126</sup>.

في هذا السياق جاء التوجيه القرآني يدفع بالنظر من معرفة مشاهد العظمة والدقة والتنظيم في موجودات الكون إلى حقيقة عليتها المتمثلة في الوجود الإلهي، كما قال تعالى:

﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلَا أَكْثَرُ لَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>1127</sup>،<sup>1128</sup>.

بالإضافة لتأكيد القرآن الكريم على تسخير الكون للإنسان كعامل لترشيد الإرادة الإنسانية ودفعها إلى الفعل الحضاري، فإنه حرص أيما حرص على أن يقيم في نفس الإنسان معادلة دقيقة بين الشعور باستعظام الكون واستغلقه، بين الشعور بأنه مسخر له التسخير الكلي مما يؤدي إلى استسهاله وانتظار عطائه، وتتمثل تلك المعادلة الدقيقة فيما بينه القرآن الكريم من أن الكون مسخر للإنسان<sup>1129</sup>، "الرؤية القرآنية الكلية للكون والإنسان والحياة كفيلة بتقديم الحل العلمي للأزمات الراهنة"<sup>1130</sup>.

القرآن الكريم باعتباره منظومة سننية كونية كلية أساسية، من المنظومات السننية الكونية الكلية، التي وضعها الله تعالى بين يدي الإنسان لتحقيق الخلافة في الأرض،

<sup>1126</sup> عماد الدين خليل، صفحات من حضارة الإسلام، العلوم التطبيقية: دراسة في المعطيات وعوامل الازدهار والتوقف، ص: 135 .

<sup>1127</sup> سورة النمل، الآية: 61 .

<sup>1128</sup> عبد المجيد عمر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص: 144.

<sup>1129</sup> المرجع السابق، ص: 131.

<sup>1130</sup> محمد الناصري، العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، ص: 07.

واستشراف آفاق بقية مراحل دورته الوجودية الكونية الكبرى، يقدم للإنسان خريطة سننية كونية كلية شاملة ومتوازنة، لتفسير حركة الوجود الكوني والبشري من ناحية، وفهم المؤثرات السننية الكلية النازمة للسيرورات الحضارية الصاعدة أو المنهجرة من ناحية أخرى<sup>1131</sup>.

ومن هنا يبدو لنا مفهوم خلافة الإنسان هو جوهر وأهم عنصر من عناصر المكونات الحضارية، لأن هذا المفهوم من العناصر الأساسية المحركة للتاريخ، وإنما نقول مع من يقول إن حركة التاريخ ناجمة عن علاقة بين الله تعالى إلهها، وربها، وخالقها، وبين الإنسان خليفة، والكون مسخرا، وميدانا لفعل العمران والشهود الحضاري الإنساني، "فالإنسان هو المحور الذي ينبه لقضية الاستخلاف ويحرك أصول الفعل الحضاري باعتباره حاصل ائتمان من الله للإنسان يستخلف في ملكه، مبتلى في عمله"<sup>1132</sup>.

وهذا كله يعنى ضمن ما يعنى أن الوجود الإنساني وجود حضاري في أصله عمراني في مهمته، وأن الالتزام بأمانة الوجود الحضاري فريضة أخلاقية وقيمية وعقدية، وأن نظرة الالتزام بأمانة الوجود الحضاري نظرة إنسانية قبل كل شيء، وأن وجود الإنسان في الأرض يفرض وجود علاقات، كما تفرض وجود خصائص إنسانية الإنسان عامة من حيث الفكر والشعور والإحساس، يشترك فيها الناس أجمعون وأن هذه الخصائص إنسانية الإنسان "لا تكتسب نضجها إلا بالعمل والتجربة ضمن ما تقتضيه أصول الحكمة والعدل والرحمة

<sup>1131</sup> الطيب البرغوث، المدخل السنني إلى خريطة المقاصد الكلية في القرآن الكريم، ص: 453 .

<sup>1132</sup> سيف الدين عبد الفتاح، مقصد حفظ العمران الحكم الراشد، ص: 240.

والمصلحة، حيث جمع الله هذه المعاني في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ  
وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾<sup>1133</sup> 1134.

يمكن القول في ضوء ما سبق، إن الإعمار هو كل عمل إنساني متصف بالصالح  
والإصلاح، مادياً كان أو معنوياً، يهدف إلى تحقيق العبودية لله تعالى، والقيام بواجب  
الخلافة في الأرض، أي "أن إعمار الكون يمثل عملية بناء محكمة للإنسان والحياة، مهتدية  
بهدايات الوحي قرآناً وسنة، وهادفة إلى معرفة الله ومرضاته، ومحققة لمهام الإنسان في هذا  
الوجود"<sup>1135</sup>.

رؤية تسهم في إنقاذ الإنسان المعاصر من صور المعاناة التي يعيشها، وفي إنقاذ  
حضارته المعاصرة من المصير الذي ربما تنتهي إليه؛ رؤية تقوم على التكامل المعرفي  
والأخلاقي، والتوازن المادي والروحي، "وتقوم هذه الرؤية على اتساق الروابط العلمية  
وتماسكها بين وحدانية الله تعالى والإنسان والعالم، فلا تستبان وحدة العالم وانتلاف مكوناته  
وكذلك وحدة الوجود الإنساني وانسجامه مع العالم إلا في سياق المعرفة التوحيدية، التي  
تشكل الإطار المرجعي لسنن الاتصال والتخاطب التي ينتظم بها وجود الموجودات"<sup>1136</sup>.

فتحقيق إنسانية الإنسان هي الركيزة الأساسية في أي بناء حضاري، ونظراً لكون  
الإنسان هو صانع الحضارة، إنما هي حضارة عالمية تتجلى فيها عالمية الإنسان من حيث

<sup>1133</sup> سورة هود، الآية: 61 .

<sup>1134</sup> سيف الدين عبد الفتاح، مقصد حفظ العمران الحكم الراشد، ص: 240.

<sup>1135</sup> زياد خليل الدغامين، إعمار الكون في ضوء نصوص الوحي، ص: 35 .

<sup>1136</sup> عبد الرحمن العضراوي، النص الشرعي وبناء مفهوم التأويل، ص: 77 .

هو مخلوق مستخلف ومكرم، وآيات القرآن الكريم هي أسمى ما عرفه الإنسان على مدى التاريخ في تحقيق إنسانية الإنسان بأسسها الحقيقية؛ فهي شملت مصالح الإنسانية في الدنيا والآخرة، وركّزت على البناء الحضاري الإنساني الكوني.

المتدبر لآيات القرآن الكريم ودورها في الحياة والإنسان والكون، يخرج بنتيجة أولى واضحة بل وحاسمة، وهي أن الوحي يشكل منظومة معرفية سننية كونية إنسانية، لا غنى للحياة البشرية عنها، وهي أن القرآن الكريم هو الخلاصة النهائية الخاتمة لمسيرة الوحي الإلهي، ومن ثم فإنه هو أساس المنظومة المعرفية السننية الكونية الكلية لتحقيق إنسانية الإنسان.

## خاتمة :

إذا كانت إنسانية الإنسان بما تعنيه من خصائص وامتيازات للإنسان، هي أول شيء يجب أن نحافظ عليه ونصونه، وننطلق منه في كل ما يتعلق بالإنسان، فإن القرآن الكريم كتاب نور وهداية للبشرية جمعاء، جاء ببيان وافٍ مفصل لتحقيق إنسانية الإنسان، فالقرآن الكريم قد ركز على إبراز الخصائص الطبيعية لإنسانية الإنسان، التي تقوم على وحدة الكيان الإنساني، والتي ينبغي أن يتمثلها الإنسان في نفسه، ويسعى فيها عملاً على تحقيقها.

القرآن الكريم مرجعاً ومصدراً لإنسانية الإنسان التي تقوم على ضبط سلوك الإنسان في الكون والحياة بمفاهيم الاستخلاف الموجهة في مجملها لتحقيق الكمال الإنساني الممكن، فالإنسان في المنظور القرآني عقل وروح وجسم، كما أنه فرد يعيش داخل مجتمع، فجدير أن يكون إصلاحه شاملاً للجوانب الروحية والمادية وبذلك تتحقق إنسانية الإنسان .

القرآن الكريم حينما تناول الإنسان بهذا القدر من الاهتمام، كانت الآيات القرآنية هداية من أجل تحديد الغاية من وجوده، وجعل هذه الغاية عنصراً من عناصر إنسانيته، وعلى هذا الأساس من الشمول يجب أن نفهم مقاصد القرآن الكريم في بيان حقيقة الإنسان والنظر إليه في تركيبه الثنائي روحاً ومادة، وفي جميع أبعاده السلوكية والنفسية والعقلية والروحية.

إن الفلسفات البشرية ومصادر المعرفة الإنسانية ما زالت تتخبط في مواقفها من معظم القضايا الأساسية حول إنسانية الإنسان، مثل حقيقة الإنسان ومكانته ودوره في الحياة، وعلاقته بالطبيعة، وحقيقة الحياة، وحقيقة الموت والتاريخ، وعلاقة الخالق بالمخلوق، والحق

والباطل، وغيرها من الأمور التي تشكل الرؤية في تحديد معالم إنسانية الإنسان، وعليها يقيم موازين التفسير والتقويم لكل ما حول الإنسان، ويبني على أساسها علاقاته بالواقع الاجتماعي بجوانبه المختلفة.

آيات القرآن الكريم قاعدة لكل صلاح إنساني؛ صلاحاً شاملاً وامتكاملاً، قائماً على المعرفة الحقيقية للإنسان ومراعياً الوسطية في تلبية حاجاته الفطرية، والموازنة بين مختلف النزعات التي تتجاذب النفس الإنسانية، فجمع بين الحاجات الروحية والمادية، وكذا الحاجات الفردية والجماعية في اعتدال ووسطية، وبذلك يتحقق الإصلاح المطلوب، بمراعاة منظومة القيم التي تجعل الإنسان مستوفياً لشروط الحياة الإنسانية المستقيمة، وقد حدّد الله تعالى للإنسان الغاية من وجوده، وجعل هذه الغاية عنصراً من عناصر إنسانيته .

تستند المعرفة النظرية التدبرية في القرآن الكريم على مبدأ الفهم، فمن دونه لا يمكن الحديث عن نظام معرفي مستوعب لفهم الإنسان لنفسه وللوحي والكون والحياة، إن ما يتطلع إليه البشر من الصيغة المثلى للمعرفة، من حيث ارتكازها على الحقائق اليقينية، التي لا يعترها أي نقص أو قصور في المصدر، لا يمكن أن يتحقق إلا بالمنهج الإلهي الذي جاء بالحكم الفصل في كل قضايا الإنسان وما يحقق إنسانيته في مجال المعرفة، وعلى ضوء ذلك تتجلى معالم سعادة النفس الإنسانية واستقامتها، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بارتباط كافة جوانبها بعقيدة التوحيد، التي تزود الإنسان دائماً بالقوة الإيمانية العميقة في النفس المستمدة من الإيمان بالله، وبذلك تتحقق معاني إنسانية الإنسان.

إن القرآن الكريم جاء بأسس مرجعية وأبعاد حضارية لتحقيق صلاح الإنسان، تقوم على الوسطية والاعتدال والتوازن في التعبير عن نزعاته الروحية والمادية، والفردية والجماعية على حدّ سواء، فخصائص النفس الإنسانية في المنظور القرآني توضح معالم شخصيته المزدوجة: فردية واجتماعية معاً، فالشخصية الفردية يُسأل فيها عن أفعاله الخاصة، ولها شرعت التكاليف الفردية؛ والشخصية الاجتماعية يُسأل فيها عن علاقاته الاجتماعية بغيره من أفراد المجتمع، ولها شرعت التكاليف الاجتماعية، ومن ثم لا سعادة للفرد إلا في ظل المجتمع، ولا سعادة للمجتمع إلا في ظل تعاون أفرادهِ .

إن الضروريات الخمس من حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، التي اقتصرنا في ذكرها على ما يحقق غرض البحث في بيان حفظ الدين والنفس والعقل مما يوضح بعض معالم إنسانية الإنسان في القرآن الكريم، مما تبيّن لنا أن قصد الشرع من عبادة الله هو الالتزام بها ورعايتها، وقد سماها العلماء مقاصد الشريعة، ولأهميتها أكدوا على ضرورتها، وذلك لأنه بذهابها يخسر الإنسان دينه ودنياه، والمتأمل لمقاصد الشريعة يجد أنها تؤكد على تحقيق إنسانية الإنسان، والاعتراف ببشرية الإنسان التي هدفها وغايتها إصلاح البشرية .

إن المقصد من وراء استجلاء مقومات وخصائص ومقاصد القرآن الكريم للإنسان والكون والحياة، يكمن في السعي إلى تيسير تمثل هذه المقومات والخصائص والمقاصد، وما لها من أهمية في ترشيد إنسانية الإنسان حتى تصبح هادية مع الإفادة من مرجعيتها في



تحقيق الذات الإنسانية بشكل أصيل ومبدع، في تكامل تعارفي مع الذات الإنسانية والذوات الأخرى، من هنا تبرز قيمة إنسانية الإنسان في إدراك أبعادها الحضارية .

القرآن الكريم يوجّه العقل لفهم كليات الكون في حقيقتها التي خلقها الله عليها ليقوم العقل بدوره في توجيه مدركات الحواس وإضفاء المعنى عليها، مما يتجلى في تحقيق إنسانية الإنسان، وعلى هذا الأساس أقام المسلمون صرح الحضارة الإسلامية بمعطياتها الروحية والمادية، حيث حققت للإنسان أقصى درجات إنسانيته، وبناء عليه ارتأينا تحديد بعض التوصيات التي تفتح البحث على أفق أوسع منها ما يلي :

❖ توسيع مساحات البحث من لدن الدارسين والمتخصصين في الفكر الإسلامي في هذا الموضوع : إنسانية الإنسان في القرآن الكريم: الأسس المرجعية والأبعاد الحضارية .

❖ اعتماد القرآن الكريم منطلقاً للأبحاث والدراسات وأصلاً للتربية والتعليم ومنهاجاً لحياة الفرد والأمة في مختلف جوانبها.

❖ توجيه الباحثين في الدراسات العليا للبحث في الدراسات القرآنية على أساس من الرشد العلمي والمنهجي، وأهمية التوجه عبر تأسيس مراكز بحثية تعنى بالدراسات القرآنية.

❖ أهمية أن تكون للأمة رؤية واضحة جلية عن إنسانية الإنسان لا يشوبها غموض أو تناقض أو اختزال في جزء معين، حيث تتأسس هذه الرؤية من المرجعية القرآنية.

وختاماً، أسأل الله العليّ القدير أن يغفر لي ما كان في هذا العمل من التقصير بغير قصد، فما كان من توفيق فبمنّهِ وجوده وكرمه وعطائه، ثم بتوجيهات السادة الأساتذة الأفاضل المشرفين على البحث؛ الدكتور عبد الرحمان العضاوي والدكتور محمد الناصري جازاهم الله عنا كل خير، وما كان من خطأ أو خلل فمني ونفسي، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

# الفهارس

## فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	الآية	السورة	طرف الآية
01	19	آل عمران	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾
02	03	المائدة	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾
03	85	الإسراء	﴿ وَبَسَّأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾
05	14	الملك	﴿ إِلَّا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾
06	70	الإسراء	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾
07	3_4	الرحمن	﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾
10	72	الأحزاب	﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾
10	29	الحجر	﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾
30	19	آل عمران	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾
31	51	العنكبوت	﴿ أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾
32	50	المائدة	﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾
34	03	آل عمران	﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾

34	37	يونس	﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
40_39	157	الأعراف	﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
40	09	الإسراء	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾
41	28	سبأ	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾
41	05	البينة	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾
42	04	المائدة	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾
42	110	آل عمران	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾
42	01	الفرقان	﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾
43	142	البقرة	﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
43	128	البقرة	﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾
44	76	الحج	﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾
44	21	الأحزاب	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾
44	53	غافر	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾

44	102	النحل	﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾
45	11	الجاثية	﴿ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ ﴾
45	09	الإسراء	﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾
45	138	آل عمران،	﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾
45	68	يس	﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾
45	1_2_ 3_3_ 4	الرحمن	﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾
46	203	الأعراف	﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْنَاهَا قُلْ إِنَّمَا اتَّبَعُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ ﴾
47	117	الصفات	﴿ وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴾
49	48	المائدة	﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾
49	03	المائدة	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾
49	28	سبأ	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿
49	165	النساء	﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾
49	107	الأنبياء	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾
50	115	المؤمنون	﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾
51	24	محمد	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾

52	09	الإسراء	﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾
53	04	القلم	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾
55_54	15_1 6	المائدة	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾
55	01	إبراهيم	﴿ الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾
55	02	طه	﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾
55	10	الأنبياء	﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾
58	75_7 6_77 _78	الواقعة	﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾
58	02	البقرة	﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾
59	107	الأنبياء	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾
63	18_1 9_20	عبس	﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ﴾
63	05	الحج	﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ نُورَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ ﴾
64	21	الطور	﴿ كُلُّ أَمْرٍ إِيمًا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴾
64	164	الأنعام	﴿ وَلَا تَرَرُ وَاِرَّةٌ وَرَرٌ أُخْرَى ﴾
65	38	الأنعام	﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾
66	32	النجم	﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾

66	1_2	العلق	﴿ أَفْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾
67	8-9	الشمس	﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾
67	30	الروم	﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾
67	172	الأعراف	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾
70		الإسراء	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾
70	4	التين	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾
70	13	الجاثية	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
71	5_6_7	الطارق	﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾
71	70	الإسراء	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾
71	30	البقرة	﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾
78	7	الشمس	﴿ فَالْتَمَسْنَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾
78	8	البلد	﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾
79	77	البقرة	﴿ أُولَآ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾
82	93	الأنعام	﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾
82	28	لقمان	﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً ﴾



82	14	النمل	﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾
82	205	الأعراف	﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾
82		ق	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾
83	40	القيامة	﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾
83	02	القيامة	﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾
83	13	السجدة	﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾
83	53	يوسف	﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
84	1_2	القيامة	﴿لَا أُقْسِمُ بِبِئْسَ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾
85	27_2 8_29 _30	الفجر	﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّاتِي﴾
93	21	الطور	﴿كُلُّ أَمْرٍ إِيمًا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾
93	18	فاطر	﴿وَلَا تَرْرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾
93	134	البقرة	﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
94	5	الطارق	﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾
96	71	ص	﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾
97	54	الفرقان	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾
97	20	الروم	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾
97	11	إبراهيم	﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾

98	1	النساء	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾
98	13	الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾
99_100	36	القيامة	﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾
100	115	المؤمنون	﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾
100	89	النحل	﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾
100	38	الأنعام	﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾
101	72	الأحزاب	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾
139	8	العلق	﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَ﴾
139	8	المنافقون	﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾
139	63	يوسف	﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ﴾
139	83	التوبة	﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾
139	95	الأنبياء	﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾
139_140	13	الحديد	﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾
140	35	النمل	﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾

140	31	سبأ	﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾
140	28	النمل	﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَأَنْظِرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾
140	11	الطارق	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾
140	94	التوبة	﴿ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
140	27	الأنعام	﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
140	83	النساء	﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾
140	59	النساء	﴿فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾
150	05	يونس	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾
150	25	الأنبياء	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾
150	36	النحل	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾
153	13	الشورى	﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾
155	32	القيامة	﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾
155	38	الدخان	﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾
158	11	الرعد	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

159	69	العنكبوت	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾
160	179	الأعراف	لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴿
161	129	البقرة	﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
161	1_2_ 3_4_ 5_6_ 7_8_ 9	الشمس	﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا * وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾
162	14_1 5	الأعلى	﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾
162	75_7 6	طه	﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾
163	21	النور	﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾
163	1_2_ 3_4	المدثر	﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * فُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾
164	18	النازعات	﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾
164	02	الجمعة	﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾
166	22	الزمر	﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾
171	78	النحل.	﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ ﴾

			﴿وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
173	20	الجاثية	﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾
173	53	فصلت	﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾
174	21	الذاريات.	﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾
179	81	الأنبياء	﴿ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾
179	97	المائدة	﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
179	59	الأنعام	﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾
179	59	الفرقان	﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
179	6_7	الروم	﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾
181	78	النحل	﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾
181	282	البقرة	﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾
183	29	ص	﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾
184	24	محمد	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾
184	67	المؤمنين	﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾

185	53	فصلت	﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾
188_189	189	البقرة	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾
189	185	البقرة	﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾
189	197	البقرة	﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾
189	234	البقرة	﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾
189	15	الأحقاف	﴿وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾
189	189	البقرة	﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾
190	85	الإسراء	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾
190	101	المائدة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِنِ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾
201	24	الروم	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾
201	111	يوسف	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾
201	43	العنكبوت	﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاصِرِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾
204	76	البقرة	﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾
205	46	سبأ	﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾

208	36	الإسراء	﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾
209	23	النجم	﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾
209	36	يونس	﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾
211	185	الأعراف	﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾
211	28	فاطر	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾
216	3	التغابن	﴿ وَصَوِّرْكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾
216	61	هود	﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾
218	53	الإسراء	﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾
219	4	التين	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾
220	3	المائدة	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرٍ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
223	32	المائدة	﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾
224	70	الإسراء	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾
224	3	التغابن	﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ ﴾

			﴿ الْمَصِيرُ ﴾
224	4	التين	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾
224	1	الإنسان	﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾
225	4_5	الرحمان	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾
225	13	الحجرات	﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾
226	12_1 3	الجنائية	﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
227	79	غافر	﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾
228	30	البقرة	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾
228	165	الأنعام	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾
228	10	الأعراف	﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾
228	55	النور	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾
228	39	فاطر	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾
229	85	الإسراء	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾
229	13	الحجرات	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ



			لَتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١﴾
234	11	الرعد	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾
234	61	هود	﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾
238	143	البقرة	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾
237	104	آل عمران	﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
238	65	المائدة	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾
238	96	الأعراف	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾
242	10	الأعراف	﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾
246	41	الروم	﴿ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
247	9	الروم	﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضِ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾
249	165	الأنعام	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾
249	30	البقرة	﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾
250	124	طه	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾
252	88	النمل	﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي

			﴿ تَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾
256	106	النحل	﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾
257	157	الأعراف	﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾
259	256	البقرة	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾
260	38	المدثر	﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾
261	99	يونس	﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾
261	13	السجدة	﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾
267	75	النحل	﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾
271	115	الأنعام	﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾
274	90	النحل	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾
275	58	النساء	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾
277	152	الأنعام	﴿ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾
278	03	النساء	﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾
278	129	النساء	﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾
279	95	المائدة	﴿ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾

278	15	الإسراء	﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾
280	8	المائدة	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾
282	1	الطلاق	﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾
283	58	النساء	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾
285	237	البقرة	﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾
286	90	النحل	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾
284	8	المائدة	﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾
292	48	المائدة	﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾
292	3	المائدة	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾
293	115	المؤمنون	﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾
305	9	آل عمران	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾
307	85	آل عمران	﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾
308	85	آل عمران	﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

310	7_8_9_10	الشمس	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾
310	56	الذاريات	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
311	32	المائدة	﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾
312	33	الإسراء	﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾
312	31	الإسراء	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾
312	93	النساء	﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمَّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾
312	178	البقرة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى﴾
313	195	البقرة	﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾
313	19	الأحزاب	﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾
314	157	الأعراف	﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾
317	7_8	الشمس	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾
318	3	الإنسان	﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾
320	13	السجدة	﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾
319	151	الأنعام	﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

319	33	الإسراء	﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾
320	18	الحج	﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾
321	32	المائدة	﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾
321	179	البقرة	﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾
322	45	المائدة	﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾
324	29	النساء	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾
324	92	النساء	﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾
325	195	البقرة	﴿وَلَا تُلْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾
332	29	ص	﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾
335	170	البقرة	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنْبَغُ مَا أَفِينَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾
335	104	المائدة	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾
341	70	الإسراء	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾

344	13	الحجرات	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾
344	61	هود	﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾
344	22	الروم	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَالِدَاتُ إِذَا حَمَلْنَ مِنْكُمْ وَهُنَّ كُنُوزٌ لَكُمْ وَمَنْ يُضْلِكِ الْإِنْفُسَ فَجَنْحَتُهُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴾
346	118	هود	﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾
345	32	المائدة	﴿ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾
346	08	المائدة	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾
346	108	البقرة	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً ﴾
349	03	الناس	﴿ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾
347	21	البقرة	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾
347	35	الأعراف	﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
347	01	النساء	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾
347	98	الأنعام	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾
347	108	الأنبياء	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾
347	28	سبأ	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
351	118	هود	﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾

351	07	المتحنة	﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾
356	04	النوح	﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾
360	01	النساء	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾
360	30	البقرة	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ ﴾
362	53	الإسراء	﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ﴾
365	33	الإسراء	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾
365	45	المائدة	﴿ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾
368	60	آل عمران	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾
376	115	المؤمنون	﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴾
377	04	البلد	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾
384	70	الإسراء	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾
385	88	النمل	﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾
386	53	الأنفال	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُعَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾
386	11	الرعد	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾
386	49	الذاريات	﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾
387	17	نوح	﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾
390	20	العنكبوت	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾

391	61	النمل	﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَواسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
393	61	هود	﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾



## فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	التخريج	طرف متن الحديث
47	أخرجه البخاري في صحيحه، باب: "خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم"، ص: 215، رقم: 3535.	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين.
165	أخرجه مسلم في صحيحه، "باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل"، ج 8، ص: 81_82. رقم الحديث: 1254.	اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهرم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع
190	أخرجه البخاري في صحيحه، باب: "قول الله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها"، ج 2، ص 639، حديث رقم: 1709.	عن البراء رضي الله عنه قال "نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكأنه عُيِّرَ بذلك فنزلت الآية
190	أخرجه البخاري في صحيحه، باب: "ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه"، ج 6، ص: 2660، حديث رقم: 6865.	عن أنس بن مالك قال: قال رجل يا نبي الله من أبي؟ قال (أبوك فلان) فنزلت الآية
190	أخرجه البخاري في صحيحه، باب: "ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه"، ج 6، ص: 2658، حديث رقم: 6860.	عن زيد بن ثابت: أن النبي صلى الله عليه و سلم اتخذ حجرة في المسجد من حصير، فصلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فيها ليالي حتى اجتمع إليه ناس، ثم فقدوا صوته ليلة فظنوا أنه قد نام، فجعل بعضهم يتنحج ليخرج إليهم، فقال "ما زال بكم الذي رأيتم من صنعكم حتى خشيت أن يكتب عليكم، ولو كتب عليكم ما قمتم به، فصلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل

		صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة"
191	أخرجه البخاري في صحيحه، باب: "ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه"، ج 6، ص: 2659، حديث رقم: 6863.	عن أنس قال: "كنا عند عمر فقال نهيينا عن التكلف .
191	أخرجه البخاري في صحيحه، باب: "ما يكره من قيل وقال"، ج 5، ص: 2375، حديث رقم: 6108.	نهي عليه الصلاة و السلام: عن قيل وقال وكثرة السؤال .
191	أخرجه البخاري في صحيحه، باب: "ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه"، ج 6، ص: 2661، حديث رقم: 6859.	عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه: أن النبي صلى الله عليه و سلم قال إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته.
225	أخرجه البخاري في صحيحه، باب: "الجامع الصحيح، باب القيام للجنائز"، ج 03، رقم الحديث 2269، ص: 58.	وقف الرسول صلى الله عليه وسلم وقفه إجلال وتكريم لجنائز يهودي، فلما قيل له في ذلك، قال: أليست نفساً
232	أخرجه البخاري في صحيحه، باب: "إثم من قتل معاهداً بغير جرم"، ج 03، ص: 1155، رقم الحديث: 2995 .	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً.
250	أخرجه مسلم في صحيحه، باب: "ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته"، ص: 1016، رقم الحديث:	قال صلى الله عليه وسلم: إذا مات العبد انقطع عمله إلا ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له.

	1631.	
251	سنن الترمذي، الباب: "الإمام"، ج 04، ص: 208، رقم الحديث: 1705 .	قال صلى الله عليه وسلم: إن الله سائل كل راع عما استرعاه
322	أخرجه البخاري في صحيحه، باب: "من أجرى أمر الأمصار"، ج 02، ص: 768، رقم الحديث: 2097 .	قال صلى الله عليه وسلم: خذي ما يكفيك وولديك بالمعروف.
326	أخرجه مسلم في صحيحه، باب "في أمر بالقوة وترك العجز"، ج 08، ص: 56، رقم الحديث: 6956 .	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: ما قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان.
336	أخرجه مسلم في صحيحه، باب: "بيان أن كل مسكر خمر"، ج 06، ص: 101، رقم الحديث: 5339 .	قال صلى الله عليه وسلم؛ كل مسكر خمر وكل خمر حرام .
346	سنن أبي داود، باب: "في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا"، ج 03، ص: 136، رقم الحديث: 3054 .	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ظلم معاهداً، أو انتقصه حقاً، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة.

## لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص.
- ابراهيم الأميني، تزكية النفس وتهذيبها، دار البلاغة للنشر والتوزيع، بيروت، ط 4، 1421هـ، 2000م..
- ابن القيم الجوزية، الروح، حققه: محمد اسكندر يلداء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1402هـ، 1986م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، تحقيق محمد البغدادي، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط2، 1995م.
- ابن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني، دقائق التفسير، تحقيق: محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ح2، ط1، 1404هـ.
- أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، الاعتصام، تحقيق: سليم بن عبد الهلالي، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، ط1، 1412هـ/1992م.
- - الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق أبو عبيدة، دار ابن عفان، القاهرة، ح4، ط1، 1417هـ/2009م.
- أبو الحسن الندوى، الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، دار الصحوة للنشر، ط 01، 1406هـ، 1986م.
- أبو القاسم حاج حمد محمد، منهجية القرآن المعرفية أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، دار الهادي، بيروت، ط2، 1429هـ، 2008م.
- أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1467هـ، 2006م.
- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي بن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجليل، بيروت، ط1، 1973م.
- أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار ابن حرم، بيروت، ط1، 1462هـ، 2005م.

- إحسان مير علي، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار الثقافة للجميع، القاهرة، ج01، 1430هـ، 2009م.
- أحمد الريسوني، إنسانية الإنسان قبل حقوق الإنسان، كتاب الأمة سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر، ط01، 1423هـ، 2002م.
- مقاصد المقاصد: الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة، مركز المقاصد للنشر والبحوث، الرباط، ط01، 2013م.
- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1416هـ، 1995م.
- أحمد السيد علي رمضان، المادية في الفكر الفلسفي، مكتبة الإيمان، الاسكندرية، ط01، 1420هـ.
- أحمد بوشلطة، مفهوم الإنسان في القرآن الكريم والحديث الشريف، مكتبة حسن العصرية لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1430هـ/2009م.
- أحمد بوعود، الإنسان في القرآن: دراسة فلسفية مقارنة، مطبعة بني ارناسن، سلا، ط1، 2014م.
- أحمد سعيد سيف الدين، العقيدة في القرآن الكريم: بين التخلية والتحلية، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1428هـ، 2007م.
- أحمد عبد الرحيم السايح، فلسفة الحضارة الإسلامية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة، ط1، 1410هـ، 1989م.
- إدريس مولودي، مفهوم الغيب في القرآن الكريم والحديث الشريف: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، رسالة دكتوراه، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 1437هـ، 2016م.
- إريك فروم، مفهوم الإنسان عند ماركس، ترجمة: محمد سيد رصاص، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، ط11، 1998م.
- إسماعيل راجي الفاروقي، التوحيد ومضامينه في الفكر والحياة، ترجمة السيد محمد السيد عمر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1437هـ، 2016م.
- إسماعيل راضي، التصوف بين المدارس والممارسة، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، ط1، 1433هـ، 2012م.

- الأصفهاني الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق، محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للنشر، لبنان، (دت).
- أم الزين بنشيخة المسكيني، كانط راهنا أو الإنسان في حدود مجرد العقل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2006م.
- إمانويل كانط ، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة وتقديم: عبد الغفار مكايوي، منشورات الجمل، بيروت، ط 01، 2002م.
- إمانوئيل كانط، نقد العقل المحض، ترجمة موسى وهبة، مركز الانماء القومي، بدون طبعة وتاريخ.
- أمير عبد العزيز، الإنسان في الإسلام، دار الفرقان، بيروت، ط1، 1404هـ، 1984م.
- أنور الجندي، التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1392هـ، 1985م.
- أوسكار لانكة. ومايكل كالتكسي، الاقتصاد السياسي الرأسمالية والاشتراكية، ترجمة محمد سلمان حسن، دار الطليعة، بيروت، 1980م.
- باتريك هيلي، صور المعرفة: مقدمة لفلسفة العلم المعاصر، ترجمة: نور الدين شيخ عبيد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2008م.
- البخاري، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله الجعفري "صحيح البخاري"، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ/1987م.
- بدران مسعود بن لحسن، دور الدين في تحقيق العمران الاجتماعي، سلسلة المؤتمرات، الدين والحضارة حفظ العمران: مقصد شرعي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط1، 1440هـ، 2018م.
- بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ج4، ط2، 1420هـ، 1999م
- بودوسيتتيك، وسبركين، المادية التاريخية، مجموعة مترجمين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1979م.
- تھاني عفيف يوسف جابر، منهج القرآن الكريم في التغير الفردي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط1، 1436هـ، 2015م.

- توماس كون، بنية الثورات العلمية، المنظمة العربية للترجمة، ترجمة: حيدر حاج اسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007م.
- جان جاك شوفالبييه، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر، 1985م.
- جمال الدين عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ط01، 1424هـ، 2003م.
- جمعة عبد الرزاق الزيداني، الماركسية بين المادية والمثالية: دراسة في الفلسفة الاشتراكية، دار ومكتبة الفضيل للنشر والتوزيع، بنغازي، ط1، 2010م.
- جوزيف ستالين، المادية الديداكتيكية والمادية التاريخية، ترجمة خالد بكداش، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، بدون طبعة وتاريخ.
- حامد العطية، نظام المعرفة ومنهج البحث في القرآن الكريم، دار الأنوار للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ط01، 2006م.
- حامد صادق قنبي، الكون والإنسان في التصور الإسلامي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط01، 1400هـ، 1980م.
- حسن الباش، منهج التعارف الإنساني في الإسلام: نحو قواسم مشتركة بين الشعوب، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية الجماهيرية العظمى، طرابلس، 2005م، ط01.
- حمادي ذويب، جدل الأصول والواقع، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2009م.
- حيرش بغداد محمد، الخطاب المثالي في الفلسفة الألمانية، دار الروافد الثقافية، بيروت، ط1، 2015م.
- رابعة بنت ناصر السيارى، الأمن الداخلي في ضوء مقاصد الشريعة والقضايا المعاصرة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ط01، 1432هـ، 2011م.
- الراغب الاصبهاني، تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتين، تحقيق عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م.

- راجب السرجاني، المشترك الإنساني: نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط 01، 1432هـ، 2011م.
- روجيه غارودي، النظرية المادية في المعرفة، ترجمة إبراهيم قريط دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، بدون طبعة وتاريخ.
- سالم أحمد الماقوري، المثل الأعلى للمجتمع الإنساني كما تحدث عنه القرآن الكريم، دار القلم، بيروت، ط 1، 1985م.
- سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، دار الفكر العربي، دمشق، ط 01، 1421هـ، 2000م.
- سعيد بن ناص الغامدي، المرجعية في المفهوم والمآلات، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، بيروت، ط 1، 2015م.
- سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط 1، 1412هـ.
- سعيد شبار، الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر دراسة في الأسس المرجعية والمنهجية، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط 1، 2007م.
- الثقافة والعولمة وقضايا إصلاح الفكر والتجديد في العلوم الإسلامية، مركز دراسات المعرفة والحضارة، دار الإنماء الثقافي، الرباط، ط 01، 2014م.
- المصطلحات والمفاهيم في الثقافة الإسلامية: بين البناء الشرعي والتداول التاريخي، مركز دراسات المعرفة والحضارة، فاس، ط 03، 1428هـ، 2017م.
- السيد عمر، الأنا والآخر من منظور قرآني، دار الفكر، دمشق، ط 01، 1429هـ، 2008م.
- سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، القاهرة، ط 10، 1408هـ، 1988م.
- دراسات في النفس الإنسانية، دار الشروق، القاهرة، ط 10، 1414هـ، 1993م.
- في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط 03، 1423هـ، 2003م.
- مقومات التصور الإسلامي، دار الشروق، مصر، ط 5، 1418هـ، 1997م.
- سيد مرسى محروس، التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1988م.



- شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 12، بدون طبعة وتاريخ.
- صابر طعيمة، المعرفة في المنهج القرآني: دراسة في الدعوة والدعاة، دار الجيل، بيروت، بدون طبعة وتاريخ.
- طه جابر العلواني، التوحيد والتزكية والعمران: محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1424هـ، 2003م.
- الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي، سلسلة قضايا إسلامية معاصرة، دار الهادي، القاهرة، ط 1، 2003م.
- لا إكراه في الدين، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2006م.
- نحو منهجية معرفية قرآنية: محاولات في بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة، دار الهادي، بيروت، ط 1، 1429هـ، 2008م.
- طه عبد الرحمن، روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 3، 2013م.
- الطيب البرغوث، المدخل السنني إلى خريطة المقاصد الكلية في القرآن الكريم، مجموعة بحوث؛ مقاصد القرآن الكريم، تحرير محمد سليم العوّا، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ط 1، 1439هـ، 2018م.
- عابد توفيق الهاشمي، مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة، دار الفرقان، الجزائر، ط 1، 1402هـ/1982م.
- عاطف أحمد، نقد العقل الوضعي، دراسة في الأزمة المنهجية لزكي نجيب محمود، دار الطليعة، بيروت، ط 1، عام 1980م.
- عباس محجوب، أصول الفكر التربوي في الإسلام، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط 1، 1987م.
- عباس نيكزاد، التوفيق بين الدين والعقل في مدرسة الحكمة المتعالية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط 01، 2012م.
- عبد الحليم عويس، الحضارة الإسلامية؛ إبداع الماضي وآفاق المستقبل، الصحوة للنشر والتوزيع، ط 1، 1431هـ، 2010م.

- عبد الحميد الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1412هـ، 1992م.
- عبد الحميد الهاشمي، علم النفس التكويني أسسه وتطبيقه، دار الهادي، القاهرة، ط2، 2005م.
- عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1979م.
- عبد الرحمن العضراوي، مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط1، 2015م.
- عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، دمشق، ط2، 1428هـ، 2008م.
- عبد الرحمن بن زيد الزبيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي: دراسة نقدية في ضوء الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1412هـ، 1992م.
- عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويح، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ، 2000م.
- عبد الرحمن جبرة، الإسلام والبيئة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط01.
- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط5، 1420هـ، 1999م.
- عبد العزيز بن عثمان التويجري، الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية، منشورات المنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم، ط3، 1436هـ، 2015م.
- عبد العزيز بوالشعير، النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي والغربي، منتدى المعارف، بيروت، ط1، 2014م.
- عبد العليم عبد الرحمن حضر، الإنسان في الكون بين القرآن والعلم، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الكويت، ط01، 1403هـ، 1983م.
- عبد الكريم الخطيب، الإنسان في القرآن الكريم: من البداية إلى النهاية، دار الفكر العربي، دمشق، ط1، 1979م.
- عبد الكريم حامدي، المدخل إلى مقاصد القرآن، مكتبة الرشد ناشرون، القاهرة، ط01، 2007م.

- عبد الكريم نوفان عبيدات، الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، دار النفائس، القاهرة، ط1، 1420هـ، 2000م.
- عبد الله إبراهيم زيد الكيلاني، علاقة الانتماء بال عمران والحضر الإنساني فقه الانتماء إلى المجتمع الأمة، تحرير: فتحي حسن ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط01، 1432هـ، 2012م.
- عبد الله الزبير عبد الرحمان، السلام في القرآن، ترجمة صادقة لقيام المجتمع الراشد، دار الشريعة للنشر والطباعة، بيروت، ط01.
- عبد المجيد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط1، 1412هـ، 1991م.
- عبد المجيد النجار، في فقه التدين فهما وتنزيلا، سلسلة كتاب الأمة، العدد 22-23، 1989م.
- خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط3، 1425هـ، 2005م.
- مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، دار الغرب الإسلامي، ط02، 2008م.
- فقه التحضر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1427هـ، 2006م.
- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2002م.
- الموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1999م.
- عبد الوهاب جعفر، كانط والكانطية الجديدة، دار المعرفة الجامعية، بدون طبعة وتاريخ.
- عثمان أمين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1967م.
- عثمان أمين، فلسفة كانط، المكتبة الفلسفية، بيروت، ط1، 1923م.
- عزمي طه السيد أحمد، الفلسفة مدخل حديث، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2003م.
- عزيز البطيوي، سنن العمران البشري في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1439هـ، 2017م.
- علي البشر الفكي التجاني، مقاصد القرآن الكريم وصلاتها بالتدبر، بدون طبعة وتاريخ.

- علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، ط1، 816م، 1413م.
- علي محمد الصلابي، الحريات من القرآن الكريم حرية التفكير والعبير والاعتقاد والحريات الشخصية، بدون طبعة وتاريخ.
- علي محمد الصلابي، العدالة من المنظور الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1436هـ، 2015م.
- علي محمد علي عبد الله، الإنسان بين عالم الغيب والشهادة، طوى للثقافة والنشر والإعلام، ط1، 2014.
- عماد الدين خليل، صفحات من حضارة الإسلام، العلوم التطبيقية: دراسة في المعطيات وعوامل الازدهار والتوقف، بدون صفحة وتاريخ.
- حول تشكيل العقل المسلم، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط05، 1995م.
- عماد عادل أبو مغلي، العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم، دار الكندي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009م.
- عمر التومي الشيباني، مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط1، 1987م.
- الغوي الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، دار ابن حزم، بيروت، ط01، 2002م.
- فايز الربيع، وقفات مع الإنسان في القرآن، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1431هـ/2010م.
- فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم العليا التوحيد والتزكية والعمران، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1434هـ، 2013م.
- منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1441هـ، 2020م.
- منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فريجيننا، ط02، 1437هـ، 2016م.
- طبيعة النظام المعرفي وأهميته، ورقة قدمت إلى ندوة: نحو نظام معرفي إسلامي: حلقة دراسية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1420هـ، 2000م.

- فرح موسى، الإنسان والحضارة في القرآن الكريم بين العالمية والعولمة، دار الهادي ، بيروت، ط1، 1424هـ، 2003م.
- كارل ماركس، الأيديولوجية الألمانية، ترجمة: فؤاد أيوب، دار دمشق للتوزيع والنشر، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ.
- كفايت الله همداني، تزكية النفس أسسها وسائلها، دار المسلم للنشر والتوزيع، بدون طبعة وتاريخ.
- ماجد عرسان الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1416هـ، 1995م.
- ماركيز هربرت، العقل والثورة، ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1979م.
- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1984م.
- محمد أبو زهرة، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط3، 1401هـ، 1971م.
- محمد أحمد المبيض، مصلحة حفظ النفس في الشريعة الإسلامية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط01، 1425هـ، 2005م.
- محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، مكتبة دار الزمان، الرياض، ط1، 1405هـ، 1985م.
- محمد أحمد مصطفى الكزني، العدالة: تعريفها مكانتها في الشريعة الإسلامية وأهم أنواعها، بدون طبعة وتاريخ.
- محمد الزحيلي، مقاصد الشريعة أساس لحقوق الإنسان، كتاب الأمة سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر، السنة الثانية والعشرون، ط01، 1423هـ، 2002م.
- محمد الصالح الصديق، القرآن في محيط العقيدة والإيمان، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2002م.
- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط02، 1997م.
- - مقاصد الشريعة الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 2011م.

- محمد العربي بوعزيزي، محمد إقبال فكره الديني والفلسفي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1460هـ، 1999م.
- محمد الفاضل بن عاشور، روح الحضارة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط 01، 1412م، 1992م.
- محمد الناصري، العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 01، 1430هـ، 2009م.
- - مسألة الآخر في الفكر الإسلامي: نحو تجاوز لإشكال النسخ في فقهاء الموروث، مكتبة الإسكندرية، ط01، 2017م.
- محمد أمين جبر، الإنسان والخلافة في الأرض، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1419هـ، 1999م.
- محمد باقر الصدر، فلسفتنا، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1430هـ، 2009م .
- محمد بكر إسماعيل حبيب، مقاصد الشريعة تأصيلاً وتفعيلاً، سلسلة دعوة الحق، العدد 213، 1427هـ.
- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، ج5، ط27، 1415هـ، 1994م.
- محمد بن عبد الله الزاحم، آثار تطبيق الشريعة الإسلامية في منع الجريمة، دار المنار، القاهرة، ط1، 1992م.
- محمد بن عمر بن سالم بازمول، تدبر القرآن وأثره في ترقية النفوس، دار الاستقامة، القاهرة، ط01، 1429هـ، 2008م.
- محمد سعيد أحمد بن مسعود اليوبي، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1418هـ، 1998م.
- محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، ط1، 1982م.
- محمد سليمان الأشقر، أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالاتها على الأحكام الشرعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1424هـ، 2003م.

- محمد عبد الفتاح الخطيب، قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة، كتاب الأمة، العدد 139، السنة 30.
- محمد عبد اللطيف صالح الفرفور الحسني، مناهج الحرية في الحضارة الإسلامية الحرية الدينية، بدون طبعة وتاريخ.
- محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق، بيروت، ط 9، 1422هـ، 2001م.
- محمود حمدي زقزوق، المنهج بين الغزالي وديكارت، دار المعارف، بدون طبعة وتاريخ.
- محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام، دار الشروق، بيروت، ط 07، 1983م.
- محمود قاسم، نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توما الأكويني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 1، 1969م.
- مسفر بن علي القحطاني، الوعي المقاصدي: قراءة معاصرة للعمل بمقاصد الشريعة في مناحي الحياة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 1، 2008م.
- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د.ط.).
- مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط 1، 1418هـ، 1998م.
- مصطفى كحل، العقل الوضعي وسؤال التجديد: دراسة نقدية في الجهود الفلسفية لزكي نجيب محمود، دار الزمان للطبعة والنشر، دمشق، بدون طبعة والتاريخ.
- مهدي كلشني، قضايا إسلامية معاصرة، من العلم العلماني إلى العلم الديني، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ.
- موصدق خديجة، خطاب النفس الإنسانية في القرآن الكريم: حقيقته ومقاماته ومقاصده، دار الشروق، القاهرة، 1430هـ-2010م.
- ناصر بن سعيد بن سيف السيف، أسس الحرية في الفكر الغربي، شبكة الألوكة، ط 1، 1438هـ، 2017م.

- نبروي، مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مراجعة، محمد ثابت الفندي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1964م.
- نبيل السمالوطي، الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1984م.
- النشاط صالح ونوار أم كلثوم، التنمية البشرية من منظور فقه عمارة الأرض، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2011م.
- نعيم حبيب جغيني، الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، دار وائل، عمان، ط1، 1424هـ، 2004م.
- نور الدين بن مختار الخادمي، الاجتهاد المقاصدي حجته ضوابطه مجالاته، كتاب الأمة، العدد66، ج2، ط1، 1419هـ.
- نور الدين قراط بن حمادي، التعايش الإنساني في التصور الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط1، 01، 1440هـ، 2019م.
- نور الدين مختار الخادمي، حقوق الإنسان مقاصد الشريعة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، ط01، 1432ع، 2011م.
- النيسابوري، الكشف والبيان، دار إحياء التراث العربي، ط01، 1422هـ، 2002م.
- هاشم بن علي الأهدل، أصول التربية الحضارية في الإسلام، أصل الكتاب رسالة دكتوراه، ط1، سلسلة الرسائل الجامعية، جامعة محمد بن سعود الإسلامية.
- هوبرت ماركوز، العقل والثورة: هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1994م.
- وليم وكلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمود سيد أحمد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2010م.
- يوسف حامد الشين، الفلسفة المثالية، قراءة جديدة لنشأتها وتطورها وغاياتها، منشورات جامعة قازيوس، بنغازي، ط1، 1998م.
- يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ط01، 2006م.



## الرسائل والأطروحات:

- أنس أحمد كرزون، منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة، الدراسات العليا، 1415هـ، 1995م.
- علي بن عبده بن شاکر أبو حمیدی، تزكية النفس في الإسلام وفي الفلسفات الأخرى: دراسة تحليلية، بحث الدكتوراه في الأصول الإسلامية للتربية، جامعة أم القرى، كلية التربية، المملكة العربية السعودية، 1428هـ، 1429هـ.

## المجلات والدوريات:

- سلسلة كتاب الأمة، فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر.
- مجلة إسلامية المعرفة، فكرية فصلية يصدرها المعهد العالمي للفكر السلامي، الولايات المتحدة.
- مجلة الاجتهاد، تصدر عن دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، لبنان.
- مجلة الإحياء، فصلية تعنى بالشأن الشرعي والفكري، تصدرها الرابطة المحمدية للعلماء.
- المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، علمية عالمية محكمة، تصدر بدعم من صندوق دعم البحث العلمي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة آل البيت، الأردن.
- مجلة الإسلام اليوم، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو.
- مجلة الترتيل، علمية متخصصة تعنى بالدراسات القرآنية، الرابطة المحمدية للعلماء المغرب، الرباط.
- مجلة التفاهم، فكرية فصلية تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان.
- مجلة المسلم المعاصر، فصلية فكرية ثقافية محكمة تعالج قضايا الاجتهاد المعاصر في ضوء الأصالة الإسلامية، تصدر عن جمعية المسلم المعاصر.
- مجلة المعارج ، متخصصة تعنى بالدراسات والبحوث القرآنية، تصدر عن المعهد الثقافي للتخصص والدراسات القرآنية، بيروت.
- مجلة تفكّر، محكمة نصف سنوية تصدر عن معهد إسلام المعرفة (إمام) بجامعة الجزيرة، السودان.

- مجلة جامعة الملك سعود للعلوم التربوية والدراسات الإسلامية، علمية محكمة تعنى بنشر البحوث في مجالات الدراسات الإسلامية، تصدر عن كلية التربية بجامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.
- مجلة حراء، مجلة علمة ثقافية فصلية تعنى بالعلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية، تركيا.
- مجلة دعوة الحق، شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية و بشؤون الثقافة والفكر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.
- مجلة عالم الفكر، دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- مجلة قضايا إسلامية معاصرة، فكرية متخصصة تعنى بالهموم الثقافية للمسلم المعاصر، توزيع الفلاح للنشر والتوزيع، بيروت.
- مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، تصدر عن جامعة مؤتة، الأردن.
- مجموعة باحثين، أعمال الندوة العلمية الدولية، التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، بعنوان، العلوم الإسلامية أزمة منهج أم أزمة تنزيل، يومي 13- 14 ربيع الثاني 1431هـ، الموافق 30-31 مارس 2010م.
- مجموعة باحثين، أعمال ندوة تطور العلوم الفقهية والمقاصد الشرعية، المعقدة خلال عام، 1427هـ، 2006م، لوزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط 02، 1433هـ، 2012م.
- مجموعة باحثين، التأويل سؤال المرجعية ومقتضيات السياق، أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، يومي 17 و 18 شعبان 1434هـ، الموافق ل 26 و 27 يونيو 2013م، الرباط المملكة المغربية، ط2، دار الأمان.
- مجموعة باحثين، الوحي والعلوم في القرن الواحد والعشرين: مقاصد القرآن والسنة والأنظمة والمؤسسات المالية من منظور القرآن والسنة، تحرير: محمد أبو الليث الخير آبادي، عصام التجاني محمد إبراهيم، دار الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا للنشر، ط 01، 1436هـ، 2015م.
- مجموعة باحثين، دورية نماء، مركز نماء للبحوث والدراسات
- مجموعة باحثين، سلسلة ندوات علمية 09، الوحي والعالم جدلية مرجع الوجهة ومرجع الحركة في عالم متغير، أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء يومي 10 و 11 شعبان، الموافق ل 17 و 18 ماي 2016م، الرباط المملكة المغربية.

- مجموعة باحثين، سلسلة ندوات علمية، **مناهج الاستمداد من الوحي**، أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، ط01، أيام 27\_28 صفر 1429هـ، الموافق 5\_6 مارس 2008م.
- مجموعة باحثين، **سلسلة المفاهيم والمصطلحات(4)**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1418هـ/1998م.
- مجموعة باحثين، **سلسلة المنهجية الإسلامية 12**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي القاهرة، ط1، 1417هـ/1996م.
- مجموعة باحثين، سلسلة المؤتمرات، **الدين والحضارة حفظ العمران: مقصد شرعي**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، القاهرة، ط1، 1440هـ، 2018م، ص:136.
- مجموعة باحثين، **سلسلة كتاب الاحياء العدد(1)**، الرابطة المحمدية للعلماء، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 1434هـ/2013م.
- مجموعة باحثين، ندوة **الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية**، كلية الآداب فاس سايس، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996م.
- مجموعة باحثين، **نظرية المعرفة والسياق الكوني المعاصر: التكليفات المرجعية، والمستلزمات العلمية**، أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، يومي 21 و 22 شعبان 1436هـ، الموافق ل 09 و 10 يونيو 2015م، الرباط، المملكة المغربية، الرابطة المحمدية للعلماء، ط01، 1439هـ، 2017م.
- مجموعة باحثين، أعمال ندوة العلمية الدولية بعنوان: **القرآن الكريم ورؤية العالم مسارات التفكير والتدبر**، يومي 03 و 04 يونيو 2014م، رابطة المحمدية للعلماء المغرب، ط01، 2015م.
- مجموعة باحثين؛ **مقاصد القرآن الكريم**، تحرير محمد سليم العوّا، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط1، 1439هـ، 2018م.

## فهرس الموضوعات

1	مقدمة
25	الباب الأول : إنسانية الإنسان في القرآن الكريم الأسس المرجعية والمعرفية
27	الفصل الأول: مفهوم إنسانية الإنسان بين الرؤية القرآنية والوضعية
29	المبحث الأول: مفهوم الرؤية القرآنية الخصائص والمقاصد
29	المطلب الأول: خصائص الرؤية القرآنية
48	المطلب الثاني: مقاصد الرؤية القرآنية
62	المبحث الثاني: مفهوم إنسانية الإنسان في الرؤية القرآنية
62	المطلب الأول: منظور الرؤية القرآنية للإنسان
76	المطلب الثاني: خصائص النفس الإنسانية في الرؤية القرآنية
90	المطلب الثالث: محددات إنسانية الإنسان في القرآن الكريم
104	المبحث الثالث: مفهوم إنسانية الإنسان في الرؤية الوضعية من خلال نماذج
104	المطلب الأول: مفهوم الوضعية ورؤيتها لإنسانية الإنسان أو كست كونت نموذجاً
110	المطلب الثاني: مفهوم إنسانية الإنسان في الفلسفة المثالية امانويل كانط نموذجاً
116	المطلب الثالث: مفهوم إنسانية الإنسان في الفلسفة المادية كارل ماركس نموذجاً
127	المطلب الرابع: قراءة نقدية لإنسانية الإنسان في الرؤية الوضعية
137	الفصل الثاني: الأسس المرجعية والمعرفية لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم
138	المبحث الأول: الأسس المرجعية ومقومتها
138	المطلب الأول: مفهوم الأسس المرجعية
146	المطلب الثاني: المقوم العقدي

157	المطلب الثالث: المقوم التركوي.....
169	المبحث الثاني: الأسس المعرفية لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم.....
169	المطلب الأول: المعرفة النظرية والتدبرية.....
185	المطلب الثاني: المعرفة العملية التنزيلية.....
193	الباب الثاني: إنسانية الإنسان في القرآن الكريم: الأبعاد الحضارية.....
195	الفصل الأول: البعد الاستخلافي لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم.....
197	المبحث الأول: الأبعاد العقلية والتكريمية والتعميرية.....
197	المطلب الأول: البعد التعقلي.....
215	المطلب الثاني: البعد التكريمي.....
234	المطلب الثالث: البعد التعميري.....
254	المبحث الثاني: البعد الاستخلافي وعلاقته بالقيم الإنسانية في القرآن الكريم.....
254	المطلب الأول: الحرية قيمة للبعد الاستخلافي.....
271	المطلب الثاني: العدل قيمة للبعد الاستخلافي.....
288	الفصل الثاني: الأبعاد المقاصدية لإنسانية الإنسان في القرآن الكريم.....
290	المبحث الأول: مقصد حفظ إنسانية الإنسان في منظومة المقاصد الكلية.....
290	المطلب الأول: مقصد حفظ إنسانية الإنسان وعلاقته بحفظ الدين.....
310	المطلب الثاني: مقصد حفظ إنسانية الإنسان وعلاقته بحفظ النفس.....
327	المطلب الثالث: مقصد حفظ إنسانية الإنسان وعلاقته بحفظ العقل.....
341	المبحث الثاني: إنسانية الإنسان والمشارك الإنساني في القرآن الكريم.....
341	المطلب الأول: إنسانية الإنسان والتأسيس للمشارك الإنساني.....
357	المطلب الثاني: العلاقة مع الآخر في ضوء إنسانية الإنسان.....

370	المطلب الثالث: إنسانية الإنسان والكونية الحضارية
395	خاتمة
400	الفهارس
401	فهرس الآيات القرآنية
422	فهرس الأحاديث النبوية
425	لائحة المصادر والمراجع
441	فهرس الموضوعات